تجليد صالح الدقر
القاهرة

A.U.B. Library

808 :K231iA V.3-4

القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد
الرحمن .
الايضاح في علوم البلاغة

808
K231iA
V.3-4

JAFET LIB.
13 JUN 2002
Circulation Dept.3

- 1 FEB 1985

808.049927
Q619;KA
v.3-4

الإيضاح
فى علوم البلاغة

للخطيب القزوينى المتوفى عام ٧٣٩ هـ

شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجى

الاستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء الثالث

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها : محمود توفيق

الطبعة الاولى

١٣٦٨هـ — ١٩٤٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الايضاح

الجزء الأول من أول الكتاب إلى آخر المجاز العقلى

الجزء الثانى من أول أحوال المسند إليه إلى آخر متعلقات الفعل

الجزء الثالث من أول القصر إلى آخر باب الايجاز والأطناب والمساواة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة الأولى

ظهر الجزء الأول والثانى من شرحى على الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى [٦٦٦ — ٧٣٩ هـ]

فلقيا من عناية العلماء والباحثين والدارسين والمتعلمين ما لم أكن أحسبه أو أخاله

وهذا هو الجزء الثالث من هذا الشرح وأوله باب القصر وآخره باب الايجاز والاطناب والمساواة

وإنى لأحمد الله على توفيقه ، وأسأله أن يسدد خطانا ، ويلهمنا الرشد والصواب

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

محمد عبد المنعم خفاجى
الاستاذ بكلية اللغة العربيه

١ / ١٠ / ١٩٤٩

القول فى القصر

ملاحظات :

١ — الأصل فى الجملة الواحدة ان تؤدى حكما واحدا مقصودا ، وقد يتبع هذا الكلام الواحد الواحد غرض ومعنى يترتب عليه ، ومثل هذا يسمى مستتبعات التراكيب ، وقد تؤدى الجملة الواحدة حكمين مقصودين مختلفين بالايجاب والسلب من طريق الوضع أو من طريق العقل والذوق وهذه هى الجملة التى حكم فيها بثبوت شىء لآخر على جهة الاختصاص وعدم تعدى الاول الثانى أو حكم فيها بسلب شىء عن آخر على جهة الاختصاص كذلك . ومثل هذا الاسلوب يسمى القصر مثل ما محمد الا شاعر

٢ — هذا ومثل محمد شاعر ، وما محمد الا شاعر

الأول للخالى ، والثانى للمتردد أو للمنكر

والفرق بين التردد والانكار : أن المتردد التأكيد له مستحسن والمنكر التأكيد له واجب ، والمتردد يؤكد له الكلام بمؤكد واحد أما المنكر فيؤكد له الكلام بمؤكد أو أكثر وقيل بأكثر من مؤكد . وفى التردد ترك التوكيد ليس خطأ وفى الانكار يعد خطأ

وتأكيد الحكم (وهو ثبوت الشعر لمحمد فى مثل ما محمد الا شاعر) هنا بما وإلا — أو بما شابههما أو بغيرهما ، وجوبا أو استحسانا — مطابقة لمقتضى الحال فهو بلاغة ، ومن ثم كان الواجب البحث عنه . ويهمنا هنا فى هذا الباب بحث تأكيد الحكم بما وإلا وماشابههما لابغير ذلك [كأن والقسم ونون التوكيد ولام الابتداء وحروف الزيادة الخ]

وتأكيد الحكم بما وإلا وماشابههما هو القصر

٣ — هذا وبحوث القصر هى :

ا — ما هو القصر

ب — أقسام القصر

. . . . . .

ج ـ أدوات القصر والفرق بينها

د ـ فائدة القصر .

٤ ـ والقصر فى اللغة الحبس ، قال تعالى : حور مقصورات فى الخيام أى محبوسات . وفى الأساس : قصرته حبسته وقصرت نفسى على هذا إذا لم تطمح إلى غيره ، وهن قاصرات الطرف أى قصرنه على أزوجهن ، وقصر هذه اللقمة على عياله وعلى فرسه إذا جعل درها لهم

وتقول قصرت المرأة على أعمال البيت وتربية الأولاد أى حبستها عليه

فالقصر فى اللغة الحبس ، وفى الاصلاح تخصيص شىء [صفة أو موصوف] بشىء [موصوف أوصفة] بطريق مخصوص [ما وإلا وماشابه ذلك من انما والعطف والتقديم وتوسط ضمير الفصل وتعريف المسند أو المسند إليه بلام الجنس] والباء داخلة على المقصور عليه على الأرجح .

كتخصيص محمد بالشعر فى قولك ماحمد الا شاعر ، وتخصيص الشعر بمحمد فى قولك ماشاعر الا محمد ، أو قل قصر محمد على الشعر فى الأول . وقصر الشعر على محمد فى المثال الثانى

ومعنى التخصيص ثبوت الشىء الثانى دون غيره للشىء الاول .

٥ — ووجوه بلاغة القصر هى :

الايجاز ـ تقرير الكلام وتمكينه فى الذهن لدفع مافيه من إنكار أوشك ـ الرد على المخاطب فى قصرى الأفراد والقلب — تعيين المبهم فى قصر التعيين — مجاراة الخصم — التعريض — ذكر الواقع فى القصر الحقيقى — المبالغة فى القصر الادعائى

٦ — مراجع باب القصر :

هذا وراجع فى القصر : ص٢٥٢ — ٢٧٤ من الدلائل وص ١٢٥ ومابعدها من المفتاح . وراجع : معنى كلمة التخصيص والاختصاص فى ٣٨٨ و ٢٥٥ ج ١

من ابن السبكى ، ودخول الباء بعدها على المقصور وعن السيد على المقصور عليه فى ص ٣٨٦ ج ١ الدسوقى و ١١٠ ج ٢ و٣٨٧ ج ١ ابن يعقوب و ١٠٤ المطول و٢٧٠ ج ٢ ابن السبكى و٢٦٦ ج ٢ شروح التلخيص ، الاختصاص والقصر بمعنى واحد الا عند ابن السبكى فى ١٥٣ ج ٢ الدسوقى و ١٥٥ ج ٢ ابن السبكى القصر وهل يجرى فى الأنشاء فى ١٤٦ ج ٢ الدسوقى ، مقام القصر فى ص ٨٥ من المفتاح ، القصر للمسند إليه على المسند وللمسند على المسند إليه ص ٨٥ المفتاح من المفتاح أيضا

٧ — خلاصة للقصر وأقسامه :

ا — القصر تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص .

ب — القصر الحقيقى ما كان تخصيص الشىء بالشىء فيه بحسب الحقيقة وفى نفس الأمر بمعنى عدم مجاوزة الأول الثانى إلى غيره أصلا .

ج — والقصر الأضافى ما كان التخصيص فيه بحسب الأضافة إلى شىء آخر بمعنى عدم مجاوزة الأول الثانى إلى شىء آخر معين وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره .

د — قصر الموصوف على الصفة هو مالم يتجاوز الموصوف فيه تلك الصفة إلى غيرها [من جميع الصفات فى الحقيقى أو صفة معينة فى الأضافى] مع جواز ثبوت تلك الصفة لغير الموصوف .

ه — وقصر الصفة على الموصوف هو مالم يتجاوز فيه الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر [أى كل موصوف فى الحقيقى أو بعض معين فى الأضافى] مع جواز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى .

و — الحقيقى صفة على موصوف أو بالعكس وكذلك الأضافى .

ز — القصر الادعائى ما كان القصر الحقيقى فيه مبنيا على الادعاء والمبالغة بتنزيل غير المذكور منزلة العدم وقصر الشىء على المذكور وحده .

[أقسام القصر] :

القصر حقيقى وغير حقيقى (١)

وكل واحد منهما (٢) ضربان :

قصر الموصوف على الصفة (٣) ، وقصر الصفة على الموصوف (٤)

---

(١) لأن تخصيص الشيء بشيء اما أن يكون بحسب الحقيقة وفى نفس الأمر بألا يتجاوزه إلى غير أصلا وهو الحقيق سواء كان الاختصاص أيضا كذلك أو لم يكن فيعم القصر الحقيقى والادعائى ؛ وإما أن يكون التخصيص بحسب الأضافة إلى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر فى الجملة وهو غير الحقيق أو قل هو الأضافى ، كقولك ما زيد إلا قائم بمعنى أنه لا يتجاوز القيام إلى القعود ، لا بمعنى أنه لا يتجاوزه إلى صفة أخرى أصلا .

فاذا كان السلب الذى تضمنه القصر عن كل ما عدا المقصور عليه فهو القصر الحقيق وإلا فهو الأضافى .

والمراد بالحقيق ليس نسبة إلى الحقيقة بمعنى نفس الأمر ولا ضد المجاز ، بل المراد ما لوحظ فيه الحقيقة ونفس الأمر بدون ملاحظة حال المخاطب من تردد أو اعتقاد خلاف أو شركة . والأضافى ما لوحظ فيه الحقيقة ونفس الأمر مع ملاحظة حال المخاطب السابق .

فالقصر الحقيق بمعنى عدم مجاوزة المقصور المقصور عليه إلى غيره أصلا . والاضافى بمعنى عدم مجاوزة المقصور المقصور عليه إلى شيء آخر وإن أمكن أن يتجاوزه إلى غيره .

(٢) أى من الحقيق وغيره

(٣) وهو ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى [إن أراد أى صفة كان القصر حقيقيا ، وإن أراد إلى صفة معينة كان إضافيا] ، لكن يجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر

(٤) وهو ألا يتجاوز تلك الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر [المراد =

والمراد الصفة المعنوية لا النعت (١)

= جنس الموصوف الصادق بكل موصوف فى الحقيق وببعض معين فى الأضافى]
لكن يجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى

ولايضاح ذلك الفرق بين قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف نعرض عليك هذين المثالين :

إنما يدافع عن الوطن الشباب ، وإنما الشباب يدافع عن الوطن ؛ المقصور عليه فى إنما هو المؤخر فالمثال الأول المقصور عليه هو الشباب . وفى المثال الثانى المقصور عليه المدافعة عن الوطن ، والمثال الأول كما سنعلم بعد قصر صفة على موصوف والمثال الثانى قصر موصوف على صفة

وفى المثال الأول يؤكد المتكلم لمخاطبه استقلال الشباب وحده بالدفاع عن الوطن لا يشترك معهم غيرهم فى ذلك الواجب ، وذلك لا يمنع أن يكون للشباب صفات أخرى غير هذه الصفة من الأقدام والبلاغة ألخ

وفى المثال الثانى المقصور عليه المدافعة عن الوطن فالشباب لايقومون بسواها من الأعمال على أنه من الجائز أن يشترك معهم فى الدفاع عن الوطن سواهم

فالجملة الأولى أبلغ فى المدح من وجهين .

الأول أنها تفيد استقلال الشباب بالدفاع وعدم اشتراك أحد معهم فيه

والثانى انها لا تنفى أن يكون للشباب صفات أخرى غير هذه الصفة

فقصر الصفة على الموصوف أبلغ من قصر الموصوف على الصفة

(١) أى المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية أعنى المعنى القائم بالغير ؛ لا النعت النحوى وهو التابع الذى يدل على معنى فى متبوعه غير الشمول ، والمراد نفيه بالكلية أى أنه لا يصح إرادته فى باب القصر إذ لا يتأتى قصره بطريق من طرقه

هذا وبين الصفه المعنوية والنعت النحوى فى حد ذاتهما عموم من وجه : لتصادقهما فى مثل « أعجبنى هذا العلم » ، وتفارقهما فى « مثل العلم حسن » ، و « مررت بهذا الرجل » ، فالعلم فالمثال الأول صفه معنوية ونعت نحوى معا ، والعلم فى المثال =

[القصر الحقيقى] :

والأول [١] من الحقيقى كقولك « ما زيد إلا كاتب » إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة . وهذا لا يكاد يوجد فى الكلام [٢] لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الاحاطة بها أو تتعسر

والثانى منه [٣] كثير ، كقولنا « ما فى الدار إلا زيد » [٤]

والفرق بينهما [٥] ظاهر ، فان الموصوف فى الأول [٦] لا يمتنع

= الثانى صفه معنوية لا نعت نحـــوى ، والرجل فى المثال الثالث نعت نحوى لا صفه معنوية

وإما نحو قولك ما الباب إلا ساج وما زيد إلا أخوك وما هـذا إلا زيد فمن قصر الموصوف على الصفه تقديرا إذ المعنى أنه مقصور على الاتصاف بكونه ساجا وأخا وزيدا

(١) راجع ٢٦٦ من الدلائل . وقـوله « الأول » أى قصر المـوصوف عـلى الصفة

(٢) أى حقيقة نعم يوجد ادعاء بتنزيل غير الصفة المثبته كالعدم ؛ بل هـذا (قصر الموصوف عـــلى الصفة قصر حقيقيا) محـال ، لأن للصفة المنفية نقيضا وهو من الصفات التى لا يمكن نفيها ضرورة امتناع ارتفـاع النقيض ، مثـلا اذا قلنا « ما زيد إلا كاتب » وأردنا أنه لا يتصف بغيره لزم الا يتصف بالقيام ولا بنقيضه وهو محـال

(٣) « الثانى » أى قصر الصفة على الموصوف ، « منه » أى من القصر الحقيقى

(٤) على معنى أن الحصول فى الدار المعينة مقصور على زيد .

(٥) أى بين قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفه على الموصوف فى الحقيقى

(٦) وهو « زيد » فى « ما زيد إلا كاتب » .

أن يشاركه غيره [١] فى الصفة المذكورة [٢] ، وفى الثانى [٣] يمتنع [٤] وقد يقصد به [٥] المبالغة [٦] لعدم الاعتداد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم [٧]

(١) من على وخالد وعمرو . (٢) وهى الكتابة .
(٣) أى وفى المثال الثانى وهو ما فى الدار إلا محمد .
(٤) أى يمتنع مشاركة غيره له فى الحصول فى الدار .
وهذا فرق واحد بين قصر الموصوف على الصفه وعكسه فى القصر الحقيقى ، والفرق الثانى أن قصر الموصوف على الصفة ينفى أن يكون للموصوف صفات أخرى غير الصفة المذكورة وقصر الصفة لا ينفى ذلك .

(٥) « به » أى بالثانى وهو قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا ، فيكون القصر الأدعائى خاص بذلك القسم فلا يوجد فى الاضافى ولا فى قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا

أو « به » أى بالقصر الحقيقى مطلقا قصر صفة على موصوف أو قصر موصوف على صفة . فالقصر الحقيقى قسمان : حقيقى تحقيقى ، وحقيقى ادعائى
أو به أى بالقصر مطلقا . حقيقيا أو اضافيا ؛ قصر موصوف على صفة أو قصر صفة على موصوف . فكل من هذه الاقسام اما قصر تحقيقى وإما قصر أدعائى
هذا ورجوع الضمير المجرور إلى القسم الثانى من الحقيقى كما اختاره السعد أقرب وأنسب بحسب اللفظ والسياق وإرجاع الضمير الى الحقيقى مطلقا اصح واشمل بحسب المعنى والفائده لتناوله قسمى الحقيقى معا ، بل ارجاع الضمير الى مطلق القصر أصح إذ لامانع من اعتبار الادعائى فى الاضافى .. وقيل القصر الادعائى من مجاز التركيب والأصح أنه حقيقة

(٦) اى فى كمال الصفة فى ذلك الموصوف فتنفى عن غيره على العموم

(٧) كما يقصد بقولنا مافى الدار الا زيد أن جميع من فى الدار ممن عدا زيدا فى حكم العدم فيكون قصرا حقيقيا أدعائيا .
والفرق بين الادعائى والقصر الغير الحقيقى (الاضافى) هو أن القصر الاضافى لايجعل فيه غير المذكور بمنزلة المعدوم بل يكون المراد أن الحصول فى الدار مقصور على =

. . . . . .

= زيد بمعنى أنه ليس حاصلا لعمرو وان كان حاصلا لبكر وخالد

ملاحظة : القصر الادعائى والقصر الأضافى :

يشتركان معا فى جواز اتصاف الموصوف بصفات أخرى غير التى قصر الموصوف عليها [وذلك فى قصر الموصوف على الصفة - ما محمد إلا كاتب] .

ويفترقان فى :

١ — الادعائى يعتبر فى مفهومه سلب سائر الصفات عن الموصوف [فى قصر الموصوف على الصفه] .

والاضافى يعتبر فيه سلب بعض ما عدا تلك الصفة عنه .

٢ — الادعائى لا يعتبر فيه اعتقاد المخاطب بأى نحو ووجه من الوجوه والاضافى يعتبر فيه ذلك .

٣ الادعائى يقتضى عدم الاعتداد بسائر الصفات .

والأضافى لا يقتضى ذلك .

ملاحظة : بناء على أن القصر الادعائى من أقسام القصر الحقيقى مطلقا (قصر صفه على موصوف أو قصر موصوف على صفه) يكون القصر الحقيقى قسمين : حقيقى تحقيقى ، وحقيقى ادعائى (وهو الحقيقى مبالغة) . وقصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا ادعائيا موجود قطعا ، بخلاف قصر الصفة الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا . هذا وقصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا ادعائيا يمكن اعتباره هنا بناء على عدم الاعتداد بباقى الصفات ، هذا والأصح كما سبق أن القصر الادعائى كما يكون فى الحقيقى يكون فى الاضافى وكما يكون فى قصر الموصوف على الصفه يكون فى قصر الصفه على الموصوف .

فتخصيص بعض العلماء له بقصر الصفه على الموصوف قصرا حقيقيا لا مرجح له .

وهذه هى أمثلة القصر الادعائى :

١ — هل الجود إلا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين صقيل

قصر موصوف على صفة قصر حقيقيا ادعائيا .

٢ — إنما الشاعر شوقى لا حافظ ولا مطران . =

[القصر الاضافى] :

والاول (١) من غير الحقيقى تخصيص أمر بصفة دون أخرى (٢)
أو مكان أخرى

والثانى (٣) منه (٤) تخصيص صفة بأمر دون آخر (٥) أو مكان آخر

= قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا ادعائيا .

٣ — إنما شوقى شاعر لا كاتب .

قصر موصوف على صفه قصرا اضافيا ادعائيا .

٤ — وما سافرت فى الآفاق إلا ومن جدواك راحلتى وزادى

قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ادعائيا .

٥ — وما البأس إلا حمل نفس على السرى وما العجز إلا نومة وتشمس

قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا ادعائيا .

(١) وهو قصر الموصوف على الصفة (٢) دون صفة أخرى

(٣) وهو قصر الصفة على الموصوف (٤) اى من غير الحقيقى

(٥) أى دون أمر آخر . وقوله دون أخر معناه متجاوزاً عن الصفة الأخرى فان المخاطب اعتقد اشتراكه فى صفتين والمتكلم يخصصه بأحداهما ويتجاوز عن الأخرى ، ومعنى دون فى الأصل أدنى مكان من الشى ، يقال هذا دون ذاك إذا كان أحط منه قليلا ثم استعير للتفاوت فى الأحوال والرتب نحو زيد دون عمر فى الشرف ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى وتخطى حكم إلى حكم . ولقائل أن يقول : إن اريد بقوله دون أخرى ودون آخر دون صفة واحدة اخرى ودون امر واحد آخر فقد خرج عن ذلك ما إذا اعتقد المخاطب اشتراك مافوق الاثنين ، كقولنا مازيد إلا كاتب لمن اعتقده كاتبا وشاعراً ومنجما ، وقولنا ماكاتب إلا زيد لمن اعتقد أن الكاتب زيد وعمر وبكر ، وأن أريد الأعم من الواحد وغيره فقد دخل فى هذا التفسير القصر الحقيقى وكذا الكلام على مكان أخرى ومكان آخر :

ويمكن الجواب بأن المراد بدون أخرى ودون آخر دون معين سواء كان واحد أو أكثر مع تعينه ، فخرج غير المتعين مما هو مصدوق القصر الحقيقى =

فكل واحد منهما [١] ضربان [٢]

[قصر الافراد]:

والمخاطب بالاول [٣] من ضربى كل [٤] - أعنى تخصيص أمر بصفة دون أخرى ، وتخصيص صفة بأمر بأمر دون آخر — من يعتقد الشركة [٥] ؛ أى اتصاف ذلك الأمر [٦] بتلك الصفة وغيرها

= ملاحظات

القصر الاضافى مالوحظ فيه عدم تجاوز المقصور المقصور عليه الى بعض معين مما عدا ذلك المقصور عليه وأن امكن ان يتجاوزه الى بعض آخر. اما الحقيقى فهو مالوحظ فيه عدم تجاوز المقصور المقصور عليه الى جميع ماعدا المقصور عليه

(١) أى من قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف

(٢) هما التخصيص بشىء دون شىء والتخصيص بشىء مكان شىء

(٣) وهو التخصيص بشىء دون شىء - وراجع فى ذلك ص١٢٥ من المفتاح

(٤) اى من قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف كما شرحه الخطيب .

(٥) أى شركة صفتين فى موصوف واحد فى قصر الموصوف على الصفة ، وشركة موصوفين فى صفة واحدة فى قصر الصفة على الموصوف . فالمخاطب بقولنا « مازيد إلا كاتب » من يعتقد اتصافه بالشعر والكتابه ، وبقولنا « ما كاتب الازيد من يعتقد اشتراك زيد وعمر فى الكتابة

ملاحظات .

١ — المقصور عليه هو مابعد الا دائما

٢ — قوله « والمخاطب بالأول . من يعتقد الشركة أى غالبا وقد يخاطب به من يعتقد أن المتكلم يعتقد الشركة ولو كان المخاطب معتقدا =

جميعا فى الاول (١) ، واتصاف ذلك الأمر (٢) وغيره جميعا بتلك الصفة (٣) فى الثانى (٤)

فالمخاطب بقولنا «ما زيد الا كاتب» من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر، وبقولنا «ما شاعر الا زيد» من يعتقد ان زيدا شاعر لكن يدعى أن عمرا أيضا شاعر. وهذا يسمى قصر افراد، لقطعه الشركة بين الصفتين فى الثبوت للموصوف (٥) أو بين الموصوف وغيره فى الاتصاف بالصفة (٦)

= للانفراد كأن يعتقد مخاطب اتصاف زيدا بالشعر فقط ويعلم انك يعتقد اتصافه بالشعر والكتابة فتقول مازيد إلا شاعر لتعلمه أنك لا تعتقد مايعتقد فيك. وهذا بناء على أن الخبر الغرض منه أفادة الحكم أو أن المخاطب عالم بالحكم — الفائدة أو لازم الفائدة — وفى الاطول « يعتقد الشركة أو يجوزها »

(٦) وهو الموصوف الواقع مقصورا فى مثل مازيد إلا عالم وقوله بتلك الصفة اى الواقعة مقصورا عليه

(١) اى فى قصر الموصوف على الصفة

(٢) وهو الموصوف الواقع مقصورا عليه فى مثل ماعالم إلا زيد

(٣) أى الواقعة مقصورا

(٤) اى فى قصر الصفة على الموصوف

(٥) فى قصر الموصوف على الصفة

(٦) فى قصر الصفة على الموصوف

الخلاصة :

١ - قصر الأفراد قصر قصدبه الرد على من يعتقد ثبوت المقصور لكل من المقصور عليه وبعض ماعداه ، أو قل هو قصر قصد به الرد على من يعتقد الشركة =

[قصر القلب [١] والتعيين]

والمخاطب بالثانى [١] من ضربى كل [٢] أعنى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر — :

إما من يعتقد العكس [٣] ؛ أى اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة عوضا عنها فى الأول [٤] ، واتصاف

= ٢ — قصر الأفراد . اما قصر موصوف على صفة أو قصر صفة على موصوف

٣ — قصر الأفراد فيه تخصيص بشىء دون شىء ، تخصيص موصوف بصفة دون صفة أخرى أو تخصيص صفة بموصوف دون موصوف آخر

٤ — ومما سبق أن ذكرناه فى القصر الأدعائى نقول القصر الادعائى كما يوجد فى الحقيقى يكون فى الاضافى فالقصر الاضافى اما قصر اضافى حقيقة وإما قصر إضافى مبالغة وادعاء

ملاحظة :

راجع مقام القصر فى ص ٨٥ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ من المفتاح . ويقول السكاكى : الحالة المقتضية للقصر هى أن يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ وأنت تريد تقرير صوابه ونفى خطئه [٨٥ من المفتاح]

(١) هو التخصيص بشىء مكان شىء آخر .

(٢) من القصرين قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف

(٣) أى عكس الحكم الذى أثبته المتكلم ، فالمخاطب بقولنا « ما زيد إلا قائم » من اعتقد اتصافه بالقعود بدلا من القيام ، وبقولنا « ما شاعر إلا زيد » من اعتقد أن الشاعر عمرو لا زيد .

وقوله « من يعتقد العكس » أى أو يعتقد أن المتكلم يعتقد العكس وإن كان هو لا يعتقد العكس ، وذلك فى لازم الفائدة . وقيل : المراد بالاعتقاد ما يشمل التجويز .

(٤) أى فى قصر الموصوف على الصفة مثل ما محمد إلا كاتب .

غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضا عنه فى الثانى [١] وهذا يسمى قصر قلب لقلبه حكم السامع [٢]

واما من تساوى الأمران عنده ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها فى الأول [٣] واتصافه بها واتصاف غيره بها فى الثانى [١] ؛ وهذا يسمى قصر تعيين

فالمخاطب بقولنا "ما زيد إلا قائم" من يعتقد أن زيد قاعد لا قائم [٤] أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ويعلم ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه [٥] وبقولنا "ما قائم إلا زيد ، من يعتقد أن عمرا قائم لا زيد [٦] ، أو

---

(١) أى فى قصر الصفه على الموصوف مثل ما كاتب إلا محمد .

(٢) أى كله . أما فى الافراد فالقلب فيه ليس لكل حكم المخاطب بل فيه إثبات البعض ونفى البعض .

(٣) أى فى قصر الموصوف على الصفه

ملاحظة : قصر الافراد والقلب والتعيين خاصة بالقصر الاضافى ولا تجرى فى الحقيقى كما نص عليه السعد .

والعصام فى الاطول يرى أن هذه الأقسام الثلاثة يمكن أن تكون فى قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقيا ومثل له بنحو «إنما النجيب من أولاد على سعيد ورأى العصام ضعيف لا يعتد به .

(٤) فى قصر القلب قصر موصوف على صفة .

(٥) أى فى قصر التعيين — قصر موصوف على صفة .

(٦) أى فى قصر القلب — قصر صفة على موصوف .

يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من هو بعينه (١)

= (١) وهذا فى قصر التعيين — قصر صفة على موصوف .

الخلاصة :

١ — قصر القلب قصر قصد به الرد على من يعتقد عكس الحكم الموجود فى صيغة القصر.

٢ — قصر التعيين قصر قصد به تعيين مبهم عند المخاطب وتخصيصه بواحد معين .

٣ — قصر القلب والتعيين يشتركان فى :

ا - كل منهما إما قصر موصوف على صفة أو قصر صفة على موصوف

ب — كل منهما على مذهب الخطيب فى الايضاح فيه تخصيص بشىء مكان شىء

فالحاصل على رأى الايضاح أن التخصيص بشىء دون شىء آخر قصر إفراد أما التخصيص بشىء مكان شىء فان اعتقد المخاطب فيه العكس فهو قصر قلب وان تساويا عنده فقصر تعيين . فقصر الافراد هو التخصيص بشىء دون شىء وقصر القلب هو التخصيص بشىء مكان شىء أما قصر التعيين ففيه خلاف : هل فيه تخصيص بشىء مكان شىء أو فيه تخصيص بشىء دون شىء ؛ فالخطيب فى الأيضاح يسير على الأول أى أن فى قصر التعيين — كالقلب — تخصيصا بشىء مكان شىء آخر فهو عنده يشترك مع القلب فى أن فى كل منهما تخصيصا بشىء مكان شىء ، والفرق بينهما أن المخاطب فى القلب يعتقد العكس والمخاطب فى التعيين متردد . أما السكاكى فيرى فى قصر التعيين تخصيصا بشىء دون شىء ولذلك يجعل التخصيص بشىء دون شىء مشتركا بين الأفراد والتعيين ، أما تخصيص الشىء مكان شىء فهو عنده قصر القلب فقط ، والفرق بين قصر الافراد والتعيين على رأى السكاكى أن قصر الافراد المخاطب فيه يعتقد الشركة وقصر التعيين المخاطب فيه متردد. أما ابن يعقوب فيجوز أن يصدق على قصر =

الثالث (٢)

[شروط القصر]

وشرط قصر الموصوف على الصفة أفرادا عدم تنافى الصفتين (١)

= التعيين تعريف قصرى الأفراد والقلب ، فيكون التعريفان شاملين لقصر التعيين ، فقصر التعيين عنده كما أن فيه تخصيصا لشىء مكان شىء ففيه تخصيص بشىء دون شىء .

ورجح السعد رأى السكاكى ونقد رأى الخطيب فى الايضاح بماحاصله أننا لو سلمنا أن فى قصر التعيين تخصيصا شىء بشىء مكان شىء فلا يخفى أن فيه تخصيص شىء بشى دون آخر فان قولنامازيد إلا قائم لمن يرددهبين القيام والقعود تخصيص له بالقيام دون القعود .

هذا وكلام الخطيب فى متن التلخيص لايمنع أن يكون قصر التعيين مشتركا مع قصر الأفراد فى ان فى كل منهما تخصيصا بشىء دون شىء حيث قال « والمخاطب بالأول من ضربى كل من يعتقد الشركة ويسمى قصر افراد وبالثانى من يعتقد العكس ويسمى قصر قلب أو تساويا عنده ويسمى قصر تعيين فاذا عطفنا أو تساويا على « يعتقد العكس » كان موافقا لكلامه فى الايضاح فى ان كلا من القلب والتعيين فيه تخصيص بشىء مكان شىء ، أما إذا عطفنا « أو تساويا على يعتقد الشركة كان موافقا لرأى السكاكى — ومخالفا لكلامه فى الايضاح — فى ان كلا من الافراد والتعيين فيه تخصيص بشىء دون شىء

وأقرب هذه الآراء رأى السكاكى

( ) ليصح اعتقاد المخاطب اجتماعهما فى الموصوف حتى تكون الصفة المنفية فى قولنا « ما زيد الا شاعر » كونه كاتبا أومنجما لا كونه مفحما أى غير شاعر لأن الأفحام وهو وجدان الرجل غير شاعر ينافى الشاعريه

وخص هذا الشرط بقصر الموصوف على الصفة دون قصر الصفة على الموصوف لأن الموصوفات لاتكون إلا متنافية ، وقال يس ، يشترط فى قصر الصفة على الموصوف افرادا عدام تنافى الانصافين فلا يصح قولك « لا أبا لزيد الا عمرو » لأنه لايجتمع الموصوفان فى وصف الأبوة فلا يتأتى قصر الافراد

حتى تكون المنفية فى قولنا « مازيد إلا شاعر » كونه كاتبا أو منجما أو نحو ذلك ، لا كونه مفحما لا يقول الشعر ، ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما

وشرط قصره [١] قلبا تحقق تنافيهما حتى [٢] تكون المنفية [٣] فى قولنا ما زيد إلا قائم كونه قاعدا أو جالسا أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ، ليكون إثباتها [٤] مشعرا بانتفاء غيرها [٥]

---

(١) أى الموصوف على الصفة

(٢) أى تنافى الوصفين ، أما قصر الصفة على الموصوف قلبا فلا يشترط فيه تحقق التنافى بل تارة يتحقق وتارة لا

(٣) اى الصفه المنفية

(٤) أى اثبات الصفة وهى القيام فى قولك ماحمد الاقائم

(٥) هى ماقابلها من القعود والجلوس ونحو ذلك : وفى هذا التعليل نظر ، حاصله انه إذا اراد ان إثبات المتكلم هو المشعر بنفى غيرها فأداة القصر مشعرة بذلك من غير حاجة للتنافى وأن أراد أن إثبات المخاطب هو المشعر فلا يتوقف أيضا على التنافى بل يفهمه المتكلم منه بقرينه أو عبارة . والحاصل أن شرط قصر القلب اعتقاد المخاطب العكس سواء تحقق التنافى أم لا

هذا وقد أحسن صاحب المفتاح فى إهمال هذا الاشتراط ، فلم يتعرض له ولا للشرط المذكور فى قصر الأفراد ، لأن قولنا « مازيد الا شاعر » لمن اعتقد انه كاتب وليس بشاعر قصر قلب على ماصرح به فى المفتاح مع عدم تنافى الشعر والكتابة — فى الواقع وان كان المخاطب يعتقد تنافيهما ، ومثل هذا خارج عن أقسام القصر الأضافى على رأى المصنف

الحق هو رأى السكاكى . وان كان بعض العلماء يوافق الخطيب فى شرطه فى قصر =

وقصر التعيين أعم [١] ، لأن اعتقاد كون الشيء موصوفا بأحد أمرين معينين على الاطلاق لا يقتضى جواز اتصافه بهما معا ولا امتناعه . وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر الأفراد أو القلب يصلح أن يكون مثالا التعيين من غير عكس

وقد أهمل السكاكى القصر الحقيقى [٢] وأدخل قصر التعيين فى

= الأفراد ؛ ويوافق السكاكى فى عدم اشتراط شرط فى قصر القلب ، ومنهم الشيخ سليمان نوار فى مذكرته فى القصر

أفلا يكون هذا الشرط الذى اشترطه الخطيب ليس شرطا للصحة بل شرطا للحسن ليوافق رأيه رأى السكاكى؟ بعيد جدا ذهك ، لأنه لادلالة للفظ عليه، مع أننا لانسلم عدم حسن قولنا « مازيد الا شاعر لمن اعتقده كاتبا غير شاعره

. وهل يصح أن نقول إن المراد بالتنافى فى كلام الخطيب هو التنافى فى اعتقاد المخاطب سواء تنافيا فى الواقع ام لا حتى يوافق ايضا كلام الخطيب رأى السكاكى؟ بعيد أيضا ذلك :

١ — لأن التنافى بحسب اعتقاد المخاطب معلوم مما ذكره الخطيب من أن قصر القلب هو الذى يعتقد فيه المخاطب العكس ، فيكون هذا الاشتراط ضائعا ويرد مثل هذا أيضا على قوله « وشرط قصر الموصوف على الصفة افرادا عدم التنافى

٢ — ولأننا لو فسرنا التنافى بالتنافى فى إعتقاد المخاطب لم يصح قول المصنف الآتى فى الايضاح ان « السكاكى لم يشترط فى قصر القلب تنافى الوصفين »

(١) أى من كل واحد منهما ، والعموم باعتبار المحل ؛ أى فقد يوجد فيه التنافى وقد لا يوجد ، فلا يشترط فيه التنافى كما لا يشترط فيه عدمه ؛ فكل مثال يصلح لقصر الافراد والقلب يصلح لقصر التعيين من غير عكس .

(٢) لم يصرح السكاكى بتقسيمه القصر إلى حقيقى وإضافى ، فتوهم الخطيب أنه أهمل ذكر الحقيقى وليس كذلك، لأنه قال [كافى ص ١٢٥ من المفتاح] : =

قصر الأفراد ، فلم يشترط فى قصر الموصوف إفرادا عدم تنافى الصفتين ولا فى قصره [1] قلبا تحقق تنافيهما

∴

[طرق القصر] :

وللقصر طرق : (٢)

= « حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف بوصف دون ثان أو بوصف مكان آخر ، أو إلى تخصيص الوصف بموصوف دون ثان أو بموصوف مكان آخر » وهذا التفسير شامل للحقيقى وغيره لأن المراد بقوله « ثان وآخر » ما يصدق عليه أنه ثان أو آخر أعم من أن يكون واحدا أو أكثر إلى مالا نهاية إذ لو أريد الواحد لخرج عنه كثير من أمثلة القصر الغير الحقيقى أيضا . فهذا هو منشأ توهم اختصاص التفسير بغير الحقيقى .

(١) أى الموصوف

(٢) المذكور هنا أربعة ، وغيرها قد سبق ذكره ، كضمير الفصل وتعريف المسند أو المسند إليه بأل الجنسيه . وتقديم ما حقه التأخير من المعمولات . وقد يحصل القصر بنحو قولك « زيد مقصور على القيام ومخصوص به » ، وبنحو ذلك كالتأكيد غير الشمولى كجاء زيد نفسه أى لا غيره ، والتخصيص بلفظ الخصوص والتأكيد ليس داخلا فى القصر الاصطلاحى ؛ وأما القصر بضمير الفصل وبتعريف المسند أو المسند إليه فيمكن أن يجعلا من طرق القصر لكن ترك ذكرهما هنا لاختصاصهما بما بين المسند إليه والمسند مع التعرض لهما فيما سبق ، بخلاف العطف والتقديم فانهما وان سبقا لكنهما يعمان غير المسند إليه والمسند كالطرق المذكورة هنا

[١ —] منهـا [(١)] العطف . كقولك فى قصر الموصوف على الصفة إفرادا : « زيد شاعر لا كاتب »، أو « ما زيد كاتبا بل شاعر [(٢)] » وقلبا : « زيد قائم لا قاعد » و « ما زيد قاعدا بل قائم » . وفى قصر الصفة على الموصوف — إفرادا أو قلبا بحسب المقام — : « زيد قائم لا عمرو » أو « ما عمرو قائما [(٣)] بل زيد » .

---

(١) من هـذه الطرق — طرق القصر — طريق العطف ، أى بلا وبل ولكن . والعطف يكون فى القصر الحقيقى والاضافى أيضا بلا وبل ويفيد القصر اتفاقا ، أما العطف بلكن فظاهر كلام المفتاح والايضاح فى باب العطف أنه يصلح طريقا للقصر ولم يذكروا مثالا له . وراجع طريق العطف فى المفتاح ص ١٢٥ وفى الدلائل ص ٢٥٨

(٢) مثل بمثل لقصر الأفراد لا تنافى فيها ، وذكر له مثالين : مثالا للعطف بلا ، ومثالا للعطف بل ؛ والأول الوصف المثبت فيه معطوف عليه والمنفى معطوف والمثال الثانى بالعكس

والعطف فى « ما زيد كاتبا بل شاعر » على المحل على مذهب البصريين

(٣) لما لم يكن فى قصر الموصوف على الصفة مثال الأفراد صالحا للقلب ، لاشتراط عدم التنافى فى الأفراد وتحقق النافى فى القلب على زعمه ، أو رد للقلب مثالا يتنافى فيه الوصفان ، بخلاف قصر الصفة فان فيه مثالا واحدا يصلح لهما . ولما كان كل ما يصلح لهما يصلح مثالا لقصر التعيين لم يتعرض لذكره ، وهكذا فى سائر الطرق

فان قلت إذا تحقق تنافى الوصفين فى تقديم قصر القلب فاثبات أحدهما يكون مشعراً بانتفاء الغير ، فما فائدة نفى الغير وإثبات المذكور بطريق الحصر ؟ قلت الفائدة فيه التنبيه على رد الخطأ فيه وأن المخاطب اعتقد العكس فان قولنا =

[٢ —] ومنها النفى والاستثناء [1] :

كقولك فى قصر الموصوف على الصفة : إفرادا « مازيد إلا شاعر » ، وقلبا « مازيد إلا قائم » ، وتعيينا كقوله تعالى « وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون » ، أى لستم فى دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعى إذا ادعى بل أنتم عندنا كاذبون فيها [2]

= « زيد قائم » ، وان دل على نفى القعود لكنه خال عن الدلاله على أن المخاطب اعتقد أنه قاعد

ملاحظات : ١ — طريق العطف بجميع حروفه لا يكون الا للقصر الاضافى ، وذهب السعد الى أنه يكون للقصر الحقيقى أيضا مثل ما محمد الا شاعر لاغيره

٢ — العطف بلا يكون لقصر القلب والأفراد ، قيل ويكون لقصر التعيين ، وقال عبد الحكيم أن قصر التعيين لايؤدى بطريق العطف لا بلا ولا بغيرها من أدوات العطف مثل بل ولكن . أما لكن فعند السعد لقصر القلب ، وعند النحاة لقصر الأفراد وبعض العلماء يقولون أن النحاه لا يجعلونها للقصر أصلا وانما هى للاستدراك فقط ، وظاهر كلام السعد فى باب القصر أن لكن تأتى لقصر التعيين ويرى بعض الباحثين أنها صالحة للقلب وللافراد وللتعيين

(١) راجع ص ٢٥ ، من المفتاح ؛ ٢٦٠ — ٢٦٢ من الدلائل. هذا وابن السبكى يرى ان الاستثناء يفيد القصر مطلقا سواء أكان بعد نفى أم لا ، والجمهور يقصرون هذا على ماكان بعد نفى . ويلاحظ أن الاستثناء المفرغ هو الذى من طرق القصر أما التام مثل « ما قام القوم الا زيدا » فقيل ليس من طرقه . وقيل هو من طرقه [٢٠٧ ج . الدسوقى]

(٢) فقد نزل المشركون الرسل منزله المترددين ، مبالغة فى انكارهم لدعوى الرسالة واعراضهم عن النظر فيها ، والظاهر أن الآية من قصر القلب لا التعيين وجعل السكاكى القصر فى الاية للأفراد

وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين [١] « ماقائم أو مامن قائم أولا قائم إلا زيد » [٢]

وتحقيق [٣] وجه القصر فى الأول [٤] أنه متى قيل « مازيد توجه النفى إلى صفته لاذاته ، لأن أنفس الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها كما بين ذلك فى غـــير هذا العلم ، وحيث لا نزاع فى طوله وقصره وماشاكل ذلك ، وإنما النزاع فى كونه شاعرا أو كاتبا تناولهما النفى ؛ فاذا قيل « إلا شاعر » جاء القصر . وفى الثانى [٥] أنه متى قيل « ماشاعر » فادخل النفى على الوصف المسلم ثبوته ـ أعنى الشعر ـ لغير من الكلام فيهما كـزيد وعمرو مثلا ، توجه النفى اليهما ، فاذا قيل « إلا زيد » جاء القصر

[٣ ـ] ومنها إنما [٦] :

كـقولك فى قصر الموصوف على الصفـة إفرادا إنما زيد كاتب ،

(١) اى باعتبار قصر الأفراد أو القلب

(٢) والكل يصلح مثالا لقصر التعيين ، والتفـــاوت انما هو بحسب اعتقاد المخاطب

(٣) راجع ص ١٢٦ من المفتاح و ٢٣٠ و ٢٣١ من شروح السيد على المطول

(٤) أى قصر الموصوف على الصفة

(٥) اى قصر الصفة على الموصوف

(٦) راجع ص ١٢٦ من المفتاح ، ٢٥٢ وما يعدها من الدلائل ، ١/١٦٣ من الكامل للمبرد . هـذا وفى الدلائل ان انما ولا العـــاطفة ـ انما يستعملان فى الكلام المعتد به لقصر القلب دون الأفراد . والمصنف جعلهما لقصر القلب لأفراد هذا وقد ذهب الزمخشرى الى أن « أنما » بالفتح مثل « إنما » بالكسر

وقلبا إنما زيد قائم وفى قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين [١]
إنما قائم زيد

والدليل على أنها تفيد القصر :

[ا —] كونها متضمنة [٢] معنى ما والا ، لقول المفسرين فى قوله تعالى « انما حرم عليكم الميتة والدم » بالنصب معناه ماحرم عليكم الا الميتة، وهو المطابق لقراءة الرفع [٣] ، لما مر فى باب « المنطلق زيد »

---

(١) اى باعتبار الافراد والقلب

(٢) أشار بلفظ التضمن الى ان « انما » ليست بمعنى « ما وإلا » حتى كأنها لفظان مترادفان ، إذ فرق بين أن يكون الشىء فى معنى الشىء وأن يكون الشىء الشىء على الأطلاق ، فليس كل كلام يصلح فيه ما وإلا يصلح فيه إنما وذلك كالأمر الذى شأنه ان ينكر فانه صالح لما وإلا دون إنما ؛ وكم الزائدة واحد رعريب فانها يصلح معها ما و إلا دون إنما

(٣) اى رفع الميتة وان كان طريق القصر فى القراءة الأولى انما وفى الثانية تعريف الطرفين

وتقرير هذا الكلام أن فى الاية ثلاث قراءات : حرم مبنيا للفاعل مع نصب الميته ، ورفعها ، وحرم مبنيا للمفعول مع رفع الميته :

فعلى القراءة الأولى : « انما حرم عليكم الميته » مافى إنما كافة إذ لوكانت موصوله لبقيت « إن » بلا خبر ، ولبقى الموصول بلاعائد . وجعلها موصوله والعائد ضمير مستتر والخبر محذوف ، والتقدير « إن الذى حرم اى هو الميته الله تعالى » عكس للمعنى المقصود الذى هو بيان المحرم لابيان المحرم ؛ فضلا عما فى ذلك من التكلف

وعلى القراءة الثانية : « انما حرم عليكم الميته » ؛ ماموصوله لتكون الميته خبر؛ إذ لا يصح ارتفاعها بحرم المبنى للفاعل على مالا يخفى من أن المحرم انما هو =

[ب -] ولقول النحاة [1] ، انما لاثبات ما يذكر بعدها ونفى ماسواه [2]

= الله تعالى لا الميتة والمعنى ان الذى حرمه الله عليكم هو الميتة . ثم على هذه القراءة لايصح أن تكون « ما » كافة ورفع الميتة على أنه خبر لمحذوف والمعنى « إنما حرم الله عليكم شيئا هو الميتة » لما فيه من التكلف ووجه افادة القصر على القراءة الثانيه هو تعريف الطرفين لما مر فى تعريف المسند من ان نحو « المنطلق زيد » « وزيد المنطلق » سواء جعلت اللام موصوله أو حرف تعريف يفيد قصر الانطلاق على زيد :

فاذا كانت انما متضمنة معنى ما وإلا وكان معنى القراءة الاولى ما حرم الله عليكم إلا الميتة كانت مطابقة للقراءة الثانية ، وإلا لم تكن مطابقة لها لافادة القراءة الثانية القصر * فمراد السكاكي والمصنف بقراءة النصب والرفع هو القراءة الأولى والثانية فى المبنى للفاعل ولهذا لم يتعرضا للاختلاف فى لفظ حرم بل فى لفظ الميتة رفعاً ونصبا

وأما على القراءة الثالثة : أعنى رفع الميتة وحرم مبنياً للمفعول ، فيحتمل أن يكون ماكافة أى ماحرم عليكم الا الميتة ، وأن يكون موصولة أى أن الذى حرم عليكم هو الميتة ، ويرجح كونها موصولة هذا بقاء إن عاملة على ماهو أصلها والقصر طريقه على الوجه الاول « انما » وعلى الثانى التعريف وبعضهم توهم أن مراد السكاكى والمصنف بقراءة الرفع هذه القراءة الثالثة فطالبهما بالسبب فى اختيار كونها موصولة مع ان الزجاج اختار أنها كافة

(١) أى الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهة .

(٢) أى سوى مايذكر بعده مما يقابله لأن الكلام فى القصر الأضافى - سواء كان المغاير المنفى مغايراً لما فيه من المشاركة كما فى قصر الافراد أو لكونه نقيض الحكم كما فى سوى الافراد - أما فى قصر الموصوف نحو « انما زيد قائم » فهو لاثبات قيام زيد ونفى ماسواه من القعود ونحوه ، وأما فى قصر الصفة نحو انما يقوم زيد فهو لاثبات قيامه ونفى ما سواه من قيام عمرو وبكر وغيرهما .

[ح —] ولصحة انفصال الضمير [1] معها [2] ، كقولك « انما يضرب أنا » ، كما تقول « ما يضرب الا أنا » .

قال الفرزدق [3]

أنا الذائد الحامى الذمار وانما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

---

(١) أى وجوبا عند ابن مالك ، أو مع عدم الوجوب عند أبى حيان .

(٢) أى مع إنما مع إمكان وصله ، نحو « إنما يقوم أنا » فان الانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ، ولا تعذر ههنا إلا بأن المعنى « ما يقوم الا أنا » فيقع بين الضمير وعامله فصل لغرض . ثم استشهد على صحة الانفصال ببيت من هو ممن يستشهد بشعره وهو الفرزدق ولهذا صرح باسمه .

(٣) راجع البيت فى ص ١٢٦ من المفتاح ، ٢٥٣ و٢٦٣ و٢٦٤ من الدلائل الذائد من الذود وهو الطرد . الذمار : العهد ، وفى الأساس هو الحامى الذمار إذا حمى مالو لم يحمه لليتم وعنف من حماه وحريمه : « وإنما يدافع » جملة تذييلية والواو اعتراضيه فيها معنى التعليل .

والقصر هنا من قصر الصفه على الموصوف .

فلما كان غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه فصل الضمير وأخره ، إذ لو قال « وانما أدافع عن أحسابهم » لصار المعنى أنه يدافع عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم وهو ليس بمقصوده لأنه قصور فى المدح مع أن المقام مقام المبالغة

ولا يجوز أن يقول أنه محمول على الضرورة بأنه لو قيل وانما أدافع عن أحسابهم أو مثلى لا نكسر البيت ، لأنه كان يصح أن يقال « إنما أدافع عن أحسابهم أنا » على أن يكون « أنا » تأكيدا . وليست « ما » موصولة اسم ان « وأنا » خبرها إذ لا ضرورة فى العدول عن لفظ « من » الى لفظ « ما » لأنه قصور فى المدح فى مقام يحتاج للمبالغة .

والشاهد فى البيت انفصال الضمير وهو أنا ، بعد انما لأنها بمعنى ما والا

وقال عمرو بن معد يكرب [١]

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا أنا

قال السكاكى [٢] : ويذكر لذلك وجه لطيف يسند الى على بن عيسى الربعى وهو أنه لما كانت كلمة ان لتأكيد اثبات المسند للمسند إليه ، ثم اتصلت بها ما المؤكدة [٣] ، لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ، ناسب أن يضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس الا تأكيداً على تأكيد فان قولك "زيد جاء لاعمرو" ولمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد فى الابتداء صريحا وفى الآخر ضمنا

[٤ —] ومنها التقديم [٤] :

كقولك فى قصر الموصوف على الصفة أفرادا « شاعر هو »

---

(١) البيت فى الكتاب لسيبويه [٢٧٩ ج ١] ، ٥٨ صناعتين ، ١٢٧ مفتاح ٢٦٠ دلائل . التقطير الالقاء على الأرض .

والشاهد فى البيت أيضا انفصال الضمير : أنا ، مع انما .

(٢) راجع ١٢٦ من المفتاح .

(٣) فان لتأكيد الاثبات وما لتوكيد النفى .

(٤) أى تقديم ما حقه التأخير ؛ وهذا احتراز عما وجب تقديره لصدارته كأين ومتى راجع ١٢٧ من المفتاح .

ملاحظات :

١ — المقصور عليه فى التقديم هو المقدم دائما ، وفى إنما هو المؤخر ، وفى ما وإلا إلا هو ما بعد إلا .

٢ — الذى يقدم إما :

مسند إليه : وقد سبق فى باب المسند إليه شرح رأى عبد القاهر والسكاكى فيه =

لمن يعتقده شاعرا وكاتبا، وقلبا « قائم هو » لمن يعتقده قاعدا [١]

وفى قصر الصفة على الموصوف إفراداً « أنا كفيت مهمك » بمعنى وحدى لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمه، وقلبا « أنا كفيت مهمك بمعنى لا غيرى لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك كما تقدم [٢]

[فروق بين طرق القصر]:

وهذه الطرق تختلف [٣] من وجوه :

= أو مسند وقد سبق فى باب المسند، أو قيد من القيود كالمعمول الذى تقدم على الفعل ولغيره، أو بعض المعمولات التى تقدم على بعض .

٣ — تقديم المسند إليه أو المسند قد يفيد القصر كما سبق فى البابين .

٤ — يلزم من تقديم القيود التخصيص غالبا مثل :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إننى أرى الدهر يفنى والأخلاء تذهب

قصر صفة على موصوف قصر حقيقى تحقيقى .

٥ — تقديم بعض المعمولات على بعض فى إفادته القصر خلاف بين الجمهور وابن الأثير والراجح أنه لا يفيد القصر .

(١) ففى المثالين قصر المسند إليه على المسند .

(٢) « « « « على المسند إليه .

ملاحظة :

تقييد التقديم بما حقه التأخير غير ظاهر على رأى عبد القاهر والمصنف من أن تقديم المسند إليه يفيد عندهما القصر حيث كان المسند فعليا، إلا أن بنى التقييد على الغالب .

هذا وتقديم المعمول على الفعل يفيد القصر غالبا سواء بقى بعد التقديم على حاله من مفعولية مثلا أم لم يبق على حاله مثل « أنا كفيت مهمك » على مذهب السكاكى حيث يعتبر « أنا » تأكيدا .

(٣) راجع ١٢٧ من المفتاح . ويلاحظ أن هذه الطرق تشترك كلها فى شىء واحد هو إفادة القصر

الأول : أن دلالة الثلاثة الأولى [١] بالوضع [٢] ، دون الرابع [٣]

والثانى : أن الأصل فى الأول [٤] أن يدل على المثبت والمنفى جميعا بالنص ، فلا يترك ذلك إلا كراهة الأطناب فى مقام الاختصار ؛ كما إذا قيل « زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافى » ، وزيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد ، . فتقول فيهما « زيد يعلم النحو لا غير » ، وفى معناه « ليس إلا » ، أى « لا غير النحو [١] » « ولا غير

ملاحظة :

من طرق القصر :

تعريف الطرفين : مثل محمـــد الفائز . والمعرف بلام الجنس هو المقصور مطلقا تقدم أو تأخر . وضمير الفصل .

(١) أى على القصر وهى . العطف — ماوإلا — انما

(٢) لأن الواضع وضعها لمعان — وهى اثبات المذكور ونفى ماسواه وذلك يفيد القصر ، وقيل وضعها للقصر لا لمعان تفيده

(٣) وهو التقديم فدلالته على القصر بالذوق والفحوى - أى مفهوم الكلام وما يفهم منه عند البلغاء من الأسرار ، بمعنى أنه إذا تأمل صاحب الذوق السليم فى الكلام الذى فيه التقديم فهم فيه القصر وان لم يعرف اصطلاح البقاء فى افادة التقديم للقصر

(٤) وهو طريق العطف

(٥) أى لا الصرف لا والعروض ، ويكون من قصر الموصوف على الصفة

زيد ، [١] وأما الثلاثة الباقيـة [٢] فتدل بالنص على المثبت دون [٣] المنـــفى

والثالث : أن النفى لا يجامع اثنانى [٤] لان شرط المنفى بلا أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها [٥] ؛ ويجامع [٦] الا خيرين [٧] فيقال

---

(١) أى لا لاعمرو ولا بكر . ويكون من قصر الصفة على الموصوف هذا وقد حذف المضاف إليه من غير هنا ، وبنى غير على الضم تشبيهاً بالغايات — قبل وبعد — . وذكر بعض النحاه أن (لا فى لا غير ليست عاطفة بل لنفى الجنس .

(٢) — إنما — ما وإلا — التقديم .

(٣) أى النص على المثبت له الحكم فى قصر الصفة والمثبت لغيره فى قصر الموصوف . فلا يصرح فيها بالنفى وإنما تدل عليه ضمناً .

فالنص على المنفى فى شىء من الطرق الثلاثة خروج عن الاصل ، كقولك ما أنا قلت هذا أى لم أقله بل هو مقول لغيرى وكقولك (ما زيداً ضربت) أى لم أضربه وضربه غيرى إذ لقصد فيهما قصر الفعل على غير المذكور لا قصر عدم الفعل على المذكور .

(٤) أى النفى بلا العاطفة فقط لا يجتمع مع الطريق الثانى وهو ما وإلا ، أى لا يجتمع طريق العطف بلا مع طريق ما وإلا فى كلام واحد . فلا يصح أن تقول ما زيد إلا قائم لا قاعد . وقد يقع مثل ذلك فى كلام غير البلغاء هذا وراجع ذلك فى ١٢٧ المفتاح ، ٢٦٦ من الدلائل وما بعدها .

(٥) أى بغير شخصها ، سواء كان غير منفى أصلا أو كان منفياً بغير أدوات النفى كالفحوى أو علم المتكلم أو السامع ؛ والممتنع ما إذا كان المنفى بها منفياً قبلها قبلها بغيرها من أدوات النفى كما وليس ولا التى لنفى الجنس ولا عاطفة أخرى مماثلة للا التى وقع النفى بها . فشرط المنفى بلا إذا ألا يكون منفياً قبلها بغيرها من أدوات النفى لأنها موضوعة لأن تنفى بها أولا ما أوجبته المتبوع كما فى جاء زيد =

إنما زيد كاتب لا شاعر ، وهو يأتينى لا عمرو (١) ، لأن النفى

لا عمرو لا لأن تعيد بها النفى فى شىء قد نفيت - أى بلفظ ما - عنه كل صفة وقع فيها التنازع حتى كأنك قلت ليس هو بقاعد ولا نائم ولا مضطجع ونحو ذلك فاذا قلت لا قاعد فقد نفيت عنه بلا العاطفة شيئاً هو منفى قبلها بما النافية ، وكذلك الكلام فى ما يقوم إلا زيد .

وقولنا بغيرها يعنى من أدوات النفى على ما صرح به فى المفتاح وفائدة الاحتراز عما اذا كان منفياً بفحوى الكلام أو علم المتكلم أو السامع أو نحو ذلك من الأفعال المتضمنة للنفى كأبى وامتنع .

لايقال هذا يقتضى جواز أن يكون منفيا قبلها بلا العاطفة الأخرى نحو جاءنى الرجال لا النساء لاهند . لأنا نقول الضمير فى «بغيرها» لذلك الشخص أى بغير لا العاطفة التى نفى بها ذلك المنفى ، ومعلوم أنه يمتنع نفيه قبلها بها لامتناع ان ينفى شىء بلا قبل الاتيان بها وهذا كما يقال دأب الرجل الكريم ألا يؤذى غيره فهذا نظير ذاك فى ان الضمير فى كل عائد على الشخص فان المفهوم من هذا أن لا يؤذى غيره سواء كان ذلك الغير كريما ام غير كريم

(٦) اى النفى بلا العاطفة

(٧) أى انما والتقديم ، ويكون القصر مستفادا منهما والعطف بلا تأكيد ولا ينسب له القصر لتعينه . وأما إن اجتمع التقديم مع انما مثل إنما شاعر هو فان القصر ينسب للتقديم عند الشارح لأنه أقوى وعند السيد لأنها لأنها أقوى

(١) التقديم فى هذا المثال عند السكاكى للتقوى أو للتخصيص ، وأما على خلاف مذهبه فهو مسند إليه واقع فى محله لاتقديم فيه فالتقديم هنا مبنى على مذهب السكاكى

فيهما [١] غير مصرح به [٢] ، كما يقال « امتنع زيد عن المجيء » لا عمرو [٣] »

قال السكاكى [٤] : شرط مجامعته [٥] للثالث [٦] أن لا يكون الوصف مختصا بالموصوف [٧] ، كقوله [٨] تعالى « إنما يستجيب الذين

(١) أى فى الاخيرين : إنما والتقديم

(٢) أى فلا يكون المنفى بلا العاطفة منفيا بغيرها من أدوات النفى هذا والنفى فى النفى والاستثناء مصرح به فلا يصح اجتماع العطف بلا معه لأن المنفى بلا العاطفة حينئذ منفى قبلها بغيرها من أدوات النفى

(٣) فأنه يدل على نفى المجيء عن زيد لكن لا صريحا بل ضمنا وانما معناه الصريح هو ايجاب امتناع المجيء عن زيد فيكون لا نفيا لذلك الايجاب والتشبيه بقوله امتنع زيد عن المجيء لا عمر ومن جهة أن النفى الضمنى ليس فى حكم النفى الصريح ، لا من جهة أن المنفى بلا العاطفة منفى قبلها بالنفى الضمنى كما فى انما أنا تميمى لا قيسى ، اذ لا دلالة لقولنا امتنع زيد عن المجيء على نفى امتناع مجيء عمرو لا ضمنا ولا صريحا

(٤) راجع ص ١٢٧ من المفتاح .

(٥) أى مجامعة النفى بلا العاطفة .

(٦) أى إنما . ويلاحظ أن الخطيب يجيز اجتماع لا العطف مع إنما بلا شرط أما السكاكى فيجيزه بشرط . أما عبد القاهر فيجعل هذا الشرط شرطا للتحسين لا للصحه .

(٧) هذا فى قصر الصفة على الموصوف ، ومثله قصر الموصوف على الصفة فالشرط فيه ألا يكون الموصوف مختصا بتلك الصفة فلا يقال إنما المتقى ممتثل أوامر الدين لا الشيطان مثلا . وهذا الشرط عند السكاكى إنما هو لتحصل الفائدة . وظاهر الكلام جواز ذلك فى صورة التقديم =

يسمعون » ، فان كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع وكذا قولهم « إنما يعجل من يخشى الفوت »

وقال الشيخ عبد القاهر [١] :

« لا تحسن مجامعته له [٢] فى المختص [٣] كما تحسن فى غير المختص، وهذا أقرب [٤]

قيل [٥] : ومجامعته له إما مع التقديم كقوله تعالى « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وإما مع التأخير كقولك « ما جاءنى زيد وإنما جاءنى عمرو

---

(٨) هذا مثال للنفى، أى فلا يصح أن يقال « لا الذين لا يسمعون » لأن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع ويعقل، بخلاف « إنما يقوم زيد لا عمرو » إذ القيام ليس مما يختص بزيد .

(١) راجع ٢٧١ من الدلائل .

(٢) أى مجامعة النفى بلا العاطفة لأنما .

(٣) أى فى الوصف المختص بالموصوف .

(٤) أى إلى الصواب إذ لا دليل على الامتناع عند قصد زيادة التحقيق والتأكيد فالخلاصة أنه :

يجوز اجتماع العطف بلا مع انما بلا شرط عند الخطيب .

وبشرط أن لا يكون الوصف مختصا بالموصوف عند السكاكى .

وعند عبد القاهر يستحسن ألا يكون الوصف مختصا بالموصوف

(٥) راجع ٢٧١ من الدلائل

وفى كون هذين مما نحن فيه نظر [١]

الرابع [٢] أن أصل الثانى [٣] أن يكون ما استعمل فيه مما يجهله المخاطب وينكره [٤]، كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من

(١) لأن الكلام فى النفى بلا العاطفة ولا دليل على امتناع نحو « ما زيد الا قائم ليس هو بقاعد »، وفى التنزيل وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير

ملاحظه :

النفى فى جملة تامة يجتمع مع النفى والاستثناء ومع انما ومع التقديم، مثل انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر، ونحو ما جاءنى محمود وانما جاءنى سعيد

أما النفى بلا العاطفة للمفرد فهذا هو ما سبق ان ذكرنا انه يقارن انما والتقديم، ولا يصح ان يقارن، ما والا،

(٢) راجع ١٢٨ المفتاح .

(٣) أى ما وإلا راجع ٢٥٥ وما بعدها من الدلائل .

(٤) يلاحظ أن قصر التعيين لا إنكار فيه، فمجىء الانكار فيه على خلاف الأصل وهذا بخلاف إنما فان أصلها أن يكون ما استعمل فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره .

فالفرق بين الطريقين بكون محل الأول مما يحتاج فيه إلى التأكيد ومحل الثانى مما لا يفتقر إلى ذلك، وإلا فلا بد من الجهل والانكار فيهما، فالمراد بما يجهله أن يكون شأنه مجهولا وليس المراد الجهل بالفعل فقط لأنه شرط فى القصر مطلقا بأى طريق؛ ولذلك قالوا إن كلام الخطيب فيه بحث لأن المخاطب إذا كان عالما بالحكم ولم يكن حكمه مشوبا بخطأ لم يصح القصر بل لا يفيد الكلام سوى لازم الفائدة - وهى إعلام المخاطب أن المتكلم عارف بالحكم -، ثم أجابوا عن ذلك بأن مراده أن، إنما، تكون لخبر من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره حتى أن إنكاره يزول بأدنى تنبيه لعدم إصراره عليه وعلى هذا يكون موافقا لما فى المفتاح .

بعيد « ما هو إلا زيد » إذا وجدته يعتقده غير زيد ويصر على الانكار وعليه قوله تعالى « وما من إله إلا الله »

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل [1] له الثانى [2] افرادا [3] نحو « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » أى أنه صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الهلاك [4] نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه، [5] ؛ ونحوه « وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنتم إلا نذير » فانه صلى الله عليه وسلم كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة

---

(١) أى لذلك المعلوم (٢) أى ما والا

(٣) اى حالة كونه قصر إفراد

(٤) فالمخاطبون وهم الصحابة كانوا عالمين بكونه مقصورا على الرسالة غير جامع بين الرسالة والخلود، وهو التبرى من الهلاك والموت .. لكنهم لما كانوا يعدون هلاكه وموته أمرا عظيما نزل استعظامهم لموته منزلة إنكارهم إياه

(٥) فالقصر فى الآية قصر إفراد مبنى على التنزيل المذكور تنزيل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغى هو الانباء بعظم موته « ص » فى نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه ؛ ص ، معهم وهى من قصر الموصوف على الصفة. ومن العلماء من يجعل الآية قصر قلب وتقديره عندهم وما محمد الا رسول لا إله ، نزل استعظامهم موته منزلة دعوى ألوهيته واعتقاد الألوهية ينافى اعتقاد الرسالة ، وهذا وجه بعيد . ومنهم من يرى أن القصر فيها قصر قلب لكن بملاحظة الوصف وهو وقد خلت من قبله الرسل . والتقدير وما محمد الا رسول يخلو كما خلت قبله الرسل وليس رسولا لايخلو كما خلت من قبله الرسل أى هو رسول يموت كغيره وذلك بتنزيلهم منزلة من يعتقد أنه رسول يخلو ولا يموت . هذا وراجع الآية فى ١٢٥ المفتاح

المتنعين على الايمان ولا يرجع عنها ، فكان فى معرض من ظن أنه يملك مع صفة الانذار ايجاد الشىء فيما يمتنع قبوله اياه [١] أو قلبا

كقوله تعالى حكاية عن بعض الكفار ، ان أنتم الا بشر مثلنا ، أى أنتم بشر لا رسل ، نزلوا المخاطبين منزلة من ينكر أنه بشر ؛ لاعتقاد القائلين أن الرسول لا يكون بشرا مع اصرار المخاطبين على دعوى الرسالة [٢] ؛ وأما قوله تعالى حكاية عن الرسل : إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، فمن مجاراة الخصم للتبكيت والالزام والافحام ، فان من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف فى أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه ، كما اذا قال لك من

---

(١) فالاية قصر موصوف على صفة قصر إفراد مبنى على التنزيل ، تنزيل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغى اقتضاه المقام

وراجع الاية فى ١٢٨ مفتاح ؛ ٢٥٧ دلائل

(٢) فالمخاطبون وهم الرسل لم يكونوا جاهلين بكونهم بشرا ولا منكرين لذلك لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لاعتقاد القائلين — وهم الكفار — أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين على دعوى الرسالة ، فنزلهم القائلون منزلة المنكرين للبشرية لما اعتقدوا اعتقاداً فاسداً من التنافى بين الرسالة والبشرية فقالوا . إن أنتم إلا بشر مثلنا ، أى مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدعونها فالآية من قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً — قصر قلب ، قيل ويمكن أن تكون الآية قصر إفراد جرياً على الظاهر من غير تنزيل ، أى ما اجتمعت لكم البشرية والرسالة ، أو قصر قلب بلا تنزيل ايضاً أى أنتم بشر مثلنا لا بشر أعلى منا بالرسالة . هذا وراجع الكلام على الآية فى ص ١٢٨ من ، المفتاح ٢٥٦ من الدلائل .

يناظرك « أنت من شأنك كيت وكيت »، فتقول « نعم أنا من شأني كيت وكيت ولكن لا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم، فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا ازما قلتم من أنا بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد من علينا بالرساله [١] واصل الثالث [٢] أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره على عكس الثانى : كقولك « إنما هو أخوك »، « وإنما هو صاحبك القديم » لمن يعلم ذلك ويقربه وتريد أن ترققه [٣] عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب، وعليه قول أبى الطيب [فى كافور] [٤] :

إنما أنت والد والأب القا طع أحنى من واصل الأولاد

لم يرد أن يعلم كافورا أنه بمنزلة الوالد، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الأعلام ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبنى

---

(١) فلهذا أثبتوا البشرية لأنفسهم، وأما إثباتها بطريق القصر فليكون على وفق كلام الخصم.

(٢) أى إنما. والثانى أى الطريق الثانى (وهو ما والا).

(٣) أى أن تجعل من يعلم ذلك رقيقاً مشفقاً على أخيه، والأولى بناء على ما ذكرنا — من أن انما تستعمل فى مجهول شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا ينكره حتى أن إنكاره يزول بأدنى تنبيه — أن يكون هذا المثال من الأخراج لأعلى مقتضى الظاهر، فيكون المصنف لم يمثل لإخراج إنما على مقتضى الظاهر

(٤) راجع البيت والكلام عليه فى الدلائل ص ٢٥٤.

عليه استدعاء ما يوجبه وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم [١] لادعاء المتكلم ظهوره فيستعمل له الثالث [٢] ، نحو « انما نحن [٣] مصلحون » أدعوا أن كونهم مصلحين ظاهر جلى ، ولذلك جاء « ألا أنهم هم المفسدون » للرد عليهم مؤكدا بما ترى : من جعل الجملة اسمية وتعريف الخبر [٤] باللام وتوسيط الفصل والتصدير بحرف التنبيه ثم بأن ، ومثله قول الشاعر [٥]

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى أن كون مصعب ، كما ذكر جلى معلوم لكل أحد ، على عادة

---

(١) فانما موضوعه للقصر فى :

١ — الحكم المعلوم الذى لا ينكر والغرض منها حينئذ التعريض .

٢ — « المجهول ، يدعى أن فيه فضل انكشاف وجلاء ، والغرض منها حينئذ الرد على المخاطب أو التعريض .

هذا رأى عبد القاهر . والسكاكى يرى أنها لا تستعمل إلا فى الثانى

(٢) أى « إنما » .

(٣) راجع ٢٧٤ من الدلائل .

(٤) الدال على الحصر أى قصر المسند على المسند إليه والمعنى لا مفسد إلا هم كما تقرر من أن تعريف الخبر وضمير الفصل لقصر المسند على المسند إليه .

(٥) عبد الله بن قيس بن الرقيات فى مصعب بن الزبير بن العوام :

والبيت فى المفتاح ص ١٢٨ وفى الدلائل ص ٢٥٥ و ص ٢٤ ج ١ من العقد الفريد ، ٣٩٩ ج ١ من الكامل للمبرد .

وتجلت : أى تكشفت .

الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا فى كل ما يصفون به ممدوحيهم الجلاء وأنهم قد شهروا به حتى انه لا يدفعه أحد ، كما قال الآخر (١)

وتعذلنى أفناء سعد عليهم ... وما قلت الا بالتى علمت سعد

وكما قال البحترى (٢) :

لا أدعى لابى العلاء فضيلة ... حتى يسلمها اليه عداه

[الخامس] :

وأعلم أن لطريق « إنما » (٣) مزية على العطف ، وهى أنه يعقل منها (٤) إثبات الفعل لشىء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف (٥)

.·.

[مواقع إنما] (٦)

وإذا استقريت وجدتها أحسن ما يكون موقعا اذا كان الغرض

---

(١) وهو الحطيئة . سعد قبيلة . أفناء : جماعات ، جمع فنء . وراجع البيت فى ١٥٣ ج ٤ زهر الآداب ، ١٢٨ المفتاح ، ٢٥٥ الدلائل .

(٢) البيت فى الدلائل ص ٢٥٥ و ٣٧٦ وفى المفتاح أيضا ص ١٢٨ .

(٣) ومثلها فى ذلك التقديم وما وإلا .

وهذا يعتبر فرقا آخر بين طرق القصر . وراجع فى ذلك ٢٥٨ من الدلائل .

(٤) أى من إنما .

(٥) فانه يفهم منه أولا الاثبات ثم النفى نحو زيد قائم لا قاعد وبالعكس نحو ما زيد قائما بل قاعدا .

(٦) راجع ٢٧٢ — ٢٧٤ من الدلائل .

بها التعريض [١] بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها ؛ كما فى قوله تعالى « انما يتذكر أولوا الألباب » فانه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط الغباء وغلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل فأنتم فى طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كمن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ، وكذا قوله تعالى « إنما أنت منذر من يخشاها » ، وقوله تعالى « إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب » ، المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا إنذار

قال الشيخ عبد القاهر : ومثال ذلك . من الشعر قوله

أنا لم أرزق محبتها ، انما للعبد مارزقا [٢]

فانه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له فى وصلها فيئس من أن يكون منها اسعاف به ، وقوله [٣]

وانما يعذر العشاق من عشقا

يقول ينبغى للعاشق أن لا ينكر لوم من يلومه ، فانه لا يعلم كنه

---

(١) وهو استعمال الكلام فى معناه ملوحا به إلى غيره ليفهم منه معنى آخر وسر ذلك أنها لافادة حكم معلوم أو من شأنه أن يكون معلوما وذلك لا يهم المخاطب بخلاف المعنى الآخر الملوح إليه فانه أهم لكون المخاطب جاهلا به .

(٢) البيت للعباس بن الأحنف . وهو فى الدلائل ص ٢٧٢ .

(٣) هو أيضا للعباس بن الأحنف وهو من قصر الصفة على الموصوف .

بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ماهو فيه فعذره وقوله [١]

ما أنت بالسبب الضعيف وانما ... نجح الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا اليك وانما ... يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

يقول فى البيت الأول أنه ينبغى أن أنجح فى أمرى حين جعلتك السبب اليه ، وفى الثانى انا قد طلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة ، وعولنا على فضلك كما أن من عول على الطبيب فيما يعرض من السقم كان قد أصاب فى فعله

[قصر الفاعل على المفعول وعكسه [٢]]:

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرنا يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما [٣] ، ففى طريق النفى والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع

---

(١) هو أحمد بن أبى دؤاد [راجع ص ٤ ملحق الفهرست لابن القديم] ، أو الباخرزى ، أو محمد بن أحمد بن سليمان كما فى معجم الشعراء ص ٤٤٧ . والبيتان فى الذلائل ص ٢٧٣ . السبب : ما يتوصل به إلى غيره . الأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

٢، راجع ١٢٥ و ١٢٩ من المفتاح ؛ ٢٦٥ من الدلائل

٣، كالفاعل والمفعول نحو ما ضرب زيد إلا عمرا وما ضرب عمرو الا زيدا ، وكالمفعولين نحو ماأعطيت زيد إلا درهما وما أعطيت درهما الا زيدا وغير ذلك من المتعلقات ماعدا المصدر المؤكد فانه لايقع القصر بينه وبين الفعل جماعا وماعدا المفعول معه والنسق

حرف الاستثناء [١] ، كقولك فى قصر الفاعل على المفعول إفرادا أو أو قلبا بحسب المقام ما ضرب زيد إلا عمراً ؛ وعلى الثانى [٢] لا الأول قوله تعالى « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم » لأنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتنى به شيئاً [٣] إذ ليس الكلام فى أنه زاد شيئاً على ذلك أو نقص منه ، ولكن المعنى انى لم أترك ما أمرتنى به أزأقوله لهم إلى خلافه [٤] لأنه قاله فى مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى مالم أمرك أن تقول ؛ فانى أمرتك أن تدعو الناس إلى أن يعبدونى ثم انك دعوتهم الى أن يعبدوا غيرى بدليل قوله تعالى ,أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله' وفى

---

(١) لو أريد القصر على الفاعل قيل ماضرب عمرا إلا زيد ولو اريد القصر على المفعول ماضرب زيد إلا عمرا

(٢) اى قصر القلب : والاول هو قصر الافراد

(٣) اى حتى يكون القصر للافراد

(٤) اى فالقصر هنا للقلب

ملاحظة :

قصر الفاعل على المفعول مثل ماضرب زيد إلا عمرا ، يحتمل أن يكون من قصر الصفة على الموصوف أو من قصر الموصوف على الصفة :

فعلى أنه قصر صفة على موصوف يكون التقدير مامضروب زيد الا عمرو وعلى أنه قصر موصوف على صفة يكون التقدير مازيد إلا ضارب عمرو فيجوز تقدير تقديرة حصر فعله فى المفعول ، أو حصر الفاعل فى فعله المتعلق بالمفعول

قصر [١] المفعول على الفاعل « ما ضرب عمرا الا زيد [٢] » وفى قصر المفعول الأول على الثانى فى نحو كسوت وظننت « ما كسوت زيدا الأجبة » « وما ظننت زيدا الا منطلقا » وفى قصر الثانى على الأول ما كسوت جبة الا زيدا وما ظننت منطلقا الا زيدا ، وفى قصر ذى الحال على الحال ماجاء زيد الا راكبا وفى قصر الحال على ذى الحال ما جاء راكبا الا زيد

والوجه [٣] فى جميـــع ذلك أن النفى فى الكلام الناقص أعنى الاستثناء المفرغ [٤] يتوجه الى مقدر [٥] هو مستثنى منه عام [٦]

---

(١) راجع ص ١٢٩ من المفتاح .

(٢) وهذا أيضاً يحتمل أن يكون من قصر الصفة على الموصوف أو من قصر الموصوف على الصفة .

فعلى أنه من قـــصر الصفة على المـــوصوف يكون التقدير ماضارب عمرو إلا زيد .

وعلى أنه من قصر الموصوف على الصفة يكون التقدير ما عمر إلا مضروب زيد فيجوز تقدير حصر فعله فى الفاعل أو حصر المفعول فى فـــعله المتعلق بالفـاعل .

(٣) أى الوجه والسبب فى إفادة ما وإلا القصر فيما بين المبتدا والخبر والفاعل والمفعول وغير ذلك ؛ وهذا تعليل ثان لسر إفادة ما والا القصر والتعليل الأول قد سبق عند قـــوله « وتحقيق وجه القصر فى الأول أنه متى قـــيل ما زيد الخ » .

(٤) وهو ماحذف فيه المستثنى منه وتخصيص المفرغ بالذكر لأن التام=

مناسب للمستثنى فى جنسه [١] وصفته [٢] ما توجه الى مقدر هو مستثنى منه فليكون الا للاخراج واستدعاء الاخراج مخرجا منه، وأما عمومه فليتحقق الاخراج منه، ولذلك قيل تأنيث المضمر فى كانت على قراءة أبى جعفر المدنى ان كانت الا صيحة بالرفع وفى ترى مبنيا للمفعول فى قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الامساكنهم برفع مساكنهم، وفى بقيت فى بيت ذى الرمة:

وما بقيت إلا الضلوع الجراشع [٣] للنظار الى ظاهر اللفظ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شىء من الاشياء. وأما مناسبته [٤] فى جنسه وصفته فظاهرة، لأن المراد بجنسه أن يكون فى نحو «ما

=ليس من طريق الحصر بل بمنزلة افادة الحصر بغير أداة، ولو قيل باستوائهما فى إفادة القصر لما كان ذلك راياً بعيداً.

(٥) اى فى المعنى لا فى الصناعة:

(٦) ليتناول المستثنى وغيره فيتحقق الاخراج.

(١) بأن يقدر فى نحو ما ضرب إلا زيد ما ضرب احد وفى نحو ما كسوته إلا جبة ما كسوته لباساً الخ.

(٢) يعنى فى الفاعليه والمفعولية والحالية ونحو ذلك.

(٣) راجع البيت فى المفتاح ص ١٢٩. وصدره «طوى النجز والأجراز ما فى غروضها»: طوى اضمر. النجز: الدفع والنخس. الأجراز جمع جرز وهى الأرض اليابسة غروضها اى احزمتها جمع غرض بفتح فسكون. الجراشع المنتفخة الغليظة جمع جرشع بضم الجيم والشين.

(٤) أى مناسبة المستثنى منه المقدر للمستثنى المذكور.

ضرب زيد إلا عمرا ، أحدا ، [1] وفى نحو قولنا : ما كسوت زيدا إلا جبة لباسا ، وفى نحو ما جاء زيد راكبا ، كائنا على حال من الاحوال وفى نحو : ما اخترت رفيقا إلا منكم » من جماعة من الجماعات ، ومنه قول السيد الحميرى :

لو خـــبر المنبر فرسانه ما اختار الا منـكم [2] فارسا

لما سيأتى ان شاء الله تعالى أن أصله : ما اختار فارسا الا منـكم

---

(١) « أحدا » خبر يكون واسمها مقدر تقديره أن يكون المقدر أحدا

ملاحظات

١ — معنى قصر الفاعل على المفعول كما سبق قصر الفعل المسند إلى الفاعل بعد تحويل صيغته إلى اسم المفعول — على المفعول فيكون قصر صفة على موصوف أو قصر الفاعل على الفعل المتعلق بالمفعول فيكون قصر موصوف على صفة . أو قصر الفعل على المفعول بتأويل أنه مقصور على تعلقه وارتباطه بذلك المفعول

٢ — ومعنى قصر المفعول على الفاعل قصر الفعل المتعلق بالمفعول على الفاعل فيكون قصر صفة على موصوف .

أو قصر المفعول على الفعل المتعلق بالفاعل فيكون قصر موصوف على صفة

٣ — وعلى هذا قياس البواقى فانها ترجع أيضا إلى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف ، وتكون مثلهما قصرا حقيقيا وإضافيا : إفرادا وقلبا وتعيينا ، ولا يخفى اعتبار ذلك .

٤ — المقصور عليه فى ما وإلا هو الواقع بعد إلا والسر فى تأخيره ان القصر اثر عن الحرف « إلا » ويمتنع ظهور اثر الحرف قبل وجوده

٥ — قصر المسند إليه على الخبر وعكسه واضحان لاخفاء فيهما

(٢) راجع ص ١٣٠ من المفتاح

والمراد بصفته كونه فاعلا أو مفعولا أو ذاحال أو حالا ، وعلى هذا القياس وإذا كان النفى متوجها الى ماوصفناه فاذا أوجب [١] منه شىء جاء القصر [٢]

[هل يقدم المقصور عليه مع إلا ؟ [٣]]

ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما [٤] على المقصور، كقولك،ماضرب [٥] إلاعمرازيد، وماضرب إلازيدعمرا [٦] وما كسوت إلا جبة زيدا ، وما ظننت إلا زيدا منطلقا ، وما جاء الا راكبا زيد ، وما جاء إلا زيد راكبا. وقولنا « بحالهما » إحتراز من ازالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه ، كقولك فى الأول [٧] ما ضرب عمرا الا زيدا ، فانه يختل المعنى [٨] فالضابط أن الاختصاص انما يقع فى الذى يلى الا ولـكن استعمال هذا النوع

---

(١) اى من ذلك المقدر . وراجع ذلك فى ١٣٠ من المفتاح ، ٢٦٩ من الدلائل

(٢) ضرورة بقاء ماعداه عل صفة الانتفاء

(٣) راجع ١٣٠ مفتاح ، ٢٦٩ من الدلائل

(٤) وهوان يلى المقصور عليه الأداة

(٥) فى قصر الفاعل على المفعولى

(٦) فى قصر المفعول على الفاعل

«٧» وهوماضرب الا عمرا زيد

«٨» ويؤدى ذلك الى انعكاس المقصود

أعنى تقديمها قليل ، لاستلزامه ، قصر الصفة قبل تمامها [١] كالضرب الصادر من زيد فى ما ضرب زيد الا عمرا والضرب الواقع على عمرو فى ماضرب عمرا الا زيد [٢] وقيل : اذا أخر المقصور عليه والمقصور عن الا وقدم المرفوع كقولنا ماضرب الا عمرو زيدا ، فهو على كلامين وزيدا منصوب بفعل مضمر ، فكأنه قيل ماضرب الا عمرو أى ماوقع ضرب الا منه ، ثم قيل من ضرب فقيل زيدا أى ضرب زيدا وفيه نظر لاقتضائه الحصر فى الفاعل والمفعول جميعا [٣]

[موقع المقصور عليه فى «إنما»]

وأما فى انما فيؤخر المقصور عليه تقول انما زيد قائم [٤] وانما

---

١ لأن الصفة المقصورة على الفاعل فى قصر المفعول على الفاعل ، ومثلها الصفة المقصورة على المفعول فى قصر الفاعل على المفعول ، هى الفعل الواقع على المفعول لامطلق الفعل فلا يتم المقصود قبل ذكر المفعول فلا يحسن قصره فان كان قصر الفاعل على المفعول وعكسه من قصر الصفة لزم ما ذكر ، واما إن كانا من قصر الموصوف لزم على التقديم تأخير الموصوف عن جميع الصفة .

وإنما جاز التقديم على قلة نظرا إلى أنها فى حكم التام باعتبار ذكر المتعلق فى الآخر .

(٢) راجع ٢٦٩ من الدلائل .

(٣) وذلك لأن « من ضرب » لإبهامه استفهام عن جميع من وقع عليه الفعل ، حتى إنك إذا ضربت زيدا وعمرا وبكرا فقيل لك « من ضرب ؟ » فقلت « زيدا » لم يتم الجواب حتى تأتى بالجميع ؛ فعلى هذا لا يكون غير عمرو فى المثال المذكور مضروبا لزيد ولم يقع ضرب إلا من زيد فيكون القصر فى الفاعل والمفعول جميعا .

(٤) فيكون القيد الأخير — وهو ما كان فى الآخر جزء بالذات عمدة =

ضرب زيد عمرا ، وانما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ، وانما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة فى السوق ، أى مازيد إلا قائم ، وما ضرب إلا زيد وما ضرب زيد إلا عمراً ، وما ضرب زيد عمراً إلا يوم الجمعة وما ضرب زيد عمراً يوم الجمعة إلا فى السوق ، فالواقع أخيرا هو المقصور عليه أبدا ؛ ولذلك [1] تقول إنما هذا لك وانما لك هذا ، أى ماهذا إلا لك وما لك إلا هذا ، حتى اذا اردت الجمع بين انما والعطف فقل انما هذا لك لا لغيرك ، وانما لك هذا لاذاك ، وانما أخذ زيد لاعمرو وانما زيد يأخذ لا يعطى ومن هذا تعثر على الفرق بين قوله [2]

= أو فضلة ، لا ماكان مذكورا فى آخره فقط ؛ فان الموصول المشتمل على قيود متعددة جزء واحد — الواقع بعد إلا فيكون هو المقصور عليه .

هذا وراجع ذلك فى الدلائل ص ٢٦٢ ، ٢٦٥

(١) راجع ١٣٠ مفتاح ، ٢٦٥ من الدلائل .

(٢) راجع ص ١٣٠ من المفتاح ، ٢٦١ من الدلائل :

ملاحظة : لا يجوز تقديم المقصور عليه بانما على غيره للألباس ، وإنما جاز ذلك فى ما وإلا على قلة لعدم الألباس بناء على أن المقصور عليه هو المذكور بعد إلا سواء قدم على المقصور أو أخر عنه ، وههنا ليس إلا مذكورا بل الكلام متضمن لمعناه ، فلو قلنا فى إنما ضرب زيد عمرا إنما ضرب عمرا زيد انعكس المعنى ، بخلاف ما إذا قلنا فى ما ضرب زيد إلا عمرا ما ضرب إلا عمرا زيد فانه يعلم أن المقصور عليه هو المذكور بعد « إلا » قدم أو أخر .

وههنا نظر وهو أن تقديم المقصور عليه جائز مع إنما إذا كان نفس التقديم =

تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقولنا « إنما يخشى العلماء من عباد الله » ، فان الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثانى يقتضى قصر خشية العلماء على الله . واعلم [١] ان حكم « غير » حكم الا فى إفادة القصرين ، أى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف [٢] وفى امتناع مجامعة لا العاطفة [٣] ؛ تقول فى قصر الموصوف إفرادا ما زيد غير شاعر ، وقلبا ما زيد غير قائم وفى قصر

= مفيدا للقصر ، كما فى قولنا « إنما زيدا ضربت » فانه لقصر الضرب على زيد قال أبو الطيب :

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها

أى ماذكرناها إلا للذة . ويمكن الجواب بأن الكلام فيما إذا كان القصر مستفادا من « إنما » وهذا ليس كذلك .

هذا وقد يقدم المقصور عليه مع إنما أيضا لعارض نحو إنما قمت أى لا أنى قعدت فحصر الفاعل فى الفعل مع تقديم الفعل لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .

(١) راجع ١٣٠ من المفتاح ، ٢٦٨ من الدلائل . هذا ومثل « غير » سوى

(٢) أى إفرادا وقلبا وتعيينا ، وتكون للقصر الحقيقى أيضا .

(٣) لما سبق من أن شرط المنفى بلا أن لا يكون منفيا قبلها بغيرها . فلا يصح ما زيد غير شاعر لا كاتب ولا ما شاعر غير زيد لا عمرو .

ملاحظات : ١ — من طرق القصر تعريف المبتدأ كما فى « المنطلق زيد » على قول ، وتعريف الخبر كما فى « زيد المنطلق » ، فان اللام هنا تفيد انحصار المخبر به فى المخبر عنه . واللام لتعريف المعهود السابق أو لتعريف الحقيقة فيكون =

الصفة بالاعتبارين بحسب المقام لا شاعر غير زيد ، ولا تقول ما زيد غير شاعر لا كاتب ولا لا شاعر غير زيد لا عمرو

[والله تعالى أعلم]

= وضعه مفيدا للقصر . وما دخلت عليه أل فهو المقصور فان دخلت على الطرفين احتمل كل أن يكون هو المقصور وقيل المبتدأ هو المقصور . وراجع أل وإفادتها للقصر فى المطول ص ١٧٥ .

٢ — ضمير الفصل يفيد القصر فهو لقصر المسند على المسند إليه .

٣ — المقصور عليه فى العطف ببل ولكن هو ما بعدهما وأما فى العطف بلا فهو المقابل لما بعدها (المعطوف عليه المتقدم) .

القول في الانشاء

القول فى الانشاء[1]

الانشاء ضربان :

طلب وغير طلب [2]

---

(١) راجع المطول ٣٧ ، شروح التلخيص ص ١٦٥ ج ١ . والكلام على هذا الباب فى المفتاح ص ١٣١ .

وباب الأنشاء تجد فى نقد النثر لقدامة بحوثا كثيرة متصلة به .

هذا والإنشاء قد يطلق على نفس الكلام الذى ليس لنسبته خارج تقصد مطابقته أولا تقصد ؟ وقد يقال على ما هو فعل المتكلم أعنى الألقاء والإتيان بمثل هذا الكلام كما أن ؛ الأخبار كذلك فالانشاء قد يكون بالمعنى الاسمى وقد يكون بالمعنى المصدرى .

والأظهر أن المراد بالانشاء فى قول المصنف الآتى « الانشاء ضربان » هو المعنى المصدرى بقرينة تقسيمه إلى الطلب وغير الطلب وتقسم الطلب إلى التمنى والاستفهام وغيرهما والمراد بأنواع الطلبى من التمنى وسواه هو معانيها المصدرية — أعنى القاء مثل هذا الكلام — لا المعانى الإسمية — أعنى الكلام المشتمل عليها — بقرينة قوله « واللفظ الموضوع له كذا وكذا » ، لظهور أن لفظ ليت مثلا مستعمل فى معنى هو التمنى الذى هو المعنى المصدرى أعنى الالقاء ، لا نفس « ليت زيد قائم » . وإذا كانت هذه الأقسام للانشاء الطلبى المراد منها معانيها المصدرية كان المقسم — وهو الانشاء مطلقا — كذلك .

(٢) كأفعال المقاربة أى كالقاء أفعال المقاربة التى تدل على الرجاء وهى عسى وحرى واخلولق ، وأفعال المدح والذم كنعم وبئس وابن السبكى يراهما من الخبر راجع [٢٣٤ /٢ ابن السبكى] ، وصيغ العقود ، والقسم أى القاء جملة القسم=

والطلب [١] يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل [٢] . وهو المقصود بالنظر هنا .

[انواع الانشاء الطلبى]

وأنواعه كثيرة [٣] ، منها :

[أولا] التمنى [٤]

واللفظ الموضوع له ليت [٥]

= كأقسم بالله ، ورب لافادة انشاء التقليل — ولكن المتبادر أنها للاخبار ، وفعلى التعجب وكم الخبرية المفيدة لانشاء التكثير .

والانشاء غير الطلبى لا يبحث عنه هنا لقلة المباحث المناسبة المتعلقه به ولأن أكثره — وهو ما عدا أفعال الترجى والقسم — فى الأصل أخبار نقلت إلى معنى الانشاء .

(١) المراد بالطلب معناه الاصلاحى وهو الالقاء فهو بالمعنى المصدرى .

(٢) فلو استعملت صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية . ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام . مثل « يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » فالمعنى على طلب دوام التقوى .

(٣) وهى خمسة : الأمر — النهى — التمنى — النداء — الاستفهام . ومنهم من عد الترجى قسما سادسا . ومنهم من أخرج التمنى والنداء منها .

والترجى ترقب حصول شىء محبوب أو مكروه نحو لعل الحبيب قادم ولعل الصديق مريض والفاظه لعل وعسى وحرى اخلو لق . فهو عند البعض من أقسام الطلب وقيل ليس منها ترقب الحصول .

(٤) راجع ١٣١ و١٣٣ من المفتاح .

وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة مع نفى الطماعية فى ذلك الشىء بأن كان غير ممكن مثل : =

ولا يشترط فى التمنى الامكان [١] . تقول : « ليت زيدا يجىء » و « ليت الشباب يعود [٢] » ، قال الشاعر [٣] :

ياليت أيام الصبا رواجعا

= ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها ... عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

أو كان ممكنا لكنه بعيد مثل :

فيـــا ليت ما بينى وبين أحبتى ... من البعد ما بينى وبين المصائب

وقيل إن الأصل فى التمنى أن يستعمل فيما يمكن فيكون استعماله فى غيره المقامات تقتضيه

(٥) فهى حرف تصير به نسبة الكلام إنشاء وهى باعتبار ما وضعت له مستلزمة لخبر وهو أن المتكلم يتمنى تلك النسبة . فالانشاء يستلزم الخبر

(١) أى بل كونه محـــالا أو ممكنا بعيد الوقوع بخلاف الترجى فيشترط فيه الامكان ومثله الأمر والنهى والاستفهام ، فاذا كان المتمنى ممكنا يجب أن لا يكون لك توقع وطماعية فى وقوعه وإلا لصار ترجيا .

(٢) قال أبو العتاهية وأنشـــده المبرد فى الكامل وثعلب فى أماليه لسلم ابن غزية :

فيا ليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما فعل المشيب

[٢١٣ ريحانة الألبا للشهاب الخفاجى] . والبنت فى البيان والتبيين [٤٦ ج ٣] منسوبا لأبى العتاهية وروايته :

فيا ليت الشباب يعود يوما ... فأخبره بما صنع المشيب

(٣) هو العجاج . وليت عند الكوفيين تعمل عمل ظن فى لغة تميم والبصريون على أن خبرها محذوف تقديره أقبلن رواجعا مثلا

وقد يتمنى بهل [١] ، كقول القائل : « هل لى من شفيع » ، فى مكان يعلم أنه لاشفيع له فيه [٢] ، لإبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن ؛ وعليه قوله تعالى حكاية عن الكفار : فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا

وقد يتمنى بلو [٣] ، كقولك لو تأتنى فتحدثنى بالنصب [٤]

قال السكاكى

---

(١) راجع ١٣٢ من المفتاح

واستعمال هل فى التمنى من باب الاستعارة التبعية أو المجاز المرسل كما قالوا . ولم لايكون استعمالها فى التمنى من مستتبعات التركيب لاغير

(٢) لأنه حينئذ يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه والاستفهام يقتضى عدم الجزم به . ومثال استعمال هل للتمنى :

هل من سبيل الى خمر فأشربها أومن سبيل الى نصر بن حجاج

(٣) راجع ١٣٢ من المفتاح ، ٢/٢١١ كامل المبرد وهذا الاستعمال من التحول على ماقالوه

(٤) على تقدير فأن تحدثنى ، فالنصب قرينه على أن « لو » ليست على أصلها إذ لاينصب المضارع بعدها باضمار أن وأنما تضمر بعد الاشياء الستة : التمنى — الاستفهام — العرض ودخل فيه التحضيض — الامر — النهى — النفى ، والترجى لاينصب جوابه خلافا للكوفيين والدعاء داخل فى الأمر ، والمناسب هنا التمنى . أما ان رفع الفعل بعدها فلا يتعين كونها للتمنى بل احتمل . ومثل هذا المثال قول الشاعر :

فلو نشر المقـــابر عن كليب فيخـــبر بالذنائب أى زير

(٤) ١٣٣ من المفتاح

« وكأن حروف التنديم والتحضيض . هلا وألا بقلب إلهاء همزة ولولا ، ولوما ، مأخوذة منهما [١] مركبتين مع لا وما المزيدتين لتضمينهما [٢] معنى التمنى ، ليتولد [٣] منه [٤] فى الماضى التنديم نحو هلا أكرمت زيدا ، وفى المضارع [٥] التحضيض نحو هلا تقوم

وقد يتمنى بلعل فتعطى حكم ليت نحو لعلى أحج [٦] فأزورك بالنصب ، لبعد المرجو عن الحصول [٧] وعليه قراءة عاصم فى رواية حفص لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى اله موسى بالنصب .

---

(١) أى من هل ولو اللتين للتمنى حال كونهما مركبتين مع لا وما .

(٢) مصدر مضاف إلى مفعوله الأول ، ومعنى التمنى مفعوله الثانى .

(٣) علة للتضمين وقوله لتضمينها فبان أن الغرض المطلوب من هذا التركيب والتزامه هو جعل هل ولو متضمنين معنى التمنى ؛ والغرض من تضمينهما معنى التمنى ليس إفادة التمنى بل أن يتولد الخ .

(٤) أى من معنى التمنى المتضمنتين هما إياه .

(٥) الصواب « وفى المستقبل » لأن المضارع الواقع بعد هذه الحروف يحتمل المضى والاستقبال والتحضيض لا تعلق له بالمضارعة بل الاستقبال .

(٦) ولعل هنا للترجى ، والترجى هو ارتقاب الشىء وهو يشمل المحبوب والمكروه فليس من أنواع الطلب حقيقة لأن المكروه لا يطلب ، فلا ينصب الجواب بعد لعل إلا إذا استعمل للتمنى والتمنى فى هل ولو معنى مجازى وفى لعل من مستتبعات التركيب .

(٧) وبهذا يشبه المحالات والممكنات التى لا طماعية فى وقوعها فيتولد منه معنى التمنى .

[ثانيا – الاستفهام]

ومنها [١] الاستفهام [٢] :

والألفاظ الموضوعة له :

الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان

---

(١) أى من انواع الانشاء الطلبى .

(٢) هو طلب حصول صورة الشىء فى الذهن اى بأدوات مخصوصة فيخرج مثل علمنى — والمراد بالصورة المعلوم وقيل العلم . فان كانت الصورة التى طلب حصولها فى الذهن وقوع نسبة بين امرين أى مطابقتها للواقع — او لاوقوعها — اى عدم مطابقتها للواقع ، فحصولها — اى فادراك تلك الصورة — هو التصديق ، والا تكن تلك الصورة وقوع نسبة او لا وقوعها — بل كانت موضوعا او محمولا او نسبة مجردة او اثنتين من هذه الثلاثة او الثلاثة — فهو التصور .

فالتصديق ادراك مطابقة النسبة الكلامية للواقع او عدم مطابقتها له . والتصور إدراك الموضوع او المحمول او النسبة المجردة او اثنين من هذه الثلاثة او الثلاثة .

والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور هو :

١ — الأول حقه أن يؤتى بعده بأم المنطقة دون المتصلة والثانى بالعكس

٢ — الاول يكون عن نسبة تردد الذهن بين ثبوتها وانتفائها والثانى يكون عند التردد فى تعيين أحد الشيئين ؛ وهذا هو ضابط الفرق بين أم المتصلة والمنقطعة أيضاً ، ومن الفرق بينهما أيضاً أن المتصلة لا تقع إلا بعد استفهام لفظاً ومعنى أو لفظا فقط والمنقطعه قد لا يأتى قبلها استفهام لالفظاً ولا معنى والمنقطعة للتصديق والمتصلة للتصور . وحاصل الفرق الثانى بأن السؤال عن التصديق يكون عن نسبة المحمول للموضوع أو سلبها وعن التصوير يكون عن نفس المحمول أو الموضوع .

فالهمزة [١] لطلب التصديق [٢] ، كقولك. اقام [٣] زيد؟ وأزيد قائم أو التصور [٤] كقولك [٥] : أدبس فى . الأناء أم عسل ، وأفى الخابية دبس أم فى الزق [٦] ؛ ولهذا [٧] لم يقبح : « أزيد [٨] قام ، وأعمرا عرفت [٩]

---

(١) راجع ١٤٣ السيد على المطول أيضا

(٢) هو انقياد الذهن واذعانه لوقوع نسبة تامة بين الشيئين — والمراد بالاذعان لوقوع النسبة ادراك وقوعها أولا وقوعها . فالتصديق إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أولا وقوعها أى إدراك موافقتها لما فى الواقع أو عدم موافقتها له وتفسير الأذعان بالأدراك هو مذهب المناطقة لا المتكلمين

(٣) هذا فى الجملة الفعلية وما بعده فى الجملة الأسميه . فانت عالم بأن بينها نسبة إما بالايجاب أو السلب وتطلبت تعيينها

(٤) وهو ادراك غير النسبة

(٥) أى فى طلب تصور المسند إليه. والدبس هو شراب حلو يتخذ من تمر أو عنب فى المثال «أدبس فى الأناء أم عسل» أنت تعلم أن فى الأناء شيئا وتطلب تعيينه واختار السيد فى حاشيته على المطول أن الهمزة فى المثال قد يصح أن تكون لطلب التصديق أيضا

والمثال الهمزة فيه لطلب تصور المسند فانت تعلم أن الدبس محكوم عليه بكونه إما فى الخابية أو فى الزق والمطلوب هو التعيين فالمطلوب فى جميع ذلك معلوم بوجه اجمالى ويطلب بالاستفهام تفصيله

(٧) أى لأن الهمزه تجىء لطلب التصور

(٨) أى فى طلب تصور المسند إليه ـ الفاعل ـ وفى الأصل « إن زيد قائم » لاقام والظاهر أنه تحريف

(٩) أى فى طلب تصور المفعول ـ وذلك بخلاف هل زيد قام وهل عمرا عرفت =

والمسؤل عنـــه بها[1] هو مايليها، فتقول: أضربت زيدا إذا كان الشك فى الفعـل نفسه وأردت بالاستفهام أن تعـلم وجوده[2]، وتقول أأنت ضربت زيدا إذا كان الشـك فى الفاعل من هو وتقول أزيدا ضربت إذا كان الشـــك فى المفعول من هو

= فانهما قبيحان لان التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فيكون «هل» لطلب حصول الحاصل. وهذا واضح فى أعمرا عرفت لأن الغالب كون تقديم المفعول للاختصاص وأما تقديم الفاعل فقد يكون كثيرا لمجرد الاهتمام وشبهه فلا يستدعى التخصيص فى الغالب الملزوم لطلب التصور

(١) اى الذى يسأل عنه بالهمزة سواء كان تصوره أو التصديق به وقد سبق فى بحث تقديم المسند إليه وتأخيره بيان ذلك. وراجع فى ذلك دلائل الاعجاز ص ٨٧ و ٩٥

(٢) هذا واضح فيما إذا كان الاستفهام للتصور أما إن كان للتصديق فانه لما كان الغرض عنـــد السؤال بها عن التصديق السؤال عن حال النسبة وهى جزء مدلول الفعل فلا بد أن يلى الفعل الهمزة؛ فاذا كان الشك فى نفس الفعل من حيث صدوره من المخاطب أعنى الضرب الصادر من المخاطب الواقع على زيد وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده فيكون لطلب التصديق، ويحتمل أن يكون لطلب تصور المسند بأن تعلم أنه قد تعلق فعل من المخاطب بزيد لكن لا تعرف أنه ضرب أو إكرام. هذا وتعيين أحدهما أى التصور أو التصديق بالقرائن اللفظية كاقتران معادل ما بعد الهمزة بأم المتصله أو المنقطعة؛ أوبالقرائن المعنوية كما فى «أفرغت من الكتاب الذى كنت تكتبه» فانه للتصديق، وأكتبت هـذا الكتاب أم اشتريته فانه للتصور.

(٣) وهكذا قياس سائر المتعلقات

وهل لطلب التصديق [١] فحسب ، كقولك : « هل قام زيد » ، و « هل عمرو قاعد [٢] ، ولهذا [٣] امتنع هل زيد قام أم عمرو [٤] ، وقبح « هل زيدا ضربت [٥] » لما سبق أن التقديم يستدعى حصول

---

(١) هو مطلق إدراك وقوع النسبة أولا وقوعها — هذا وتدخل هل على الجملتين بشرط أن كون الجملة مثبتة — وراجع هل والكلام عليها فى المفتاح ص ١٢٣ .

(٢) أى إذا كان المطلوب حصول التصديق بثبوت القيام لزيد والقعود لعمرو

(٣) أى مجىء هل « للتصديق فحسب

(٤) وذلك أن وقوع المفرد ههنا بعد أم دليل على أن أم متصلة وهى لطلب تعيين أحد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم ، وهل إنما تكون لطلب الحكم فقط — ويلاحظ أن هل لا تقع بعدها أم المتصلة وإنما يقع بعدها أم المنقطعة فقط ، فاذا جاءت أم بعد هل كانت منقطعة للاضراب

(٥) أى من كل مثال تركيب هو مظنة للعلم بحصول أصل النسبة وهو ما يتقدم فيه المفعول على الفعل - وسر القبح كما ذكر أن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فيكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال ، وإنما لم يمتنع لاحتمال أن يكون زيدا مفعول فعل محذوف أو أن تقديمه للاهتمام لا للتخصيص وحينئذ فلا يكون التقديم مستدعيا للتصديق بحصول الفعل فلا تكون هل لطلب حصول الحاصل لكن ذلك خلاف الظاهر — قال السعد : وفيه نظر لأنه لا وجه لتقبيحه حينئذ سوى أن الغالب فى التقديم هو الاختصاص وهذا يوجب أن يقبح « وجه الحبيب أتمنى » على قصد الاهتمام دون الاختصاص ولا قائل به ؛ وعلى هذا يكون القبح مخصوصا بتقدير الفعل وحينئذ يراعى ما حصل فى نفس الأمر فان قصد التخصيص امتنع وإن قصد تقدير الفعل قبح وان قصد الاهتمام لم يقبح ولا يراعى فى القبح المظنة كما فى ابن يعقوب

التصديق بنفس الفعل والشك فيما قدم عليه ، ولم يقبح « هل زيدا ضربته » لجواز تقدير المحذوف والمفسر مقدما كما مر [١]

وجعل السكاكى [٢] قبح « هل رجل عرف » لذلك [٣] أى لما قبح له « هل زيدا ضربت » ، ويلزمه أن لا يقبح نحو « هل زيد عرف [٤] » ، لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على ما سبق [٥] وعلل غيره [٦] القبح فيهما بأن أصل هل

---

(١) فيكون التقدير هل ضربت زيدا ضربته فيكون السؤال حينئذ عن أصل ثبوت الفعل لا عن المفعول .

(٢) راجع ١٣٣ من المفتاح .

(٣) اى لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل لما سبق من مذهبه من ان الاصل « عرف رجل » على ان « رجل » بدل من الضمير فى « عرف » قدم للتخصيص

(٤) لأن تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده حتى يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل مع أنه قبيح باجماع النحاة للفصل بين هل والفعل بالاسم مع انها إذا رأت الفعل فى حيزها لا ترضى إلا بوجوده بجوارها ، قال الشاعر :

مليحة عشقت ظبيا حوى حورا فمذرأته سعت فورا لخدمته

كهل إذا مارأت فعلا بحيزها حنت إليه ولم ترض بفرقته

(٥) فان التقديم فيه ليس للتخصيص المستدعى لحصول التصديق بأصل للفعل . بل للاهتمام قالوا : وفيه نظر لأن ما ذكره من اللزوم ممنوع لجواز أن لا يقبح لعلة أخرى فانتفاء علة من علل القبح وهى كون التقديم للتخصيص لا يستلزم انتفاء جميع العلل بل يجوز أن يقول فيه بالقبح لعلة أخرى .

(٦) أى كغير السكاكى وهو الزمخشرى فى المفصل ، وقوله القبح فيهما أى فى هل رجل عرف « وهل زيد عرف » .

أن تكون بمعنى قد إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها فى الاستفهام (١)

وهل تخصص المضارع بالاستقبال (٢) فلا يصح أن يقال هل تضرب زيدا وهو اخوك (٣) كما تقول ، أتضرب زيداوهو اخوك (٤)

---

(١) اى وقوع هل فى الاستفهام فاقيمت هى مقام الهمزة وقد تطفلت عليها فى الاستفهام وقد من خواص الأفعال فكذا ما هى بمعناها . وانما لم يقبح ، هل زيد قائم ، لأنها إذا لم تر الفعل فى حيزها تسلت عنه بخلاف ما اذا راته فانها لا ترضى كما قلنا إلا بوجوده بجوارها .

(٢) بعد ان كان محتملا له وللحال ؛ وذلك بحكم الوضع كالسين وسوف ، واما الماضى والجملة الاسمية فيبقيان بعد هل على حالهما .

(٣) لأن الضرب واقع هنا فى الحال على ما يفهم عرفا من قوله : وهو اخوك .

(٤) قصداً إلى إنكار الفعل الواقع فى الحال بمعنى انه لاينبغى ان يكون . وذلك لان هل تخصص المضارع بالاستقبال فلا يصح مجيئها لانكار الفعل الواقع فى الحال بخلاف الهمزة فانها تصلح لانكار الفعل الواقع لأنها ليست مخصصة للمضارع بالاستقبال ، وهذا الامتناع جار فى كل مايوجد فيه قرينة تدل على ان المراد إنكار الفعل الواقع فى الحال سواء عمل ذلك المضارع فى جملة حالية كقولك ، أتضرب زيدا وهو أخوك ، — لأن الاستفهام هنا للتوبيخ والتوبيخ لايكون إلا بالهمزة — أو لم يعمل فى جملة حالية كقوله تعالى ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ، وكقولك أتؤذى أباك وأنت مسير فلا يصح وقوع فعل فى هذه المواضع .

هذا وقد أخطأ العلامة الشيرازى فى تعليله للامتناع بأن الفعل المستقبل لا يجوز تقييده بالحال ؛ وهو سهو ظاهر لجواز أن تقول مثلا سأدخل الامتحان غدا . =

ولهذين أعنى اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر كالفعل[1]. أما الثانى فظاهره وأما الاول فلان الفعل لا يكون الا صفة والتصديق حكم بالثبوت أوالا نتفاء والنفى والاثبات انما يتوجهان الى الصفات لا الذوات

= قال الشاعر - سعد بن ناشب - الحماسى :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا ... على قضاء الله ما كان جالبا

وقال تعالى « سيدخلون جنهم داخرين » و « ويؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين » .

(١) أى لأن هل مختصة بطلب التصديق فلا تجىء لغير التصديق ولأنها تخصص المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما زمانيته ظاهرة وهو الفعل فلما كانت تخصص المضارع بالاستقبال دون الاسم كان لها مزيد اختصاص بالفعل دون الاسم لأن الفعل المضارع نوع من مطلق الفعل واللازم للنوع لازم للجنس. والزمان جزء من مفهوم الفعل بخلاف الاسم فانه إنما يدل عليه حيث يدل بعروضه له.

وأما اقتضاء تخصيصها المضارع بالاستقبال لمزيد اختصاصها بالفعل فظاهر لما تقدم .

وأما اقتضاء كونها لطلب التصديق لمزيد اختصاصها بالفعل فلأن التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء — أى هو ادراك أن النسبه الحكمية مطابقة للواقع أو غير مطابقة — والانتفاء أو الثبوت إنما يتوجهان إلى المعانى والأحداث التى هى مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التى هى مدلولات الأسماء .

وقوله بما كونه زمانيا أظهر أى بالشىء الذى زمانيته أظهر وهو الفعل ، فما موصوله ، وكونه مبتدأ خبره أظهر وزمانيا خبر الكون .

ولهذا [١] كان قوله تعالى فهل انتم شاكرون أدل على طلب الشكر من قولنا . « فهل تشكرون » و « فهل أنتم تشكرون [٢] لأن إبراز ماسيتجدد [٣] فى معرض الثابت [٤] أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله [٥] ؛ وكذا من قولنا أفأنتم شاكرون ، وان كانت صيغته للثبوت [٦] لان هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه [٧] معها أدل على كمال العناية بحصوله ولهذا لايحسن هل زيد منطلق إلامن البليغ

وهى [٨] : قسمان بسيطة وهى التى يطلب بها وجود الشىء [٩]

( ) اى لان لهل مزيد اختصاص بالفعل بحيث اذا عدل بها عن موالاتها الفعل كان للاعتناء بالمعدول إليه

وراجع فى ذلك ٣٤ من المفتاح

(٢) مع انه مؤكد بالتكرير لأن أنتم فاعل فعل محذوف

(٣) الذى هو مضمون الفعل وهو الشكر

(٤) أى صورة الثابت ، حيث دل عليه بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت

(٥) كما فى « هل تشكرون » ، لأن هل فى « فهل تشكرون » وفى « هل انتم تشكرون » على أصلها لكونها داخلة على الفعل تحقيقا فى الأول وتقديرا فى الثانى

(٦) باعتبار ان الجملة اسمية

(٧) أى فترك الفعل مع هل

(٨) اى هل

(٩) أى أولا وجوده كقولنا هل الحركة لاموجودة. وقوله وجود الشىء أى التصديق بوقوع وجود الشىء

كقولنا هل الحركة موجودة ، ومركبة وهى التى يطلب بها وجود شىء لشىء [١] كقولنا هل الحركة دائمة

والالفاظ الباقية لطلب التصور فقط [٢] .

أما ، ما ، [٣] : فيطلب به : إما شـــرح الاسم [٤] كقولنا ما العنقاء ؛ وأما ماهية المسمى [٥] كقولنا : ما الحركة [٦] ، والقسم الأول يتقـدم على قسمى [٧] هل جميعا ، والثانى [٨] يتقـدم على هل

---

(١) أى أو لا وجوده كقولنا هل الحركة لادائمة. فان المطلوب رجود الدوام للحركة اولا وجوده لها ، وقد اعتبر فى هذا شيآن غير الوجود وفى الاولى شىء واحد فكانت مركبة بالنسبة الى الاولى وهى بسيطة بالنسبه اليها

(٢) فهى تشترك فى أنها لطلب التصور وتختلف من جهة ان المطلوب بكل منها لتصور شىء آخر فالمطلوب تصوره بواحد منها خلاف المطلوب بالآخر

(٣) راجع ١٣٤ مر المفتاح

(٤) اى بيان مدلوله فى الجملة ؛ والمراد بالاسم هنا ماقابل المسمى فيشمل الفعل والحرف ـ ففولنا ماالعنقاء ؟ نطلب به ان يشرح هذا الاسم ويبين مفهومه فيجاب بايراد لفظ أشهر

(٥) اى حقيقتة التى هو بهاهو أى حقيقته الوجودية التى بها تحققت أفراد الشىء بحيث لايزاد فى الخارج عليها الا العوارض ولم يرد بها الماهية التفصيلية

(٦) أى ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بايراد ذاتياته من الجنس والفصل فيقال هى حصول الجرم حصولا أولا فى الحيز الثانى ؛ بعد ان يعرف أنها شىء موجود فى نفسه لأجل ان يكون الجواب تعريفا حقيقيا

(٧) اى البسيطة والمركـــبة ـــ والمراد بالقسم الاول : ما التي يطلب بها شرح الاسم

(٨) أى ما التي يطلب بها ماهية المسمي

المركبة دون البسيطة، فالبسيطة [١] فى الترتيب واقعة بين قسمى ما [٢] وقال السكاكى [٣] : يسأل بما عن الجنس [٤] تقول ما عندك أى أجناس الأشياء عندك ، وجوابه انسان أو فرس أو كتاب أو نحو ذلك ، وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام ؟ ، وفى التنزيل وماخطبكم أى أى أجناس المخطوب خطبكم ، وفيم ما تعبدون من بعدى ؟ أى أى

---

(١) اى هل البسيطة .

(٢) اذ يطلب أولا شرح الاسم بما ثم يستفهم عن وجوده فى نفسه بهل ثم يطلب بيان ماهية المسمى بما ، ثم يستفهم بعد ذلك بهل المركبة عما يراد الاستفهام بها عنه : فالترتيب الطبيعى ان يطلب اولا شرح الاسم ثم وجود المفهوم فى نفسه ثم ماهيته وحقيقته لأن من لايعرف مفهوم اللفظ استحال منه أن يطلب وجود ذلك المفهوم ومن لايعرف أنه موجود استحال منه أن يطلب حقيقته وماهيته إذ لاحقيقة للمعدوم ولاماهية

(٣) راجع ١٣٤ من المفتاح

(٤) الجنس المراد به الحقيقة الكلية متفقة الافراد أو مختلفتها بجملة أو مفصلة والمراد به الجنس اللغوى فيشمل جميع اقسام مايقال فى جواب ما هو من النوع والجنس والحقيقة الاجمالية والتفصيلية

فالفرق بين القولين أن ما على الاول يطلب بها شرح الاسم كليا كان أو جزئيا وعلى قول السكاكى لايطلب بها إلا الكلى ، ولا يخفى ان السؤال بها عن الجزئى داخل فى السؤال عن الوصف كما سيأتى فالحق انه لافرق فى السؤال بما بين القولين

ملاحظات : الآية الكريمة موضع الشاهد فى كلام السكاكى هى :

قال فرعون : ومارب العالمين ؟ قال : رب السموات والارض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله : ألا تستمعون ؟ ـ قال ربكم ورب آبائكم الأولين ؛ قال إن رسولكم الذى ارسل إليكم لمجنون الخ

من فى الوجود تؤثرونه للعبادة أو عن الوصف تقول ما زيد وما عمرو وجوابه الكريم أو الفاضل ونحوهما وسؤال فرعون « وما رب العالمين » إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الاجسام كأنه قال أى أجناس الاجسام هو وعلى هذا جواب موسى عليه السلام بالوصف للتنبيه على النظر المؤدى إلى معرفته ؛ لكن لما لم يطابق السؤال عن فرعون عجب الجهلة الذين حوله من قول موسى بقوله لهم : « ألا تسمعون ؟ » ، ثم لما وجده مصرا على الجواب بالوصف اذ قال فى المرة الثانية « ربكم ورب آبائكم الاولين » أستهزأ به وجننه بقوله « إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون » ، وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك فى المرتين غلظ عليهم فى الثالثة بقوله « إن كنتم تعقلون » ، واما عن الوصف ، طمعا فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب معه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسئولين مكانه لشهرته بينهم برب العالمين الى درجة دعت السحرة اذ عرفوا الحق أن أعقبوا اقولهم « آمنا برب العالمين » بقولهم « رب موسى وهرون » نفيا لاتهامهم أن عنوه وجهله بحال موسى اذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس بدليل قال أو لو جئتك بشىء مبين قال فائت به ان كنت من الصادقين . فحين سمع الجواب تعداه عجب واستهزاء وجنن وتفيهق بما تفيهق من قوله « لئن اتخذت لها غيرى لاجعلنك من المسجونين »

وأما « من »: [1]

فقال السكاكى هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم [2]: تقول من جبريل ! بمعنى أبشر هو أم ملك أم جنى . وكذا من ابليس ومن فلان ، ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون « فمن ربكما ياموسى ؟ » أى أملك هو أم بشر أم جنى منكرا لان يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ، ذهابا فى سؤاله هذا الى معنى الكارب سواى فأجاب موسى عليه السلام بقوله ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى كأنه قال نعم لنا رب سواك ، هو الصانع الذى اذا سلكت الطريق الذى بين بايجاده لما أوجد وتقديره إياه على ماقدر ، واتبعت فيه الخريت الماهر — وهو العقل الهادى عن الضلال لزمك الاعتراف بكونه ربا وأن لا رب سواه ، وان العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لامدفع له [3] وقيل هو للسؤال عن العارض المشخص لذى [4] العلم وهذا

(١) راجع ١٣٤ و ١٣٥ من المفتاح .

(٢) المراد الجنس اللغوى فيشمل النوع والصنف .

(٣) وفى كلام السكاكى نظر لأنا لا نسلم أنه سؤال عن الجنس وأنه يصح فى جواب « من جبريل » أن يقال ملك ، بل جوابه أنه ملك يأتى بالوحى إلى الرسل ونحو ذلك مما يفيد تشخصه وتعينه ، وأما ما ذكره السكاكى فى قوله تعالى حكاية عن فرعون « فمن ربكما يا موسى » أن معناه أبشر هو أم ملك أم جنى ففساده يظهر من جواب موسى بقوله « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ، فانه قد أجاب بما يفيد تشخصه وتعينه على ما ذكرنا .

على أن فلانا كناية عن العلم فكيف يجاب بذكر العلم ، ولعل المراد إذا قال=

اظهر لانه اذا قيل من فلان ، يجاب بزيد او نحوه مما يفيد التخشيص ، ولانسلم صحه الجواب بنحو بشر اوجنى كما زعم السكاكى

وأما « أى » (١) :

فللسؤال عما يميز (٢) أحد المتشاركين فى أمر يعمهما (٣) يقول القائل عندى ثياب ، فتقول : أى الثياب هى فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها فى اثوبية ، وفى التنزيل : أى الفريقين خير مقاما أى أنحن أم أصحاب محمد عليه السلام (٤) ، وفيه : « أيكم يأتينى بعرشها أى الأنسى أم الجنى

∴

وأما « كم »

فللسؤال عن العدد ؛ إذا قلت : كم درهما لك وكم رجلا رأيت ، فكانك

= شخص فلان يعمل كذا فتقول من فلان؟ فيقال زيد، لكن فى الاستفهام عن ذلك بمن فيه نظر فينبغى أن يقال ما فلان ؟ كما قال ابن السبكى .

(٤) أى يطلب بمن الأمر الذى يعرض لذى العلم — أى العقل — فيفيد تشخصه وتعينه وهو خصوص الوصف .

(١) راجع ١٣٥ من المفتاح .

(٢) أى عن موصوف وصف يميز .

(٣) وهو مضمون ما أضيف إليه « أى » غالبا ، وقد يكون غير ما أضيف مثل : « أيكم يأتينى بعرشها ؟ » ، فالمشترك كون الجميع من جنده .

(٤) فالمؤمنون والكافرون قد اشتركا فى الفريقية وسألوا عما يميز أحدهما عن الآخر مثل الكون كافرين قائلين لهذا القول ومثل الكون أصحاب محمد عليه السلام غير قائلين .

قلت أعشرون أم . ثلاثون أم كذا أم كذا ، وتقول كم درهمك وكم مالك أى كم دانقا أو كم دينارا ، وكم ثوبك أى كم شبرا أو كم ذراعا ، وكم زيد ماكث ؟ أى كم يوما أو كم شهراً ، وكم رأيتك أى كم مرة ، وكم سرت أى كم فرسخا أو كم يوما ؟ قال الله تعالى : « قال قائل منهم كم لبثتم » أى كم يوما أو كم ساعة ، وقال . كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ؟ وقال : سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة [١] ؟ ومنه قول الفرزدق [٢] :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت على عشارى

فيمن روى بالنصب [٣] ، وعلى رواية الرفع تحتمل الاستفهامية والخبرية [٤]

---

(١) من « آية » تمييز « كم » بزيادة « من » لما وقع من الفصل بفعل متعد بين كم ومميزه .

فآية تمييز كم ومفعول آتيناهم ، وكم هنا للسؤال عن العدد لكن الغرض من هذا السؤال هو التوبيخ والتقريع من حيث دلالة الجواب على كثرة الآيات .

(٢) راجع البيت فى ٢٥٣ و ٢٩٣ و ٢٩٥ ج ١ من الكتاب لسيبويه ، وفى ص ١٣٥ من المفتاح — الفدع بفتح الدال : عوج فى المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها . العشار : جمع عشراء كنفساء وزنا ومعنى أو هى الناقة التى مضى على حملها عشرة أشهر .

(٣) هذا (أى أنه على رواية النصب يتعين الاستفهام) غير مسلم ، بل كم الخبرية قد تنصب المميز وعلى ذلك أنشد سيبويه البيت .

(٤) الكلام مع الاستفهام لا يحتمل الصدق والكذب ومع الخبرية يحتمل والذى يظهر أن كم فى البيت خبرية . هذا وعلى رواية الجر تتعين الخبرية .

وأما « كيف » :

فللسؤال عن الحال ، إذا قيل : كيف زيد ؟ فجوابه صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك

وأما « أين » [١] :

فللسؤال عن المكان ، إذا قيل : أين زيد ؟ فجوابه فى الدار أو فى المسجد أو فى السوق ونحو ذلك

وأما « أنى » .

فتستعمل تارة بمعنى « كيف [٢] » ، قال الله تعالى : « فأتوا حرثكم أنى شئتم [٣] » ، أى كيف شئتم ، وأخرى بمعنى « من أين [٤] » قال الله تعالى : « أنى لك هذا [٥] ؟ » ، أى من أين لك [٦]

(١) راجع ١٣٥ من المفتاح .

(٢) ويجب أن يكون بعدها فعل إذ لم يرد أنى زيد بمعنى كيف هو .

(٣) قيل هى هنا شرطية ، وقيل أنها بمعنى متى وأنه معنى ثالث لها .

(٤) ولا يجب أن يكون بعدها فعل .

(٥) فتتضمن الظرفية والابتدائية

(٦) وليس المراد المكان حقيقة بل المراد من أى وجه نلت ما نلت .

هذا وقوله « تستعمل » اشارة إلا أنه يحتمل أن يكون مشتركا بين المعنيين اشتراكا لفظيا وهو حقيقة فيهما ، ويحتمل أن يكون فى أحدهما حقيقة وفى الآخر مجازا ، ويحتمل ان يكون معناه أين إلا أنه فى الاستعمال يكون مع « من » ظاهرة كما فى قوله : من أين عشرون لنا من أنى .

أى : من أين ، أو مقدرة كما فى قوله تعالى : أنى لك هذا ؟ .

أى من أنى لك ، أى من أين على ماذكره بعض النحاة .

وأما « متى » و« أيان »[1].

فللسؤال عن الزمان[2]، إذا قيل . متى جئت ؟ أو أيان جئت ؟ قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا . وعن على ابن عيسى الربعى أن أيان تستعمل فى مواضع التفخيم كقوله تعالى : يسأل أيان يوم القيامة ، يسألون أيان يوم الدين ؟

[الأغراض البلاغية التى يخرج إليها أسلوب الاستفهام]

ثم إن هذه الألفاظ كثيرا ما تستعمل فى معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام[3]، منها :

الاستبطاء :

نحو كم دعوتك[4] ؟ ، وعليه قوله تعالى : حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟

---

(١) راجع ١٣٥ من المفتاح

(٢) وفى مختصر السعد تخصيص أيان بالزمان المستقبل ، وتستعمل « أبان » فى موضع التفخيم مثل « يسأل أيان يوم القيامة ؟ »

وأخيرا فالخلاصة أن أدوات الاستفهام ثلاثة اقسام : قسم مختص بطلب التصديق وهو « هل » ، وقسم مختص بطلب التصور وهو ماعدا الهمزة وهل وقسم يحتمل التصور والتصديق وهو الهمزة وذلك لعراقتها فى الاستفهام ولهذا يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة كقوله تعالى « أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ »

(٣) ودلالتها على هذه المعانى مجاز مرسل أو كناية أو من مستتبعات التركيب

(٤) فالاستفهام عن عدد دعائه إياه يستلزم الجهل به ، المستلزم لاستكثاره =

ومنها التعجب :

نحو قوله : مالى لا أرى الهدهد (١)؟

ومنها : التنبيه على الضلال :

= عادة أو ادعاء لأن القليل منه يكون معلوما ، واستكثاره يستلزم الابطاء كذلك أى عادة أو ادعاء . فالاستفهام عن عدد دعائه إياه يستلزم الاستبطاء بهذه الوسائط فاستعمل لفظ الاستفهام فى الاستبطاء .

وكذلك قوله تعالى « متى نصر الله ؟ » ، فالاستفهام عن زمان النصر يستلزم الجهل بزمانه ، والجهل به يستلزم استبعاده عادة أو ادعاء ، واستبعاده يستلزم استبطاء

فخروج أداة الاستفهام إلى الاستبطاء إذا حمل على المجاز المرسل كانت علاقته السببية إذ هو من اطلاق اسم المسبب وإرادة السبب .

(١) فالاستفهام عن سبب عدم رؤيته الهدهد يستلزم الجهل به المناسب للتعجب عن المسبب أغنى عدم الرؤية ، فهو إذا حمل على المجاز المرسل من باب استعمال اسم الملزوم فى اللازم لأن سؤال العاقل عن حال نفسه مثلا يستلزم جهله به والجهل به يستلزم التعجب منه لأنه كان لا يغيب عن سليمان عليه السلام إلا باذنه فلما لم يبصره مكانه تعجب من حال نفسه فى وقت عدم ابصاره إياه ، ولا يخفى انه لا معنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه . وقول صاحب الكشاف نظر سليمان الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالى لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فاضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له يدل على أن الاستفهام على حقيقته

هذا ومن خروج أدوات الاستفهام إلى التعجب قول كثير عزة :

فيا عجبا للقلب كيف اعترافه ... وللنفس لما وطنت كيف ذلت ؟

وقول أبى تمام :

ما للخطوب طغت على كأنها ... جهلت بأن نداك بالمرصاد =

نحو « فأين تذهبون [1] ؟ »

ومنها : الوعيد :

= وقول ابى الطيب وقد أصابته الحمى :

أبنت الدهر عندى كل بنت ... فكيف وصلت أنت من الزحام

وقول إحدى النساء تشكو إبنا لها :

أنشا يمزق أثوابى يؤدبنى ... أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا ؟

وقول الآخر :

ما أنت يادنيا ؟ أرؤيا نائم ... أم ليل عرس أم بساط سلاف

ومن خروج أدوات الاستفهام الى الاستبطاء قول البهاء :

أمولاى إنى فى هواك معذب ... وحتام أبقى فى العذاب وأمكث ؟

وقوله :

يا أنعم الناس قل لى ... إلى متى فيك أشقى

وقول ابن خفاجه الأندلسى :

فحتى متى أبقى ويظعن صاحب ... أودع منها راحلا غير آئب

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرا ... فمن طالع أخرى الليالى وغارب

وقول صفوت الساعاتى :

وحتى متى وإلى كم طول وعدكمو ... أما له أجل قبل انقضا أجلى ؟

(١) وخروج اداة الاستفهام هنا إلى هذا المعنى من باب المجاز المرسل الذى علاقته اللزومية إذ هو من استعمال اسم الملزوم فى اللازم ، فالاستفهام عن الشىء يستلزم تنبيه المخاطب عليه وتوجيه ذهنه إليه وذلك يستلزم تنبهه للضلال ، ويجوز أن يجعل اللفظ مستعملا فى الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكناية أو أن يجعل من مستتبعات التراكيب فلا يكون مجازا ولا كناية كما يجوز ذلك فى سائر ما يخرج إليه الاستفهام من معان بلاغية .

وراجع ١٣٦ من المفتاح .

كقولك [١] لمن يسىء الأدب : ألم أؤدب فلانا ؟ إذا كان عالما بذلك ، وعليه قوله تعالى : ألم نهلك الأولين .

ومنها الأمر [٢] :

نحو قوله تعالى " فهل أنتم مسلمون ؟ " ، ونحو " فهل من مدكر ؟ "

ومنها التقرير [٣] :

---

(١) راجع ١٣٢ من المفتاح

هذا وخروج أداة الاستفهام الى معنى الوعيد من باب المجاز المرسل والعلاقة هنا اللزوم من استعمال اسم الملزوم فى اللازم ، ولك أن تجعل الكلام من قبيل الكناية فاللفظ مستعمل فى الاستفهام لينتقل منه الى الوعيد ، أو مستعمل فيهما على أن الوعيد من مستتبعات التركيب .

فالاستفهام فى قولك «ألم أؤدب فلانا ؟» يستلزم تنبيه المخاطب على جزاء إساءة الأدب الصادرة عن غيره وهذا التنبيه يستلزم وعيده على إساءة الأدب

هذا وعلم المخاطب أنك أدبت فلانا قرينة المجاز المرسل اذا حمل الكلام عليه

(٢) اذا حمل عل المجاز فهو من باب الاطلاق والتقييد على نحو ما يأتى فى التقرير

(٣) اذا حمل على المجاز المرسل كان من باب الاطلاق والتقييد اذ الاستفهام عن امر معلوم للمخاطب يستلزم حمله على اقراره بما هو معلوم منه ، فالاستفهام طلب الاقرار بالجواب مع سبق جهل المستفهم فاستعمل فى مطلق طلب الاقرار ثم فى طلب الأقرار من غير سبق جهل — هذا وراجع فى التقرير ١/١٠٢ كامل المبرد و ٢٣ ما اتفق لفظه للمبرد ، ١٣٦ من المبرد ، ٨٨ من الدلائل

هذا والتقرير هو حمل المخاطب على الأقرار بما يعرفه وإلجائه إليه ، وقد يقال : التقرير بمعنى التحقيق والتثبيت فيقال أضربت زيدا بمعنى أنك ضربته البتة

ويشترط فى الهمزة [١] أن يليها المقرر به ؛ كقولك : أفعلت اذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك : أأنت فعلت ، اذا أردت أن تقرره بانه الفاعل [٢] . وذهب الشيخ عبد القاهر والسكاكى وغيرهما إلى أن قوله (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) من هذا الضرب ؛ قال الشيخ [٣] : لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان ، كيف وقد أشاروا له إلى الفعل فى قولهم « أأنت فعلت هذا » ، وقال عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا ، ولو كان التقرير بالفعل فى قولهم « أأنت فعلت » لكان الجواب : فعلت أو لم أفعل ، وفيه [٤] نظر لجواز أن تكون الهمزة فيه على أصلها إذ ليس فى السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذى كسر الأصنام [٥]

---

(١) وخصت الهمزه بايلائها المقرر به لأن التفصيل المذكور لايجرى إلا فيها بخلاف هل مثلا فهى للتقرير بنفس النسبة الحكمية وكذا ما ساواها غير الهمزة فانها للتقوير مما يطلب تصوره بها ، ولمثل ذلك خصت الهمزة بايلائها المنكر

(٢) اى المعنوى لا الاصطلاحى .

(٣) ٨٨ و ٨٩ من الدلائل

(٤) أى فيما ذهب اليه عبد القاهر ومعه السكاكى

(٥) أجيب على هذا بأنه يدل على أن الاستفهام ليس على حقيقته ماقبل الآية وهو أنه عليه السلام قد أقسم بقوله « وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » ، ثم لما رأوا كسر الاصنام قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ، =

وكقولك أزيد ضربت ؛ إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد ومنها الانكار [١] : إما للتوبيخ : بمعنى ماكان ينبغى أن يكون [٢] نحو أعصيت ربك ؟ أو بمعنى لا ينبغى أن يكون كقولك للرجل يضيع الحق . أتنسى قديم احسان فلان ؟ وكقولك للرجل يركب الخطر . أتخرج فى هذا الوقت أتذهب فى غير الطريق والغرض بذلك تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ماهم به وإما للتكذيب [٣] بمعنى لم يكن [٤] كقوله تعالى

= قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ، فالظاهر أنهم قد علموا ذلك من حلفه وذمه الاصنام

هذا ولاتنسى أن خروج أدوات الاستفهام الى التقرير من باب المجاز المرسل الذى علاقته الاطلاق أو التقييد وقيل اللزوم والتحقيق أنه على طريق الكناية أو من مستتبعات التركيب

(١) راجع ٨٩ ومابعدها من الدلائل ، ١٣٦ من المفتاح ، وقوله للتوبيخ أى على أمر قد وقع فى الماضى أو خيف وقوعه فى المستقبل

(٢) أى أن يحدث ويتحقق مضمون مادخلت عليه الهمزة وذلك فى المستقبل نحو أتعصى ربك ؟ بمعنى لاينبغى أن يتحقق العصيان ، فهذا لايقتضى عدم وقوع الموبخ عليه بالفعل وانما يقتضى كون المخاطب بصدد الفعل

هذا وإذا حمل الانكار على المجاز المرسل فالعلاقة بينه وبين الاستفهام ان المستفهم عنه مجهول والمجهول منكر والأولى حمله على الكناية أو جعله من مستتبعات التراكيب

(٣) ويسمى الانكار التكذيبى بالانكار الأبطالى .

(٤) أى فى الماضى — وقوله فيما يأتى : أو بمعنى لا يكون أى فى المستقبل . وسكت عن الحال لعدم تأتيه إذ العاقل لا يدعى التلبس بما ليس متلبسا به حتى =

أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أناثا وقوله .أأصطفى البنات على البنين ، وبمعنى لا يكون نحو أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ، وعليه قول أمرىء القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونه زرق كأنياب أغوال (١)

فيمن روى ايقتلنى بالاستفهام وقول الآخر (٢)

أأترك أن قامت دراهم خالد زيارته انى اذا للئيم

والانكار كالتقرير يشترط أن يلى المنكر (٣) الهمزة ، كقوله تعالى أغير الله تدعون ؟ اغير الله اتخذ وليا ؟ ابشر امنا واحدا نتبعه ، وكقوله

= يكذب بل يتأتى فيه نفى الانبغاء ، وفى الاطول وابن يعقوب أن الانكار الابطالى إذا كان بمعنى لا يكون يكون للحال وللاستقبال .

(١) راجع البيت فى ٩١ من الدلائل . وسيأتى فى الإيضاح أيضا فى باب التشبيه . المشرفى : السيف المنسوب إلى مشارف الشام . المسنونة : السهام المحدودة النصال ، ووصفها بالزرقة لخضرتها وصفائها .

(٢) هو عمارة بن عقيل بن جرير للشاعر يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويذم تميم بن خزيمة بن حازم النهشلى [راجع ١٤٩ ج ١ من الكامل للمبرد] ، ومع البيت فى الكامل أبيات كثيرة .

ولعمارة أبيات فى مدح خالد فى الكامل [ص ٢٦٨ ج ٢] هذا والبيت فى الدلائل ص ٩٢ .

(٣) فعلا كان أو فاعلا أو مفعولا أو حالا إلى غير ذلك .

هذا ولا تنسى أن العلاقة بين الاستفهام والانكار أن المستفهم عنه مجهول والمجهول منكر ، وقيل لأن إنكار الشىء بمعنى كراهيته يستلزم عدم توجه الذهن إليه المستلزم للجهل به المقتضى للاستفهام .

وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التى لا يتولاها لا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ؛ وعد الزمخشرى قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله فأنت تسمع الصم او تهدى العمى من هذا الضرب ، على أن المعنى أفأنت تقدر على إكراههم على الايمان وأفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والألجاء . أى إنما يقدر على ذلك الله لا أنت .

وحمل السكاكى (١) تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث (٢) على البناء على الابتداء (٣) دون تقدير التقديم والتأخير كما مر فى نحو أنا ضربت فلا يفيد فى تقوى الأنكار

---

(١) ١٣٦ من المفتاح

(٢) أهم يقسمون رحمة ربك — افأنت تكره الناس — أفأنت تسمع الصم هذا ويلاحظ أنه إذا قدم المرفوع على الفعل فقد يكون للانكار على نفس الفاعل بحمل التقديم على التخصيص وقد يكون لانكار الحكم على أن يكون التقديم لمجرد التقوى وجعل صاحب المفتاح الآيتين الاخيرتين من قبيل تقوية حكم الانكار نظرا إلى أن المخاطب وهو النبى (ص) لم يعتقد اشتراكه فى ذلك ولا انفراده به من حيث جعلها صاحب الكشاف من قبيل التخصيص نظرا إلى أنه عليه السلام لفرط شغفه بايمانهم كأنه يعتقد قدرته على ذلك والكشاف يوافق فى ذلك عبد القاهر فقد جعلها للتخصيص تنزيلا [راجع ص ٩٤ من الدلائل]

(٣) فهى عنده للتقوى لا للتخصيص =

ومن مجيء الهمزة للانكار نحو قوله تعالى: أليس الله بكاف عبده[1] ؟ ، وقول جرير

السّتم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أى الله كاف عبده وأنتم خير من ركب المطايا ، لأن نفى النفى إثبات ، وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير أى للتقرير بما دخله النفى لا للتقرير بالانتفاء[2] وانكار الفعل مختص بصورة أخرى[3] وهى نحو أقولك أزيدا ضربت أم عمرا ، لمن يدعى أنه ضرب إما زيدا وإما عمرا دون غيرهما ، لأنه اذا لم يتعلق الفعل باحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة وعليه قوله تعالى « قل آلذكرين حرم أم الانثيين »

---

(١) راجع ص ٢٥ ما اتفق لفظه للمبرد .

(٢) فالتقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت عليه الهمزة بل بما يعرف المخاطب من ذلك الحكم إثباتا أو نفيا ، فالحكم السابق — وهو ان الهمزة يليها المقرر به — أغلبى لا كلى ، وقيل هو كلى والمجيز لكونها للتقرير هو الزمخشرى والمصنف ليس على مذهبه بل عنده للانكار . ومثل قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ، قوله تعالى « أأنت قلت للناس اتخذونى وامى إلهين من دون الله ؟ » فالهمزة فيه للتقرير بما يعرفه عيسى عليه السلام مما يتعلق بهذا الحكم وهو انه لم يقل « اتخذونى وامى إلهين من دون الله » لا بأنه قد قال ذلك — هذا وقد تكلم السبكى على الآية فى (٢٩٣ و ٢/ ٣٠٧ من الشروح)

(٣) اى لا يلى فيها الفعل الهمزة التى هى للانكار كالصورة السابقة — ومثل الفعل ما فى معناه كاسم الفاعل — وهذه الصورة هى ان يلى الهمزة معمول الفعل ثم يعطف على ذلك المعمول بأم أو بغيرها .

هذا وراجع ذلك فى ٩٠ من الدلائل ، و ١٣٦ من المفتاح .

أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ؟ » أخرج اللفظ مخرجه اذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الاشياء ثم أريد معرفة عين المحرم مع أن المراد إنكار التحريم من أصله . وكذا قوله: آلله أذن لكم، إذ معلوم أن المعنى على انكار أن يكون قد كان من الله تعالى اذن فيما قالوه من غير أن يكون هذا الاذن قد كان من غير الله فاضافوه إلى الله ، الا أن اللفظ أخرج مخرجه اذا كان الامر كذلك ليكون أشد لنفى ذلك وإبطاله ، فانه اذا نفى الفعل عما جعل فاعلا له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله ، قال السكاكى رحمه [1] الله : وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذى سبق فى نحو أنا ضربت وانت ضربت وهو ضرب .من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين ، فلا تحمل نحو قوله تعالى « آلله أذن لكم » على التقديم [2] ، فليس المراد أن الاذن ينكر من الله دون غيره ، ولكن احمله على الابتداء مرادا منه تقوية حكم الانكار. وفيه نظر: لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب أعنى ما يكون الاسم الذى يلى الهمزة فيه مظهرا لا يفيد توجه الانكار إلى كونه فاعلا للفعل الذى بعده فهو ممنوع ، وان أراد أنه يفيد ذلك أن قدر تقديم وتأخير وإلا فلا على ماذهب إليه فيما سبق فهذه الصورة

---

(١) ١٣٦ من المفتاح.

(٢) اعترض على السكاكى بأن مذهبه يجئ فى المعرف الجزء على التقديم فكيف يقول : « فلا تحمل على التقديم » فكأنه بنى هذا على مذهب القوم لا على مذهبه هو

مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم [1] . لا يقال : قد يلى الهمزة غير المنكر فى غير ما ذكرتم كما فى قوله [امرىء القيس] :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى [ومسنونة زرق كأنياب أغوال]

فان معناه أنه ليس بالذى يجىء منه أن يقتل مثلى ، بدليل قوله

يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلنى ، والمرء ليس بقتال [2]

---

(١) لأنه الاسم هنا ظاهر معرف فلا داعى عنده لتقدير التقديم والتأخير لأنه يجوز الابتداء به دون هذا التقدير فيحمل عنده على الابتداء لأفادة التقوى يعنى فيلزم ان لايحصل الانكار فى نحو الله أذن لكم على شىء من التقادير عنده

(١) قبل هذا البيت وصف امرؤ القيس دبيبه ومحاتلته الحراس وتمتعه بمحبوبته ثم قال :

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها عليه القتام سيء الظن والبال
يغط غطيط البكر شد خناقه ليقتلنى والمرء ليس بقتال
أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقوله يغط من غط البعير : هدر فى الشقشقة . والبكر : الفتى من الابل . الخناق : ما يخنق به كالحبل ونحوه .

ومصب هذا الاعتراض أن الظاهر هنا أن الاستفهام المراد به انكار أن يكون هو فاعل القتل لا إنكار القتل نفسه ، فقد وليت الهمزة غير المنكر أيضا فى هذا المثال .

هذا ومن مجىء الاستفهام للأنكار قولك : أتسىء لمن أحسن اليك ؟ ، وقوله تعالى : أتعبدون ما تنحتون ؟ وقول البحترى .

أأكفرك النعماء عندى وقد نمت على نمو الفجر والفجر ساطع

وقول المتنبى :

أتلتمس الأعداء بعد الذى رأت قيام دليل أو وضوح بيان =

لانا نقول ليس ذلك معناه ، لانه قال والمشرفى مضاجعى ؛ فذكر ما يكون منعا من الفعل ، والمنع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزاً منه

ومنها التهكم :

نحو « أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء [1] »

=وقد يجىء الاستفهام للنفى كقوله تعالى « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » ، وقول البحترى :

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها وشيكا وإلا ضيقة وانفراجها

وقول الآخر :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضى بما كان فيها من بلاء ومن خفض

ملاحظة : التوبيخ يشارك التكذيب فى النفى ، ويختلفان فى توجه النفى : فى التوبيخ لغير مدخول الهمزة وهو الأنبغاء ومدخولها واقع أو كالواقع ، وفى التكذيب يتوجه لنفس مدخولها فمدخولها غير واقع

(١) فالاستفهام عن كون صلاته آمرة له بذلك يناسب ادعاء ان المخاطب معتقد له وادعاء اعتقاده إياه يناسب الاستهزاء والتهكم وبالجملة استعلام هذه الحال منه يناسب التهكم به .

وإسناد الأمر الى ضمير الصلاة مجاز عقلى باعتبار الاسناد للسبب فى الجملة . أما أداة الاستفهام واستعمالها هنا فى التهكم فذلك من باب المجاز المرسل الذى علاقته اللزوم لأن الاستفهام عن الشىء يقتضى الجهل به وبفائدته والجهل بذلك يقتضى الاستخفاف به .

كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة وكان قومه إذا رأوه يصلى تضاحكوا فقصدوا بقولهم : أصلاتك تأمرك ؟ ، الهزء والسخرية لاحقيقة الاستفهام

ومنها التحقير (١) :

كقولك : من هذا ؟ وما هذا ؟

ومنها التهويل (٢) .

كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما . « ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون» بلفظ الاستفهام ، لما وصف الله تعالى العذاب بانه مهين لشدته وفظاعة شأنه . أراد أن يصور كنهه ، فقال

---

(١) راجع ١٣٥ من المفتاح - والتحقير عد الشيء حقيرا . أما الاستهزاء فعدم المبالاة به وان كان كبيرا فى نفسه ؛ وربما اتحدا محلا وان اختلفا مفهوما . واستعمال الاستفهام فيه مجاز مرسل علاقته اللزوم لأن الاستفهام عن الشيء يقتضى الجهل به وهذا يقتضى عدم الاعتناء به وتحقيره لأن الحقير لا يلتفت اليه فلا يعلم والاولى أن يكون من الكناية أو من مستتبعات التراكيب . ومن مثل التحقير قول الشاعر :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر اطنين أجنحة الذباب يضير

وقوله :

من أية الطرق يأتى مثلك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم

ونحوه :

فما أنتم إنانسينا من أنتم وريحكم من أى ريح الأعاصر

ونحوه :

من علم الاسود الزنجى مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد

أم أذنه فى يد النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود

(٢) راجع ٨٢ من المفتاح ، واستعمال الاستفهام فى التهويل مجاز مرسل علاقته المسببية أو اللزوم على ما أرى .

من فرعون [١] أى أتعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبره ؛ ماظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ، ثم عرف حاله بقوله إنه كان عاليـــا من المسرفين [٢]

ومنها الاستبعاد [٣] .

نحو « أنى لهم [٤] الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا : معلم مجنون ؟

(١) فرعون مبتدأ ولفظ الاستفهام خبر أو بالعكس على اختلاف الرأيين فى الاسم بعد من الاستفهامية ، فالاخفش يذهب الى الاول وسيبويه الى الثانى

(٢) فلا معنى لحقيقة الاستفهام هنا وهو ظاهر بل المراد أنه تعالى لما وصف العذاب بالشدة والفظاعة زادهم تهويلا بقوله «من فرعون؟» أى هل تعرفون من هو فى جبروته وطغيانه فما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ولهذا قال « انه كان عاليا من المسرفين » زيادة فى تعريف حاله وتهويل عذابه .

(٣) أى عد الشىء بعيدا . والفرق بينه وبين الاستبطاء أن متعلقه غير متوقع والاستبطاء متعلقه متوقع غير أنه بطىء . واستعمال الاستفهام فى الاستبعاد مجاز مرسل علاقته المسببية أو اللزومية .

(٤) فلا يجوز حمل الاستفهام هنا على حقيقة الاستفهام وهو ظاهر. بل المراد استبعاد أن يكون لهم الذكرى بقرينة قوله تعالى « وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه » أى كيف يذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم ما هو أعظم وادخل فى وجوب الاذكار ، من كشف الدخان وماظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وأعرضوا عنه . هذا ومن مثل خروج الاستفهام الى الاستبعاد قول ابن الفارض : =

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعا :

كقوله تعالى : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون . أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبىء عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يحمله يأبى أن يكفر ، وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ونظيره « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب »[1]

= أين منى مارمت هيهات بل أين لعينى باللحظ لثم ثراكا . وقول مهيار :

وأبى كسرى علا إيوانه أين فى الناس أب مثل أبى

وقول الآخر :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

وقول أبى تمام :

من لى بانسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه

(١) الحاصل أن كلمة الاستفهام اذا امتنع حملها على حقيقته تولد منه بمعونة القرائن ما يناسب المقام ولا ينحصر فيما ذكره الخطيب من المعانى بل حكم ذوقك فسترى أن الاستفهام يخرج الى معان كثيرة .

كالتحسر مثل قول البارودى

يا دهر فيم فجعتنى بخليلة كانت خلاصة عدتى وعتادى

وقول الشاعر :

يا دار أين الساكنون وأين ذيا ك البهاء وذلك الاعظام

يا دار أين زمان ربعك مونق وشعارك الاجلال والاكرام =

[ثالثا — الأمر]

ومن أنواع الانشاء [الطلبى] الأمر :

والأظهر [1] أن صيغته — من المقترنة باللام نحو ليحضر زيد ، وغيرها نحو : أكرم عمرا ، وروید بكرا [2] — موضوعة لطلب

= وكالتمنى مثل :

هل بالطلول لسائل رد أم هل لها بتكلم عهد

وكالتوبيخ مثل قول شوقى :

إلام الخلف بينكم إلاما وهذى الضجة الكبرى علاما

ونحوه : حتى متى انت فى لهو وفى لعب والموت نحوك يهوى فاتحا فاه

وكالتعظيم مثل قوله تعالى : من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ؟ وقول الشاعر :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وقوله: من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تبع فى حمير

(١) راجع الكلام على الامر فى المفتاح ص ١٣٧ .

هذا والمراد بالامر الأمر اللفظى — لأن الكلام فى الأنشاء وهو لفظى — لا فى الامر النفسى .

والأمر هو طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء بأن يعد المتكلم نفسه عاليا — وذلك بأن يكون كلامه على جهة القوة لا التواضع . والمراد بالطلب الطلب اللفظى فقط ، والمراد طلب فعل من حيث أنه فعل فدخل فيه : كف عن اللعب ، وخرج عنه لاتلعب مثلا .

وصيغة الأمر تنحصر فى معان كثيرة : فاختلفوا فى حقيقته الموضوعة هى لها اختلافا كثيرا ، ولما لم تكن الدلائل مفيدة للقطع بشىء قال الخطيب « والأظهر الخ »

(٢) فصيغة الأمر على ما أشار إليه هنا هى : فعل الأمر — اسم فعل الأمر - المضارع المقرون بلام الأمر - المصدر النائب عن فعل الامر نحو وبالوالدين احسانا =

الفعل [١] استعلاء ، لتبادر الذهن عند سماعها [٢] الى ذلك [٣] وتوقف ماسواه على القرينة

قال السكاكى [٤] . ولاطباق أئمة اللغة على إضافتها الى الأمر ، بقولهم : صيغة الأمر ، ومثال الأمر ، ولام الأمر [٥]

وفيه [٦] نظر لا يخفى على المتأمل

∴

= فالمراد بصيغته مادل على طلب فعل غير كف استعلاء ، سواء كان اسما أو فعلا ويخرج بالاستعلاء التمنى والعرض والاستفهام . والاستعلاء طلب العلو بمعنى عد الآمر نفسه عاليا باظهار الغلظة سواء كان عاليا فى نفسه أم لا ويخرج بالاستعلاء الدعاء والالتماس - هذا والأمر يشترط فيه الاستعلاء أما التمنى والعرض والاستفهام ففيها طلب على جهة الاستعلاء ولكن لايشترط فيها الاستعلاء

(١) أى ولو ندبا فهى عند المصنف موضوعه للقدر المشترك بين الوجوب والندب والجمهور على أنها حقيقة فى الوجوب

(٢) أى سماع صيغة الأمر

(٣) أى الى ذلك المعنى أعنى الطلب استعلاء ولو على سبيل الندب ، والتبادر الى الفهم اقوى امارات الحقيقة

(٤) ١٣٧ من المفتاح .

(٥) أى دون أن يقولوا صيغة الاباحة أولام الاباحة مثلا ، وهذا مما يؤيد كونها حقيقة فى الطلب على سبيل الاستعلاء لأنه حقيقة الأمر

(٦) اى فى كلام السكاكى ووجه النظر هو اننا لانسلم أن الأمر فى قولهم صيغة الأمر مثلا بمعنى طلب الفعل استعلاء ، بل الأمر فى عرفهم حقيقة فى نحو قم وليقم ونحو ذلك ، واضافة الصيغة والمثال الى الأمر من اضافة العام الى الخاص

ثم إنها ـ أعنى صيغة الأمر ـ قد تستعمل فى غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام.

كالاباحة [1].

كقولك فى مقام الاذن جالس الحسن أو ابن سيرين؛ ومن أحسن ما جاء فيه قول كثير.

= بدليل أنهم يستعملون ذلك فى مقابلة صيغة الماضى والمضارع وأمثالهما. ويمكن أن يجاب على هذا بأنا سلمنا ذلك لكن تسميتهم نحو قم وليقم أمرا دون أن يسموه إباحة مثلا مما يؤيد ذلك فى الجملة وإن لم يصلح دليلا عليه.

هذا والخلاصة أن الخطيب والسكاكى يريان ان صيغة الامر للقدر المشترك بين الوجوب والندب، وهذا موضع اختلاف بين الاصوليين: فقيل هى للوجوب وقيل هى للندب وقيل للقدر المشترك بينها وهو الطلب المشترك بينهما وقيل هى مشتركة بينهما لفظا وقيل بالتوقف بين كونها للقدر المشترك بينهما وهو الطلب وبين الاشتراك اللفظى وقيل هى مشتركة بين الوجوب والندب والاباحة موضوعة لكل منها وقيل هى للقدر المشترك بين الثلاثة وهو الأذن. ويرى السيد فى حاشيته على المطول أن كلام السكاكى فى المفتاح يدل على ان الطلب على جهة الاستعلاء لايتناول الندب.

(١) خروج صيغة الأمر الى غير معناها إما أن يكون لعلاقة مع قرينة مانعة فيكون مجازا أو غير مانعة فيكون كناية

فاذا استعملت صيغة الأمر فى غير طلب الفعل استعلاء ـ سواء كان الغير طلبا على جهة غير الاستعلاء أو كان غير طلب ـ كان ذلك من خروج صيغة الأمر عن غير معناها لغرض بلاغى.

وراجع فى هذا ١٣٢ و ١٣٧ من المفتاح =

أسيئى بنا أواحسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت [1]

أى لا أنت ملومة ولا مقلية ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الامر حتى كانه مطلوب ، أى مهما اخترت فى حقى من الاساءة والاحسان فانا راض به غاية الرضا فعاملينى بهما وانظرى هل تتفاوت حالى معك فى الحالين

والتهديد [2] كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته: اشتم مولاك وعليه اعملوا ماشئتم .. والتعجيز [3]:

= هذا وخروج صيغة الأمر الى الاباحة اذا استعملت الصيغة فى مقام توهم السامع فيه حظر شىء عليه . والعلاقة بين الطلب والاباحة اشتراكهما فى مطلق الاذن فهو من استعمال اسم الأخص فى الأعم . هذا ولايجوز الجمع بين الأمرين فى التخيير دون الأباحة فيجوز الجمع بينهما كما يجوز عدم الاتيان بشىء منهما

(١) ملومة بالرفع خبر مبتدأ محذوف أى لا أنت ملومة مقلية : من القلى وهو البغض . وتقلت . أبغضت وهو التفات من الخطاب الى الغيبة

والبيت من قصيدة لكثير فى زهر الآداب [٧٠ و ٧١ / ٢ زهر] ، وهو فى العقد ص ١١٦ ج ٢ ، وفى المفتاح ص ١٢٩

هذا وصيغة الأمر هنا للأباحة وأو قرينة

(٢) والعلاقة بين الطلب والتهديد ما بينهما من شبة التضاد ، ومجيئها للتهديد اذا استعملت الصيغة فى مقام عدم الرضا بالمأمورية .

وراجع فى ذلك المفتاح ص ١٢٢ — والتهديد التخويف وهو أعم من الانذار لأن الأنذار ابلاغ مع تخويف وفى الصحاح : الانذار تخويف مع دعوة ، فالأنذار على ما فى الصحاح ، لايكون إلا من رسول وعلى ما قبله يكون من الرسول وغيره وعلى الرأيين فالانذار أخص من التهديد

(٤) والعلاقة بين الطلب والتعجيز ما بينهما من شبه التضاد فى متعلقهما فان =

كقولك لمن يدعى أمراً تعتقد أنه ليس فى وسعه : افعله وعليه : « فأتوا بسورة من مثله [1] »

والتسخير

= التعجيز فى المستحيلات والطلب فى الممكنات .. وتستعمل صيغة الأمر للتعجيز فى مقام إظهار عجز من يدعى أن فى وسعه أن يفعل ما يعجز عن فعله

هذا ومن خروج صيغة الأمر للتعجيز قوله تعالى :

« يامعشر الجن والأنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان .

وقول الشاعر :

أرونى بخيلا طال عمراً ببخله وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

وقول الشاعر :

فارفع بكفك إن أردت بناءنا ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقول الآخر :

أرينى جوادا مات هزلا لعلنى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

ومن خروج صيغة الأمر للتهديد قوله تعالى : قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار وقوله تعالى : اعملوا ما شئتم ، وقوله ص : اذا لم تستح فاصنع ماشئت .

(١) أذ ليس المراد طلب اتيانهم بسورة من مثله لكونه محالا .

والظرف أعنى قوله .. « من مثله » متعلق ب « فأتوا » والضمير لعبدنا أو صفة لسورة والضمير لما نزلنا أو لعبدنا .

فان قيل : لم لا يجوز على الأول أن يكون الضمير لما نزلنا ؟

فالجواب : أن ذلك يقتضى ثبوت مثل القرآن فى البلاغة بشهادة الذوق ، اذ أن التعجيز على هذا الاحتمال إنما يكون عن المأتى به وهو السورة أى عن الاتيان بها مع وجود المأتى منه وهو المثل ، فكأن مثل القرآن ثابت =

نحو . « كونوا قردة خاسئين »[١]

والأهانة[٢] .

نحو كونوا حجارة أو حديدا ، وقوله تعالى : ذق أنك أنت العزيز الكريم

والتسوية[٣] :

لكنهم عجزوا عن أن يأتوا من المثل بسورة بخلاف ما إذا كان وصفاً للسورة فان المعجوز عنه هو السورة الموصوفة باعتبار انتفاء الوصف .

فان قيل فليكن التعجيز على احتمال جعل الظرف متعلقا بفأتوا واعادة الضمير لما نزلنا - باعتبار انتفاء المأتى به منه ؛ فيجعل التعجيز لا باعتبار انتفاء المأتى به لا باعتبار انتفاء المأتى منه وهو المثل

قلنا : هذا احتمال عقلى لا يسبق إلى الفهم ولا يوجد له مساغ فى اعتبارات البلغاء واستعمالاتهم فلا اعتداد به هنا . وللطيبى كلام هنا طويل لا طائل تحته .

(١) والعلاقة هنا السببية . والتسخير جعل الشىء مسخرا منقادا لما أمر به . وذلك فى مقام يكون فيه منقادا للامر بدون قدرة له والعلاقة هنا السببية وتحتمل أن تكون المشابهة فى مطلق الالزام .

(٢) والعلاقة هنا اللزوم لأن طلب الشىء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع كونه من الاحوال المهينة يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين التسخير والأهانة أنه فى التسخير يحصل الفعل المأمور به وفى الأهانة لا يحصل الفعل إذ ليس الغرض ان يطلب منهم كونهم قردة أو حجارة لعدم قدرتهم على ذلك بل المقصود قلة المبالاة بهم

(٣) والعلاقة هنا التضاد ، وقيل ان صيغة التسوية اخبار لا إنشاء وأفادة صيغة الأمر للتسوية فى مقام توهم رجحان احد الأمرين على الآخر . فى الأباحة كأن =

كقوله : أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم . وقوله : اصبروا أو لا تصبروا

والتمنى (١) . كقول امرىء القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى [بصبح ، وما الاصباح منك بأمثل]

= المخاطب توهم ان الفعل محظور عليه فأذن له فى الفعل مع عدم الحرج فى الترك ، وفى التسوية كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك انفع له وراجح بالنسبة اليه فدفع ذلك وسوى بينهما .

(١) والعلاقة هنا السببية أو الضاد أيضا والتمنى يكون فى مقام طلب شىء محبوب لاقدرة للطالب عليه وذلك فى مخاطبة مالا يعقل ، ومثل البيت قول الشاعر

ياقطر عم دمشق واخصص منزلا فى قاسيون وحله بنبات

وقول ابن زيدون :

ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا من لو على البعد حي كان يحيينا

وقول المعرى :

فيا موت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدى إن دهرك هازل

وهنا اعراض وهو ان التمنى من أقسام الطلب فكيف يكون الأمر إذا كان لاطلب فيه للتمنى والجواب أن الأمر هنا لم يخرج الى إفادة عدم الطلب أصلا بل إلى إفادة الطلب لا على سبيل الاستعلاء ، وقال السيد فى الجواب : « كأنه أراد أن القسم الأول وهو أن لا يفيد الطلب المعتبر فى الامر أصلا أعنى ما يستدعى إمكان المطلوب وما لا يفيد هذا الطلب أصلا جاز أن يفيد نوعاً آخر من الطلب فلا إشكال » .

والدعاء[1] إذا استعملت فى طلب الفعل على سبيل التضرع نحو :

رب اغفرلى ولوالدى

والالتماس : إذا استعملت فيه على سبيل التلطف ، كقولك لمن يساويك فى الرتبة : أفعل، بدون الاستعلاء

والاحتقار[2]

---

(١) أى الطلب على سبيل التضرع واختيار السبكى أن استعمال الطلب فيه حقيقة لا مجاز وكذلك الالتماس .

(٢) هو والأهانة قريبان من بعض فما قيل هناك فى مقام التجوز وعلاقته يقال هنا .

هذا من خروج صيغة الأمر للدعاء قول الشاعر .

أسلم يزيد فى الدين من أود اذا سلمت ، وما فى الملك من خلل

وللارشاد .

كذا فليسر من طلب الأعادى : ومثل سراك فليكن الطلاب

وقول أبى العتاهية

واخفض جناحك إن منحت إمارة وارغب بنفسك عن ردى اللذات

وقول الارجانى .

شاور سواك إذا نابتك نائبة يوماً وإن كنت من أهل المشورات

وللالتماس قول الشاعر .

عرج على الزهر يا نديمى ومل إلى ظله الظليل

وقول ابن زيدون .

دومى على العهد ما دمنا محافظة فالحر من دان إنصافاً كما ديناً

أولى وفاء وإن لم تبذلى صلة فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا =

نحو ، ألقو ما أنتم ملقون ،

ثم الأمر قال السكاكى حقه الفور

[أولا] — لأنه الظاهر من الطلب [١]

[وثانيا] — ولتبادر الفهم عند الأمر بشىء بعد الأمر بخلافه الى تغيير الأمر الأول دون الجمع وارادة التراخى [٢]

والحق خلافه لما تبين فى أصول الفقه [٣]

[رابعا — النهى] [٤]

= هذا ويرد الأمر للنهى أيضاً . قال الجاحظ . قال رجل لابنه إذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخا من قدماء جيرانك ، فقال يا أبت لو كنت اذا خاصمت جارى لم يعرف عيبى غيرى كان ذلك رأيا ، قال الجاحظ وقد أخطأ الذى صنع هذا الحديث لأن أباه نهاه ولم يأمره [١٢٥ ج ٣ بيان] .

(١) كما فى الاستفهام والنداء فانه لاخفاء فى أنهما يقتضيان الفور — وراجع كلام السكاكى فى المفتاح ص ١٣٧ .

(٢) فان المولى اذا قال لعبده : قم ثم قال له قبل ان يقوم : اضطجع حتى المساء ، يتبادر الفهم الى أنه غير الأمر بالقيام الى الأمر بالاضطجاع ولم يرد الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخى أحدهما .

(٣) وذلك لانا لانسلم ماقاله السكاكى عند خلو المقام عن القرائن . والحاصل ان الفورية والتراخى انما يستفادان من القرائن فاذا انتفت كان المراد طلب الماهية مطلقا . فعند خلو المقام من القرائن لايكون مفهوم الأمر الا الطلب استعلاء ، والفور والتراخى مفوض إلى القرائن كالتكرار وعدمه فانه لادلالة للأمر على شىء منهما

(٤) راجع ١٣٧ من المفتاح - والنهى هو طلب الكف عن الفعل استعلاء =

ومنها النهى [١]

وله حرف واحد ، وهو « لا » الجازمة فى نحو قولك : لا تفعل .

وهو كالأمر فى الاستعلاء [٢]

وقد يستعمل فى غير طلب الكف [٣] أو الترك [٤]

كالتهديد [٥] كقولك لعبد لا يمتثل أمرك لا تمتثل أمرى [٦]

= والمراد بالطلب الطلب اللفظى. هذا وقد اختلف فى النهى هل هو للحرمه او للكراهه او للقدر المشترك بينهما ، فالاول هو قول الجمهور ، والأخير قول الشارح . ولكن النهى يقتضى الفور بلا خلاف .

(١) اى من انواع الانشاء الطلبى . (٢) لأنه المتبادر الى الفهم

(٣) اى عن الفعل كما هو مذهب الاشاعره .

(٤) كما هو مذهب المعتزلة الذين يقولون ان مدلوله عدم الفعل وهو المعبر عنه بالترك .

فقد اختلف الاصوليون فى ان مقتضى النهى كف النفس عن الفعل بالاشتغال باحد أضداده ، أو ترك الفعل وهو نفس ان لا تفعل أى نفس عدم الفعل

(٥) والعلاقه بين النهى والتهديد السببيه أو استلزام النهى للتهديد

(٦) ويخرج ايضا الى الدعاء والالتماس اذ فيهما طلب كف لا على وجه الاستعلاء والعلاقة الاطلاق . .

ومثال خروج النهى للدعاء قوله تعالى : ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا والالتماس كقول المعرى :

لا تطويا السرعنى يوم نائبة فان ذلك ذنب غير مغتفر

وقول ابن زيدون :

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ان طالما غير النأى المحبينا

كما يخرج الى الارشاد والتمنى والتوبيخ والتهديد والتحقير وسوى ذلك

(٧)

واعلم [١] أن هذه الأربعة ـ أعنى التمنى والاستفهام والأمر والنهى ـ تشترك فى كونها قرينة دالة على تقدير الشرط [٢] بعدها ، كقولك ليت لى مالا أنفقه أى إن أرزقه وقولك أين بيتك أزرك أى أن تعرفنيه وقولك أكرمنى أكرمك أى إن تكرمنى ، قال الله تعالى : فهب لى من لدنك وليا يرثنى ، بالجزم ، فاما قراءة الرفع : فقد حملها الزمخشرى على الوصف ، وقال السكاكى الأولى حملها على الاستئناف دون الوصف لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما السلام واراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله ، فكأنه لما قال فهب لى

---

(١) راجع ١٣٣ و١٣٧ و ١٣٨ من المفتاح

(٢) اى فعل الشرط أى مع الاداة — ويطلق الشرط أيضا على الاداة وعلى التعليق .

فاذا قصدت السببيه وجب الجزم وإلا وجب الرفع على الصفة أو الحال أو الاستئناف على حسب المعنى المراد .

وسر جواز تقدير الشرط بعد هذه الاربعة أن الحامل للمتكلم على الكلام الطلبى كون المطلوب مقصودا للمتكلم إما لذاته أو لغيره لتوقف ذلك الغير على حصوله ، وهذا معنى الشرط ، فاذا ذكرت الطلب وذكرت بعده ما يصلح توقفه على المطلوب غلب على ظن المخاطب كون المطلوب مقصودا لذلك المذكور بعده لا لنفسه ، فيكون اذا معنى الشرط — وهو توقف الشىء على الشىء — ظاهرا فى الطلب — اى فى الكلام الطلبى — مع ذكر ذلك الشىء . ولما جعل النحاه الاشياء التى يضمر حرف الشرط بعد هاخمسة اشياء أشار المصنف الى ذلك بقوله « واما العرض فولد من الاستفهام »

وليا قيل ما تصنع به ؟ فقال : يرثنى ، فلم يكن داخلا فى المطلوب بالدعاء ، وقولك : لا تشتم يكن خيرا لك أى إن لا تشتم

وأما العرض كقولك لمن تراه لا ينزل : الا تنزل تصب خيرا أى إن تنزل فمولد من الاستفهام وليس به لأن التقـــدير أنه لا ينزل فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال [١] ... وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقرينة جائز أيضا كقوله تعالى : « فالله هو الولى [٢] » أى إن أرادوا وليا بالحق فالله هو الولى لاولى سواه [٣] ، وقوله : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله [بما خلق] ، أى لو كان معه اله اذا الذهب

---

(١) فالعرض مولد من الاستفهام وليس شيئا آخر برأسه لأن الهمزة فيه للاستفهام دخلت على فعل منفى امتنع حمله على حقيقة الاستفهام للعلم بعدم النزول مثلا ، فتولد عنه بمعونة قرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلبه منه

(٢) راجع ١٢١ و١٣٨ من المفتاح

(٣) وقيل لاشك ان قوله « ام اتخذوا من دونه اولياء » انكار وبيخ بمعنى أنه لاينبغى أن يتخذ من دونه أولياء وحينئذ يترتب عليه قوله تعالى « فالله هو الولى » من غير تقدير الشرط كما يقال لاينبغى ان يعبد غير الله فالله هو المستحق للعبادة.

والفاء على الوجه الاول رابطة لجواب شرط مقدر وعلى الثانى للتعليل للنفى

ويرد على الرأى الثانى أنه ليس كل ما فيه معنى الشىء حكمه حكم ذلك الشىء والطبع المستقيم شاهد صدق على صحة قولنا « لاتضرب زيد فهو أخوك » بالفاء بخلاف أتضرب زيدا فهو اخوك » استفهام انكار فانه لايصح الا بالجملة الحالية

[خامسا ـ النداء (١)]

ومنها النداء . (٢)

وقد تستعمل صيغته فى غير معناه (٣)

كالاغراء (٤)

فى قولك لمن أقبل يتظلم : يامظلوم

والاختصاص (٥)

---

(١) راجع ١٣٨ من المفتاح

(٢) أى من انواع الانشاء الطلبى

والنداء طلب الاقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظا أو تقديرا ـ اى طلب المتكلم اقبال المخاطب حسا أو معنى والمراد بالطلب الطلبى اللفظى لأنه هو الذى من أقسام الأنشاء .

فمفاد حرف النداء ومدلو له « أدعو » ولذلك لايجزم الفعل بعده وجوبا ، وأما الاقبال فهو مطلوب باللزوم فالنداء من أقسام الطلب لدلالته على طلب الاقبال لزوما . وحروفه : أيا وهيا للبعيد وما نزل منزلته ـ وأى والهمزة لنداء القريب وما هو بمنزلته ـ ويا قيل هى حقيقة فى البعيد ومجاز فى القريب وقيل حقيقة فى القريب والبعيد وهذا رأى ابن الحاجب والأول للزمخشرى

(٣) أى فى غير معناه الاصلى وهو طلب الأقبال

(٤) راجع ١٣٣ من المفتاح ـ والاغراء هو الحث على لزوم الشىء ، فقولك للمظلوم يامظلوم تقصد اغراءه وحثه على زيادة التظلم وبث الشكوى . ولست تقصد بذلك طلب إقباله لأن الاقبال حاصل : فيكون اللفظ الموضوع لطلب الاقبال مستعمل فيه على المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق والتقييد .

(٥) هو لغة قصر الشىء على الشىء واصطلاحا تخصيص حكم علق بضمير باسم ظاهر صورته صورة منادى أو معرف بأل أو بالاضافة أو بالعلمية .

فى قولهم : أنا أفعل كذا أيها الرجل [١] ؛ ونحن نفعل كذا أيها القوم ، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة ، أى متخصصا من بين الرجال ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب

[وقوع الخبر موقع الانشاء [٢]]

ثم الخبر قد يقع موقع الانشاء [٣] إما : للتفاؤل [٤] ، أو لاظهار

---

(١) فأى مبنى على الضم فى محل نصب مفعول لمحذوف وجوباً أى أخص والرجل نعت لأى باعتبار لفظها والجملة فى محل نصب على الحال ، فقولك أنا أكرم الضيف أيها الرجل أفاد فيه قولنا أيها الرجل تخصيص الرجل بالاكرام الذى نسب لمدلول أنا وهو المتكلم ويلاحظ أن المجاز فى أيها ونسب إلى حرف النداء لأن « أيا » نزلت منزلة أدواته لكثرة استعمالها مع أدوات النداء فقولنا « أيها الرجل » أصله تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك، فهو على المجاز المرسل لعلاقة الاطلاق والتقييد ، فليس المراد بأى وبوصفه هو المخاطب بل مادل عليه ضمير المتكلم ، فأيها مضموم والرجل مرفوع والمجموع فى محل النصب على أنه حال ، ولهذا قال « أى متخصصاً » أى مختصاً من بين الرجال .

هذا وقد تستعمل صيغة النداء فى الاستغاثة نحو « يا لله » مجازا مرسلا من استعمال ما للأعم فى الأخص .

وفى التعجب نحو يالله مجازا مرسلا لعلاقة المشابهة .

وفى التحسر والتوجع لذلك كما فى نداء الاطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك.

(٢) راجع ١٣٨ و ١٢٩ من المفتاح.

(٣) مجازا مرسلا فى استعمال الماضى فى الطلب والعلاقة الضدية ، أو مجازا لاستعارة لتشبيه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو للحرص على وقوعه. أما =

الحرص فى وقوعه كمامر [١] ؛ والدعاء بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الوجهين [٢]

أو للاحتراز عن صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حول عنه وجهه : ينظر المولى إلى ساعة [٣]

أو لحمل المخاطب على المطلوب ؛ بأن يكون المخاطب ممن لا يحب ان يكذب الطالب [٤] . أو لنحو ذلك [٥]

= استعمال المستقبل فى الطلب فيجوز أن يجعل مجازا ويجوز أن يجعل كناية بأن يقال حصول الفعل فى الاستقبال لازم لطلب الفعل فى الحال فذكر اللازم وأريد الملزوم ، وقد منع السبكى أن يكون كناية لأنه فيها يكون خبرا لفظا ومعنى مع أنه إنشاء بصيغة الخبر

(٤) بلفظ الماضى دلالة على أنه كائنه وقع نحو وفقك الله للتقوى

(١) أى فى بحث الشرط من أن الطالب اذا عظمت رغبته فى شىء يكثر تصوره إياه فربما يخيل اليه حاصلا نحو رزقنى الله لقاءك .

(٢) اى التفاؤل واظهار الحرص . وأما غير البليغ فهو ذاهل عن هذه الاعتبارات

(٣) فلا يكون هذا ومابعده بلفظ الماضى بل بلفظ المضارع

فالمتكلم يقول « ينظر » دون انظر لأنه فى صورة الامر وان قصد بذلك الأمر الدعاء أو الشفاعة

(٤) اى ينسب الى الكذب ، كقولك لصديقك الذى لا يحب تكذيبك « تأتينى غدا » مقام « أنتنى » تحمله بألطف وجه على الأتيان لأنه اذا لم يأتك غدا صرت كاذبا من حيث الظاهر لكون كلامك فى صورة الخبر وان كان من حيث نفس الامر لا كذب لان كلامك فى المعنى انشاء . هذا واستعمال الخبر فى الصور الاربعه مجاز مرسل ، ويحتمل ان يكون كناية فى الصورتين الأخيرتين ، والعلاقه فى الأولين الضدية مجازا مرسلا ، فالوجهان الأخيران اللذان بصورة المضارع (الاحتراز عن صورة الأمر - وحمل المخاطب على المطلوب) يحملان على =

تنبيه

ماذكرناه فى الأبواب الخمسة السابقة (١) ليس كله مختصاً بالخبر ، بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الخبر يظهر ذلك بأدنى تأمل فليعتبره الناظر (٢) .

[والله أعلم]

= الكنايه، وجعل السكاكى الوجه الثالث هو لقصد الكناية قال، «ووجه حسنه اما نفس الكناية ان شئت واما الاحتراز عن صورة الأمر وإما هما معا» ١٢٩ من المفتاح ،

(٥) كالقصد الى المبالغة فى الطلب حتى كان المخاطب سارع فى الامتثال ، وكالقصد الى استعجال المخاطب فى تحصيل المطلوب ، وكالتنبيه على كون المطلوب قريب الوقوع فى نفسه لقوة الاسباب المتآخذة فى وقوعه ونحو ذلك من الاعتبارات

هذا وقد يقع الأنشاء موقع الخبر لأغراض منها :

الاهتمام بالشىء كقوله تعالى « قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » عدل فيه عن الخبر اهتماما بأمر الصلاة

وكالرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب كقوله (ص) : من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار »

وكالاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق كقوله تعالى : وقال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه ، عدل فيه عن: واشهدكم ، فرارا من مساواة شهادتهم بشهادته

(١) الأسناد - المسند إليه - المسند - متعلقات الفعل - القصر

(٢) مثلا الكلام الانشائى اما مؤكد أو غير مؤكد ، والمسند إليه فيه إما محذوف او مذكور إلى غير ذلك .

« والله أعلم »

الوصل والفصل

القول فى الوصل والفصل [١]

[ماهو الوصل والفصل ؟]

الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه [٢] وتمييز موضع أحدهما من موضع الاخر على ماتقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ، ولا يحيط علما بكنهه ، إلا من أوتى فى فهم كلام العرب طبعاً سليما ، ورزق فى إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً ، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل

---

(١) راجع الباب فى ١٠٨ من المفتاح ، ١٧٠ ومابعدها من الدلائل

هذا وبحوث هذا الباب تتلخص فيما يلى .

التعريف — حكم المفردات — حكم الجمل التى لامحل لها من الاعراب — حكم الجمل التى لها محل من الأعراب — محسنات الوصل — الجامع — الجملة الحالية

(٢) خص الجمل لأنها أكثر أحكاما وان كان الوصل والفصل يجريان أيضا فى المفردات فان وجد الجامع بينهما فالوصل والا فالفصل

وقوله « والفصل تركه » اى ترك عطف بعض الجمل على بعض مما شأنها العطف فلا يقال لترك عطف الجملة الحالية فصل — والترك مشعر بالقصد وهو المناسب للأحوال البلاغية .

هذا وفى مختصر السعد عقد الترجمة للباب هكذا « الفصل والوصل » ثم جاء التعريف مبتدأ بذكر الوصل ، فقالوا : بدأ بذكر الفصل لأنه الأصل والوصل عارض حاصل بزيادة حرف من حروف العطف ، لكن لما كان الوصل بمنزلة الملكة — التى هى عبارة عن الأمر الذى شأنه أن يقوم بالشىء باعتبار جنسه أو شخصه — والفصل بمنزلة عدم الملكة الذى هو نفى شىء عما من شأنه ان يتصف بذلك الشىء — وعدم الملكة إنما يعرف بعد معرفة الملكة بدأ فى التعريف بذكر الوصل .

من الوصل [١]؛ وما قصرها عليه لان الأمر كذلك، إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وان أحداً لا يكمل فيه الا كمل فى سائر فنونها فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه فى البيان فنقول والله المستعان

حكم المفردات والجمل التى لها محل من الاعراب

اذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الاعراب [٢] أولا. وعلى الاول [٣] أن قصد التشريك بينها وبين الثانية فى حكم الاعراب [٤] عطفت عليها [٥] وهذا كعطف المفرد على [٦] المفرد، لان الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تكون

---

(١) راجع ١٠٩ من المفتاح، ١٧٠ دلائل الاعجاز.

(٢) بان تكون فى محل رفع كالخبرية، أو نصب كالمفعولية، اوجر كالمضاف إليها — وقوله أولا أى لا محل لها من الاعراب كالجملة الاستئنافيه

(٣) اى على تقدير ان يكون للاولى محل من الاعراب

(٤) اى الذى للاولى مثل كونها خبر مبتدأ أو حالا أو صفة أو نحو ذلك

(٥) أى عطفت الثانية على الأولى ليدل العطف على التشريك المذكور.

(٦) فانه اذا قصد تشريك المفرد لمفرد قبله فى حكم اعرابه من كونه فاعلا أو مفعولا أو مجرورا بحرف كالذى قبله، وجب عطفه عليه فى الاستعمال الأغلب، وان كانوا قد اجازوا ترك العطف فى الاخبار والصفات المتعددة مطلقا قصد التشريك أولا، وأما الجمل فمتى قصد التشريك وجب العطف. والفرق بينهما أن الصفات المفردة كالشىء الواحد من الموصوف لعدم استقلالها بخلاف الجمل فهى لاستقلالها لا يدل على تعلقها بما قبلها الا العطف

واقعة موقع المفرد: فكما يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه [١] مقبولا فى المفرد ان يكون بين المعطوف والمعطوف عليه [٢] جهة جامعة [٣] كما فى قوله تعالى: يعلم ما يلج فى الارض ومايخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، يشترط فى كون العطف بالواو ونحوه مقبولا فى الجملة ذلك [٤]، كقولك زيد يكتب ويشعر [٥] أو يعطى ويمنع وعليه قوله تعالى: والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ولهذا عيب على أبى تمام قوله.

---

(١) اى نحو الواو مما يقتضى التشريك فى الحكم كالفاء وثم وحتى. وهذا خطأ لأن هذا الحكم مختص بالواو فقط ولايشاركها فيه شيء من حروف العطف.

(٢) مفردين أو جملتين.

(٣) اى وصف له خصوص يجمعها فى العقل أو الوهم أو الخيال ويقرب احدهما من الآخر.

(٤) اى وجود الجهه الجامعة.

(٥) لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر [جامع خيالى بين المسندين] مع اتحاد المسند إليه فى الجملتين، وكذلك بين يعطى ويمنع من التضاد مايجمع بينهما فى العطف بخلاف نحو زيد يكتب ويمنع أو يعطى ويشعر، وذلك اى اشتراط الجامع بينهما لئلا يكون الجمع عند انتفاء الجهة بالجامعة عبثا لاطائل تحته كالجمع بين الضب وهو حيوان برى والنون - اى الحوت - وهو حيوان بحرى. ومثل هذا قول الكميت:

أم هل ظعائن بالعلياء رافعة وان تكامل فيها الدل والشنب

لا والذى هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم (١)

إذ لا مناسبة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر

---

(١) راجع البيت وشرحه فى كتابى « شرح البديع لابن المعتز ص ٦١ »، وفى ٤٤٣ من الصناعتين، ٢٥ ج ٣ زهر الآداب، ١٧٣ من الدلائل، ١١٨ من المفتاح، ٢٢ ج ٣ ابن السبكى

والشاهد فيه عطف جملة «وان أبا الحسين كريم» على جملة «أن النوى صبر» مع عدم المناسبة الظاهرة بين كرم أبى الحسين ومرارة النوى. فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر لأن أن تؤول مع خبرها بمفرد مضاف لاسمها أو جعل عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولى عالم الذين اصلها المبتدأ والخبر، لأن وجود الجامع شرط فى عطف المفرد وعطف الجمله

والبيت من قصيدة لأبى تمام منها:

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا عنها طلال باللوى ورسوم

لا والذى البيت

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسى على إلف سواك تحوم

فقوله «لا» نفى لما زعمته الحبيبة من اندراس هواه بدلالة البيت السابق - وجواب القسم «لا والذى» هو قوله فى البيت الذى بعده «ما زلت عن سنن الوداد.

والصبر بكسر الباء: عصارة شجر مر

ملاحظات

١ - العطف بالفاء وثم وحتى فى المفردات والجمل لا يشترط فيه وجود الجهة الجامعة لأن هذا الشرط مختص بالواو لأن بكل حرف من هذه الحروف معنى محصلا غير التشريك والجمعية فان تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم يوجد جهة جامعة بخلاف الواو فليس بلازم فى الربط بغير الواو من حروف العطف إلا تحقق معنى الحرف كالتعقيب والتراخى ونحوهما فمتى تحقق معنى حرف العطف عطفت سواء كان المعطوف مفردا أو جملة وسواء كانت الجملة الأولى المعطوف=

وإن لم يقصد [1] ذلك ترك عطفها عليها كقوله تعالى واذا خلوا إلى

= عليها لها محل من الاعراب أم لا لأن معانى هذه الحروف جهة جامعة بنفسها فى غنى عن الجهة الجامعة الأخرى وإن كان مع ذلك لا ضير فى أن توجد جهة جامعة أخرى غير معانى هذه الحروف بل كثيراً ما يوجد ذلك فى أساليب البلغاء .

فالعطف بالواو لابد فيه من مناسبة خاصة (جهة جامعة) والعطف بغيرها لا يجب فيه ذلك وإن كان يكثر فيه ملاحظة تلك المناسبة الخاصة .

٢ - عطف المفردات غير الصفات بالواو يشترط فيه أمران :

قصد التشريك ووجود الجهة الجامعة

وقصد التشريك يفهم تغاير المعنى بين المفردات واختلافه اختلافاً مقصودا :

وذلك مثل الآية : يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، لما بينهما من التقابل بالتضاد فى الأولين، وعطف العارج فى السماء والنازل فيها كذلك .

٣ - المفردات الواقعة صفات الأصل فيها عند عدم تقابلها ترك العطف نظرا لأنها جارية على موصوف واحد مع تلاؤمها وتناسبها . وقد تعطف مع عدم التقابل الصفة على الأخرى .

أما إذا تقابلت الصفات فالواجب فيها العطف إلا إذا قصدت من الصفتين معنى واحدا .

وعلى اى حال فهذه الصفات من المفردات والحكم على أى حال فى الجميع لا يكاد يختلف .

٤ - الجمل متى كان للاولى منها (المعطوف عليها) حكم من الأعراب كان حكم العطف فيها كحكمه بين المفردات ، فمتى قصد التشريك ووجدت الجهة الجامعة فالوصل ، وإلا فالفصل .

(١) راجع ١٧٨ من الدلائل ، ١١٤ من المفتاح =

شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزىء بهم ، لم يعطف الله يستهزىء بهم على إنا معكم لأنه لو عطف عليه لكان من مقول المنافقين [١] وليس منه . وكذا قوله تعالى [٢] : واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ، وكذا قوله : واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن من السفهاء الا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

= وقوله إن لم يقصد ذلك ، أى لم يقصد تشريك الثانية للاولى فى حكم أعرابها سواء أكان بينهما جهة جامعة أم لا - ترك عطف الثانية على الأولى ، لئلا يلزم من العطف التشريك فى الحكم وهو ليس بمقصود بل المقصود الاستئناف .

(٣) فلو عطف عليه لزم تشريكه له فى كونه مفعول قالوا فيلزم أن يكون مفعول قول المنافقين وليس كذلك وإنما قال « على إنا معكم » دون « إنما نحن مستهزؤن » ، لأن قوله « إنما نحن مستهزؤن » عطف بيان لقوله « إنا معكم » فحكمه حكمه وأيضاً العطف على المتبوع هو الأصل وإن كان قد قيل إنه ليس فى « إنا معكم » إبهام واضح حتى يكون إنما نحن مستهزؤون بياناً لها بل هى تأكيد لها أو بدل اشتمال منها أو مستأنفة استئنافاً بيانياً ، ولعل المراد بالبيان هنا البيان اللغوى وهو الايضاح لا الاصطلاحى ، لكن كلام الشارح فى شرح المفتاح يقتضى أن المراد بالبيان الاصطلاحى .

هذا هو الحاصل أن الجملة التى لها محل من الأعراب إن لم يقصد تشريك الثانية للاولى فى حكم إعرابها وجب ترك العطف وإن قصد فان وجد الجامع عطفت وإلا فلا فالمعتبر هو الجامع فلو جعله محل التقسيم لكان أنسب لان منع العطف لعدم قصد التشريك تكفل به النحو .

(٢) راجع ٨٥ و ١١٤ من المفتاح فى الكلام على الآية .

[حكم الجمل التى لا محل لها من الاعراب [١]] :

وعلى الثانى [٢] إن قصد بيان ارتباط الثانية بالاولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطفت عليها [٣] بذلك الحرف [٤] فتقول : دخل زيد فخرج عمرو، إذا أردت أن تخبر أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة ، وتقول : خرجت ثم خرج زيد ، إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة [٥] ، وتقول يعطيك زيد دينارا أو يكسوك جبة ، إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحدا منهما لا بعينه، وعليه قوله تعالى : « سننظر أصدقت أم كنت الكاذبين [٦] »

---

(١) راجع ١٧٢ من الدلائل ، و ١٠٩ من المفتاح :

(٢) أى على تقدير أن لايكون للاولى محل من الاعراب .

(٣) أى عطفت الثانية على الاولى مطلقا فى الاحوال الستة الآتية (كمال الاتصال. كمال الانقطاع الخ) وسواء كان للاولى قيد قصد أعطاؤه للثانية أو قصد عدم إعطاؤه لها او لم يكن لها قيد أصلا .

(٤) أى العاطف من غير اشتراط أمر آخر - الجهة الجامعة —

(٥) هذا هو الاصل فى الفاء وثم . وقد تكون الفاء للتعقيب الذكرى ومنه عطف المفصل على المجمل ، وكذلك ثم قد تكون لاستبعاد مضمون ما بعدها عما قبلها أو لمجرد التدرج فى مدارج الكمال .

(٦) فعدم اشترط أمر آخر لصحة العطف بغير الواو فى — الفاء وثم ومثلهما حتى ولكن ولا وأو وبل - من الجهة الجامعة ، لأن ماسوى الواو من حروف العطف يفيد مع الاشتراك معانى محصلة مفصلة فى علم النحو ، فاذا عطفت الثانية على الأولى بذلك العاطف ظهرت الفائدة بدون توقف على شىء آخر ، فيحصل معانى =

وإن لم يقصد ذلك [1]

[١ —] فان كان للاولى حكم [2] ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل ، كقوله تعالى : « واذا [3] خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم » لم يعطف « الله يستهزىء بهم » على « قالوا » ، لئلا يشاركه فى الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله « وإذ خلوا الى شياطينهم » ، فان استهزاء الله تعالى بهم وهو أن خذلهم فخلاهم وماسولت لهم أنفسهم مستدرجا إياهم من حيث

= هذه الحروف؟ بخلاف الواو فانها لا تفيد إلا مجرد الاشتراك وهذا إنما يظهر فيما له حكم أعرابى كالمفردات والجمل التى لها محل إعرابى فاذا وجدت الجهة الجامعة - اى الوصف الخاص الذى يجمعها ويقرب احدهما من الآخر فى العقل أو الوهم أو الخيال — عطفت على بعض وإلا فلا ، وأما افادة الواو الاشتراك فى غير ماله حكم اعرابى ففيه خفاء وإشكال ودقة وهو السبب فى صعوبة باب الفصل الوصل

(١) راجع ١١٤ من المفتاح ، ١٧٩ من الدلائل . أى وان لم يقصد ربط الثانية بالاولى على معنى عاطف سوى الواو . وهذا يصدق بصورتين :

١ — ان لا يقصد ربط أصلا فيتعين الفصل وهو ظاهر .

٢ — ان لا يقصد اجتماع حصول مضمونهما خارجا لكن لا على معنى عاطف هو الواو وهذه الحالة الثانية هى التى فيها التفصيل المذكور .

(٢) اى قيد زائد على مفهوم الجملة كالاختصاص بالظرف فى الآية وكالتقييد بحال أو ظرف او شرط ، وليس المراد الحكم الاعرابى لأن أساس المسألة أن الاولى لا محل لها من الأعراب .

(٣) راجع ١١٠ من المفتاح و ١٨٨ من الدلائل فى الكلام على الآية .

لايشعرون ، متصل لاينقطع بكل حال : خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم [١] ، وكذلك فى الآيتين الأخيرتين [٢] : فانهم مفسدون فى جميع الأحيان - قيل لهم لاتفسدوا . أولا ' وسفهاء فى جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أولا :

[٢ -] وإن لم يكن للاولى حكم كما سبق [٣] :

فان كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس فى الفصل إيهام خلاف

---

(١) فان قيل : إذا شرطية لاظرفية فتقديمها لأن لها الصدارة لا للتخصيص قلنا :

١ - إذا الشرطية هى الظرفية فى الأصل استعملت استعمال الشرط

٢ - ولو سلم عدم كون الظرفية أصلا لها فلا ينافى ماذكرناه لأنه اسم فضلة معناه الوقت - مع كونه شرطا - فلا بدله من عامل وهو « قالوا إنا معكم » بدلالة المعنى ، بناء على ان العامل فى اذا الشرطية هو جوابها وهو مذهب الجمهور ، لاشرطها كما ذهب اليه الرضى وابو حيان . وإذا قدم متعلق الفعل وعطف عليه فعل آخر يفهم اختصاص الفعلين به كقولنا : يوم الجمعة سرت وضربت زيدا ، بدلالة الفحوى والذوق .

هذا والجواب الثانى قريب من الاول وانما يفترقان من جهة رعاية أصالة الظرفية له أو عدم أصالتها وهذا التفريق ليس له ثمرة .

(٢) وهما : قوله تعالى : وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون - وقوله تعالى : وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

(٣) وذلك بأن لايكون الاولى حكم زائد أى قيد زائد على مفهوم الجملة ، أو يكون ولكن قصد إعطاؤه للثانيه أيضا

المقصود كما سيأتى ، أو كمال الاتصال [١] أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى أو بمنزلة المتصلة بها ؛ فكذلك يتعين الفصل [٢] : أما فى الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمع بين الشيئين يقتضى مناسبة بينهما كما مر ، وأما فى الثانية فلأن العطف فيها بمنزلة عطف الشىء على نفسه مع أن العطف يقتضى التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه وأما فى الثالثة والرابعة فظاهر مما مر [٣] .

[كمال الانقطاع] :

وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الاسناد أو الى طرفيه .

الأول :

---

(١) يمكن ان تعتبر الابهام مع كمال الاتصال ، والوجه فيه العطف مثل كمال الانقطاع ، وذكر عبد الحكيم تعين الفصل فى كمال الاتصال وإن كان فيه ابهام خلاف المقصود ، مثل « لا ، تركت شربها » جوابا لمن قال : هل تشرب الخمر .

(٢) فيه اشكال بالنسبة لاحدى الصورتين الداخلتين تحت قوله : والا ، وهى ما اذا كان للاولى حكم قصد اعطاؤه للثانية ، وذلك لأنه اذا فصل مراعاة لكمال الانقطاع فات الحكم الذى قصد اعطاؤه ، ولكن ذكر عبد الحكيم أنه يراعى كمال الانقطاع فيفصل ويراعى الحكم فيصرح به مع ترك العاطف مثل ياتيك زيد يوم الجمعه ، اكرمه فيه .

(٣) هـذا وإن لم يكن بين الجملتين كمال الانقطاع بلا ابهام ولا كمال الاتصال ولا شبه أحدهما فالوصل متعين لوجود الداعى وعدم المانع والمراد بالمانع احد الأربعة السابقة وهو : وجود أحد الكمالين مع عدم الابهام فى كمال الانقطاع أو وجود شبه أحدهما .

ان تختلف الجملتان خبرا وإنشاء :

لفظا ومعنى [1] كقولهم لا تدن من الاسد ياكلك ،وهل تصلح لى كذا أدفع اليك الاجرة ، بالرفع فيهما ، وقول الشاعر :

وقال رائدهم أرسوا نزاولها

فكل حتف امرىء يجرى بمقدار [2]

---

(١) بأن تكون احداهما خبرا لفظا ومعنى والأخرى انشاء لفظا ومعنى.

(٢) الرائد : هو الذى يتقدم القوم لطلب الكلأ والماء أرسوا : فعل أمر أى أقيموا من أرسيت السفينة أى حبستها بالمرساة (بفتح الميم : الميناء . وبكسر الميم : حديدة تلقى فى الماء متصلة بالسفينة فتقف)

نزاولها : اى نحاول تلك الحرب ونعالجها. والبيت للاخطل على مافى سيبويه ص ٤٥٠ ج ١ . وهو فى المفتاح ص ١١٧

فنزاولها بالرفع لا بالجزم جوابا للامر لإن الغرض تعليل الأمر بالارساء بالمزاولة لا جعل الارساء علة للمزاولة الذى يفيده الجزم ؛ لان الشرط علة فى الجزاء ولا يستقيم كونه بالرفع حالا لئلا يفوت التعليل الذى هو المقصود

ومعنى البيت : اقيموا نقاتل ، فان موت كل نفس يجرى بقدر من الله ، لا الجبن ينجيه ولا الاقدام يرديه

والشاهد : ترك العطف بين « أرسوا » و« نزاولها » لأن الأولى إنشاء لفظا ومعنى والثانية خبر لفظا ومعنى . هذا وراجع عطف الانشائيه على الخبرية وتفصيل الكلام على الآية وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ؛ فى السيد على المطول (ص ١٢) هذا والاستشهاد بالبيت خطأ لأن الجملة الاولى محلا من الاعراب لأنها مفعول قال . اللهم الا ان يقال ان المثال لكمال الانقطاع بين الجملتين باختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى مع قطع النظر عن كون الجملتين مما ليس لهما محل من الاعراب أولا فكمال الانقطاع له نوعان : ماليس له محل من الاعراب وحكمه الفصل،

أو معنى [١] لا لفظا كقولك مات فلان رحمه الله [٢] . وأما قول اليزيدى :

ملكته حبلى ولكنه ... القاه من زهد على غاربى

= وماله محل اعرابى وهذا لا يوجبه؛ والحاصل أن منع العطف بين الانشاء والخبر له ثلاثة شروط : ان يكون بالواو ، وفيما لا محل له من الاعراب ، وان لا يوهم خلاف المراد .

هذا والفصل حينئذ انما هو عند البيانيين . اما اللغويون فجوزوا الوصل بين الجملتين المختلفتين خبرا وانشاء وعليه : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وهذا زيد ومن عمرو

(١) اى او لاختلافهما خبر وإنشاء معنى لا لفظا بأن تكون احداهما خبرية معنى والاخرى انشائية معنى وإن كانتا خبريتين او إنشائيتين لفظا . فالصور أربع

١ - الاولى خبرية لفظا انشائية معنى . والثانية خبرية لفظا ومعنى

٢ - عكس الصورة الاولى .

٣ - الاولى انشائية لفظا خبرية معنى والثانية انشائية لفظا ومعنى

٤ - عكس الصورة السابقه .

أو نقول بعبارة اخرى :الصور هى :

١ - الاولى خبريه معنى والثانيه إنشائيه معنى وهما خبريتان لفظا

٢ - الاولى خبريه معنى والثانيه انشائيه معنى وهما انشائيتان لفظا

٣ - الأولى انشائيه معنى والثانيه خبريه معنى وهما خبريتان لفظا

٤ - الأولى انشائيه معنى والثانيه خبريه معنى وهما انشائيتان لفظا

فخرج ما إذا اختلفا لفظا فقط فلا يكون من كمال الانقطاع ، وبقى من صور اختلافهما صورتان .

١ - الاولى خبر لفظا ومعنى والثانية انشاء معنى فقط .

٢ - عكس الصورة السابقه .

(٢) لم يعطف « رحمه الله » على « مات » لأنه إنشاء معنى و « مات » خبر معنى

وقال إن فى الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

فعده السكاكى رحمه الله من هذا الضرب [١] وحمله الشيخ عبد القاهر [٢] رحمه الله على الاستئناف بتقدير قلت [٣] .

الثانى :

أن لا يكون بين الجملتين [٤] جامع كما سيأتى .

[كمال الاتصال] :

وأما كمال الاتصال [٥] فيكون لأمور ثلاثة :

= وان كانتا جميعا خبريتين لفظا . ومثال مالفظهما انشاء وهما مختلفتان معنى « اليس الله بكاف عبده ، اتق الله أيها الرجل » ، فلفظهما انشاء والأولى خبر معنى والثانية إنشاء معنى .

(١) حيث لم يعطف جملة « انتقم الله » على « إنى فى الهوى كاذب » لاختلافهما خبرا وإنشاء معنى فالأولى خبر لفظا ومعنى والثانية خبر لفظا انشاء معنى وراجع ١١٧ من المفتاح

(٢) راجع ١٨٣ من الدلائل .

(٣) اى قلت انتقم الله من الكاذب .

(٤) اى لايكون بينهما - بين المسند اليهما فقط أو بين المسندين فقط أو بينهما معا - جامع مع عدم الاختلاف فى معنى الخبرية والأنشائية

فلا يصح العطف فى مثل : « زيد طويل وعمرو نائم » مثلا

(٥) أى بين الجملتين المانع من العطف بالواو اذ عطف إحداهما على الاخرى كعطف الشىء على نفسه ، وغير الواو له حكم خاص به سبق ذكره

الأول : أن تكون الثانية مؤكدة [١] للاول والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز [٢] والغلط وهو قسمان .

احدهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد المعنوى [٣] من متبوعه فى إفادة التقرير مع الاختلاف [٤] فى المعنى ، كقوله تعالى [٥] الم ذلك الكتاب [٦] لا ريب فيه [٧] فان وزان لاريب فيه [٨] فى

---

(١) راجع ١٧٤ من الدلائل ، ١٠٩ من المفتاح ، ٤٨ من طراز المجالس للشهاب الخفاجى

(٢) قال السيد : التوكيد المعنوى فى المفردات لا يكون لدفع توهم السامع النسيان والغلط بل لدفع توهم التجوز فقط فكذلك فى الجمل ، وعلى هذا قال ابن يعقوب : ان دفع توهم التجوز فى التأكيد المعنوى فى الجمل ودفع توهم الغلط فى التأكيد اللفظى فيها . والذى حققه عبد الحكيم أن التأكيد المعنوى يكون لدفع توهم السهو والنسيان ولدفع توهم التجوز

(٣) فهو من التوكيد المعنوى لغة لا اصطلاحا ، أو نقول كما هنا : إنه كالتأكيد المعنوى ومنزل منزلته

(٤) بأن يختلف مفهوم الجملتين ولكن يلزم من تقرر معنى أحدهما تقرر معنى الأخرى .

(٥) راجع ١٤٢ ج ٢ من الكامل للمبرد ، ١٧٥ دلائل ، ١١٦ من المفتاح

(٦) ومحل كون لاريب فيه مؤكدة لما قبلها إذا جعلت « ألم » طائفة من الحروف فتكون لا محل لها من الأعراب ، أو إذا جعلت جملة مستقلة حذف أحد جزءيها — المبتدأ أو الخبر — إن جعلت أسمية ، ويصح كونها جملة فعلية بتقدير اذكر أو أقسم ، وجعلت « ذلك الكتاب » جملة ثانية لا محل لها من الأعراب ، و « لا ريب فيه » جملة ثالثة . أما إذا جعلت « لا ريب فيه » خبرا

الآية وزان نفسه فى قولك جاءنى الخليفة نفسه ، فانه لما بولغ فى وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال ، بجعل المبتدأ [١] ذلك ، وتعريف الخبر باللام [٢] كان عند السامع قبل أن يتأمله [٣] مظنة أنه [٤] مما يرمى به جزافاً [٥] من غير تحقق ، فأتبعه [٦] لا ريب فيه ، نفيا لذلك ، إتباع الخليفة نفسه ، إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك فى قولك جاءنى الخليفة ، متجوز أوساه ، وكذا قوله كأن لم يسمعها ، كأن فى أذنيه وقرا ، الثانى مقرر لما أفاده الاول . وكذا قوله "إنا معكم انما نحن مستهزئون" لان قوله "إنا معكم" معناه اثبات على اليهودية وقوله "انما نحن مستهزئون"

= لذلك الكتاب ، أو خبرا لجملة « ألم » وذلك الكتاب اعتراض ، فان « لا ريب فيه » حينئذ يكون مما له محل من الأعراب

(١) الدال على كمال العناية بتمييزه - من حيث أن الأشارة موضوع للمشاهد المحسوس - والتوسل ببعده إلى التعظيم وعلو الدرجة باعتبار أن اللام للبعد

(٢) أى الدال على الانحصار لأن تعريف الجزءين فى الجملة الخبرية دال على الانحصار حقيقة أو مبالغة مثل حاتم الجواد ، فمعنى ذلك الكتاب أنه الكتاب الكامل فى الهداية كأن ماعداه من الكتب السماوية فى مقابلته ناقص بل ليس بكتاب فكثرة المبالغة تجوز توهم المجازفة وأن الكلام ليس على ظاهره

(٣) أى قبل أن يتأمل كمالات الكتاب

(٤) أعنى قوله ذلك الكتاب

(٥) الجيم مثلثة فى « جزافاً » ، أى من غير صدور عن روية وبصيرة

(٦) على لفظ المبنى للمفعول والمرفوع المستتر عائد إلى « لا ريب فيه » والمنصوب البارز إلى ذلك الكتاب ، أى جعل « لا ريب فيه » تابعا لذلك الكتاب =

رد للاسلام ودفع له منهم، لأن المستهزىء بالشيء المستخف به منكر له ودافع له، لكونه غير معتد به، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته، ويحتمل الاستئناف، أى فما بالكم إن صح أنكم معنا وافقون أصحاب محمد

وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظى [1] من متبوعه فى إفادة التقرير مع اتحاد المعنى؛ كقوله تعالى « الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين [2] » فان هدى للمتقين معناه أنه فى الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة [3]، وهذا معنى قوله « ذلك الكتاب [4] » لان معناه كما مر الكتاب الكامل، والمراد بكماله كماله فى الهداية لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت فى

= وقوله « نفيا لذلك » أى لذلك التوهم. ودفع هذا التوهم على تقدير كون الضمير فى « لاريب فيه » عائدا على ذلك الكتاب ظاهر أما اذا كان الضمير راجعا للكتاب كما هو الظاهر فمبنى على أنه إذا لم يكن ريب فى غاية كماله لم يكن « ذلك الكتاب » بالمجازفة.

(١) بأن يختلف مضمون الجملتين ولكن يلزم من تقرر معنى احدهما تقرر معنى الأخرى.

(٢) خبر مبتدأ محذوف أى هو هدى - والمتقين مجاز مرسل علاقته مايؤول إليه اى للضالين الصائرين إلى التقوى.

(٣) وذلك لما فى تنكير هدى من الابهام والتفخيم، وحيث قيل هدى، ولم يقل « هاد ».

(٤) اى معناه المقصود لا المعنى المطابق الذى وضع له اللفظ

درجات الكمال [١] وكذا قوله تعالى [٢] : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » ، فان معنى قوله : « لا يؤمنون » معنى ما قبله ، وكذا ما بعده [٣] تأكيدان ، لان عدم التفاوت بين الانذار وعدمه لا يصح الا فى حق من ليس له قلب يخلص إليه حق ، وسمع تدرك به حجة ، وبصر تثبت به عبرة ، ويجوز أن يكون « لا يؤمنون » خبرا لأن ، فالجملة قبلها اعتراض .

الثانى : أن تكون الثانية بدلا من [٤] الاولى ، والمقتضى للابدال

---

(١) فهو مثل زيد الثانى فى جاءنى زيد زيد لكون مقررا لذلك الكتاب مع اتفاقهما فى المعنى المراد منهما بخلاف لاريب فيه فانه يخالفه معنى . فالجملتان فى التوكيد اللفظى متحدتان معنى والثانية لدفع توهم غلط او نسيان لأن اللفظى لدفع ذلك والمعنوى لدفع توهم التجوز ؛ وقيل كل منهما لدفع توهم الغلط والنسيان ولدفع توهم التجوز ، والاصطلاح على الأول

(٢) راجع ١١٧ من المفتاح ، ١٧٥ من الدلائل

(٣) وهو (ختم الله على قلوبهم)

ملاحظة : وجه منع العطف فى التأكيد كون التأكيد مع المؤكد كالشىء الواحد . والتأكيد اللفظى قد علم أن ليس المراد منه التكرير إذ لم يتعرضوا له لأنه لا يتوهم فيه صحة العطف

(٤) أى بدل بعض أو اشتمال ، لا بدل غلط إذ لا يقع فى فصيح الكلام ، ولا بدل كل إذ هو غير معتبر عند المصنف ، وقيل هو من كمال الاتصال أيضاً ومثلوا له بقولهم : قنعنا بالأسودين ، قنعنا بالتمر والماء ، ولم يقتصر على البدل دون المبدل منه للاعتناء بشأن النسبة وقصدها مرتين والبدل وإن كان فيه بيان إلا أن البيان فيه غير مقصود بالذات بل المقصود تقرير النسبة فهذا هو الفرق . ووجه عدم العطف فى بدل البعض أو الاشتمال أن المبدل منه فى نية الطرح من القصد الذاتى

كون الاولى غير وافية بتمام المراد [١] بخلاف الثانية [٢] والمقام يقتضى اعتناء بشأنه [٣] لنكتة كونه [٤] مطلوبا فى نفسه [٥] أوفظيعا [٦] أو عجيبا [٧] أولطيفا [٨].

وهو ضربان.

أحدهما. أن تنزل الثانية من الأول منزلة بدل البعض [٩] من

---

(١) أى أو كغير لوافية لكونها مجملة أو خفية الدلالة وقيل غير الوافية فى بدلى البعض والاشتمال والتى كغير الوافية فى بدل الكل بناء على اعتباره. هذا على مذهب غير المصنف، ويمكن جعل قولنا «أو كغير الوافية» للتوزيع الاعتبارى فتكون الأمثلة المذكورة غير وافية باعتبار ووافية تشبه غير الوافية باعتبار آخر

(٢) فانها .وافية كمال الوفاء.

(٣) أى شأن المراد - وقوله «لنكتة» لا داعى له لأن النكتة نفس المقام.

(٤) أى المراد.

(٥) كما فى الآية الكريمة «أمدكم بما تعلمون الخ.»

(٦) فيؤتى به للتوبيخ مثل أن يقال للص يصلى: لاتجمع بين الأمرين. لاتسرق وتصلى، بناء على ورود بدل الكل.

(٧) فيؤتى به لإعجاب المخاطب قصدا لبيان غرابته مثل: بل قالوا مثل ما قال الأولون، قالوا أئذامتنا وكنا ترابا وعظاماً أننا لمبعوثون».

(٨) أى طريفاً مستحسا فيؤتى به لطرافته مثل: محمد جمع بين أمرين، جمع بين عراقة المحتد ونبل النفس.

(٩) أى فى المفرد و إلا فهى بدل حقيقة.

متبوعه ، كقوله تعالى « أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » فانه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين [١] وقوله « أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون » أوفى بتأديته [٢] مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير احالة على علمهم مع كونهم معاندين ، والامداد بما ذكر من الانعام وغيرها بعض الامداد بما يعلمون ويحتمل الاستئناف .

وثانيهما [٤]

أن تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه كقوله تعالى اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، فان المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى « اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » أوفى بتأدية ذلك ، لأن معناه لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة . وقول الشاعر :

---

(١) والمقام يقتضى اعتناء بشأنه لكونه مطلوبا فى نفسه وذريعة إلى غيره وهو التقوى .

(٢) أى بتأدية المراد الذى هو التنبيه على نعم الله تعالى . وقوله : لدلالته عليها ، أى لدلالة الثانى على نعم الله .

(٣) راجع ١١٦ من المفتاح ، ١٨٧ من الدلائل .

أقول له ارحل لاتقيمن عندنا وإلافكن فى السر والجهر مسلما

فان المراد به [١] " كمال إظهار الكراهة لاقامته [٢] بسبب خلاف سره العلن وقوله : " لاتقيمن عندنا " أوفى بتأديته لذلالته [٣] عليه بالمطابقة مع التأكيد [٤] ؛ بخلاف " ارحل " ووازن الثانية من كل واحد من الآية والبيت وازن حسنها فى قولك " أعجبتنى الدار حسنها " لأن معناها مغاير لمعنى ماقبلها [٥] وغير داخل فيه [٦] مع ما بينهما [٧] من الملابسة

---

(١) أى بقوله " ارحل "

(٢) اى المخاطب

(٣) أى لدلالة لا تقيمن عندنا - وقوله عليه اى على كمال إظهار الكراهة

(٤) أى بالنون . وكونها مطابقة باعتبار الوضع العرفى حيث يقال " لا تقم عندى " ولا يقصد كفه عن الاقامة بل مجرد إظهار كراهة حضوره. فالحاصل أن الغرض من ارحل ولاتقيمن إظهار كمال الكراهه والدليل على ذلك فى ارحل الاستعمال الغالب مع قوله " والافكن " ، وفى " لاتقيمن " الاستعمال العرفى دائما مع زيادة النون وقوله " وإلا فكن " . ولما كانت دلالة لا تقيمن أو فى وهو ليس بعض مدلول " ارحل " ولا نفسه بل ملابسه لملازمة بينهما صار بدل اشتمال

(٥) يخرج به التوكيد اللفظى لإنه غير مغاير والمعنوى أيضا لأن المفهومين فيه وان تغايرا لكن مغايرة قريبة

(٦) فلا يكون بدل بعض . وهذا ظاهر بناء على أن الأمر بالشىء لا يتضمن النهى عن ضده وأما على رأى من يذهب الى نقيضه بمعنى ان النهى عن ضده جزؤه فيكون " لا تقيمن عندنا " فى حكم بدل البعض

(٧) أى ما بين عدم الاقامة والارتحال من الملابسة اللزومية فيكون بدل اشتمال =

الثالث . أن تكون الثانية بيانا للاولى (١) وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه فى إفادة الايضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون فى الأولى نوع خفاء مع إقتضاء المقام إزالته كقوله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » ، فصل جملة قال عما قبلها لكونها تفسيرا له وتبيينا ، ووازنه وازن عمر فى قوله :

اقسم بالله أبو حفص عمر [ما مسها من نقب ولا دبر (٢)]

وأما قوله تعالى : ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ، فيحتمل التبيين والتاكيد : أما التبيين فلانه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل فى جنس آخر فاثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد فلانه إذا كان ملكا لم يكن بشراً ؛ ولانه إذا قيل فى العرف

= ولا يخفى أن الجملة الاولى « ارحل » لها محل من الأعراب فيكون النظر الى المحكى لا الى الحكاية . وانما قال فى مثالى بدل البعض والاشتمال إن الثانية أوفى لأن الأولى وافيه مع ضرب من القصور باعتبار الاجمال فى المثال الاول وعدم مطابقة الدلالة فى المثال الثانى فصارت كغير الوافية ، والاولى جعل غير الوافية بالنسبة لبدل الكل بناء على اعتباره وذلك لأنا لو حملناها على بدل البعض والأشتمال فقط لكان فيها ما هى غير وافية اصلا وهو لا يكاد يوجد

(١) الفرق بين البيان والبدل مع ان فى كل منهما خفاء أن المقصود فى البدل الثانية وفى البيان الأولى والثانية توضيح لها

(٢) هو لأعرابى . النقب : ضعف فى أسفل الخف فى الأبل : الدبر : جراحة الظهر .

لانسان ماهذا بشراً حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حسن خلق أو خلق كان الغرض أنه مالك بطريق الكناية . فإن قيل هلا تزلتم الثانيه منزلة بدل الكل من متبوعه فى بعض الصور ، ومنزلة النعت من متبوعه فى بعض قلنا ؛ (١) لأن بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد ، والنعت لا ينفصل عن عطف البيان (٢) إلا بأنه يدل على بعض أحوال متبوعه لاعليه وعطف البيان بالعكس (٣) ، وهذه كلها اعتبارات لا يتحقق شيء منها فيما نحن بصدده (٤)

---

(١) منع السعد تنزيل الجملة الثانية من الأولى منزلة بدل الكل من الكل فى الجمل مطلقا لها محل من الاعراب ام لا : ومنعه السيد فى الجمل التى لامحل لها وأجاز قوم وقوعه فى الجمل مطلقا ونزلوا استئناف حكم الجملة التى لامحل لها منزلة نقل الحكم الى مضمون الثانية

(٢) راجع ٥٢ ج ٣ السبكى

(٣) فهو يدل على ذات المتبوع لاعلى وصف فيه .

(٤) اى من الجمل التى لامحل لها . ووجه عدم تحقق شيء منها فى الجمل بالنسبة للنعت ولعطف البيان ان الجملة انما تدل على النسبة ولا يتأتى أن تكون نسبة فى جملة دالة على وصف شيء فى جملة أخرى فلم تنزل الثانية من الاولى منزلة النعت من المنعوت وقد تكون النسبة فى جملة موضحة لنسبة فى جمله أخرى فصح ان تنزل الثانية من الأولى منزلة عطف البيان من المبين . وبالنسبة لبدل الكل والتأكيد ان البدل يقصد فيه نقل النسبة الى مضمون الجملة الثانية دون التأكيد وهذا المعنى لا يتحقق فى الجمل التى لا محل لها لأنه لانسبة بين الاولى منها وبين شيء آخر حتى =

. . . . . .

= ينتقل الى الثانية وتجعل بدلا من الأولى وإنما يقصد فى تلك الجملة إستئناف إثباتها وبعضهم اعتبره فى الجمل التى لا محل لها من الأعراب كما قلنا سابقا ونزل قصد استئنافها منزلة نقل النسبة فجعل بدل الكل من كمال الاتصال ومثل له بقوله : قنعنا بالاسودين قنعنا بالتمر والما.

فالخلاصة : ان بدل الكل لا يتميز عن التأكيد اللفظى فى المفردات الا بمغايرة اللفظين فى البدل وأما فى التوكيد اللفظى فلا يجب فيه المغايرة — وكون المقصود من البدل هو الثانى بنقل نسبة العامل إليه . وهذا لا يتحقق فى الجمل لا سيما التى لا محل من الاعراب لأن التوكيد اللفظى فى الجمل فيه المغايرة بين اللفظين دائماً وكل من الجمل مستقل فيكون مقصوداً فلو جرى بدل الكل فى الجمل لما تميز عن التوكيد فأغنى التوكيد فى الجمل عنه ولكن بعضهم جوز كما قلنا بدل الكل فى الجمل مطلقاً لها محل أولا — ونزل استئناف حكم الجملة منزلة نقل الحكم إلى مضمون الثانية

وإذا كانت الجمل التى لا محل لها من الاعراب لا يتصور فيها أن تكون الثانية هى المقصودة بالنسبة إذ لا نسبة هناك بين الأولى وشىء آخر حتى تنقل للثانية وتجعل الثانية بدلا من تلك الاولى ، فهى أبعد من الجمل التى لها محل من الاعراب عن تصور وجود بدل الكل فيها .

ملاحظات .

١- يكون التأكيد المعنوى بين الجملتين باختلاف المعنى الوضعى والمراد المقصود منهما مع إفادة التقرير .

ويكون التأكيد اللفظى بين الجملتين باختلاف المعنى الوضعى واتحاد المعنى المقصود منهما مع إفادة التقرير .

ويكون بدل البعض بين الجملتين بكون مدلول الثانية بعض مدلول الأولى مع كون الثانية أوفى بتأديه المراد من الأولى ويكون بدل الاشتمال بين الجملتين بكون مدلول الثانية مستلزما لمدلول الأولى مع كون الثانية أو فى بتأديه المراد من الأولى ويكون عطف البيان باتحاد معنى الجملتين مع وجود خفاء فى الأولى تزيله الثانية . =

. . . . . .

٢ ـ التوكيد اللفظى عند البلاغيين يشمل الجمل المكررة فهو عندهم قسمان: الأول ما اتحد المعنى الوضعى فيه فى الجملتين . والثانى ما كان فيه اتحاد معنى غير وضعى مقصود كذلك من الجملتين وقد سبق أن القسم الأول مثل : فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ، لا يعتبره جمهور البلاغيين من التأكيد اللفظى بل من التكرير وأن اعتبره النحويون توكيدا لفظيا ـ أما التأكيد المعنوى فى الجمل فيعتمد اختلاف المعنى المقصود من الجملتين مع تلازم المعنيين .

ويرجح الشيخ نوار جعل التكرير توكيدا لفظيا وسواه توكيداً معنوياً .

وسر التوكيد فى الجمل : ١ تقرير مضمون الأولى وبيان أنه واقع أوسيقع

٢ ـ دفع توهم المبالغة فى الجملة الأولى .

٣ ـ الفرق بين التأكيد وبدل الاشتمال فى الجملة أن الجملة المؤكدة تدل على ما تدل عليه الأولى بدون أن تلاحظ فيها خصوصية بها تكون أو فى دلالة على المقصود من الأولى سواء أوجدت تلك الخصوصية أم لا . أما بدل الاشتمال فجملة تدل على ما تدل عليه جملة سبقتها ولوحظت فيها خصوصية بها تكون أوفى دلالة على المقصود من الأولى .

٤ ـ بدل البعض واضح والفرق بينه وبين ذكر الخاص بعد العام أن العموم فى المبدل منه مراد منه الخصوص بعده وأما العموم فى ذكر الخاص بعد العام فباق على حاله

هذا وبدل البعض فى الجمل يعتمد أمرين : أن يكون مدلول الثانية بعض مدلول الأولى ـ وإن تكون فى الثانية فائدة ليست فى الأولى ، وليس بلازم أن تكون الثانية أوفى بالغرض من الأولى كما فى بدل الاشتمال .

٥ ـ عطف البيان يعتمد أمرين : اتحاد المعنى فى المعطوف والمعطوف عليه ـ أيهام فى الأولى تزيله الثانية وتوضحه .

٦ ـ سبق أن قلنا إن عطف الانشاء على الخبر وعكسه صحيح إذا كان للأولى محل من الأعراب وإن لم يكن للاولى محل الاعراب فالبلاغيون يمنعونه والنحويون يجيزونه والتحقيق الجواز

[شبه كمال الانقطاع] :

وأما كون الثانية بمنزله المنقطعة عن الأولى :

فلكون عطفها عليها (١) موهما لعطفها على غيرها (٢) . ويسمى الفصل لذلك قطعا . مثاله قول الشاعر :

وتظن سلمى أننى أبغى بها ... بدلا أراها فى الضلال تهيم (٣)

= ٧ — قد تعطف القصة على القصة وهو واضح وذلك أن تعطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر إذا وجدت مناسبة بين هذين المضمونين وإن لم توجد تلك المناسبة بين أجزاء الكلامين : فاذا لم تجد معطوفاً عليه صريحاً يناسب المعطوف فلك اعتبار العطف بين مضمونى الكلامين أو تقدير معطوف عليه مناسب للمعطوف أو تقدير قول كذلك .

(١) أى عطف الثانية على الأولى

(٢) أى مما ليس بمقصود العطف عليه لاداء العطف عليه إلى الخلل فى المعنى وشبه هذا بكمال الانقطاع باعتبار اشتماله على مانع من العطف هو ايهام خلاف المقصود وإن كان فيه مصحح للعطف وهو التغاير الكلى أما كمال الاتصال ففيه مانع من العطف مع أن المصحح فيه منتف لعدم التغاير الكلى بين الجملتين

هذا والمانع من العطف فى كمال الانقطاع لما كان خارجا عن ذات الجملتين يمكن دفعه بنصب قرينه لم يجعل هذا من كمال الانقطاع، أما المانع فى كمال الانقطاع فهو ذاتى لا يمكن دفعه أصلا وهو اختلاف الجملتين خبرية وانشاء أو لأنه لا جامع بينهما

(٣) « أرى » مبنى للمفعول والضمير المستتر فيه مفعول أول والهاء مفعول ثان وجملة تهيم مفعول ثالث

لم يعطف « أراها » على « تظن » لئلا يتوهم السامع أنه معطوف على « أبغى » لقربه منه مع أنه ليس بمراد . ويحتمل الاستئناف [1]

وقسم السكاكى القطع الى قسمين :

أحدهما القطع للاحتياط وهو ما لم يكن لمانع من العطف كما فى هذا البيت .

= فبين الجملتين « أرى وتظن » مناسبة ظاهرة : لاتحاد المسندين لأن معنى « أراها » أظنها ، وكون المسند إليه فى الجملة الأولى محبوبا وفى الجملة الثانية محبا ، فالجامع بين المسند إليهما فى الجملتين ما بينهما من شبه التضايف لكنه ترك العطف بين الجملتين لئلا يتوهم أن الجملة الثانية عطف على « أبغى » فيكون من مظنونات سلمى وهو غير مراد ، وما قيل من أن التوهم بعد القطع باق لجواز أن يكون « أراها » خبرا لأن أو حالا أو بدلا من « أبغى » ، فى كل من الفصل والوصل ايهام خلاف المقصود . فجوابه أن الأصل فى الجمل الاستقلال ولا يصار إلى كونها فى حكم المفرد إلا إذا دل على ذلك دليل ، على أن عبد القاهر نص على أن ترك العطف بين الجمل الواقعة أخبارا لايجوز

(١) أى يحتمل أن يكون « أراها » جملة مستأنفة ، كأنه قيل : كيف تراها فى هذا الظن ؟ فقال أراها خاطئة فيه تتحير فى أودية الضلال . وعلى هذا فيكون من شبه كمال الاتصال والبيت فى المفتاح ص ١١٤

هذا ومثل هذا البيت قول الشاعر .

يقولون إنى أحمل الضيم عندهم أعوذ بربى أن يضام نظيرى

لم تعطف جملة أعوذ على « يقولون » لئلا يتوهم أنها معطوف على جملة « أحمل الضيم »

فشبه كمال الانقطاع إذا أن يكون العطف على جملة صحيحا ومعقولا إلا أنه معه احتمال عطف غير مقصود على جملة أخرى فيترك العطف بتاتا دفعا لهذا الاحتمال

والثانى القطع للوجوب ، وهو ما كان لمانع ، ومثله بقوله تعالى : الله يستهزىء بهم ، قال : لانه لو عطف لعطف إما على جملة « قالوا » وإما على جملة « إنا معكم » ، وكلاهما لا يصح لما مر [١] وكذا قوله « ألا إنهم هم السفهاء »

وفيه نظر : لجواز أن يكون المقطوع فى المواضع الثلاثة معطوفا على الجملة المصدرة بالظرف وهذا القسم لم يبين امتناعه

[شبه كمال الاتصال [٢]]

وأما كونها [٣] بمنزلة المتصلة بها [٤] فلكونها جوابا [٣] عن سؤال اقتضته الأولى [٥] ، فتنزل منزلته [٦] فتفصل الثانية عنها [٧] ، كما يفصل

---

(١) أجاز المطول عطفه على جملة « إذا » الشرطية ولكن منع من العطف توهم عطفه على جملة « قالوا » أو جملة إنا معكم وكلاهما فاسد كما مر . ثم قال المطول : فظهر أن قطعه أيضا للاحتياط كما فى هذا البيت ، لا للوجوب كما زعم السكاكى ، ورد السبكى على رأى السكاكى (٥٢ ج ٣ شروح التلخيص)

(٢) راجع ١١٠ من المفتاح ، ١٨١ — ١٨٧ من الدلائل .

(٣) اى الجملة الثانية .

(٤) اى بالجملة الاولى .

(٥) لكونها مجملة فى نفسها باعتبار الصحة او لكونها بجملة السبب .

(٦) أى فتنزل الجملة الاولى منزلة السؤال لكونها مشتملة عليه ومقتضية له

(٧) اى عن الجملة الاولى .

الجواب عن السؤال [١] وقال السكاكى [٢] . فينزل ذلك [٣] منزلة الواقع [٤] . ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات [٥] لطيفة ، إما لتنبيه السامع على موقعه ، أو لاغنائه أن يسال [٦] أو لئلا يسمع منه شيء [٧] ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف ؛ أو لغير ذلك مما ينخرط فى هـــذا السلك [٨] . ويسمى الفصل

---

(١) لما بينهما من الاتصال الذاتى ، أى كمال الاتصال أو شبه كمال الاتصال . وقيل لما بينهما من كمال الانقطاع اذ السؤال إنشاء والجواب خبر . وقيل ان صورة الجواب وللسؤال داخله فى صورة البيان .

(٢) ١١٠ من المفتاح .

(٣) اى السؤال الذى تقتضيه الجملة الاولى وتدل عليه بالفحوى

(٤) اى منزلة السؤال الواقع ويطلب بالكلام الثانى وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام الأول لذلك .

فمذهب المصنف ان الجملة الاولى منزلة منزلة السؤال المقدر ، ومذهب السكاكى أن السؤال المقدر ينزل منزلة الواقع والذى تعلق به التنزيل عنـــده انما هو السؤال المقدر الذى اقتضته الجملة الأولى فينزل منزلة السؤال الواقع ، فالجملة الثانية جواب للجملة الاولى عند المصنف وللسؤال المقدر عند السكاكى

(٥) اى لنكتة وكذلك التنزيل أيضا لا يكون الا لنكتة عند المصنف

(٦) تعظيما له أو شفقة عليه .

(٧) أى تحقيرا للسامع وكراهة لكلامه

(٨) مثل التنبيه على فطانة السامع او على بلادته .

لذلك [١] إستئنافا ؛ وكذا الجملة الثانيه أيضا تسمى استئنافا [٢]،

والاستئناف [٣] ثلاثة أضرب ؛ لأن السؤال الذى تضمنته الجملة [٤]

الأولى :

[١ -] إما عن سبب الحكم فيها مطلقا [٥] ، كقوله :

= هذا وليس فى كلام السكاكى دلالة على أن الجمله الاولى تنزل منزلة السؤال المقدر فكان المصنف نظر الى ان قطع الثانية عن الاولى مثل قطع الجواب عن السؤال انما يكون على تقدير تنزيل الأولى منزلة السؤال وتشبيهها به ، لا على تنزيل السؤال المقدر منزلة الواقع كما ذهب إليه السكاكى .

وقيل ان مذهبيهما مآله واحد والاختلاف فى التعبير ، والتلازم حاصل فى الكل

ومذهب السكاكى على اى اى حال اوضح اذ لاحاجة إلى تنزيل الأولى منزلة السؤال ، بل مجرد كون الاولى منشأ للسؤال كاف فى ذلك ، كما أشار إليه صاحب الكشاف حيث قال فى قوله تعالى « الذين يؤمنون بالغيب » بعد قوله : « هدى للمتقين » إن سبيله الاستئناف وأنه مبنى على تقدير السؤال .

(١) أى لكونه جوابا لسؤال اقتضته الأولى .

(٢) وتسمى مستأنفة أيضا .

(٣) سواء أريد به فصل الجملة الثانية أو الجملة الثانية نفسها

(٤) أى على رأيه ، أو السؤال المقدر على رأى السكاكى

(٥) أى حال كون السبب مطلقا أى لم ينظر فيه لتصور سبب معين ، بل لمطلق سبب لكون السامع يجهل السبب من أصله بأن يكون التصديق لوجود السبب حاصلا للسائل والمطلوب بالسؤال حقيقة السبب ، ولذا يسأل عنه بما طلبا لشرح ماهيته ، واسمية الجملة فى الجواب ليست مؤكدا حتى يكون السؤال عن السبب الخاص ، وسبب عدم كونها مؤكدا أنه لم ينضم إليها مؤكد آخر

قال لى: كيف أنت؟ قلت: عليل سهر دائم وحزن طويل [١]

أى ما بالك عليلا أو ماسبب علتك [٢] ، وقوله [٣]

وقد غرضت من الدنيا فهل زمنى معط حيائى لغر بعد ماغرضا

جربت دهرى وأهليه فما تركت لى التجارب فى ودامرىء غرضا

أى لم تقول هذا ويحك ، وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة إلى هذا الحد كشحك

[٢ —] وإما عن سبب خاص له [٤] ، كقوله تعالى: « وما ابرى نفسى ، إن النفس لأمارة بالسوء » ، كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء [٥] ؟ فقيل : إن النفس لأمارة بالسوء [٦] . وهذا الضرب

---

(١) البيت قد سبق فى حذف المسند إليه . وهو فى الدلائل ص ١٨٤

(٢) بقرينة العرف والعادة ، لأنه إذا قيل فلان مريض فانما يسأل عن مرضه وسببه ، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا لاسيما السهر والحزن حتى يكون السؤال عن السبب الخاص الكائن فى الجملة الاولى .

(٣) البيتان للمعرى : غرض : ضجر . الغر : الغافل . الأولى فعل ماض وألفها زائدة للروى و « غرضا » الثانية بمعنى حاجة . والابيات فى المفتاح ص ١١٥

(٤) أى لهـــذا الحكم الكائن فى الجملة الأولى . بمعنى انه تصور نفى جميع الأسباب إلا سببا خاصا تردد فى حصوله ونفيه فسأل عنه

(٥) اى هل هذا سبب التبرئة — فالسائل يسأل عن البيت الخاص هل هو حاصل او غير حاصل فيكون المقام مقام تردد فى ثبوته ، ولذا يؤتى بالجواب مؤكدا

(٦) بقرينة التأكيد ، فالسؤال عن السبب الخاص بهذه القرينة ، فالتأكيد دليل على ان السؤال عن السبب الخاص فان الجواب عن مطلق السبب لايؤكد

يقتضى تأكيد الحكم [١] كما مر فى باب أحوال الاسناد [٢] وإما عن غيرهما [٣] كقوله تعالى [٤] : « قالوا سلاما ، قال سلام » ، كأنه قيل : فماذا قال ابراهيم عليه السلام فقيل : قال سلام ؛ ومنه قول الشاعر :

زعم العواذل أننى فى غمـــرة

صدقوا ولـكن غمرتى لاتنجلى [٥]

فانه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال ، كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل أصدقوا فى ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مخرجه إذا

---

(١) اى الجواب الذى هو فى الجملة الثانية لأن السائل متردد فى هذا السبب الخاص هل هو سبب الحكم أم لا

(٢) اى من ان المخاطب اذ كان طالبا مترددا أو نزل منزلة الطالب المتردد حسن تقوية الحكم له بمؤكد . ولا يخفى ان المراد الاقتضاء استحسانا لا وجوبا والمستحسن فى باب البلاغة بمنزلة الواجب

(٣) اى غير السبب المطلق والخاص بأن يبهم عليه شىء مما يتعلق بالجملة الأولى إما عام كالآية أو خاص كالبيت .

(٤) راجع الكلام على الآية الكريمة فى الدلائل ص ١٨٥

(٥) العواذل جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة الغمرة : الشدة . تنجلى : تنكشف . والبيت فى الدلائل ص ١٧٢ ، وفى المفتاح ص ١١٤ .

والشاهد فى البيت فصل صدقوا عما قبلها لأنها جواب لسؤال اقتضته الجملة قبلها وهذا السؤال ليس عن سبب مطلق أو خاص بل عن غيرهما

كان ذلك قد قيل له ، ففصل . ومثله قول جندب بن عمار [١] :

زعم العواذل أن ناقة جندب ... بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العواذل ، لو رأين مناخنا ... بالقادسية قلن : لج وذلت

وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيدا بأن وضع الظاهر موضع المضمر [٢] من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام ، ومن الأمثلة قول الوليد [٣] :

عرفت المنزل الخالى ... عفا من بعد أحوال

عفاه كل حنان ... عسوف الوبل هطال [٤]

فانه لما قال عفا ، وكان العفاء مما لا يحصل للمنزل بنفسه ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل ، ومثله قول أبى الطيب [٥]

---

(١) راجع البيتين فى الحماسة ص ١٨ ج ١ شرح الرافعى ، ص ١١٥ من المفتاح و ١٨٢ من الدلائل

خبت اسم موضع . عريت : أزيل عنها رحلها . أجمت تركت فلم تركب ، وكلاهما كناية عن قعوده بهذا المكان دون غرضه . والقادسية : مدينة بالعراق . لج : جدفى السير . ذلت : انقادت له .

والشاهد فصل البيت الثانى عما قبله لأنه جواب عن سؤال تضمنه ماقبله . وهذا السؤال عن غير السبب المطلق والخاص

(٢) حيث قال : كذب العواذل ، ولم يقل ,, وكذبوا ،،

(٣) الوليد بن يزيد . والبيتان فى المفتاح ص ١١٥ ، وفى الدلائل ص ١٨٤

(٤) عفا : درس ، الحنان : السحاب . عسوف الوبل : شديد المطر .

(٥) البيت والكلام عليه فى الدلائل ص ١٨٤ والمفتاح ص ١١٥ . عفا : محا . من حدابهم وساقا ، أى من غنى للابل التى سارت بهم وساقها .

وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدابهم وساقا

فانه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل

وأيضا من الاستئناف ما يأتى باعادة اسم ما استؤنف عنه [١]

كقوله : « أحسنت إلى زيد ، زيد حقيق بالاحسان [٢] » .

ومنه ما يبنى على صفته [٣] كقولك « أحسنت إلى زيد ، صديقك القديم أهل لذلك [٤] » . وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب [٥]

---

(١) أى وقع الاستئناف عنه وأصل الكلام . ما استؤنف عنه الحديث فحذف المفعول ونزل الفعل منزلة اللازم .

(٢) باعادة اسم « زيد » والسؤال المقدر هنا هو : لماذا أحسن اليه .

(٣) أى صفة ما استؤنف عنه دون اسمه والمراد بالصفة صفة تصلح لترتيب الحديث عليه .

(٤) والسؤال المقدر هنا « هل هو حقيق بالاحسان » .

(٥) أى ان الاستئناف المبنى على الصفة أبلغ لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة القديمة فى المثال المذكور ، لما يسبق الى الفهم من ترتيب الحكم على الأمر الصالح للعلية أنه علة له . وقد اعترض على الأبلغية المعللة بما ذكر بأن السؤال ان كان عن السبب فالجواب يشتمل على بيانه لا محالة سواء كان باعادة الاسم أو الصفة ، وإلا فلا وجه لاشتماله عليه كما فى قوله (زعم العواذل الخ) سواء كان باعادة الاسم أو الصفة ، والجواب أن السؤال عن سبب الحكم قد يكون باعادة الاسم وقد يكون باعادة الصفة وليس يجرى هذا فى سائر صور الاستئناف ، ويرد على هذا أن الحكم الذى معناه احسان المخاطب لزيد وليس السؤال هنا عن سببه بل عن استحقاقه للحكم .

وقد يحذف صدر الاستئناف [١] لقيام قرينة ، كقوله تعالى : « يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال » ، فيمن قرأ « يسبح » مبنيا للمفعول [٢] ؛ وعليه نحو قولهم : « نعم الرجل أو رجلا زيد ، وبئس الرجل أو رجلا عمرو » ، على القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، أى هو زيد [٣] كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهودا ذهنيا مظهرا أو مضمرا ، سئل عن تفسيره ، فقيل : هو زيد ثم حذف المبتدأ

وقد يحذف الاستئناف كله ، ويقام ما يدل عليه مقامه كقول الحماسى [٤] :

---

(١) راجع ص ٩٧ من المفتاح ، وقد سبق ذلك مفصلا فى حذف المسند ، وقوله الاستئناف أى الجملة الاستئنافية ، ولا مفهوم للصدر بل العجز كذلك كما فى نعم الرجل زيد على أن زيد مبتدأ خبره محذوف وحذف الصدر سواء كان الصدر اسما أو فعلا .

(٢) كأنه قال فمن يسبحه ؟ فقيل : رجال ، أى يسبحه رجال .

(٣) ويجعل الجملة استئنافا جوابا للسؤال عن تفسير الفاعل المبهم .

(٤) هو مساور بن هند يهجو بنى أسد [راجع ١٧٨ ح ٢ شرح الحماسة للرافعى] . إلف : أى ايلاف فى الرحلتين المعروفتين لهم فى التجارة : رحلة الشتاء الى اليمن ورحله الصيف الى الشام . إلاف أى مؤالفة فى الرحلتين المعروفتين .

كأنه قيل أصدقنا فى هذا الزعم أم كذبنا ؟ فقيل : كذبتم ، وحذف هذا الاستئناف كله وأقيم قوله : لهم إلف وليس لكم إلاف مقامه لدلالته عليه .

ويجوز أن يكون لهم إلف جوابا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف أى كذبتم لأنهم لهم إلف الخ .

هذا والبيت فى الدلائل ص ١٨٣ ، وفى المفتاح ص ١١٤ .

زعمتم أن أخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

حذف الجواب الذى هو كذبتم فى زعمكم ، وأقام قوله « لهم إلف وليس لكم إلاف » مقامه ؛ لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدر قوله : « لهم الف وليس لكم إلاف » جوابا لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف كأنه لما قال المتكلم كذبتم ؛ قالوا لم كذبنا ؟ فقال : لهم الف وليس لكم إلاف ، فيكون فى البيت إستئنافان

وقد يحذف ولا يقام شىء مقامه [١] كقوله تعالى : « نعم العبد » أى أيوب أو هو ، لدلالة ماقبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله « فنعم الماهدون » ، أى نحن [٢]

[مواضع الوصل [٣]]

وإن لم يكن بين الجملتين شىء من الأحوال الأربع تعين الوصل

[الوصل لدفع الأيهام] :

إما لدفع ايهام خلاف المقصود [٤] ، كقول البلغاء : لا وأيدك

---

(١) أى اكتفاء بالقرينة .

(٢) على قول من يجعل المخصوص خبرا لمبتدأ أى هم نحن .

(٣) انتهى الكلام على الأحوال الأربعة المقتضية للفصل وهى : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كل منهما .

وهذا شروع فى مواضع الوصل وهى حالتان : كمال الانقطاع مع الايهام ، والتوسط بين الكمالين .

(٤) أى مع صرف النظر عما بين الجملتين من كمال انقطاع ، لاجل دفع ايهام السامع خلاف مراد المتكلم لو لم يعطف - وراجع فى ذلك المفتاح ص ١٣٩

الله [1]

وهذا عكس الفصل للقطع

[الوصل للتوسط بين الكمالين] :

وإما [2] للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع وكمال الاتصال

---

(١) مر رجل بأبى بكر ، ومع الرجل ثوب فقال له : أتبيع الثوب ؟ فقال الرجل : لا. عافاك الله ، فقال أبو بكر : لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: لا وعافاك الله [١٧٩ ج١ البيان والتبيين للجاحظ ، ٣٥٨ الادب الاسلامى لمحمود مصطفى] ، وبين المأمون وابن المبارك حوار فى « لا وجعلنى الله فداك » [راجع ذلك فى ص ١٥٤ من أدب الكتاب للصولى]

والوصل هنا نظير الفصل لدفع الايهام الكائن فى الوصل فى قوله « أراها فى الضلال تهيم » ، وقال السبكى : « الظاهر أن الواو ليست هنا للعطف بل هى زائدة لدفع الايهام وليست عاطفة فنى ذكر هذا القسم فى باب الوصل ايهام »

وايدك الله : قولهم لارد الكلام سابق كما اذا قيل هل الامر كذلك فيقال لا، أى ليس الأمر كذلك ، فهذه جملة اخبارية وايدك الله جملة انشائية دعائية فبينهما كمال الانقطاع لكن عطفت عليها لأن ترك العطف يوهم انه دعاء على المخاطب بعدم التأييد مع ان المقصود الدعاء له بالتأييد ، فاينما وقع هذا الكلام فالمعطوف عليه هو مضمون قولهم لا. والزوزنى لما لم يقف على المعطوف عليه فى هذا الكلام نقل عن الثعالبى حكاية مشتملة على قوله « قلت لا وايدك الله » وزعم ان قوله « وايدك الله » عطف على قوله « قلت » ، ولم يعرف انه لو كان كذلك لم يدخل الدعاء تحت القول ، وانه لو لم يحك الحكاية فحين قال للمخاطب « لا وأيدك الله » فلا بد له من معطوف عليه

(٢) عطف على قوله « إما لدفع ايهام خلاف المقصود » هذا ووجود الجامع هنا أمر لا بد منه فى جميع صور التوسط بين الكمالين لانه اذا لم يكن بينهما جامع فبينهما كمال الانقطاع

وهو ضربان :

أحدهما أن يتفقا خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى ، كقوله تعالى : « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم »[١] ، وقوله « يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى »[٢] ؛ وقوله « يخادعون الله وهو خادعهم »[٣] ، وقوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا »[٤]

والثانى أن يتفقا كذلك[٥] معنى لا لفظا[٦] ، كقوله تعالى « وإذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذوى

---

(١) الجامع التضاد بين المسندين والمسند إليهما فى الجملتين . والمثال الجملتان فيه خبريتان لفظا ومعنى مع التناسب فى الاسمية ـ الجامع فى الاية وهمى

(٢) المثال الجملتان فيه خبريتان لفظا ومعنى مع التناسب فى الفعلية

(٣) الجامع بينهما اتحاد المسند فيهما فهو جامع عقلى وكون المسند إليه فيهما أحدهما مخادع والآخر مخادع فبينهما شبه التضايف فالجامع عقلى وشبه التضاد لما تشعر به المخادعة من العداوة فالجامع وهمى

والجملتان خبريتان لفظا ومعنى مع عدم التناسب بينهما فى الفعلية والاسمية

(٤) الجمل الثلاث كل منها انشائية لفظا ومعنى والجامع بينهما اتحاد المسند إليه فيهما فهو عقلى وتناسب المسند لما بين الأمر بالاكل والشرب وعدم الاسراف من تقارب فى الخيال فالجامع بينهما خيالى

(٥) أى خبرا وإنشاء

(٦) الجملتان المتفقتان خبرا أو انشاء لفظا ومعنى قسمان : لأنهما إما انشائيتان أو خبريتان

أما المتفقتان معنى فقط فهما ستة أقسام ، لانهما ان كانتا انشائيتين معنى فاللفظان اما خبران أو الاولى خبر والثانية انشاء أو بالعكس ، وان كانتا خبريتين معنى فاللفظان اما انشآن أو الاولى انشاء والثانية خبر أو بالعكس

القربى واليتامى والمساكين وقولوا » ، عطف قوله « وقولوا » على قوله « لا تعبدون » لأنه بمعنى لا تعبدوا [1] وأما قوله « وبالوالدين إحسانا »

= والمصنف اورد للقسمين الأولين أمثلتهما، وأورد للاتفاق معنى فقط مثالا واحدا يمكن تطبيقه على قسمين من اقسامه الستة هما الخبريتان لفظا مع كونهما انشائيتين معنى ، والانشائيتان معنى مع كـــون الاولى خبرية فى اللفظ والثانية انشائية فيه

ويمكننا أن نمثل لجميع اقسام التوسط بين الـــكمالين :

الجملتان المتفقتـان لفظا ومعنى :

الخبريتان : حضر أخى وسافر صديقه

الانشائيتان . اجتهدوا ولا تتوانوا عن العمل

المتفقتان معنى فقط .

١ ــ انشائيتان معنى

خبريتان لفظا . أيدك الله وهداك

الاولى خبرية والثانية انشائية فى اللفظ . أيدك الله وليرعك برعايتـه

العكس . ليكتب لك التوفيق وأمدك بعنايته

٢ ــ خبريتان معنى .

انشائيتان : ألم أساعدك وألم أضح فى سبيلك

الاولى انشائية والثانية خبرية فى اللفظ: ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك

العكس : ساعدتك طويلا وهل فى ذلك شك

(١) فهما مع اختلافهما لفظا ـ لأن الاولى انشائية فى اللفظ والثانية خبرية فى اللفظ ـ انشائيتان فى المعنى لأن « لا تعبدون » اخبار فى معنى الانشاء ــ هذا والجامع بينهما اتحاد المسند اليه فيهما واتحاد المسند أيضا فيهما لأن كلا من تخصيص الله بالعبادة والاحسان للوالدين والقول الحسن للناس عبادة مامور بها ـ وانما أول لا تعبدون بلا تعبدوا لأن أخذ الميثاق يقتضى الأمر والنهى واذا وقع بعده خبر أول بالأمر أو بالنهى كما هنا

فتقديره : إما وتحسنون بمعنى وأحسنوا ، وإما وأحسنوا ، وهذا أبلغ من صريح الأمر لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه (١)

وأما قوله (٢) فى سورة البقرة : « وبشر الذين آمنوا » فقال الزمخشرى فيه : فان قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه ؟ قلت : المراد ليس الذى اعتمد بالعطف هو الأمر حتى

---

(١) قوله تعالى « وبالوالدين احسانا » المصدر هنا لابد له من فعل فاما أن يقدر « وتحسنون » بقرينة : لا تعبدون ، فيكون خبرا فى معنى الطلب اذ هو بمعنى وأحسنوا ، فتكون الجملتان خبرا لفظا انشاء معنى ؛ وفائدة تقدير الخبر ثم جعله بمعنى الانشاء أما لفظا فالملاءمة مع قوله « لا تعبدون » ، وأما معنى فالمبالغة باعتبار أن المخاطب كأنه سارع الى الامتثال فهو يخبر عنه ، كما تقول : تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الأمر ، أى اذهب اليه فقل كذا ، وهو أبلغ من الصريح

واما أن يقدر الفعل من اول الامر بصريح الطلب ، أى « واحسنوا » بقرينة « وقولوا » . وذلك على ماهو الظاهر لأن الأصل فى الطلب أن يكون بصيغته الصريحة ، أما قرينة « وقولوا » فيعارضها قرينة « لا تعبدون » . فتكون الجملتان إنشائيتين معنى مع أن لفظ الأولى إخبار ولفظ الثانية إنشاء

فقوله : « وهذا أبلغ من صريح الأمر » ، اسم الاشارة يعود إلى تقدير الفعل المحذوف على أنه « وتحسنون » بمعنى أحسنوا

(٢) راجع ١١٢ من المفتاح

يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه ، انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهى معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين ؛ كما تقول « زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمراً بالعفو والاطلاق »[١] ولك أن تقول هو معطوف على فاتقوا كما تقول يابنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يافلان بنى أسد باحسانى اليهم هذا كلامه

وفيه نظر لا يخفى على المتأمل[٢]

وقال[٣] أيضا فى قوله تعالى فى سورة الصف : « وبشر المومنين » إنه معطوف على « تؤمنون » لأنه بمعنى آمنوا

وفيه أيضا نظر : لان المخاطبين فى « تؤمنون » هم المؤمنون وفى « بشر » هو النبى عليه السلام ، ثم قوله « تؤمنون » بيان لما قبله على سبيل الاستئناف فكيف يصح عطف « بشر المؤمنين » عليه[٤]

---

(١) فهو عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر

(٢) قيل وجه النظر أنه ليس بينهما اتحاد فى المسند إليه . ويرد على ذلك بأن بين المسند إليهما تناسبا

(٣) أى الزمخشرى — راجع ١١٣ و١٣٩ من المفتاح فى الكلام على الآية

(٤) والجواب عن الإعتراض الأول هو أن بين المسند إليهما تناسبا فلا يمنع اختلاف المخاطبين هنا من العطف مع أن « بشر » يجوز أن تكون خطابا لكل واحد

وذهب السكاكى [١] إلى أنهما معطوفان على «قل» مرادا قبل «يا أيها الناس ، ويا أيها الذين آمنوا» لأن إرادة القول بواسطه انصباب الكلام إلى معناه غير عزيزة فى القرآن ؛ وذكر صورا كثيرة منها قوله تعالى : « وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا » ، وقوله : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا » ، وقوله : « وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا » ، أى وقلنا أو قائلين

والأقرب [٢] أن يكون الأمر فى الآيتين معطوفا على مقدر يدل عليه ماقبله ، وهو فى الاية الاولى : « فأنذر » أونحوه أى « فأنذهم وبشر الذين آمنوا » وفى الاية الثانية : « فأبشر أو نحوه » أى فابشر يامحمد وبشر المؤمنين . وهذا كما قدر الزمخشرى قوله تعالى : « واهجرنى مليا » معطوفا على محذوف يدل عليه قوله : « لارجمنك » أى فاحذرنى واهجرنى ، لان « لارجمنك » تهديد

---

(١) ص ١١٣ المفتاح .

(٢) هذا هو رأى الخطيب .

فالخلاصة أن الزمخشرى يجعل العطف من عطف قصه على قصة أو من عطف فعل على فعل مع تقدير ، والسكاكى يجعل العطف على فعل قول مقدر . والخطيب يجعل العطف على فعل مقدر يدل عليه ماقبله .

[الجامع [١]]

والجامع بين الجملتين [٢] يجب أن يكون باعتبار المسند اليه فى هذه والمسند إليه فى هذه وباعتبار المسند فى هذه والمسند فى هذه جميعا [٣] كقولك يشعر زيد ويكتب [٤] ويعطى ويمنع [٥] وقولك زيد شاعر وعمرو كاتب، وزيد طويل وعمرو قصير إذا كان بينهما مناسبة كان يكونا أخوين أو نظيرين [٦] بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو كاتب اذا لم يكن بينهما مناسبة [٧] .

---

(١) راجع ص ١٧٢ — ١٧٤ دلائل ١١، مفتاح، والجامع هو الوصف الذى يقرب بين الشيئين ويقتضى الجمع بينهما .

(٢) لهما محل من الأعراب أم لا

(٣) سواء اتحد المسندان أو المسند إليهما أم تغايرا . . هذا والمتعلقات يجب الجامع أيضا فيها إن كانت مقصودة بالذات فى الجملتين وإلا فلا .

(٤) للمناسبة الظاهرة بين الشعر والكتابه وتقارنهما فى خيال أصحابهما مع اتحاد المسند إليه فيهما، فالجامع بين المسند إليه فيهما عقلى، وبين المسند فيهما عقلى باعتبار المناسبة والمماثلة بين الشعر والكتابة أو خيالى باعتبار التقارن فى الخيال

(٥) لتضاد الأعطاء والمنع فالجامع بينهما وهمى

(٦) فلابد من مناسبة وعلاقة خاصة ولا تكفى المناسبة العامة

(٧) فانه لايصح وإن اتحد المسندان، ولعدم المناسبة الخاصة المشترطة عند التغاير حكموا بامتناع «خفى ضيق وخاتمى ضيق» ولاعبرة بكونهما ملبوسين لبعدهما مالم يوجد بينهما تقارن فى الخيال لأجل ذلك أو لغيره أو يكن المقام مقام ذكر الأشياء المتفقة فى الضيق من حيث هى ضيقة وإلا جاز العطف . وفى عبد الحكيم أن محل المنع اذا كان المقام مقام الاشتغال بذكر الخواتم أما إن كان مقام بيان الأمور المتعلقة بالشخص فيجوز

وقولنا زيد شاعر وعمرو طويل ، كان بينهما [١] مناسبة أولا :

وعليه قوله تعالى : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » قطع عما قبله لأنه كلام فى شأن الذين كفروا وما قبله كلام فى شأن القرآن

وأما ما يشعر به ظاهر كلام السكاكى فى مواضع من كتابه أنه يكفى أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فانه منقوض بما مر وبنحو قولك هزم الأمير الجند يوم الجمعة وخاط زيد ثوبى فيه ، ولعله سهو فانه صرح فى موضع آخر منه بامتناع عطف قول القائل : خفى ضيق » على قوله « خاتمى ضيق » مع اتحادهما فى الخبر [٢]

---

(١) أى بين زيد وعمرو ، فعدم صحة العطف لعدم تناسب الشعر وطول القامة فالمناسبة معدومة بين المسندين فى الجملتين قطعا ، وكذلك بين المسند اليهما فيهما إذا لم تكن بينها مناسبة فهى معدومة من جهة أو جهتين — وراجع فى هـذا الدلائل ص ١٧٣ .

ملاحظة .

راجع نقد البيت : « تكامل فيها الدل والشنب »

(٢) هذا وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب فى الغرض الذى تصاغ له الجملة يكفى فى صحة العطف ولو لم يتحد الطرفان فى الجملتين مثل أن تذكر ما وقع فى يوم من الأيام فتقول : فيه اعتدل الجو وسافر الضيف ومرضت شقيقتى وهكذا . وقال العسكرى : ومثل هذا قول القائل لو قال : « خلق فلان حسن وشعره جعد » ، ليس هذا من تأليف البلغاء ونظم الفصحاء (٣٧١ الصناعين) .

ثم قال [١] :

الجامع بين الشيئين عقلى ووهمى وخيالى :

[الجامع العقلى] :

أما العقلى فهو :

---

(١) أى السكاكى إذ ذكر أنه يجب أن يكون بين الجملتين مايجمعهما فى القوة المفكرة جمعاً من جهة العقل وهو الجامع العقلى ، أو من جهة الوهم وهو الجامع الوهمى أو من جهة الخيال وهو الجامع الخيالى .

فالجامع العقلى هو الجامع الذى يجمع العقل بين الجملتين بسببه فى القوة المفكرة والجامع الوهمى هو أمر يجمع بين الشيئين فى القوة المفكرة جمعاً ناشئاً من جهة الوهم وذلك بأن يتحيل بسبب ذلك الجامع على جمعهما فى المفكرة وذلك كالتضاد وشبه التماثل . والجامع الخيالى أمر يجمع بين الشيئين فى القوة المفكرة جمعا ناشئا من جهة الخيال بأن يتحيل على جمعهما فى المفكرة وذلك كالتقارن

هذا وإنما كان الجمع فى المفكرة لأن الجمع من باب التركيب وهو شأنها .

هذا والقوى الباطنية المدركة اربعة :

فالقوة العاقلة قائمة بالنفس تدرك الكليات والجزئيات المجردة عن عوارض المادة المعروضة للصور وعن الابعاد . وخزانتها العقل الفياض المدبر لفلك القمر

والقوة الوهمية قوة مدركة للمعانى الجزئية الموجودة التى لاتتأتى إلى مدركها من جهة الحواس كادراك صداقة زيد وعداوة عمرو . ومحل تلك القوة اول التجويف الآخر من الدفاع . وخزانتها الذاكرة والحافظة وهى قائمة بمؤخر تجويف الوهم

اما الحس المشترك : فهو القوة التى تصل إلى الصور المحسوسة الجزئية من =

. . . . . .

= الحواس الظاهرة فتدركها وهى قائمة بأول التجويف الأول من الدماغ من جهة الجبهة ، والمراد بالصور المدركه بها مايمكن ادراكه بالحواس الظاهره ولو كان مسموعا والمراد بالمعانى الجزئية المدركة للوهم مالا يمكن ادراكه .

وخزانة الحس المشترك الخيال وهو قوة قائمة بآخر تجويف الحس المشترك تبقى فيه تلك الصور بعد غيبتها عن الحس المشترك .

وأما المفكرة فقوة فى التجويف المتوسط بين الخزانتين تتصرف فى الصور الخياليه وفى المعانى الجزئية الوهمية وفى العقلية ، فاذا حكمت بين تلك الصور والمعانى بواسطة العقل كانت مفكرة فى الحقيقة وأن حكمت بواسطة الخيال فتخيله أو بواسطه الوهم فتوهمة . وليس لها خزانة بل خزانتها جميع خزائن القوى الأخرى

هذا وعبارة السكاكى : أن يكون بين الجملتين اتحاد فى تصور مثل الاتحاد فى المخبر عنه أو الخبر أو فى قيد من قيودهما ، . وذلك يقتضى ان الجملتين يكفى فى الجامع بينهما الاتحاد فى واحد من هذه الأشياء وقد سبق بيان ضرورة وجود الجامع بين المسندين والمسند إليهما فى الجملتين ، وقد أجيب عن السكاكى بأن كلامه هنا فى بيان الجامع فى الجملة لافى بيان القدر الكافى بين الجملتين فقد ذكره فى موضع آخر أو أن مراده أن الاتحاد فى واحد منها كاف حيث يقصد الاجتماع فيه بالذات وأما المصنف فحمل كلامه على ظاهره ودفع اختلاله بابداله الجملتين بالشيئين وتعريفه كلمة « تصور » الواردة فى كلام السكاكى منكرة ، وإن كان ذلك قد ادى إلى خلل فى كلام المصنف فى قوله : « الوهمى أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل أو تضاد أو شبه تضاد ، والخيالى أن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال ، لان التضاد مثلا انما هو بين نفس السواد والبياض لا بين تصوريهما أعنى العلم بهما وكذا التقارن فى الخيال انما هو بين نفس الصور .

أن يكون بينهما اتحاد فى التصور [١] ، أو تماثل [٢] : فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص فى الخارج يرفع التعدد ، أو تضايف [٣] كما بين العلة والمعلول [٤] والسبب والمسبب والسفل والعلو والأقل والأكثر فان العقل يأبى أن لايجتمعا فى الذهن

---

(١) الذى أوجب الجمع عند المفكرة قوة العقل المدركة بسبب الاتحاد أو التماثل مثلا فلذذا يسمى كل منهما جامعا عقليا فتسمية الاتحـــاد فى التصور مثلا جامعا عقليا لكونه سببا فى جمع العقل بين الشئين ، فالجامع العقلى هو السبب فى جمع العقل سواء كان مدركا بالعقل أو بالوهم وليس المراد به ما كان مدركا بالعقل وقوله اتحاد فى التصور أى فى جنس المتصور ولا يكفى الاتحاد فى متصور واحد . والمراد بالاتحاد فى التصور أن يكون الثانى هو الأول .

(٢) بأن يتفقا فى الحقيقة ويختلفا فى العوارض . فالمراد بالتماثل ههنا اشتراكهما فى وصف له مزيد اختصاص بهما .

(٣) وهو كون الشيئين بحيث لايمكن تعقل كل منهما إلا بالقياس إلى تعقل الاخر فيكون تصور أحدهما لا زما لتصور الاخر .

(٤) أى كالتضايف الذى بين مفهوم العلة — وهى كون الشىء سببا — ومفهوم المعلول — وهون الشىء مسببا عن ذلك الشىء أو بين ما صدق العلة وما صدق المعلول باعتبار مفهومهما .

هذا وسمى جمع الاتحـــاد والتماثل والتضايف عقليا لأن العقل يدرك بها الأمور على حقائقها .

(الجامع الوهمى)

وأما الوهمى [١] : فهو ان يكون بين تصوريهما :

[١ —] شبه تماثل [٢] كلون بياض ولون صفرة

فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة فى قوله [محمد بن وهيب]

ثلاثه تشرق الدنيا ببهجتها .: شمس الضحى وأبو اسحق والقمر [٣]

(٢ ـ) أو تضاد [٤] كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن والحلاوة والحموضه والملاسة والخشونه وكالتحرك

---

(١) هو أمر بسببه يحتال الوهم فى اجتماع الشيئين عند المفكرة بخلاف العقل فانه اذا خلى ونفسه لم يحكم بذلك الاجتماع لهذا الأمر لأن العقل يدرك الامور على حقائقها بخلاف الوهم فمن شأنه خلاف ذلك .

فالجامع الوهمى ليس امر جامعا فى الواقع بل باعتبار أن الوهم جعله جامعا كشبه التماثل والتضاد وشبه التضاد .

(٢) المراد بالتماثل الاتحاد فى النوع بأن يكون بين الشيئين تقارب وتشابه باعتبار وتباين باعتبار آخر

(٣) فالوهم يتوهم الثلاثة من نوع واحد وانما اختلفت العوارض ، والعقل يعرف أنهـــا امور متباينة . والبيت من عطف المفردات ؛ وهى كالجمل يشترط فيها الجامع .

(٤) وهو التقابل بين امرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد . خرج =

والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانـــكار والايمان والـكفر[١] وكالمتصفات بذلك كالاسود والابيض والمؤمن والـكافر .

(٣ ـ) أو شـبه تضاد[٢] كالسماء والارض والسهل والجبل والاول والثـــانى ، فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة

= بالوجود بين تقابل الايجاب والسلب وتقابل العدم والملكه وهو ثبوت شيء وعدمه عما من شأنه ذلك كتقابل العمى للبصر ، والمراد بالوجودى هنا ماليس العدم داخلا فى مفهو ميته فيشمل الامور الاعتبارية فيدخل المتضايفان فلايد اذا من زيادة قيد « لايتوقف تعقل احدهما على تعقل الآخر »

و « يتعاقبان على محل واحد » اى يمكن ذلك لاأن ذلك بالفعل لأن الضدين قد يرتفعان

(١) هذا بناء على ان الـكفر وجودى وهو الجحد

والحق ان بين الايمان والـكفر تقابل العدم والملكه لأن الـكفر عدم التصديق عما من شأنه التصـديق . وقد يقال الـكفر انـكار شيء من ذلك فيكون وجوديا فيكونان متضادين

(٢) بان لايكون احد الشيئين ضدا للاخر ولا موصوفا بضد ما وصف به الآخر ولـكن يستلزم كل منهما معنى ينافى مايستلزمه الآخر

ملاحظة :

وأنواع التقابل أربعة :

التماثل ـــ التضاد ـــ التناقض ـ العدم والملكه

المتضايفين فيجمع بينهما فى الذهن ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد

(الجامع الخيالى [١]) :

والخيالى أن يكون بين تصوريهما تقارن فى الخيال [٢] سابق [٣]

وأسبابه مختلفة [٤] — ولذلك اختلفت الصو الثابتة فى الخيالات ترتبا ووضوحا ، [٥] فكم صور تتعانق فى خيال وهى فى آخر

---

(١) راجع ١٥٤ ج ١ زهر الادب ؛ ١٢٥ ج ٢ البيان ، ٧٠ ، ٧٤ طراز المجالس ، ١١١ من المفتاح

وهو امر بسببه يقتضى الخيال اجتماعهما فى المفكرة ولوكان فى أصله عقليا لكونه كليا أو وهميا لكونه جزئيا .

فالجامع الخيالى مايتعلق بالصور الخيالية ولوكان عقليا أو وهميا فى أصله ، والجامع الوهمى مايحتال بسببه الوهم على الجمع عند المفكرة ولو سبق اليه الخيال لكونه مدركا به بالخصوص اولا فأخذ منه العقل

هذا والحس المشترك هو القوة المدركة للصور الحسية والخيال خزانته فنسب هنا الادراك الى الخزانة لاالى القوة المدركة تساهلا . فأصل الكلام هنا « يقتضى الحس المشترك الذى خزانته الخيال » بدلا من « يقتضى الخيال »

(٢) اى خيال السامع على ماهو الغالب من مراعاة حال المخاطب والمراد بتقارنهما فى الخيال تقارنهما فيه عند التذكر والاحضار

(٣) اى على العطف ؛ لأسباب مؤديه الى ذلك

(٤) باختلاف البيئة والصناعة والأشخاص والعصور

(٥) المراد بالوضوح عدم غيبتها عن الخيال وبالترتب اجتماعها فى الخيال بحيث

لاتتراءى ، وكم صورة لاتكاد تلوح فى خيال وهى فى غيره نار على علم، كما يحكى [١] أن صاحب سلاح ملك وصائغا وصاحب بقر و معلم صبية سافروا ذات يوم وواصلوا سير النهار بسير الليل ، فبينما هم فى وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال ،طلع عليهم البدر بنوره فأفاض كل منهم فى الثناء عليه وشبهه بأفضل مافى خزانة صوره ، فشبهه السلاحى بالترس المذهب يرفع عند الملك ،والصائغ بالسبيكة من الابريز تفتر عن وجهها البتوقة ، والبقار بالجبن الابيض يخرج من قالبه طريا والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذى مروءة،وكما يحكى [٢] عن وراق يصف حاله : عيشى أضيق من محبرة وجسمى أدق من مسطرة وجاهى أرق من الزجاج ؛ وحظى أخفى من شق القلم وبدنى أضعف من قصبة وطعامى أمر من العفص وشرابى أشد سوادا من الحبر وسوء الحال لى ألزم من الصمغ

ولصاحب [٣] علم المعانى فضل احتياج الى التنبه لأنواع الجامع

= لاتنفك عن بعض والاولى تفسير الترتب بأن يكون حضور الصور على وجه مخصوص لايكون فى آخر كذلك لأنه بالمعنى الاول هو والوضوح متلازمان

(١) راجع ١١١ من المفتاح

(٢) راجع ١١٢ من المفتاح ، ٢٢٢ ج ٢ زهر الادب

(٣) راجع ١١٢ من المفتاح

لاسيما الخيالى فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ماتنعقد الاسباب فى ذلك [١] كالجمع بين الابل والسماء والجبال والارض فى قوله تعالى « أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت » بالنسبه الى أهل الوبر ، فان جل انتفاعهم فى معاشهم من الابل فتكون عنايتهم مصروفة اليها ، وانتفاعهم منها لايحصل الا بان ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر فيكثر تقلب وجوههم فى السماء ثم لابد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون به ولاشىء لهم فى ذلك كالجبال ثم لاغنى لهم لتعذر طول مكثهم فى منزل عن التنقل من أرض الى سواها فاذا فتش البدوى فى خياله وجد صور هذه الاشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور بخلاف الحضرى فاذا تلا قبل الوقوف على ماذكرنا ظن النسق لجهله معيبا

---

(١) أى بحسب انعقاد ووجود الاسباب فى اثبات الصور فى خزانة الخيال ، وتباين الأسباب مما يفوته الحصر

(محسنات الوصل [١])

ومن محسنات الوصل [٢] تناسب الجملتين فى الاسميه والفعليه [٣]

---

(١) راجع ١١٨ من المفتاح.

(٢) أى بعد وجود المصحح للعطف لاتفاق الجملتين خبرا وانشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط مع وجود الجامع.

(٣) ظاهر هذا أن العطف صحيح بدون التناسب المذكور فى الاسمية والفعلية والماضوية والمضارعيه ، فيصح عطف الاسمية على الفعل والعكس ، وإنما يعدل للتناسب المذكور لافادة الحسن فقط ، وليس كذلك اذ التناسب قد يكون واجبا وقد يكون ممنوعا فاذا قصد تجريد النسبة فى الجملتين عن الخصوصية بان أريد مطلق الحصول تعين التناسب فيقال زيد قائم وعمرو قاعد أو قام زيد وجلس صديقه، بناء على ان الاسمية لا تفيد الدوام الا بالقرائن والفعلية لا تفيد التجدد إلا بها ولا دلالة لها على أكثر من الثبوت ، وكذا يتعين التناسب إذا أريد الدوام فيهما أو التجدد فيهما بناء على إفادة الاسمية للدوام والفعلية للتجدد . أما إذا قصد الدوام فى احداهما والتجدد فى الأخرى امتنع التناسب وتعين أن يقال عند قصد الدوام فى الاولى والتجدد فى الثانية : زيد قائم وجلس صديقه وعند قصد العكس قام زيد وصديقه جالس ـ فالنسبة الواقعة فى الجملتين ثلاثة أقسام : مجرده عن الخصوصية فى القصد من دوام أو تجدد، وما قصد الدوام فى احداهما والتجدد فى الأخرى والتناسب فى هذين القسمين واجب فى الاول وممنوع فى الثانى، والثالث أن تقصد النسبة فى ضمن أى خصوصية وهذا هو محل الاستحسان.

وفى المضى والمضارعه [١] ، إلا المانع [٢] كما إذا أريد باحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو فلت قام زيد وعمرو قاعد [٣] كما سبق

---

(١) فاذا أردت مجرد الأخبار من غير قصد تعرض للتجدد فى احداهما والثبوت فى الأخرى وان كان ذلك موجودا بالفعل لا بالقصد قلت قام زيد وقعد عمرو وكذلك زيد قائم وعمرو قاعد ، فلا يترك هذا التناسب الا المانع .

(٢) مثل أن يراد فى أحداهما التجدد وفى الاخر الثبوت فيقال قام زيد وعمرو قاعد

أو يراد فى أحداهما المضى وفى الاخرى المضارعه فيقال زيد قام وعمرو يقعد

أو يراد فى احداهما الاطلاق وفى الاخرى التقييد بفعل الشرط كقوله تعالى : « وقالوا لولا انزل عليه الملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر » فالجملة الاولى مطلقه والثانية مقيدة بفعل الشرط وقد عطفا على بعض . ومنه قوله تعالى : « فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون » فقوله : « ولا يستقدمون » عطف على الشرطية قبلها أى على مجموع الشرط والجزاء وهو الاظهر أو على « لايستأخرون » مأخوذا مع قيده على جعل الشرط قيدا للجزاء بان تجعل الشرطية جملة مقيدة وهذا كالاول وان تخالفا اعتبارا : أوليست عطفا على الجزاء « لايستأخرون » وحده من حيث هو جزاء . والالكان هو ايضا جوابا إذ المعطوف على الجواب جواب فيرد عليه أنه لامعنى لقولنا « إذا جاء أجلهم لايستقدمون » لأنه لايتصور التقدم بعد مجىء الاجل وحينئذ فلا فائدة فى نفيه

واشتراك المعطوف فى القيد الخاص بالمعطوف عليه هو الظاهر ولكنه قد يخالف لدليل أقوى من الظاهر كما فى الاية وأجاز بعضهم العطف على « لايستأخرون » للمبالغة فى انتفاء التأخير ، وقال بعضهم أن جملة « ولا يستقدمون » جملة استئنافة فالمعطوف فى الايه مطلق والمعطوف عليه مقيد بالشرط بعكس الآية السابقة =

[الجملة الحالية (١)]

ومما يتصل بهذا الباب القول فى الجملة اذا وقعت حالا منتقله (٢) ، فانها تجىء تارة بالواو وتارة بغير الواو ، فنقول :

أصل (٣) الحال المنتقلة أن تكون بغير واو لوجوه .

الاول ان إعرابها ليس بتبع وما ليس اعرابه بتبع لا يدخله الواو وهذه الواو وان كانت تسمى واو الحال فان أصلها العطف

= والجامع فى الاية السابقة أن نزول الملك على تقدير وجوده سبب فى نظرهم لنجاتهم وايمانهم وهذا هو ماتضمنته الجملة الاولى أما الجملة الثانية فقد تضمنت أن نزوله سبب هلاكهم وعدم أيمانهم وسوق الجملتين لافادة غرض واحد يتحقق فيه الجامع عند السبك بما يصحح العطف عندهم ولو كان أحداهما فى اللفظ خبرا والاخرى لفظا إنشاء فأحرى الشرطيه وغيرها ولايخفى تحقق الجامع بما ذكر من التأويل

(١) وعليه قوله تعالى . « سواء عليكم ادعوتموهم أم انتم صامتون » (راجع ١١٨ مفتاح ١٦٨ دلائل الاعجاز)

(١) راجع ١١٩ من المفتاح ، ١٥٦ — ١٧٢ من الدلائل

(٢) حاصل ما ذكر هنا خمسة أقسام : ما يتعين فيه الواو ، مايتعين فيه الضمير ما يجوز فيه الأمران على السواء ، ما يترجح فيه الضمير ، ما يترجح فيه الواو والحال المنتقلة هى الغير اللازمة لصاحبها

(٣) اى الكثير الراجح فيها كما يقال الاصل فى الكلام الحقيقة ، أو الاصل بمعنى مقتضى الدليل

واحترز بالمنتقلة عن اللازمة مثل هذا أبوك عطوفا وخلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها وكذلك عن المؤكدة المقررة لمضمون الجملة فانها يجب أن تكون بغير واو لشدة ارتباطها بما قبلها

الثانى أن الحال فى المعنى حكم على ذى الحال كالخبر بالنسبة الى المبتدأ (١) إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالاصالة لا فى ضمن شىء آخر والحكم بها إنما يحصل فى ضمن غيرها (٢) فان الركوب مثلا فى قولنا جاء زيدا راكبا محكوم به على زيد لكن لا بالاصالة بل بالتبعية ، بأن وصل بالمجىء وجعل قيدا له بخلافه فى قولنا زيد راكب

الثالث أنها فى الحقيقة وصف لذى الحال فلا يدخلها الواو كالنعت (٣)

فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو لكن خولف الأصل فيها إذا كانت جملة لأنها بالنظر اليها من حيث هى جملة (٤) مستقلة بالافادة فتحتاج (٥)

---

(١) وان كان الخبر حكما فى اللفظ أيضا بخلاف الحال فى ذلك فانه حكم فى المعنى فقط

(٢) من حيث انه فضلة يستقيم الكلام بدونها والمسند هو المقصود بالذات من حيث انه مسند وركن لا يستقيم الكلام إلا به وذلك لا ينافى أن المقصود للبليغ هو القيد

(٣) اى بالنسبة للنعوت إلا أن المقصود فى الحال كون صاحبها على هذا الوصف حال مباشرة الفعل فهى قيد للفعل وبيان لكيفية وقوعه بخلاف النعت فانه لا يقصد به ذلك بل مجرد اتصاف المنعوت به ، واذا كانت الحال مثل الخبر والنعت فكما انهما يكونان بدون الواو فكذلك الحال ، وأما ما أورده بعض النحويين من الاخبار والنعوت المصدرة بالواو كالخبر فى باب كان مثل مصبحا وهو عريان والجمله الوصفية المصدرة بالواو التى تسمى واو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف مثل وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم فعلى سبيل التشبيه والالحاق بالحال

(٤) قال « من حيث هى جمله » لأنها من حيث هى حال غير مستقلة بل متوقفة على الارتباط بكلام سابق قصد تقييده بها فلا تحتاج الى رابط

(٥) أى الجملة الواقعة حالا

الى مايربطها بماجعلت حالا عنه ، وكل واحد من الضمير [١] والواو صالح للربط ، والاصل [٢] الضمير بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفرده والخبر والنعت [٣]

واذا تمهد هذا فنقول :

الجملة التى تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير ماتقع حالا عنه ، وغير خالية .

أما الاولى :

فيجب أن تكون [٤] بالواو لئلا تصير منقطعة عنه غير

---

(١) أى ضمير صاحب الحال

(٢) اى الذى لايعدل عنه مالم تمس حاجة الى زيادة ارتباط فحينئذ يؤتى بالواو لأنها أقوى

(٣) اى مفردين أو جملتين ، والحاصل ان الضمير اصل فى الربط بحسب الاستعمال لا من حيث الوضع ، وأما الواو فهى أصل باعتبار الوضع ، ثم يرد على كلامه أن الحال المفردة الضمير فيها ليس للربط ، واجاب عبد الحكيم : بأن المراد ما كان مثل اكرمت زيدا قائما أبوه وكذا فى الخبر والنعت

(٤) اى لفظا أو تقديرا ، والفرق بينها وبين الخبريه والنعتية أن الخبر جزء الجملة وذلك كاف فى الربط فلم تناسبها الواو التى اصلها العطف الذى لا يكون للخبر والنعتية تدل على معنى فى المنعوت فصارت كانها من تمامه فلم تناسبها الواو أيضا فاكتفى فيهما بالضمير بخلاف الحالية فهى فضلة مستغنى عنها فاحتيجت الى الرابط [الضمير وإلا تعينت الواو]

مرتبطة [١] به ؛ وكل جملة خالية عن ضمير مايجوز [٢] أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالا عنه اذا كانت مع الواو ، الا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك « جاء زيد ويتكلم عمرو » على أن يكون « ويتكلم عمرو » حالا عن زيد ، لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده

---

(١) فلا يجوز خرجت زيد قائم بدون واو

ولما ذكر أن كل جملة خلت عن الضمير وجبت فيها الواو أراد أن يبين ان أى جملة يجوز فيها ذلك واى جملة لا يجوز ، فان من الجمل الخالية عن الضمير ما يصح أن تقع حالا فتجب الواو ومنها ما لا يصح وقوعها حالا

(٢) اى عن ضمير الاسم الذى يجوز وقوع الحال عنه، وذلك بان يكون الاسم فاعلا أو مفعولا : معرفين او منكرين مخصوصين بنعت أو إضافة أو نفى او استفهام أو نهى ، لا نكرة محضة خالية من التخصيص أو مبتدأ أو خبرا فانه لا يجوز أن ينتصب عن هذه الثلاثة حال على الاصح

وانما لم يقل عن ضمير صاحب الحال لأن قوله « كل جملة » مبتدأ خبره قوله بعد، يصح أن تقع حالا عنه بالواو، أى يصح ان تقع تلك الجملة حالا عما يجوز أن ينتصب عنه الحال ، ولما لم يثبت له هذا الحكم - اعنى وقوع الحال عنه لم يصح اطلاق اسم صاحب الحال عليه إلا مجازا باعتبار مايؤول . وانما قال : ينتصب عنه حال » ، ولم يقل « يجوز ان تقع تلك الجملة حالا عنه » ، لتدخل فيه الجملة الخالية عن الضمير المصدرة بالمضارع المثبت ، ودخولها مطلوب لأجل إخراجها بعد ذلك بالاستثناء — ، لأن ذلك الاسم مما لايجوز ان تقع تلك الجملة حالا عنه لكنه مما يجوز أن ينتصب عنه حال فى الجملة ، وحينئذ يكون قوله « كل جملة خالية عن ضمير مايجوز أن ينتصب عنه حال، متناولا للمصدرة بالمضارع الخالية عن الضمير المذكور فيصح استثناؤها بقوله « إلا المصدرة بالمضارع المثبت » ، وذلك مثل « جاء =

وأما الثانية [١]

فتارة يجب أن تكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك ، وتارة يترجح أحدهما وتارة يستوى الأمران ، والواو غير مناف للضمير فى افادة الرابط ، فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف ، فنقول :

١ — الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو [٢] ؛

= زيد ويتكلم عمرو، فانه لايجوز أن يجعل «ويتكلم عمرو» حالا عن زيد وإنما يصح جعلها معطوفة على الجملة الاولى عند وجود الجامع

وذلك لأن ربط الجملة المضارعية المثبتة يجب ان يكون بالضمير فقط ، فلو قيل « جاء زيد ويتكلم عمرو معه » لصح

ولايخفى ان المراد بقوله « كل جملة » الجمله الصالحة للحاليـــة ، وهى الخبرية بخلاف الانشائيات ، ومثلها الشرطيات فانها لاتقع حالا عنه لابالواو، ولا بدونها إلا بتقدير قول يتعلق بها اصلا كالنعت بخلاف الخبر فيقع إنشاء على الأصح وانما شبهت فى ذلك بالنعت دون الخبر لأن الحال قيد والقيود ثابتة باقية مع ماقيد بها ؛ والانشاء ليس كذلك بل وجوده باللفظ فقط .

(١) هى الجملة الحالية غير الحالية عن ضمير صاحبها . وهى أما إسمية فتجب فيها الواو فى بعض الأحوال ، أو فعلية ، والفعلية فعلها إما مضارع : مثبت فيجب فيـــه الضمير ، أو منفى فيستوى فيه الأمران ، وإما ماض لفظا فحكمه كذلك والأسمية قد يترجح فيها أحدهما فى بعض الأحوال .

(٢) أى ووجب الإكتفاء بالضمير .

كقوله تعالى : ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، وقوله : ولا تمنن تستكثر [١] وقوله : وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى ، لأن اصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة [٢] غير ثابتة [٣] ، مقارن [٤] لما جعلت قيدا له . والمضارع المثبت كذلك [٥] : اما دلالته على حصول صفه غير ثابتة فلأنه فعل [٦] مثبت [٧] ، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما

---

(١) على قراءة الرفع ، أما على قراءة الجزم . فليس فيها شاهد لأنها بدل اشتمال « من تمنن » لا حال ؛ ولا يصح جزمه جوابا للنهى لعدم صحة تقدير « إن لا » قبله المعنى لا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرا . وراجع الكلام على الآية فى كامل المبرد ص ١٣٦ ح ١

(٢) أى صراحة أو باللزوم كما فى : جاء غير ماش ، وقوله (صفة) أى معنى قائم بالغير لأنها لبيان الهيئة التى عليها الفاعل أو المفعول والهيئة وهى معنى قائم بالغير ، فالمراد معنى الصفة اللغوى لا النحوى .

(٣) بأن تنفك عن صاحبها ، وذلك لأن الكلام فى الحال المنتقلة ، وهى كذلك .

(٤) أى مقارن ذلك الحصول لما جعلت الحال قيدا له يعنى العامل ، لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال وهذا التخصيص هو معنى المقارنة اللازمى لا المطابق .

(٥) أى يدل على حصول صفة غير ثابتة .

(٦) فيدل على التجدد أى بصفته التى هى معنى الفعل ، والمراد بتجددها حدوثها فى الزمان ووجوده بعد عدم — وعدم الثبوت أى عدم الدوام ودلالة الفعل عليه بطريق اللزوم العادى ، لأن الشأن فى كل طارىء عدم بقائه .

(٧) فيدل على الحصول .

مر ؛ وأما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعا.[١] فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، ولهذا امتنع نحو « جاء زيد ويتكلم عمر »

وأما ما جاء من نحو قول بعض العرب : قمت وأصك عينه أو وجهه وقول عبد الله بن همام السلولى[٢]

فلما خشيت أظافيرهم :. نجوت وأرهنهم مالكا - فقيل: على حذف

---

(١) فيصلح للحال كما يصلح للاستقبال وهو حقيقة فى الحال مجاز فى الاستقبال - فعلى ذلك يكون مضمونه مقارنا للعامل إذا وقع حالا وقوله فيصلح للحال هو روح العلة . وفى قوله (وأما المقارنة الخ) نظر ، لأن الحال التى يدل عليها المضارع هو زمان التكلم وحقيقته اجزاء متعاقبة من أواخر الماضى وأوائل المستقبل والحال التى نحن بصددها يجب أن يكون مقارنا لزمان مضمون الفعل المقيد بالحال ماضيا كان أو حالا أو استقبالا فلا دخل للمضارعة فى المقارنة لأن زمان المقارنة اعم من زمان التكلم الذى يدل عليه المضارع الواقع حالا ، فليس للمضارعة إذا دخل فى إفادة المقارنة المرادة هنا ، فالاولى أن يعلل امتناع الواو فى المضارع المثبت بأنه على وزن اسم الفاعل لفظا لتوافقهما فى الحركات والسكنات وبتقديره معنى لصحة استعمال كل منهما مكان الآخر فيمتنع دخول الواو فيه مثله .

(٢) راجع البيت فى الدلائل ص ١٥٩ ، أظافيرهم أى اسلحتهم .

والشاهد فى البيت وقوع الفعل المضارع المثبت « أرهنهم » حالا بالواو . وهذا على قراءة الأصمعى بالرفع .

المبتدأ [١] أى وأنا أصك عينيه ، وأنا أرهنهم ، وقيل الاول شاذ [٢] والثانى [٣] ضرورة ، وقال [٤] الشيخ عبد القاهر : ليست الواو فيهما للحال بل هى للعطف ، وأصك و « ارهن » بمعنى صككت ورهنت ، ولكن الغرض من اخراجهما على لفظ الحال أن يحكيا الحال فى إحد الخبرين ويدعا الآخر على أصله [٥] كما فى قوله [عميرة بن جابر الحنفى] :

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت [٦] لا يعنينى

يبين ذلك أن الفاء لا تجىء مكان الواو فى مثله كما فى خبر عبد الله ابن عتيك [٧] فانه ذكر دخوله على أبى رافع اليهودى حصنه ؛ ثم قال : فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت ؟ قلت

---

(١) فتكون الجملة اسمية وهى يصح ارتباطها بالواو

(٢) أى مخالف للقياس النحوى فلا ينافى الفصاحة - و الأول هو « قمت وأصك وجهه »

(٣) أى « نجوت وارهنهم مالكا

(٤) ١٥٩ من الدلائل

(٥) فالعدول عن الماضى الى المضارع لحكاية الحال الماضية فالحكاية مانعة من رعاية التناسب بين المعطوفين ، ومعنى حكايه الحال الماضية أن يفرض ما كان فى الزمان الماضى واقعا فى هذا الزمان فيعبر عنه بلفظ المضارع

(١) البيت سبق شرحه فى تعريف المسند إليه باللام . وتجده فى الدلائل ص ١٥٩

(٢) تجده فى الكامل لابن الاثير ص ٦٠ ج ٢

أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش ؛ فأن قوله فأضربه مضارع عطفه بالفاء على ماض لأنه فى المعنى ماض

٢ — وان كان الفعل مضارعا منفيا [١] فيجوز فيه الأمر ان من غير ترجيح [٢] ؛ لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا ، وعدم دلالته على الحصول لكونه منفيا . اما مجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان : فاستقيما ولا تتبعان ، بتخفيف النون [٣] وقول بعض العرب : كنت ولا أخشى بالذيب ؛ وقول مسكين الدارمى :

---

(١) اى بغير لن لأن الجملة المنفية بها لا تقع حالا ، لأن « لن » تخلص الفعل للاستقبال ، وهذا ينافى الجمله الحالية إذ يجب فيها ان لا تصدر بعلم استقبال ، فالمراد بالنفى هنا النفى بما أولا

(٢) وبعضهم رجح الترك

(٣) اى بتخفيف نون « ولا تتبعان » فتكون « لا » للنفى دون النهى لثبوت النون التى هى علامة الرفع فلا يصح عطفه على الأمر قبله فتكون الواو للحال بخلاف القراءة « ولا تتبعان » بتشديد النون فانه نهى مؤكد بنون التوكيد الثقيلة والفعل مجزوم بحذف نون الرفع ، ولا يجوز أن تكون على هذه القراءة نفيا ، ونون الرفع محذوفة لتوالى الامثال ، لأن تأكيد الفعل المنفى بلا شاذ

أما على القراءة الأولى فواضح أن لا للنفى فاستقيما انشاء ولا تتبعان بالتخفيف خبر فالواو غير عاطفة لامتناع عطف الخبر على الانشاء لما بين الجملتين من كمال الانقطاع المانع من العطف وهذا على الوجه الظاهر فى ولا تتبعان ، من ان الفعل معرب مرفوع بثبوت النون فى موضع الحال ، وهناك اوجه غير ظاهرة مثل ما =

أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعى لأب [١]

وقول مالك بن رفيع وكان قد جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير — :

بغانى مصعب وبنو أبيه فأين أحيد عنهم لا أحيد

أقادوا من دمى وتوعدونى وكنت وما ينهنهنى الوعيد [٢]

وأما مجيئه بغير واو فكقوله تعالى « وما لنا لا نؤمن بالله » [٣] وقول

= ذهب اليه يونس من ان الفعل انشاء لانه نهى والنون فيه نون التوكيد الخفيفه ؛ وتطرق مثل هذا الاحتمال لايضر فى الاستشهاد لانه مبنى على الظاهر والاحتمال المذكور خلاف الظاهر . قيل ان لا تتبعان على ان نون علامة الرفع تكون حالا مؤكدة مع ان كلامنا هنا فى الحال المنتقله.

(١) راجع البيت فى ص ١٦٠ من الدئل ، وص ١٢٠ من المفتاح .

الورق بكسر الراء : المال من الدراهم ويجمع على أوراق وقد وصف هنا بالجمع كما يقال الدرهم البيض لتعدده معنى

(٢) بغانى : طلبنى . أحيد : أتنحى . أقادوا من دمى : قتلوا بدل قتيلهم . ينهنهنى : يزجرنى

(٣) اى اى شىء ثبت لنا حال كوننا غير مؤمنين ، فالاستفهام انكار لحصول شىء فى هذه الحالة وهو مستلزم لانكارها على سبيل المبالغة إذ حصول شىء ما لازم فى هذه الحالة ، واذا كان منكرا كانت تلك الحال منكرة ، فالفعل المنفى حال بدون الواو ، والعامل فى الحال هو العامل فى « لنا » المقدر وصاحب الحال هو الضمير المجرور وهو معمول محلا للعامل فى الحال فهو على القاعدة من أن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها

عـكرشة العبسى [١] :

مضوا لايريدون الرواح ،وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر

وقول خالد بن يزيد بن معاوية :

لو أن قوما لارتفاع قبيـلة دخلوا السماء دخلتها لأحجب

وقول الأعشى [٢] :

أتينا أصبهان فهزلتنا وكـنا قبل ذلك فى نعيم

وكان سفاهة منى وجهلا مسيرى لأسير الى حميم [٣]

كأنه قال وكان سفاهة منى وجهلا ان سرت غير سائر الى حميم

٤ — وان كان ماضيا لفظا [٥] اومعنى [٦] فـكذلك يجوز الامران

---

(١) راجع البيت فى الحماسة [١/١٤٤] ، وفى ص ١٦١ من الدلائل ، وفى ١١٩ من المفتاح . الرواح : الرجوع . غال : أهلك . قدر بسكون الدال من قدرته قدرا بمعنى قدرته تقديرا يعنى أسبابا مقدرة

(٢) اعشى همدان فى خالد بن عتاب كما فى البيان والتبيين ص ٢٣٩ ج ٣ والبيتان فى الدلائل ص ١٦١

(٣) قيل ان الاعشى صحب عباد بن ورقاء إلى أصبهان فلم يحمدها . هزلتنا : أضعفتنا الحميم : الصديق

(٤) راجع ص ١٦٢ من الدلائل

(٥) اى ومعنى معا

(٦) وهو المضارع المنفى بلم أو بلما فانهما يقلبان معنى المضارع التضمنى - وهو الزمان الى المضى

من غير ترجيح

أما مجيئه بالواو فكقوله تعالى :

أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر ، وقوله تعالى أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً ، وقول امرىء القيس

أتقتلنى وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالى (١)

وقوله (٢)

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل

وقوله تعالى أوقال أوحى الى ولم يوحى اليه شىء ؛ وقوله أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، وقول كعب :

لاتأخذنى بأقوال الوشاة ولم أذنب وان كثرت فى الاقاويل

وقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، وقول الشاعر :

بانت قطام ولما يحظ ذومقة منها بوصل ولا انجاز ميعاد (٣)

---

(١) شعفت فؤادها أى غلب حبى قلبها وخالطه حتى وصل الى شعاف القلب المهنوءة المطلية بالقطران . شعفها : طلاها به ، يعنى ان حبه بلغ منها كما يبلغ القطران من الناقه المهنوءة فانه يسرى فى جسمها حتى يوجد طعمه فى لحمها

(٢) اى امرىء القيس ايضا . نضا : نزع . اللبسة بكسر اللام اسم هيئة المتفضل الذى يبقى فى ثوب واحد لينام أو ليعمل عملا

(٣) قطام اسم امرأة . المقة : الحب من ومقه ومقا ومقة أحبه

وانى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

وقوله :

أتيناكم قد مكم حذر العدا فنلتم بنا أمنا ولم تعدموا نصرا [١]

وقوله : [٢]

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل

وكقوله تعالى « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء » [٣]

وقوله « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا » وقول امرىء القيس

فادرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

وقول زهير :

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم [٤]

---

(١) حذر العدا أى خوف الاعداء من اضافة المصدر الى مفعوله والعدى بكسر العين وضمها : الاعداء

(٢) هو حندج بن حندج المرى من ابيات مطلعها : فى ليل صول تناهى العرض والطول [راجع ١٦٢ من الدلائل ، ٣٦٢ ج ٢ الحماسة ، والأمالى]

مخايل الصبح : طلائعه . سرابيل الليل : ظلامه شبه بها

(٣) حال من الواو فى « انقلبوا » .

(٤) البيت من قصيدته « خليلى مرا بى على أم جندب » : وهو فى وصف الفرس يعنى انه أدرك طريدته بغير مشقة فى أول شأوه . والشأو : الطلق . الخذروف : لعبة كالدوارة التى يلعب بها الصبيان .

(٥) البيت من معلقة زهير : « امن أم أو فى دمنة ، لم تكلم » . الفتات اسم =

والسبب فإن جاز الاقتران فيه اذا كان مثبتا [١] دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا ، وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيا [٢] . ولهذا [٣] اشترط ان يكون مع [٤] قد ظاهرة اومقدرة حتى تقرب به الى الحال فيصح وقوعه حالا .

= لما انفت وتقطع من الشيء العهن : الصوف المصبوغ . الفنا : عنب الثعلب ، واحده فناة . يريد تشبيه قطع الصوف المصبوغ الذى زينت به الهوادج بحب عنب الثعلب فى حمرته قبل تحطيمه لأنه إذا حطم تزول حمرته .

(١) وهو الماضى لفظا ومعنى .

(٢) فلا يقارن مضمون الماضى الحال التى هى زمان التكلم .

(٣) أى ولعدم دلالته على المقارنة .

(٤) أى إذا لم يكن الماضى تالياً لألا ولامتلواً بأو ، وإلا فلا يقترن بها . والظاهرة مثل « وقد بلغنى » ، والمقدرة مثل « حصرت صدورهم » .

هذا و « قد » تقرب الماضى من الحال والمقاربة فى حكم المقارنة ، والأشكال السابق وارد هنا وهو ان الحال التى نحن بصددها وهى الحال النحوية غير الحال التى تقابل الماضى وتقرب قد الماضى منها ، وإذا كانت غيرها فتجوز مقارنة مضمون الحال النحوية لمضمون عاملها فى الزمان إذا كان الحال والعامل ماضيين ، وحينئذ فمقتضاه امتناع الواو لمشابهة تلك الحال الماضية للحال المفردة فى الدلالة على المقارنة فى الحصول ، فقولهم فى الماضى المثبت انه لايفيد المقارنة غير مناسب

وهذا و لفظ قد إنما يقرب الماضى من الحال التى هى زمان التكلم ، وربما يبعده عن الحال التى نحن بصددها كما فى قولهم جاء زيد فى الأسبوع الماضى وقد ركب فرسه . والاعتذار عن اشتراطهم دخول قد على الماضى الواقع حالا هو انهم استبشعوا لفظ الماضى والحالية التنافى الماضى والحال فى الجملة فأتوا بلفظ قد =

وظاهر هذا يقتضى وجوب الواو فى المنفى [١] لانتفاء المعنيين، لكنه لم يجب فيه، بل كان مثله: أما المنفى بلما فلأنها للاستغراق [٢] وأما المنفى بغيرها [٣] فلانه لما دل على انتفاء متقدم [٤] وكان الاصل استمرار ذلك [٥]، حصلت الدلالة على المقارنة عند اطلاقه [٦]، بخلاف

= لظاهر الحالية لمجرد استحسان لفظى، وهو منقول من الرضى، والسيد لا يرضى ذلك ويرى أن الركوب فى قولك «جاء زيد ركب» متقدم على المجىء فتأتى قد لتقربه من زمان المجىء

ملاحظة :

لم يورد المصنف مثالا للفعل المضارع المنفى بلما والواقع حالا مع ترك الواو فيه، ومثال ذلك البيت :

فقال له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب

(١) اى الماضى المنفى لفظا ومعنى او معنى فقط

(٢) اى لامتداد النفى من حين الانتفاء الى زمن التكلم فقد وجدت مقارنة مضمون الحال لمنفيه بها لزمن التكلم ويرد عليه أن تلك المقارنة غير مرادة وإنما المطلوب فى الحال مقارنتها لعاملها

(٣) اى غير لما، مثل لم، وما؛ فما مع الماضى بدليل تخصيصه المضارع المنفى بلم ولما فيما مر وليست «ما» مع الماضى لنفى الحال بل مع المضارع

(٤) اى حدث متقدم على زمن التكلم

(٥) اى استمرار ذلك الانتفاء لوقت التكلم حتى تظهر قرينة على الانقطاع كما فى قولنا «لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم» فالقرينة هنا مخصصة للاصل لا مناقضة له

(٦) بعدم التقييد بما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء قبل زمن التكلم

المثبت [١] فان وضع الفعل على افادة التجدد [٢] . وتحقيق هذا [٣] أن استمرار العدم [٤] لا يفتقر الى سبب [٥] بخلاف استمرار الوجود [٦] كما بين فى غير هذا العلم

---

(١) اى الماضى المثبت فانه لا يفيد الاستمرار ، كالماضى المنفى

(٢) الذى هو مطلق الثبوت بعد الانتفاء، من غير أن يكون الاصل استمراره فاذا قلت « ضرب » مثلا كفى فى صدقه وقوع الضرب فى جزء من اجزاء الزمان الماضى ، وإذا قلت « ما ضرب » أو « لم يضرب » أفاد استغراق النفى لجميع أجزاء الزمان الماضى اى من حيث أن تلك الأجزاء ظرف للاحداث التى تعلق بها النفى والا فالمنفى انما هو كل فرد من الأحداث الواقعة فى أجزاء الزمان الماضى ، ولو قال افاد الاستغراق النفى لكل فرد من أفراد الحدث الواقعة فى أجزاء الزمان الماضى لكان أوضح، وإفادته الاستغراق إما لمراعاة الأصل أو لأن الفعل فى سياق النفى كالنكرة المنفية بلا فتعم . والاوجه فى إفادة المقارنة ان يقال ان الاصل فى النفى بعد تحققه استمراره

(٣) اى وهو ان الأصل فى النفى بعد تحققه استمراره بخلاف الاثبات

(٤) الذى هو مفاد الماضى المنفى

(٥) أى موجود مؤثر بل يكفى فيه انتفاء سبب الوجود فلذلك سهل فيه استصحاب الاستمرار المؤدى للمقارنة

(٦) فيفتقر إلى وجود سبب مؤثر . ومن جملة افراد « استمرار الوجود » استمرار وجود مفاد الماضى المثبت فلذا لم يستصحب فيه الاستمرار .

فى الجملة : لما كان الأصل فى المنفى الاستمرار حصل من اطلاقه — أى كونه غير مقيد بما يدل على انقطاع ذلك الانتفاء — الدلالة على المقارنة التى ذكروها هنا

٤ — وان كانت الجملة[١] اسمية فالمشهور أنه يجوز فيها الامران[٢] ومجيء الواو أولى :

أما الاول[٣] فلعكس ما ذكرناه فى المصدرة بالماضى المثبت[٤] . فمجيء الواو كقوله تعالى : فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، وقوله : ولا تباشر وهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، وقول امرىء القيس

= وقد سبق أن المطلوب فى الحال مقارنة مضمونها لمضمون عاملها فى الزمان لا مقارنة مضمونها لزمن التكلم الذى يستلزمه الاستمرار المذكور ، فأين هذا من ذاك ؟ .

فالخلاصه أن الماضى المنفى يشبه الحال المفردة فى إفادة المقارنة فاستحق بذلك سقوط الواو ، ولا يشبهها فى الدلالة على الحصول فاستحق بذلك الاتيان بها ، ولذلك جاز الأمران فيه كما جاز فى المثبت .

(١) أى الواقعة حالا سواء كان خبرها فعلا أو ظرفا أو غير ذلك .

وراجع فى ذلك ص ١١٩ من المفتاح .

(٢) أى فيجوز الأتيان بها كما يجوز الترك سواء كان المبتدأ فى تلك الجملة عين ذى الحال أو غيره ، وإن كان جواز الترك مختلفا فيه . وذهب الفراء إلى أن ترك الواو نادر وتبعه ابن الحاجب والزمخشرى ، وقال الأخفش أن كان خبر المبتدأ اسما متقدما مشتقا وجب تركها مثل جاء زيد حسن وجهه .

(٣) وهو جواز الامرين .

(٤) أى لدلالة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام ، والثبوت فهى من أجل ذلك تدل على حصول صفة ثابتة .

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال [١]

وقوله :

ليالى يدعونى الهوى وأجيبه وأعين من أهوى الى روانى [٢]

والخلو منها كما رواه سيبويه . كلمته فوه الى [٣] فى، ورجع عوده على بدئه [٤] بالرفع ، وما أنشده أبو على [٥] فى الاغفال :

ولولا جنان الليل ماآب عامر الى جعفر ، سربال لم يمزق

وقول الآخر :

ما بال عينك دمعها لايرقأ [٦]

وقول الآخر [٧] :

---

(١) سبق شرح البيت فى الاستفهام

(٢) البيت لامرى القيس . روانى : جمع رانية : وهن مديمات النظر

(٣) راجع ١٥٨ و ١٦٨ من الدلائل ، ١١٩ المفتاح

(٤) راجع ١٣٥ ج ١ من الكامل للمبرد

(٥) هو أبو على الفارسى م ٣٩٢ هـ . والبيت فى الدلائل ص ١٥٨ والمفتاح ص ١١٩

(٦) البال : الحال . وقأ الدمع أو الدم : جف وانقطع

(٧) هو طرفة بن العبد . والبيت فى [٣٢٥ ج ١ العقد الفريد ٤٣١ و ٤٢٢ ج ٤ العقد الفريد أيضا] عبق المسك مصدر عبق بمعنى فاحت رائحته . هداب الأزر ما استرسل منها إلى الأرض

ثم راحوا عبق المسك بهم يلحفون الارض هداب الأزر

وأما الثانى[١] فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت[٢]، مع ظهور الاستئناف فيها[٣]

فحسن زيادة رابط[٤] ليتاكد الربط

وقال الشيخ عبد القاهر[٥]

١ — ان كان المبتدأ ضمير ذى الحـــال وجب الواو[٦] كقولك

جـــاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع . ولعـــل

---

(١) وهو أن مجيء الواو فى الجملة الاسمية الواقعة حالا أولى

(٢) أى فلدلالتها على الثبوت فهى تدل على حصول صفة ثابتة

(٣) أى دون الفعلية

(٤) الحاصل أن الجملة الاسمية بعدت عن الحال المفردة من حيث دلالتها على الثبوت، ومن حيث ظهور الاستئناف فيها فلذا ترجح فيها الاتيان بالواو، نحو « فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » . . (٥) هذا مقابل الرأى المشهور السابق ذكره (راجع ١٥٧ من الدلائل).

وهذا رأى عبد القاهر فى الجمله الاسمية فقط. أما الفعلية فهو مع الجمهور فيها فيها، ولكن تعليلة لثبوث الواو ولعدم ثبوها يخالف تعليلهم لذلك من أن كل جملة حالية امتنع فيها الواو فذلك لأنك عمدت إلى الفعل الواقع فى صدرها فضممته إلى الفعل الأول فى إثبات واحد، وكل جملة حالية اقتضت الواو فذلك لأنك مستأنف بها خبرا وغير قاصد أن تضمها إلى الفعل الأول فى الأثبات الخ، (راجع ١٦٤ و ١٦٥ من الدلائل)

(٦) سواء كان خبره فعلا أو اسما

هذا والخلاصة أن مذهب عبد القاهر فى الاسمية أن غير المبدوءة بحرف الابتداء =

وهو يسرع أو «وهو مسرع» ولعل السبب فيه[١] أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير بان يقال جاءنى زيد يسرع أو مسرعا، فالاتيان به[٢] يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال فلا يصلح[٣] لان يستقل بأفادة الربط فتجب الواو[٤]

= وغير المبدوءة بالظرف وغير المعطوفة على مفرد يجب فيها الاتيان بالواو فيمتنع تركها إلا لظهور تأويلها بالمفرد، وفيما عدا ذلك يجوز الاتيان بها والراجح تركها

ومذهب المصنف فى الجملة الاسمية جواز ترك الواو وجواز الاتيان بها مع او لوية ذلك من غير تفصيل بين ما فيه ظرف مقدم ومالا وبين ما يظهر تأويلها بمفرد وما لا يظهر وبين ما فيه حرف ابتداء مقدم ومالا وبين ما عطفت على مفرد وما لم تعطف عليه

وخلاصة مذهب عبد القاهر كما سبق ان أمر الواو وجودا وعدما فى الجملة يدور على كونها ليست فى حكم المفرد أو هى فى حكمها

(١) راجع ١٦٤ وما بعدها من الدلائل

(٢) اى بالضمير «وهو»

(٣) أى الضمير «هو».

(٤) ويعلل عبد القاهر ذلك بظهور الاستئناف فى الجملة الحاليه فى قولك «جاء زيد هو يسرع» فتأتى الواو للربط وتأكيده.

وعلى هذا فالأصل والقياس أن لا تجىء الجملة الإسمية حالا إلا مع الواو وما جاء بدونها فسبيل الشىء الخارج عن قياسه وعن أصله بضرب من التأويل بالمفرد — كما فى: كلمته فوه إلى فى أى مشافها، واهبطوا بعضكم لبعض عدو أى متعادين — أو نوع من التشبيه به كما فى «فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون» فجملة «أو هم» حال تركت الواو فيها لتشبيه واو الحال بواو العطف ولو أتى بالواو لاجتمعت مع حرف عطف آخر وهو «أو». =

[ب —] وقال ايضا[1] : إن جعل نحو «على كتفه سيف» بتقديم الظرف حالا عن شيء كما فى قولنا «جاء زيد على كتفه سيف» كثر فيها ان تجيء بغير واو؛ كقول بشار[2] :

اذا أنكرتنى بلدة أونكرتها

خرجت مع البازى ، على سواد

= وهذا مشعر بوجوب الواو فى «نحو جاء زيد وزيد يسرع ، أو مسرع» ، وفى «جاء زيد وعمرو يسرع أو مسرع أمامه» بالطريق الأولى ؛ ووجه الأولوية أن الاستئناف فى المثالين المذكورين أظهر لأن الضمير أقرب للإسم من الظاهر ومن الإسم الأجنبى .

أما «جاءنى زيد وعمرو أمامه» مثلا فقد صرح عبد القاهر بأن الأرجح فيها الواو .

(١) ١٥٧ من الدلائل .

(٢) من قصيدة له فى مدح خالد بن برمك [راجعها فى الأدب العباسى لمحمود مصطفى ص ٤٢٠] . والبيت فى الدلائل ص ١٥٧ .

أنكر ونكر بكسر للعين واستنكر بمعنى كره . خروجه مع البازى كناية عن تبكيره ، وجملة «على سواد» حال مؤكدة له ، والحال المؤكدة لا كلام لنا فيها إنما الكلام فى الحال المنتقلة — وقوله على سواد يعنى بقية من الليل

يعنى : إذا لم يعرف قدرى أهل بلدة أو لم أعرفهم خرجت منهم مصاحبا للبازى الذى هو أبكر الطيور مشتملا على شيء من ظلمة الليل غير منتظر لطلوع الصباح . فقوله «على سواد» حال ترك فيها الواو لأن جعل الإسم مرتفعا بالظرف لاعتماده على ما قبله تكون الحال عليه مفردة لا جملة اسمية وحينئذ فلا يستنكر ترك الواو .

يعنى : على بقية من الليل ؛ وقول أبى الصلت عبد الله الثقفى يمدح ابن ذى يزن [١] :

فاشرب هنيئا ، عليك التاج ، مرتفقا
فى رأس غمدان دارا منك محلالا

وقول الآخر .

لقد صبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها ، فى يديك قضيب

---

(١) البيت ينسب لأمية بن أبى الصلت . ونسبه ابن قتيبة الى ابيه الصلت وكذلك ابن عبد ربه [١٧٦ ج ١ العقد] وهو الأقرب وتجد البيت فى الكامل للمبرد ص ٢٠١ ج ١ ، ١٥٧ من الدلائل

مرتفقا : متكئا . محلالا : كثير حلولها لكرم صاحبها

(٢) هو وائلة السدوسى [٤٥ ج ٣ من البيان والتبيين] يهجو عبد الملك بن المهلب [٢٢١ و ٢/٢٢٢ البيان وراجع كلام الجاحظ على أبى وائلة بن خليفة (١٩٦ ج ١ من البيان)

والبيت فى الدلائل ص ١٥٧

والخلاصة أن الجملة الأسمية التى خبرها جار ومجرور مقدم اذا وقعت حالا من معرفة قبلها كثر فيها أن تجىء بغير واو

فلو كان الجار والمجرور مؤخرا وجب قرنها بالواو ، وكذلك لو كانت حالا من نكرة وجب الواو لئلا يلتبس الحال بالنعت

ومذهب المصنف فى ذلك انه ، يكثر قرنها بالواو مطلقا . وذكر صدر الافاضل ان ترك الواو قليل فى الجملة الحالية التى خبرها غير جار ومجرور ومفهومه ان الخبر اذا كان جارا ومجرورا كثر فيه الترك

ثم قال [١] والوجه أن يقدر اسم الا مثلة مرتفعا بالظرف [٢] فانه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبي الحسن لاعتماده على ما قبله [٣] ، ثم اختار أن يكون الظرف ههنا خاصة [٤] في تقدير اسم فاعل [٥] وجوز أيضا أن في يكون تقدير فعل ماض مع قد [٦] ، ومنع ان يكون في تقدير فعل مضارع [٧] ولعله انما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حينئذ الى أصلها في الافراد ولهذا كثر مجيئها بلا واو، وانما جوز التقدير بفعل ماض أيضا لمجيئه بالواو قليلا وانما منع التقدير بفعل مضارع لانه لو جاز التقدير به لا متنع مجيئها بالواو

---

(١) ص ١٦٩ من الدلائل

(٢) أي فاعلا مرفوعا به

(٣) أي لاعتماده على ذي الحال

(٤) أي بالخصوص لا في مقام وقوع الظرف خبرا أو نعتا لأنه يقدر بالفعل أيضا . وقوله « ههنا » أي في مقام وقوع الظرف حالا

(٥) فهو في تأويل المفرد فيكثر فيه الترك

(٦) لأن الترك أكثر فيه أيضا

(٧) لوجوب الترك فيه

هذا ويعلل السعد كثرة ترك لواو في هذا الموضع بأن مثل «على كتفه سيف» يحتمل أن يكون :

١ — في تقدير المفرد بتقدير اسم الفاعل فتمتنع الواو

٢ — وأن يكون جملة اسمية قدم خبرها فلا تجب الواو

٣ — وان يكون جملة فعلية مقدرة بالماضي فلا تجب الواو

٤ — أو مقدرة بالمضارع فتمتنع الواو

فعلى تقديرين تمتنع الواو وعلى تقديرين تجب الواو . فمن أجل هذا — وجوب الواو في تقديرين وجوازها في تقديرين — كثر ترك الواو

(حـ -) ثم قال : [١] وربما يحسن مجىء الاسمية بلا واو لدخول حرف على المبتدأ ؛ كما فى قوله [٢] :

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما ... بنى حوالى الاسود الحوارد [٣]

فانه لولا دخول كأن عليه لم يحسن الكلام الا بالواو وكقولك عسى أن تبصرينى وبنى حوالى الاسود. ثم قال [٤] وشبيه بهذا أن تقع حالا بعقب مفرد فيلطف [٥] مكانها بخلاف مالو أفردت كقول ابن الرومى

والله يبقيك لنا سالما ... رداك تبجيـــل وتعظيم [٦]

---

(١) ص ١٦٣ من الدلائل

(٢) البيت للفرزدق يخاطب امرأة عزلته فى اعتنائه ببنيه . الحوارد : الغضاب من حرد إذا غضب .

والشاهد وقوع الجملة الاسمية وهى قوله « بنى حوالى الاسود الحوارد » حالا من مفعول « تبصرينى » وهو ياء المتكلم بلا واو وذلك حسن فى هذا الموضع لدخول « كأنما » على الجملة لأن هذا الحرف قد حصل به نوع من الارتباط بين تلك الجملة والتى قبلها . ولولا دخول « كأنما » عليها لم يحسن الكلام إلا بالواو لما مر من أن الجملة الاسمية لا تجىء حالا إلا مع الواو ، فدخول كأنما أوجب استحسان ترك الواو لئلا يتوارد على الجملة حرفان زائدان . وقوله « حوالى » أى فى أكنافى وجوانبى حال من « بنى » والفاعل فيه « كأنما » لما فى حرف التشبيه من معنى الفعل وهو « أشبه » فجاز أن تكون هى العامل فى الحال وصاحبها

(٤) راجع ص ١٦٣ من الدلائل .

(٥) يعنى بغير الواو .

(٦) فقوله « رداك تبجيل وتعظيم » حال من الكاف فى « يبقيك » فهى حال مترادفة ، أو من الضمير فى « سالما » فهى متداخلة ، والاستشهاد إنما هو على =

. . . . . .

= الاحتمال الأول، وقد تركت الواو هنا استحسانا لسبق الحال المفردة عليها، ولو لم يتقدمها قوله « سالما » لم يحسن فيها ترك الواو ؛ فترك الواو فى الجمله لمناسبة الحال المفردة قبلها إذ لا يؤتى معها بالواو . وقال الخلخالى : حسن تركها لئلا يتوهم أنها عاطفة لتلك الجمله على المفرد المتقدم . والشاعر يدعو لممدوحه بأن يبقى سالما مشتملا عليه التبجيل والتعظيم اشتمال البرد على لابسه ، وقد شاه باعتباره لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحدا .

هذا وقد بقى من الأقسام الجملة الشرطية والواو فيها لازمة خلافا لابن جنى نحو « جاء زيد وإن سأل يعط » ، فليس فيها حصول ولا مقارنة فلذلك لزمت الواو لفقد خاصتى الحال المفردة ولا فرق بين ان يكون جوابها خبرا أو إنشاء، أما الأول فظاهر لأنه إذا كان جوابها خبرا كانت خبرية وأما الثانى فمشكل لأن الجملة الشرطية حينئذ تكون انشائية والانشاء لا يقع حالا وأجيب بأن الشرطية اذا وقعت حالا انسلخت الاداة فيها عن معنى الشرط فلا تكون الجملة حينئذ انشائية

ملاحظة

هذا كله إذا لم يكن صاحب الحال نكرة مقدمة عليها وإلا وجبت الواو لئلا تشتبه بالنعت ولذا جعل السكاكى فى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » ، جملة ولها « كتاب معلوم » حال من قرية لكونها فى حكم الموصوفة أى وما أهلكنا من قرية من القرى ؛ لا وصف كما ذهب إليه الزمخشرى حيث قال أنها صفة قرية .

والقياس أن ألا تتوسط الواو بينهما ولكنها زيدت لتأكيد لصوق الصفه بالموصوف؛ ثم قال السكاكى من عرف السبب فى تقديم الحال إذا أريد إيقاعها عن النكرة تنبه لجواز إيقاعها عن النكرة مع الواو فى مثل جاءنى رجل وعلى كتفه سيف ولمزيد جوازه فى « وما أهلكنا من قرية الآية » على ما قدمت ،

. . . . . .

والسكاكى بنى خلافه فى الجملة الواقعة حالا على أصول مضطربة فآثرنا الاعراض عن نقل كلامه والتعرض لما فيه من الخلل خوف الاطالة .

ملاحظات

ا — الاولى جعل بحث الجملة الحالية فى باب متعلقات الفعل لأن الحال سواء كانت مفردة أو جملة من متعلقات الفعل فهى قيد من قيود المسند

ب — فى مذكرة الشيخ نوار فى الفصل والوصل أن الجملة الحالية :

١ — الخالية من ضمير صاحب الحال تجب فيها الواو مثل جاء محمد وقد وقد انتصف الليل

٢ — المبدوءة بمضارع مثبت يتعين فيها ترك الواو مثل رجعوا يضحكون

٣ — أما المبدوءة بمضارع مثبت مسبوق بقد فيجب اقترانها بالواو مثل لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم

٤ — والمبدوءة بماض مثبت بقد يجوز فيها الواو وعدمها مثل سافر وقد غلبه التأثر

٥ — اما المبدوءة بماض متبوع بأو أو واقع بعد الا ، مثل لاتصادقته أخلص أو لم يخلص ، ومثل : وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ، فيغلب فيهما ترك الواو وقيل يجب تركها

٦ — المبدوءة بمضارع بلا أو بما مثل « يقول الحق لايخشى فيه لومة لائم » وعهدتك ماتصبو وفيك شبيبة يغلب فيها ترك ترك الواو. وكذلك المبدوءة بمضارع منفى بلما مثل جاء نى لما يسترح من السفر بعد

٧ — الاسمية المبدوءة بضمير ذى الحال أو باسمه يجب فيها الواو

٨ — أما الاسمية المبدوءة باسم أجنبى عن صاحب الحال فيغلب اقترانها بالواو مثل يخرج الوزير والجند حوله

٩ — والاسمية الواقعة بعد عطف يتعين فيها ترك الواو مثل : لجاءها باسنا بياتا أوهم قائلون

١٠ — أما الاسمية المبدوءة بظرف يغلب فيها ترك الواو مثل خرج محمد فى يده كتاب

الجملة الحالية (١)

الفكرة العامة فى البحث

الجملة التى تقع حالا إما أن تكون فعلية : مبدوءة بفعل مضارع مثبت أو منفى أو بماض مثبت أو منفى ؛ وأما أن تكون جملة إسمية ، وفى هذه الأنواع كلها قد يجب أن تقرن الجمله الحالية بالواو وقد يجب تركها وقد يجوز الأمران ؛ فما السر فى ذلك ؟

هناك أصلان ينبنى عليهما معرفة أحكام الجملة الحالية بالتفصيل ، وهما :

الأول : الجملة التى تقع حالا تحتاج إلى رابط يربطها بصاحب الحال لاستقلالها بالأفادة فيصل هذا الرابط بينها وبين صاحبها بصلة وثيقة ، وهذا الربط إما :

١ — الضمير وهو الأصل فى الربط بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة وفى الخبر والنعت .

٢ — أو الواو وهى وإن كانت واو الحال إلا أن أصلها العطف فهى شبيهة بحرف العطف ولذلك بحثنا عن أحكام الجمله الحالية فى باب الفصل والوصل .

٣ — أو الضمير والواو معا .

الثانى : أن الحال المفردة المنتقلة الأصل فيها أن تكون بغير الواو ؛ لشبهها بالخبر والنعت ، وهى تدل على أمرين :

١ — حصول صفة غير ثابتة .

٢ — مقارنة لعاملها . فاذا أشبهت الجملة الواقعة حالا الحال المفردة فى إفادتها الأمرين : الحصول والمقارنة أعطيت الجملة حينئذ حكم الحال المفردة فى امتناع اقترانها بالواو ؛ وإذا أشبهتها فى أحد هذين الأمرين جاز الأتيان بالواو وجاز تركها وربما رجح أحدهما .

---

(١) خلاصة لبحث الجملة الاسمية — للأستاذ خفاجى

التفصيل

ا — مواضع وجوب الإتيان بالواو فى بدء الجملة الحالية :

يجب الأتيان بالواو فى موضع واحد : وهو ما إذا خلت الجملة الحالية من ضمير صاحب الحال ، لوجوب الرابط وحيث لا ضمير وجبت الواو وذلك وفق ما ذكر فى الأصل الأول — المثال خرجت وزيد قائم .

ب — مواضع وجوب ترك الواو :

ويجب ترك الواو فى موضع واحد أيضا :

وهو ما إذا كانت الجملة الحالية مبدوءة بفعل مضارع مثبت ، وذلك لشبهها بالحال المفردة تمام المشابهة ، لأنها تدل حصول صفه (لأن الفعل مثبت) وهذه الصفة غير ثابتة (لأن الحال فعل) والمقارنة موجودة لأن الفعل مضارع فتعطى حينئذ حكم الحال المفردة فى وجوب ترك الواو ـ المثال : حضر محمد يضحك

ج — مواضع جواز الواو وتركها :

١ — الجملة الحالية المبدوءة بمضارع منفى بغير لم ولما لدلالة الفعل حينئذ على المقارنة لأنه مضارع دون الحصول لأنه منفى — المثال : سافر الأصدقاء لا يريدون السفر ، أو ولا يريدون .

٢ — المبدوءة بمضارع منفى بلم ولما أو المبدوءة بماض منفى لدلالة الفعلين حينئذ على المقارنة لاستغراق النفى أو استمراره دون الحصول لأن الفعل منفى — مثل : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، نال محمود طلبه ما تعب كثيرا أو وما تعب .

٣ — المبدوءة بماض مثبت لدلالته على الحصول لأنه فعل مثبت وعد دلالته على المقارنة لأنه ماض ولذلك اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة لتقربه الى الحال ـ المثال :

أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر ، كما انتقض العصفور بلله القطر

٤ — الجملة الاسمية مطلقا مع ترجيح ذكر الواو والسر فى جواز الأمرين فيها (الواو وعدمها) دلالتها على المقارنة دون حصول صفة غير ثابتة ، والسر فى ترجيح ذكر الواو ظهور الاستئناف فى الجملة الاسمية ـ المثال :

نجحت وأنا واثق من النجاح ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، ثم راحوا عبق المسك بهم ، ما بال عينك دمعها لا يرقأ

مذهب عبد القاهر فى الجملة الاسمية :

ولعبد القاهر رأى خاص فى الجمله الاسمية يخالف الرأى السابق الذى ذهب اليه الخطيب وخلاصة مذهبه

١ — المبتدأ اذا كان ضمير صاحب الحال وجبت الواو لظهور الاستئناف . المثال : جاءنى خالد وهو يسرع ومن باب أولى اذا كان المبتدأ اسما ظاهرا (اسم صاحب الحال أو سببيالله مثل جاءنى خالد وخالد يسرع أو [وعمرو] معه

٢ — الجملة الاسمية التى خبرها جار ومجرور مقدم فالأرجح فيها ترك الواو مثل جاءنى الخادم على رأسه الغذاء

٣ — الجمله الاسمية المصدرة بحرف غير الواو يحصل به نوع من الارتباط فالأرجح فيها أيضا ترك الواو مثل سرت كأنما أشعر بتعب شديد

٤ — الجملة الاسميه الواقعة حالا بعقب حال مفرده فالارجح فيها الترك أيضا مثل سافرت مغتبطا ، نفسى متفائلة بالخير

القول فى الايجاز والاطناب والمساواة[١]

[تعريف السكاكى]

قال السكاكى[٢] :

أما الايجاز والاطناب[٣] فلكونهما نسبيين[٤] لا يتيسر

---

(١) الإيجاز لغة التقصير من أوجز لازما ومتعديا . وجد الكلام الكلام فهو وجيز .

والأطناب المبالغة من أطنب .

(٢) أى معتذرا عن ترك تعريفهما — راجع ص ١٢٠ من المفتاح .

(٣) قال السيد : ترك المساواة وإن كانت نسبة أيضا لأنه لا فضيلة لكلام الأوساط فما يصدر عن البليغ مساويا له لا يكون بليغا إذ ليس فيه نكتة يعتد بها . وبحث فيه بأن عدم الاعتداد إنما هو عند قصد التليغ تجريده عن النكت وليس بمتعين لجواز أن تكون فى المقام مقتضيات وخصوصيات لا يراعيها غير البليغ وأما البليغ فمن حقه أن يراعيها ويشير إليها مع كون لفظهما متطابقين .

وقال عبد الحكيم : المراد أنه ليس بليغا من حيث مساواته لكلام الناس وإن كان بليغا من حيث اشتماله على المزايا والخصوصيات التى يقتضيها المقام .

(٤) أى من الأمور النسبية — والمنسوب إليه مختلف القدر والأمور النسبية أى المنسوبة إلى غيرها كالأبوة والبنوة — التى يكون تعقلها بالقياس إلى تعقل شىء آخر فان الموجز إنما يكون موجزا بالنسبة إلى كلام أزيد منه وكذا المطنب إنما يكون مطنبا بالنسبه إلى ما هو أنقص منه . فتعقل كل منهما متوقف على تعقل الآخر ضرورة توقف تعقل المنسوب على تعقل المنسوب إليه لأخذه فى مفهومه .

الكلام فيهما الا بترك التحقيق [١] والبناء على شئ عرفى [٢] ، مثل جعل كلام الاوساط على مجرى متعارفهم فى التأدية للمعانى فيما بينهم؛ ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الاوساط [٣]

---

(١) أى التعريف المبين لمعناهما ، والسعد فهم أنه تعيين مقدار كل بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه . أى لا يمكن التنصيص على أن هذا المقدار من الكلام فيه إيجاز وذاك فيه إطناب إذ رب كلام موجز يكون مطنبا بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس ، فزيد المنطلق موجز بالنسبة لزيد هو المنطلق ومطنب بالنسبة لزيد منطلق فلا يمكن تعيين مقدار من الكلام للايجاز والأطناب لأنهما نسبيين والمنسوب إليه مختلف المقدار فلذلك نجد الكلام الواحد بالنسبة إلى قدر إيجازا وإلى قدر آخر إطنابا :

(٢) أى يعرفه أهل العرف فى أداء المقاصد من غير رعاية بلاغة ومزية — فهو مضبوط فى الجملة لأن أفراده وإن تفاوتت لكنها متقاربة ومعرفة مقداره لا تتعذر غالبا ، فاذا كان المنسوب إليه وهو الأمر العرفى مضبوطا فى الجملة (وهو الأمر العرفى) كان المنسوب كذلك .

(٣) أى الذين ليسوا فى مرتبة البلاغة ولا فى غاية الفهاهة بل كلامهم يؤدى أصل المعنى المراد اعنى المطابقى من غير اعتبار مطابقة مقتضى الحال ولا اعتبار عدمها ويكون صحيح الأعراب فالأوساط هم العارفون باللغة وبوجوه صحة إعرابها دون الفصاحة والبلاغة فيعبرون عن مرادهم بكلام صحيح الإعراب من غير ملاحظة النكات التى يقتضيها الحال فهم إنما يعرفون اللفظ الموضوع للمعنى فعبارتهم محدودة بذلك وليس فى قدرتهم اختلاف العبارات بالطول والقصر إذ ذلك إنما يكون من البلغاء بسبب تصرفهم فى لطائف العبارات .

راجع فى ذلك ١/١٠٥ من البيان والتبيين .

وأنه فى باب البلاغة لا يحمد منهم [١] ولا يذم [٢] . فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات [٣] متعارف الاوساط؛ والاطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو إلى غير الجمل [٤] . ثم قال [٥] : الاختصار [٦] لكونه من الامور النسبية يرجع فى بيان دعواه [٧] الى ماسبق تارة [٨] والى كون المقام [٩] خليقا بأبسط مما ذكر [١٠]

---

(١) لعدم رعاية مقتضيات الأحوال .

(٢) لأن غرضهم تأدية أصل المعنى بدلالات وضعية وألفاظ كيف كانت ومجرد تأليف يخرجها عن حكم الفهاهة وذلك لسبب مطابقته للنحو والصرف واللغة فقط .

(٣) كلمة « عبارات » زائدة أو تجعل الاضافة بيانية .

(٤) والمساواه هى أداء المقصود بعبارة قدر المتعارف .

(٥) أى السكاكى — راجع ص ١٢٤ من المفتاح .

(٦) أى الإيجاز

ملاحظة :

مقام المساواة هو مقام الاتيان بالاصل حيث لا مقتضى للعدول عنه . ومقام الايجاز هو مقام حذف أحد المسندين أو المتعلقات . ومقام الاطناب هو مقام ذكر ما لا يحتاج إليه فى أصل المعنى كقصد البسط حيث الاصغاء مطلوب وكرعاية الفاصلة .

(٧) المراد : ينظر فى تعريفه

(٨) أى إلى كون عبارة المتعارف أكثر منه

(٩) أى الى اعتبار كون المقام الذى اورد فيه الكلام الموجز

(١٠) أى أكثر بسطا من الكلام الموجز الذى ذكره المتكلم سواء كان ما =

. . . . . .

= ذكره المتكلم أقل من عبارة المتعارف أو أكثر منها أو مساويا لها

وتوهم بعضهم وهو الخلخالي أن المراد بما ذكر ثانيا فى قول الخطيب « بأبسط الخ » هو متعارف الاوساط وهو غلط لا يخفى لأنه تحكم ويلزم عليه التكرار والتداخل فى كلام الخطيب . يعنى كما أن الكلام يوصف بالايجاز لكونه أقل من المتعارف كذلك يوصف به لكونه أقل مما يقتضيه المقام بحسب ظاهر المقام

وانما قلنا « بحسب الظاهر » لأنه لو كان أقل مما يقتضيه المقام ظاهرا وتحقيقا لم يكن فى شىء من البلاغة مثاله قوله تعالى « رب انى وهن العظم منى الاية » فانه إطناب بالنسبه الى المتعارف أعنى قولنا « يارب شخت » وإيجاز بالنسبة الى مقتضى المقام ظاهرا ، لأنه مقام بيان انقراض الشباب وإلمام المشيب فينبغى ان يبسط فيه الكلام غاية البسط . فللإيجاز معنيان : هما كونه أقل من المتعارف ، وكونه أقل مما يقتضيه ظاهر المقام ، ويكون للاطناب أيضا معنيان

هذا وبين معنيي الايجاز عموم وخصوص من وجه وذلك لأن كون الكلام أقل من متعارف الأوساط أعم من أن يكون أقل مما يقتضيه ظاهر المقام أولا وكون الكلام أقل مما يقتضيه ظاهر المقام كذلك أعم من أن يكون أقل من المتعارف أولا فيتصادقان فيما إذا كان الكلام أقل من عبارة المتعارف ومن مقتضى المقام جميعا كما إذا قيل « رب شخت » ، وينفرد الأول فى : إذا قال الخميس نعم ، اى هذه نعم ، وينفرد الثانى فى « رب إنى وهن العظم منى »

فمثل « هى عصاى » ايجاز بالنسبة لكلام الناس

و « شاكر لك هذا الجميل » ايجاز بالنسبة لهما

و « نعم سافر » ايجاز بالنسبه لكلام الأوساط

وفيه نظر[1] :

[١ -] لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضى أن لا يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفى[2]

[٢ -] ثم البناء على : متعارف الأوساط ، والبسط الذى يكون المقصود جديرا به[3] ، ردا الى جهالة[4] فكيف يصلح للتعريف

[تعريف الخطيب] :

= وكذلك بين معنيي الاطناب العموم والخصوص الوجهى

(١) أى فيما ذكره السكاكى أولا وثانيا

(٢) اذ كثيرا ما تحقق معانى الامور النسبية وتعرف بتعريفات تليق بها كالأبوة والأخوة والبنوة

وجواب هذا أنه لم يرد تعسر بيان معناهما بالتعريف الضابط لكل واحد منهما لأن ما ذكر بيان لمعناهما بل أراد بتعسر التحقيق تعسر التعريف المحتوى على تعيين المقدار لكل بحيث لايزاد عليه ولا ينقص عنه

(٣) بان يقال الايجاز هو الأداء بأقل من المتعارف أو مما يليق بالمقام من كلام أبسط من الكلام المذكور

(٤) إذ لا تعرف كمية متعارف الأوساط - أى عدد كلمات عباراتهم - وكيفيتها - التى هى عبارة عن تقديم بعض الكلمات وتأخير بعضها - لاختلاف طبقاتهم ، ولا يعرف أن كل مقام أى مقدار يقتضى من البسط حتى يقاس عليه ويرجع اليه

وجواب هذا أن الالفاظ قوالب المعانى فهى على قدرها بحسب الوضع ، والاوساط الذين لا يقدرون فى تأدية المعانى على اختلاف العبارات والتصرف فى لطائف الاعتبارات لهم عبارة محدودة معلومة فى الكلام تجرى فيها بينهم فى المحاورات والمعاملات ، وهذا معلوم للبلغاء وغيرهم ، فالبناء على المتعارف واضح بالنسبة اليهما جميعا . وأما البناء على البسط الموصوف فانما هو معلوم للبلغاء العارفين بمقتضيات الأحوال بقدر ما يمكن فهم البسط فلا يجهل عندهم مايقتضيه كل مقام من مقدار البسط

والاقرب [١] أن يقال :

المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد [٢] بلفظ مساو [٣] له، أو ناقص [٤] عنه واف [٥] أو، زائد عليه [٦] لفائدة [٧]. والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لا ناقصا عنه بحذف أو غيره كما سيأتى ولا زائدا عليه بنحو تكرير أو تتميم أو اعتراض كما سيأتى [٨] ؛ وقولنا واف احتراز عن الاخلال، وهو أن يكون اللفظ قاصرا عن

---

(١) الى الصواب ، اوالى الفهم كما قدره ابن يعقوب

(٢) والاضافة بيانيه أى الاصل الذى هو المراد ، وزاد لفظ «الاصل» إشارة الى أن المعتبر فى المساواة والايجاز والاطناب المعنى الأول اعنى المعنى الذى قصد المتكلم افادته للمخاطب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات

(٣) وذلك بأن يؤدى بما وضع لأجزائه مطابقه

(٤) أى عن المعنى المراد بأن يؤدى بأقل مما وضع لأجزائه مطابقة

(٥) أى بذلك المعنى المراد إما باعتبار اللزوم اذا لم يكن هنا حذف أو باعتبار الحذف الذى يتوصل اليه بسهولة من غير تكلف فخرج الأخلال فان التوصل الى المحذوف فيه بتكلف

(٦) بأن يكون اكثر مما وضع لأجزائه مطابقة

(٧) قال ابن السبكى : و لفائدة ، تتعلق بالثلاثة من جهة المعنى ، وما اقتضته عبارته من تعلقها بالزائد فليس كذلك

(٨) والمراد بالايجاز أن يكون اللفظ ناقصا عن أصل المراد وافيا به . والمراد بالأطناب ان يكون زائدا عليه لفائدة

أداء المعنى [١] كقول عروة بن الورد [٢]

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فانه أراد إذ يقتلون نفوسهم فى السلم

وقول الحرث بن حلزة :

والعيش خـــير فى ظلا ل النوك ممن عاش كدا [٣]

فانه أراد [٤] العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل ، فأخل كما ترى .

---

(١) بأن يكون ناقصا عن أصل المراد غير واف به لخفاء الدلالة بحيث يحتاج فيها إلى تكلف وتعسف ، فالمراد بالوفاء أن تكون الدلالة على ذلك المراد مع نقصان اللفظ واضحة ظاهرة لاخفاء فيها .

(٢) العبسى . والبيت فى الصناعتين ص ١٨٢ ، والعقد الفريد ص ٣١٩ جـ ٣ ، وتاريخ الكامل لابن الأثير ص ٢٧١ جـ ١ .

(٣) البيت فى الصناعتين ص ٣٧ وص ١٨١ وص ١٨٢ . النوك : الحمق والجهاله واضافة الظلال إليه من إضافة المشبه به إلى المشبه . الكد : المشقة والتعب .

(٤) يعنى أن أصل المراد ان العيش الناعم فى ظلام النوك خير من العيش الشاق فى ظلا العقل ولفظه غير واف بذلك لأن اعتبار المحذوف لا دليل عليه إذ كل منهما لا يعلم من الكلام ولا يدل عليه دلالة واضحة إذ لا يفهم السامع هذا المراد من البيت حتى تتأمل فى ظاهر الكلام فتجده غير صحيح فيقدر المحذوف لأجل صحة هذا الكلام بعد مزيد نظر وتأمل . وذكر السيوطى إنه لا إخلال فيه بل فيه نوع بديعى هو الاحتباك حيث حذف من كل ما أثبت مقابله فى الآخر فما أذكر فى كل محل قرينة معينة للمحذوف من المحل الآخر .

وقولنا « لفائدة » احتراز عن شيئين :

أحدهما التطويل [١] وهو أن لا يتعين الزائدة فى الكلام كقوله : [٢]

[وقددت الأديم لراهشيه] وألفى قولها كذبا [٣] ومينا

فان الكذب والمين واحد [٤]

---

(١) أى والاسهاب أيضا وهو أعم من الاطناب أى هو التطويل مطلقا لفائدة أو لعبرها .

والتطويل هو أن يزيد اللفظ على أصل المراد لا لفائدة ولا يكون اللفظ الزائد متعينا .

(٢) البيت لعدى بن الأبرش ، وقيل هو لعدى بن زيد يعظ النعمان ويذكره بغدر الزباء ونتائجه

(٣) قددت : قطعت . الأديم : الجلد . الراهشان عرقان فى باطن الذراعين . أى قطعت الجلد إلى أن وصل القطع للراهشين . والضمير فى « راهشيه » ، وفى « ألفى » لجذيمة - بفتح الجيم مكبرا وبضمها مصغرا - ابن الأبرش ، وفى « قددت » وفى « قولها » للزباء .

(٤) فلا فائدة فى الجمع بينهما وليس مقام هذا الكلام مقتضيا للتأكيد حتى يقال ان عطف هذين المترادفين للتأكيد ولا يقال ان الأول واقع فى موضعه فالزائد هو الثانى ، لأن مدار التعين وعدمه انه ان لم يتغير المعنى باسقاط أيهما كان فالزائد غير متعين وإن تغير باسقاط أحدهما دون الآخر فالزائد هو الاخر ولا يعتبر فى ذلك كون احدهما متقدما والآخر متأخرا .

وثانيهما ما يشتمل على الحشو ، والحشو ما يتعين أنه الزائد [١] وهو ضربان :

أحدهما ما يفسد المعنى كقول أبى الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب [٢]

فان لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى ، لان المعنى أنه لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة [٣] دون الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يخلد فى الدنيا لم يخش الهلاك فى الاقدام فلم يكن لشجاعته فضل [٤] بخلاف الباذل ماله ،

---

(١) فهو الزيادة المعينة لا لفائدة .

(٢) أى لا فضل فى الدنيا للشجاعة والندى والصبر لولا لقاء الموت . والشعوب بالفتح علم جنس للمنية جرها بالكسر من غير تنوين — مع أنها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث — للضرورة أى موافقة القوافى .

(٣) أى وفى الصبر .

فلولا حرف امتناع لوجود أى امتناع الجواب (هو هنا لا فضل) لوجود الشرط وهو لقاء الموت ولما كان الجواب منفيا فى ذاته بلا فاذا نفى بمقتضى لولا كان إثباتا لأن نفى النفى إثبات فيصير منطوق الكلام ثبوت الفضل للأمور المذكورة على تقدير الموت ، ومفهومه عدم الفضيلة لها على تقدير عدم الموت ؛ وهذا مسلم فى غير الندى .

(٤) وكذلك الصبر لتيقن الصابر بزوال المكروه فالصبر على الشدائد استلزام وجود الموت بفضله واستلزام نفى الموت لنفى فضله صحيح لأنه اذا انتفى الموت لم يكن له فضل لأن الناس كلهم إذا علموا أنه لا موت بتلك الشدة صبروا حرصا على فضيلة نفى الجزع إذ ليست تلك الشدة مفضية الى الموت الذى هو اعظم مصيبة بخلاف ما اذا اعلم ان تلك الشدة ربما افضت الى الموت ومع ذلك يصبر عليها فهذا لا يتصف به الا القليل .

فانه اذا علم أنه يموت هان عليه بذله ، ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل ما لا أبقى له ؟ أنى أثق بالتمتع بهذا المال ؛ وعليه قول طرفة :

فان كنت لا تسطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

وقول مهيار :

فكل إن أكلت واطعم أخاك فلا الزاد يبقى ولا الآكل

فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ؛ فالشجاعة لولا الموت لم تحمد والندى بالضد .

وأجيب عنه بأن المراد بالندى فى البيت بذل النفس لا بذل المال كما قال مسلم بن الوليد [يمدح داود بن حاتم المهلبى] :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود (١)

---

(١) البيت فى ديوان مسلم ص ٢٥ ، وفى العقد ٥٦ / ١ ولابن المقفع : الجود بالمجهود منتهى الجود (٣/١٠٤ بيان)

وللمفضل بن المهلب بن أبى صفرة :

هل الجود الا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين قضيب

وبيت مسلم نسبة العقد لأبى تمام (١/١٤٧ عقد) . وهذا الجواب نقله الخفاجى فى سر الفصاحة عن المرتضى ، وفيه نظر لعوده إلى الشجاعة فيكون فى البيت تكرار

واعتذر ابن جنى عن البيت بأن فى الخلود وتنقل الاحوال فى الخلود من يسر إلى عسر ومن شدة إلى رخاء حسبما جرت به عادة الزمان الطويل ما يسكن النفوس ويسهل الشدائد فلا يظهر لبذل المال كبير فضل لأنه عند تيقن الخلود ينفق وهو =

ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل فى بذل النفس ، وان استعمل فعلى وجه الاضافه فأما مطلقا فلا يفيد إلا بذل المال .

والثانى مما لا يفسد المعنى [١] كقوله [٢] :

ذكرت أخى فعاودنى صداع الرأس والوصب

فان لفظ « الرأس » فيه حشو لافائدة فيه لأن الصداع لا يستعمل الا فى الرأس وليس بمفسد للمعنى ؛ وقول زهير :

وأعلم علم اليوم والامس قبله ولكننى عن علم مافى غد عمى [٣]

أن قوله قبله مستغنى عنه غير مفسد ، وقول أبى عدى [٤] :

= موقن بالخلف وانتقال حاله من العسر الى اليسر بخلاف ما إذا أيقن بالموت فانه لا يوقن بالخلف لاحتمال ان يأتيه الموت فجأة قبل تغير حاله. ورد رأى ابن جنى بأن تيقن الخلود يدعوا إلى الحرص على المال ويقوى احتياج الشخص إليه ويجعله أشد تعلقا به فيكون لبذله حينئذ فضل .

(١) فى ص ٤٣٤ و ٤٣٥ من الصناعتين مثل لذلك

(٢) البيت لأبى العيال (١٠٥ الصناعتين) الخفاجى . ونقده العسكرى نقد شديدا ، وراجعه فى الصناعتين ايضا ص ٣٧

الصداع : وجع الرأس . الوصب : المرض الدائم . وقد نقد البيت بأن الذاكر لما فات من محبوبه يوصف بألم القلب واحتراقه لا بصداع الرأس .

(٣) والبيت فى الصناعتين ص ٤٣٠. فقبله حشو - زائد على اصل المراد لا لفائدة لأن الأمس يدل على القبلية لليوم — غير مفسد . أما مثل « رأيته بعينى » فالتأكيد هنا ان اقتضاه المقام كان فائدة لاحشوا وإلا كان حشوا

(٤) هو عبد الله بن عمرو الأموى

نحن الرؤوس وما الرؤوس اذا سمت فى المجد للاقوام كالأذناب

فان قوله « للاقوام » حشو لا فائدة فيه مع انه غير مفسد

[ملاحظة]

واعلم أنه قد تشتبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته ، فيعد من الزائد على أصل المراد ماليس منه كما مثله بعض الناس بقول القائل (١)

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائح

أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطى الاباطح (٢)

---

(١) هو كثير ، ونسبت ليزيد بن الطثرية ، ونسبها الحصرى لكثير [٦٦ ج ٢]

وراجعها فى ١٦ من أسرار البلاغة وكل ما هنا منقول منه ، وفى ٥٨ و ٦٠ و ٢٢٨ و ٢٢٩ من الدلائل ، وفى ١٠ الشعر والشعراء لابن قتيبه ، ٥٨ صناعتين ، ١٣٧ المثل السائر ، ٢٢ نقد الشعر

(٢) والأبيات من المساواة عند الخطيب كما يقول السبكى . وزعم البعض انه من الزائد على أصل المراد ، وأن أصل المراد فيه ؛ ولما رجعنا من منى اخذنا فى الكلام . دهم المهادى سودها جمع مهرية لأن أصلها من مهرة . الغادى : السائر فى أول النهار ضد الرائح . الأباطح جمع بطحاء كل مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى

يبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ [١] عبد القاهر فى شرحه قال :

أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال « ولما قضينا من منى كل حاجة » فعبر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار ، ثم نبه بقوله ومسح « بالأركان من هو ماسح» على طواف الوداع الذى هو آخر الامر ودليل المسير الذى هو مقصود من الشعر ثم قال « وشدت البيت » فوصل بذكر مسح الاركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان ، ثم دل بلفظ الاطراف على الصفه التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتظرفين من الاشارة والتلويح والرمز والايماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط كما توجبه ألفة الاصحاب وأنسة الاحباب ويليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الاياب وتنسم روائح الاحبة والاوطان واستماع التهانى والتحايا من الخلان والاخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة ، حيث قال ، وسالت بأعناق المطى الاباطح ، فنبه بذلك على سرعة السير ووطاءة الظهر وفى ذلك ما يؤكد ما قبله لان الظهور اذا كانت وطيئة وكان سيرها سهلا زاد ذلك فى نشاط الركبان فيزداد الحديث طيبا ، ثم قال - بأعناق المطى -

---

(١) ١٦ و ١٧ من الأسرار

ولم يقل بالمطى لان السرعة والبطء فى سير الابل يظهر ان غالبا فى أعناقها ويتبين أمرها من هواديها وصدورها، وسائر اجزائها تستند اليها فى الحركة وتتبعها فى الثقل والخفة

القسم الاول المساواة [1]

كقوله تعالى «ولا يحيق المكر السىء الا بأهله [2]» وقوله: واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض حتى يخوضوا فى حديث غيره)وقول النابغة الذبيانى

فانك كالليل الذى هو مدركى ... وان خلت ان المنتأى عنك واسع [3]

---

(١) قدمها لأنها الأصل المقيس عليه

قال العسكرى :

المساواة أن تكون المعانى بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعانى لا يزيد بعض على بعض وهو المذهب المتوسط بين الايجاز والاطناب وإليه أشار القائل بقوله : فان ألفاظه قوالب لمعانيه (١٧٢ صناعتين) .

(٢) راجع الكلام على الآية فى ٢/٢٣٠ الدسوقى ، ٢/٢٢١ ابن يعقوب وعد العسكرى الآية من الايجاز [١٦٩ صناعتين]

(٣) المنتأى : موضع البعد شبهه فى سخطه وهو له بالليل. قيل . فى الاية حذف المستثنى منه ، وفى البيت حذف جواب الشرط لأنه عند البصريين لا يتقدم فيكون كل منهما ايجازا إلا مساواة . وفيه نظر لأن اعتبار هذا الحذف رعاية لأمر لفظى لا يفتقر إليه فى تأدية أصل المراد حتى لو صرح به لكان إطنابا إن كان لفائدة أو تطويلا لغويا إن كان لا لفائدة ، والتطويل اللغوى الزائد لا لفائدة وإن كان متعيناً ، وإذا لم نقيد التطويل بكونه لغوياً كان حشوا لأن الزائد هنا متعين .

القسم الثانى الايجاز [١]

وهو ضربان : أحدهما ايجاز القصر وهو ماليس بحذف كقوله تعالى : ولكم فى القصاص [٢] حياة، فانه لاحذف فيه، مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ، لان المراد به ان الانسان اذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له قويا قويا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم، وفضله على ماكان عندهم أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم: القتل انفى للقتل، من وجوه

---

(١) اللفظ قد ينظر فيه إلى كثرة معناه بدلالة الالتزام من غير أن يكون فى نفس التركيب حذف فيسمى بهذا الاعتبار إيجاز قصر لوجود الاقتصار فى العبارة مع كثرة المعنى ، وقد ينظر فيه من جهة أن التركيب فيه حذف فهو إيجاز حذف . والفرق بين إيجاز الحذف والمساواة ظاهر ، وكذا الفرق بين مقاميهما ، وأما الفرق بين إيجاز القصر والمساواة فهو أن المساواة ما جرى به عرف الأوساط الذين لا ينتبهون لادماج المعانى الكثيرة فى لفظ يسير والايجاز بالعكس . ومقام الايجاز والمساواة معلوم .

ملاحظة :

إيجاز القصر هو تقليل الألفاظ وتكثير المعانى كما يقول أبو هلال ص ١٦٩ صناعتين والقصر كعنب وإن كان المشهور فيه فتح القاف وسكون الصاد .

وراجع بحث الايجاز فى الصناعتين الباب الخامس ، ١٦٩ سر الفصاحة .

(٢) راجع الكلام على الآية فى ص ٢٠٢ و ٢٢٤ و ٢٩٨ و ٣٢٨ من الدلائل ، وفى ص ٨٣ و ١٢٠ من المفتاح ، ١٦٩ و ٣٤١ من الصناعتين .

فالآية ليس فيها حذف شىء مما يؤدى به أصل المراد ، واعتبار الفعل الذى يتعلق به الظرف رعاية لأمر لفظى حتى لو ذكر لكان تطويلا .

أحدهما أن عدة حروف ما يناظره[١] منه[٢] وهو فى القصاص حياة عشرة فى التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر

وثانيهـا ما فيه التصريح بالمطلوب الذى هـو الحيـاة بالنص عليها فيكوز أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصاص .

وثالثهـا ما يفيده تنكير حيـاة من التعظيم[٣] أو النوعيه[٤] كما سبق[٥] .

ورابعهـا اطراده[٦] بخـلاف قولهم ، فان القتل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره[٧] .

= فالآية ليس فيها حذف شىء مما تؤدى به اصل المراد ، واعتبـار الفعل الذى يتعلق به الظرف رعاية لأمر لفظى حتى لو ذكر لـكان تطويلا

(١) أى اللفظ الذى يناظر قولهم « القتل انفى للقتل »

(٢) أى من قوله تعالى « ولـكم فى القصاص حياة » . وما يناظره منه هو قوله « فى القصاص حياة » لأن قوله « ولـكم » زائد على معنى قولهم « القتل انفى للقتل » فحروف « فى القصاص حيـاة » أحد عشر وحروف « القتل انفى للقتل » اربعة عشر ، أعنى الحروف الملفوظة إذ بالعبارة يتعلق الايجاز لا بالـكتابة فـلا يقال ان « فى القصاص حياة ثلاثة عشر حرفا . « والقتل أنفى للقتل » لأكثم بن صيفى .

(٣) أى حياة عظيمة لمنع القصاص اياهم عما كانوا عليه فى الجاهلية من قتل جماعة بواحد

(٤) أى ولـكم فى القصاص نوع من الحياة وهى الحيـاة الحاصلة للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعالم بالقصاص

(٥) فى تنـكير المسند اليه

(٦) أى عمومه لأفراده و « ولـكم فى القصاص حياة » مطرد اذ القصاص فى كل وقت وزمن وفى كل فرد سبب للحياة

(٧) وهو ما كان مثلا ظلما

وخامسها سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم[١].

وسادسها استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم فان تقديره القتل أنفى للقتل من تركه[٢]

وسابعها أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق كما سيأتى[٣].

وثامنها جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال « فى » عليه على ماتقدم . ومنه[٤] قوله تعالى « هدى للمتقين » ، أى هدى للضالين الصائرين إلى الهدى بعد الضلال ؛ وحسنه التوصل إلى تسمية الشىء باسم ما يؤول إليه وإلى تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى. وقوله : « أتنبؤن الله بما لا يعلم[٥] أى بما لا ثبوت له ولا علم الله متعلق بثبوته ،

---

(١) فانه يشتمل على تكرار القتل ولا يخفى ان الخالى من التكرار افضل من المشتمل عليه وان لم يكن مخلا بالفصاحة فكلامهم بالنظر الى أن التكرار معيب وإن كان منه حسن من جهة ما فيه من رد العجز على الصدر ولهذا قالوا الأحسن فى رد العجز على الصدر أن لا يؤدى الى التكرار بأن لا يكون كل من اللفظين بمعنى الآخر

(٢) راجع السيد على المطول ص ١٤٥

(٣) والطباق الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة ؛ سواء كان التقابل على جهة التضاد أو السلب والايجاب أو غير ذلك ، وقولنا فى الجملة اذا كان تقابلهما بحسب ذاتهما فلو كان تقابلهما فى الجملة أى بحسب ما استلزماه كالقصاص المستلزم للقتل والقتل يشتمل على الموت الذى هو مقابل للحياة

(٤) أى من الايجاز راجع ١٢٠ مفتاح

(٥) ص ١٢١ من المفتاح

نفيا للملزوم بنفى اللازم [١] وكذا قوله تعالى « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع [٢] » أى لا شفاعة ولا طاعة على أسلوب قوله [٣] :

على لاحب لا يهتدى بمناره [إذا سافه العود النباطى جرجرا]

أى لا منار ولا اهتداء ؛ وقوله : [٤]

لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجحره

أى لا ضب ولا انجحار .

ومن أمثلة الايجاز أيضا قوله تعالى فيما يخاطب به النبى عليه

ملاحظة :

فى البيان والتبيين [٢٢٣ / ٢] اشارة للفرق بين الآية والحكمة وفى الصناعتين مقارنة بينهما [١٦٩ صناعتين] نقلها المتأخرون ومنهم الخطيب ويزيد العسكرى مزية أخرى وهى ابانة العدل بذكر القصاص ثم حسن التأليف وشدة التلاؤم فى الآية الكريمة

(١) وهو وجوب كونه معلوما للعالم الأعلى لو كان له ثبوت

(٢) راجع ص ١٢٢ من المفتاح

(٣) البيت لامرى القيس [١٨٩ المثل السائر] وهو فى المفتاح ص ١٢٢ اللاحب : الطريق يمشى على جهة . مناره ما يجعل عليه من علامة . سافه : شمه : العود : الجمل المسن . النباطى : الضخم نسبة الى النبط . جرجر : رغا وضج لمعرفته ببعد الطريق

(٤) البيت لاوس بن حجر يصف مفازة بأنها غير مطروقة للناس فلا يوجد مايفزع أرانبها أو ينجحر بها ضبها أى يدخل فى جحره .

الصلاه والصلاه والسلام « خذ العفو [١] وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، فانه جمع فيه مكارم الأخلاق لأن قوله خذ العفو أمر باصلاح قوة الشهوة فان العفو ضد الجهل قال الشاعر

خذى العفو منى تستديمى مودتى . . [ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب [٢]]

أى : خذ ما تيسر أخذه وتسهل ؛ وقوله « و اعرض عن الجاهلين » أمر باصلاح قوة الغضب أى أعرض عن السفهاء واحلم عنهم ولا تكافئهم على أفعالهم . هذا يرجع اليه منها ، وأما مايرجع الى أمته فدل عليه بقوله « وأمر بالعرف » أى بالمعروف والجميل من الأفعال . ولهذا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فيما روى عنه : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية ومنها [٣] قول الشريف الرضى :

مالوا الى شعب الرحال وأسندوا أيدى الطعان الى قلوب تخفق [٤]

فانه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعه فى أثناء وصفهم بالغرام ، عبر عن ذلك بقوله أيدى الطعان ؛ ومنه [٥] ما كتب عمرو بن مسعدة

---

(١) أى الفضل

(٢) البيت لاسماء بن خارجة الفزازى . سورة الشىء : شدته

(٣) أى من أمثلة الايجاز أيضا

(٤) شعب الرحال : خشبها . وميلهم اليها عبارة عن ارتحالهم وركوبهم عليها : تخفق : تضطرب لفراق الأحبة

(٥) أى من الايجاز . راجع ١٧٠ من الصناعتين ، ٢٥٣ / ٢ الكامل للمبرد

عن المأمون لرجل يعنى به ، الى بعض العمال ، حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن: كتابى اليك كتاب واثق ممن كتب إليه معنى بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

الضرب الثانى ايجاز الحذف [١] :

وهو ما يكون بحذف

والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة

والأول [٢] إما مضاف [٣] كقوله تعالى « واسأل القرية » أى أهلها [٤] ، وكقوله تعالى : حرمت عليكم الميتة . أى تناولها لان الحكم الشرعى انما يتعلق بالافعال دون الاجرام ، وقوله : حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أولى من تقدير الاكل ليدخل فيه شرب ألبان الابل فانها من جملة ما حرمت عليهم . وقوله : وأنعام حرمت

---

(١) راجع فى ١٩٨ ج ٢ البيان والتبيين « باب من الكلام المحذوف »

(٢) اى جزء الجملة والمراد به ما ليس مستقلا كالشرط وجوابه والجملة ما كان مستقلا . والمراد الجزء مطلقا فضله او عمدة ، والعمدة مايتوقف عليه اصل الافادة

(٣) راجع ١٧٥ صناعتين ، ١٧٥ الصاحبى

(٤) هو من باب الحذف اذا لم تجعل القريه مرادا بها أهلها مجاز مرسلا لعلاقة الحالية والمحلية والا فلا حذف وكذا على ماقاله داود الظاهرى من ان اسم القرية مشترك بين المكان واهله

ظهووها ، أى منافع ظهورها وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب لانهم حرموا ركوبها وتحميلها، وكقوله تعالى : لمن كان يرجو الله ، أى رحمة الله ، وقوله : يخافون ربهم، أى عذاب ربهم وقد ظهر هذان المضافان فى قوله يرجون رحمته ويخافون عذابه

واما موصوف كقوله [1] :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا (متى اضع العمامة تعرفونى)

أى انا ابن رجل جلا [2]

---

(١) هو للعرجى كما فى المطول. والصحيح انه لسحيم بن وثيل الرياحى وهو شاعر مخضرم

وراجعه فى ٧ ج٢ الكتاب لسيبويه ، ١٠٧ و٢٨٢ و١٨٣ ج ١ الكامل للمبرد، ٤٢٢ ج ٣ العقد

الثنايا : جمع ثنية وهى الطريق فى اعلى الجبال . العمامة هى عمامة الحرب (البيضة) . فلان طلاع الثنايا أى ركاب لصعاب الأمور

(٢) يريد المنكشف الأمر (الكامل) . فيكون جلا لازما . جلا انكشف أمره أو كشف الامور لازما ومتعديا .

وقيل « جلا » هنا علم وعليه لايكون فى البيت شاهد لعدم الحذف فيه ، وحذف تنوينه باعتبار انه منقول عن الجملة - أعنى الفعل مع المضمر المستتر - لا عن الفعل وحده وإلا لنون إذ ليس فيه وزن الفعل المانع من الصرف ولا زيادة كزيادة الفعل . والحاصل ان المنقول للعلمية إن اعتبر معه ضمير فاعله وجعت الجملة علماً فهو محكى وان لم يعتبر معه الضمير فحكمه حكم المفرد فى الانصراف وعدمه فان كان على وزن يخص الفعل اوفى اوله زيادة كزيادة الفعل منع الصرف والافلا

واما صفة نحو: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا: أى سفينة صحيحة أو صالحة أو نحو ذلك بدليل ما قبله [١]، وقد جاء ذلك مذكورا فى بعض القراءات، قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا . . . وإما شرط كما سبق [٢]

وإما جواب شرط [٣] وهو ضربان:

أحدهما أن يحذف لمجرد الاختصار [٤]، كقوله تعالى: واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون. أى اعرضوا بدليل قوله بعده: الا كانوا عنها معرضين.

وكقوله تعالى: [٥] ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به

---

(١) وهو قوله «فأردت أن أعيبها» لدلالته على أن الملك كان لا يأخذ المعيبة

(٢) إن كان المراد بالشرط فعل الشرط فقد سبق أول باب المسند وإن كان المراد أداة الشرط فقد سبقت فى باب الانشاء عند قوله «وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها» — راجع السبكى ٣٣٢ ج ٢

(٣) راجع ١٧٦ صناعتين، ٢٩ ما اتفق لفظه للمبرد

(٤) أى لنكتة لفظية فقط وهى الاختصار، بخلاف الحذف فانه لنكتتين كما يأتى، والاختصار نكتة موجبة للحذف فرارا من العبث، ونكت الحذف قد تكون غير ما ذكر كاختبار تنبه السامع أو مقدار تنبهه الخ

(٥) راجع ٣٠ ما اتفق لفظه للمبرد

ملاحظة

الفرق بين الآية الكريمة «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم=

الأرض أو كلم به الموتى ، أى لكان هذا القرآن ، وكقوله تعالى قل أرأيتم ان كان عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى أسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ، أى الستم ظالمين بدليل قوله بعده ان الله لا يهدى القوم الظالمين

والثانى أن يحذف للدلالة على انه شىء لا يحيط به الوصف[1] ، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروها الا يجوز ان يكون الامر أعظم منه ، ولو عين شىء اقتصر عليه وربما خف أمره عند كقوله : وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ؛ وكقوله : ولو ترى اذ وقفوا على النار ، ولو ترى اذا وقفوا

= ترجمون ، وبين دفانك كالليل الذى هو مدركى ، حيث جعل حذف الجواب هنا من ايجاز الحذف وهناك ليس منه بل رعاية لأمر لفظى فقط ، هو أن الجواب فى البيت تقدم ما يدل عليه فأغنى عرفا عن إعادته وفى الآية هنا دل عليه متأخر فضعفت دلالته عليه فكأنه لم يذكر

(١) وذلك عند قصد المبالغة لكونه أمرا مرهوبا منه أو مرغوبا فيه والقرائن تدل على هذا المعنى ويلزم من كونه كذلك ذهاب نفس السامع ان تصدى لتقديره كل مذهب . وكونه لا يحيط به الوصف وذهاب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن مفهوم بهما مختلف ومصدوقهما متحد ، قد يقصدهما البليغ معا وقد يخطر بباله احدهما فقط ولتباينهما مفهوما عطف الثانى بأو ولا تفاقهما مصدوقا مثل لهما بمثال واحد

على ربهم ؛ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم [١]

قال السكاكى [٢] رحمه الله: «ولهذا المعنى حذف الصلة من قولهم «جاء بعد اللتيا والتى» أى المشار اليه بهما وهى المحنة والشدائد قد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغا يبهت الواصف معه حتى لا يحير بنت شفة» ...وأما غير ذلك [٣] كقوله تعالى «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل»، أى ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل ما بعده [٤]. ومن هذا الضرب قوله تعالى: رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس [٥] شيبا، لأن أصله يارب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس منى شيبا [٦]، وعده السكاكى [٧] من القسم الثانى من الايجاز [٨] على ما فسره: ذاهبا الى انه وان اشتعل على بسط فان انقراض الشباب والمشام المشيب

---

(١) بناء على ان «لو» للشرط لا للتمنى

(٢) راجع ص ١٢١ من المفتاح

(٣) عطف على «مضاف»، أى أو أن يكون المحذوف جزء جملة غير ما ذكر

(٤) وهو قوله تعالى: «اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا»

(٥) راجع الكلام على الآية فى: ص ٧٩ و ٣٠١ و ٣٠٩ و ٣١٢ و ٣٢٨ من الدلائل، وفى ص ٩٤ و ١٢٤ من المفتاح

(٦) راجع ٢٦٣ صناعتين، ٢/ ١٦٥ من شروح التلخيص

(٧) راجع ١٢٤ من المفتاح

(٨) وهو الذى يكون مقامه خليقا بأبسط مما ذكر فيه

جديران بأبسط منه ، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر فى أصل المعنى ومرتبته الاولى، ثم أفاد أن مرتبته الأولى « يارب قد شخت » فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس، ثم تركت هذه المرتبة لتوخى مزيد التقرير الى تفصيلها فى « ضعف بدنى وشاب رأسى، ثم ترك التصريح بضعف بدنى الى الكناية بوهنت عظام بدنى لما سيأتى أن الكناية ابلغ من التصريح ، ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ من التقرير بنيت الكناية على المبدأ فحصل أنا وهنت عظام بدنى ، ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت إن على المبتدأ فحصل ، انى وهنت عظام بدنى، ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قصد مرتبة سادسة وهى سلوك طريق الاجمال والتفصيل، فحصل انى وهنت العظام من بدنى، ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصد مرتبة سابعة وهى ترك توسيط البدن فحصل أنى وهنت العظام منى، ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبه ثامنه وهى ترك الجمع الى الافراد(٤) لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد، فحصل ما ترى. وهكذا تركت الحقيقة فى شاب رأسى الى الاستعارة فى اشتعل شيب رأسى لما سيأتى ان الاستعارة أبلغ من الحقيقه، ثم تركت هذه المرتبه الى

---

(٤) و « أل » فى « العظم » للاستغراق

تحويل الاسناد الى الرأس وتفسيره بشيبا لأنها أبلغ من جهات: إحداها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الشيب الرأس ، اذ وزان اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزان اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق نير وثانيتهما الاجمال والتفصيل فى طريق التمييز ، وثالثتها تنكير شيبا لافادة المبالغة ، ثم ترك اشتعل رأسى شيبا لتوخى مزيد التقرير إلى « اشتعل الرأس منى شيبا » على نحو وهن العظم منى ، ثم ترك لفظ « منى » لقرينة عطف « اشتعل الرأس » على وهن العظم منى ، لمزيد التقرير وهو إيهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ .

ثم قال[1] عقيب هذا الكلام : واعلم أن الذى فتق اكمام هذه الجهات عن أزاهير القبول فى القلوب هو أن مقدمة هاتين الجملتين وهى « رب » اختصرت ذلك الاختصار ، بان حذفت كلمة النداء وهى يا ، وحذفت كلمة المضاف إليه وهى ياء المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهى المنادى ؛ والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق فى نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبناء فكما أن البناء الحاذق لا يرمى الأساس إلا بقدر مايقدر من البناء عليه ،

---

(١) أى السكاكى راجع ١٢٤ من المفتاح

كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه ، فمتى رأيته قد اختصر المبـــدأ فقد آذنك باختصار ما يورد .

انتهى كلامه ؛ وعليك أن تتنبه لشيء وهـو أن ما جعـله سببـا للعدول عن لفظ العظام فيه نظر : لأنا لا نسلم صحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل [١] فرد ، فالوجه فى ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الزمخشرى [٢] قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قـــوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فاذا وهن كان ما وراءه أوهن ؛ ووحده لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية ، وقصده إلى أن هذا الجنس الذى هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصـدا إلى معنى آخر وهـو أنه لم يهن بعض عظامه ولـكن كلها [٣] . واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملته حتى لا يبقى من السواد شيء أولا يبقى منه إلا مالا يعتد به .

---

(١) لأنه اذا كانت ال فى « العظم » للاستغراق فقد سبق أنه لا فرق بين استغراق المفرد واستغراق الجمع فى الاثبات

(٢) راجع الكلام بتفصيل فى المطول ص ٨٥ و ٨٦

(٣) راجع ٣٣٩ ج ١ السبكى

و اثانى [1] اعنى ما يكون جملة :

إما مسبب ذكر سببه كقوله تعالى ' ليحق الحق ويبطل الباطل ' أى فعل ما فعل [2] وقوله ' وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك ' أى اخترناك ؛ وقوله : « ليدخل الله فى رحمته من يشاء » أى كان الكف ومنع التعذيب ، ومنه قول أبى الطيب

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

اى فساؤنا

أو بالعكس [3] كقوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ' أى فامتثلتم فتاب عليكم ، وقوله : فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفرجت ' أى فضربه بها فانفجرت [4]

---

(١) راجع ١٢١ من المفتاح - والجملة الكلام المستقل بالافادة الذى لايكون جزء كلام آخر ولو عرض له فى هذه الحالة ترتيبه بالفاء أو ترتب شىء عليه

(٢) فهذا مذكور حذف مسببه ويقدر المسبب قبل السبب عند ابن يعقوب وبعده عند السبكى وفى الآية تقدير ثان وهو أن المذكور متعلق « بيقطع » قبله فلا شاهد فيها على هذا

(٣) أى السبب محذوف والمذكور هو مسببه

(٤) والضرب سبب للانفجار

ويجوز أن يقدر فان ضربت بها فقد انفجرت [١] أو غير ذلك [٢] كقوله تعالى (فنعم الماهدون) على ما مر [٣]

والثالث [٤] كقوله تعالى « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى » أى فضربوه ببعضها فحي فقلنا كذلك يحي الله الموتى ؛ وقوله : أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف . أى فارسلونى إلى يوسف لاستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يايوسف [٥] ؛ وقوله «فقلنا

---

(١) الماضى الواقع جوابا لا يقترن بالفاء الا مع « قد » ولهذا قدر « قد » . وعلى هذا فالمحذوف جزء جملة وهو فعل الشرط مع أداته

ملاحظة :

الفاء فى مثل هذا وما ماثلها من كل فاء اقتضت الترتيب تسمى فاء الفصحة وهى الدالة على محذوف قبلها هو سبب لما بعدها وسميت فصيحة لأفصاحها عما قبلها أو لانها تدل على فصاحة المتكلم فوصف بالفصاحة اسنادا مجازيا . قيل على التقدير الاول وهو رأى الطيبى وظاهر المفتاح ، وقيل على التقدير الثانى وهو ظاهر كلام الكشاف ، وقيل على التقديرين وهو اختيار السيد السبكى الذى قال : هى فصيحة على التقديرين : عاطفة أو جزائية

(٢) أى غير المسبب وغير السبب

(٣) أى فى بحث الاستئناف من انه على حذف المبتدأ والخبر على قول من يجعل المخصوص مبتدأ محذوف الخبر أى « نحن هم »

(٤) وهو ما كان المحذوف اكثر من جملة

(٥) فقد حذف هنا خمس جمل مع مالها من المتعلقات

إذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا» أى فأتياهم فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم ؛ وقوله : فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين أن معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك ، أى فأتياه فأبلغاه ذلك فلما سمعه قال ألم نربك ، ويجوز أن يكون التقدير فأتياه فأبلغاه ذلك ثم يقدر فماذا قال فيقع قوله قال ألم نربك استئنافا ، ونحوه قوله إذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت ياأيها الملا ، أى ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ثم كان سائلا سأل قال فماذا قالت فقيل : قالت يا أيها الملأ . وأما قوله تعالى [1] : ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله ، فقال الزمخشرى فى تفسيره هذا موضع الفاء كما يقال أعطيته فشكر ومنعته فصبر ، وعطفه بالواو أشعارا بان ماقالاه بعض ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله ؛ وقال السكاكى [2] يحتمل عندى أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالا ؛ كأنه قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتمادا على فهم السامع كقولك قم يدعوك بدل قم فانه يدعوك

---

(١) راجع ١٢١ من المفتاح

(٢) راجع ١٢١ من المفتاح

واعلم أن الحذف على وجهين : أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف[١] كما سبق[٢] . والثانى أن يقام مقامه مايدل عليه كقوله تعالى « فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم » ليس الا بلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم[٣] ، والتقدير فان تولوا فلا لوم على لأنى قد أبلغتكم ، أو فلا عذر لكم عند ربكم ؛ وقوله : « وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك » أى فلا تحزن[٤] واصبر فانه قد كذبت رسل من قبلك ؛ وقوله « وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » أى فيصيبهم مثل ما أصاب الاولين

وأدلة الحذف[٥] كثيرة[٦] منها[٧] :

---

(١) فيكتفى فيه بالقرينه اللفظيه او الحالية كما سبق فى الامثلة

(٢) اى فى الامثلة السابقة لحذف جزء الجملة

(٣) وجزاء الشرط يجب ان يكون مضمونه مترتبا على مضمون الشرط

(٤) « فقد كذبت » ليس جزاء الشرط لأن تكذيب الرسل متقدم على تكذيبه وجزاء الشرط يجب أن يكون مضمونه مترتبا على مضمون الشرط ، فهو سبب لمضمون الجواب المحذوف وهو عموم الحزن اقيم ذلك السبب مقام الجواب

(٥) أى الذى لم يقم فيه شيء مقام المحذوف ، فهو راجع للقسم الأول ، وقول النحاة « الاقتصار الحذف لا لدليل » اصطلاح ، والحق ان الفعل فيه صار قاصرا وإنما يسمونه حذفا اعتبارا بالفعل قبل جعله قاصرا

(٦) كثرتها من حيث الدلالة على تعيين المحذوف وأما دليل الحذف فهو شيء واحد هو العقل ولما كان كل ما دل على التعيين يدل على الحذف وان كان العقل وحده قد يدل على الحذف صح التعبير بالجمع « أدلة » والوصف بالكثرة

(٧) عبر بمنها أشارة الى أن هناك أدلة أخرى لم يذكرها كالقرائن اللفظية

أن يدل العقل على الحذف والمقصود الاظهر [١] على تعيين المحذوف كقوله تعالى ، حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية ، وقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآيه ، فان العقل يدل على الحذف لما مر [٢] والمقصود الأظهر يرشد الى أن التقدير حرام عليكم تناول الميته وحرم عليكم نكاح أمهاتكم لأن الغرض الاظهر من هذه الاشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .. ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين كقوله وجاء ربك أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه [٣] وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام أى عذاب الله أو امره

ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة [٤] على التعيين ، كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : فذلكن الذى لمتننى فيه ، دل العقل على الحذف ، لأن الانسان انما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون

---

(١) أى بحسب العرف فى الاستعمال

(٢) فالعقل مدرك لذلك اذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بافعال المكلفين دون الذوات وذلك مذهب المعتزله والعراقيين السنيين لا الحنفية فعندهم يجوز تعلقها بالأعيان

(٣) فالعقل يدل على امتناع مجيء الرب ويدل على تعيين المراد أيضا

(٤) أى المقررة لا العادة فى استعمال الكلام بخلاف ما سبق فى « والمقصود الأظهر »

التقدير فى حبه لقوله «قد شغفها حبا[١]» وأن يكون فى مراودته لقوله «تراودفتاها عن نفسه»، وأن يكون فى شأنه وأمره فيشملهما، والعادة دلت على تعيين المراودة لان الحب المفرط لا يلام الأنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه وغلبته، وإنما يلام على المروادة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها عن نفسه.

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى: لو نعلم قتالا لا تبعناكم، مع أنهم كانوا اخبر الناس بالحرب. فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها؟ فلا بد من حذف قدرة مجاهد رحمه: الله مكان قتال، أى انكم تقاتلون فى موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه، ويدل عليه انهم أشاروا على رسول الله ان لا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء

ومنها الشروع فى الفعل[٢] كقول المؤمن «بسم الله الرحمن الرحيم»، كما إذا قلت عند الشروع فى القراءة «بسم الله»، فانه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ وكذا عند الشروع فى القيام والقعود أو أى فعل كان فان المحذوف يقدر ما[٣] جعلت التسمية مبدأ له[٤]

---

(١) أى اصاب حبه شغاف قلبها وغلافه

(٢) راجع ٩٨ من المفتاح، يعنى من أدلة تعيين المحذوف بعد دلالة العقل على أصل الحذف، لا من أدلة الحذف، فدليل الحذف هنا هو العقل بسبب إدراكه أن الجار والمجرور لا بد أن يتعلق بشىء والشروع فى الفعل دل على أنه ذلك الفعل

(٣) اى الفعل الذى

(٤) أى لمعناه

ومنها [١] اقتران الكلام بالفعل ، فانه يفيد تقديره كقولك لمن أعرس بالرفاء [٢] والبنين [٣] فانه يفيد بالرفاء والبنين أعرست

القسم الثالث الاطناب

وهو إما:

[١ — الايضاح بعد الابهام] :

[إما] بالايضاح بعد الابهام :

ليرى المعنى فى صورتين مختلفتين [٤] : أو ليتمكن فى النفس فضل تمكن [٥] فان المعنى إذا ألقى على سبيل الاجمال والابهام تشوقت نفس السامع الى معرفته على سبيل التفصيل والايضاح فتتوجه الى ما يرد بعد ذلك فاذا القى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به اتم ، أو لتتمكن اللذة بالعلم به [٦] فان الشيء اذا حصل كمال العلم به دفعة

---

(١) أى من أدلة تعيين المحذوف بعد دلالة العقل على أصل الحذف

(٢) أعرس : تزوج

(٣) الجملة خبرية لفظا انشائية معنى . والرفاء . الالتحام والاتفاق والباء للملابسة

فمقارنة هذا الكلام لاعراس المخاطب دل على تعيين المحذوف أى أعرست، أو مقارنة المخاطب بالاعراس وتلبسه به دل على ذلك

(١) أحدهما مبهمة الأخرى موضحة ، وعلمان خير من علم واحد .

(٢) فى مقام كون المعنى ينبغى أن يملأ به القلب لرغبة أو لرهبة أو أن يحفظ لتعظيم أو لعمل به .

(٣) أى بالمعنى لما لا يخفى من أن نيل الشيء بعد الشوق والطلب ألذ .

لم يتقدم حصول اللذة به ألم، واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة. وبسبب حرمانها عن الباقي الم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم أو لتفخيم الأمر وتعظيمه كقوله (١) تعالى: قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، فان قوله اشرح لى يفيد طلب شرح لشيء ماله (٢)، وقوله صدرى يفيد تفسيره وبيانه (٣)؛ وكذلك قوله: ويسر لى أمرى؛ والمقام مقتض للتأكيد للارسال المؤذن بتلقى المكاره والشدائد. وكقوله تعالى: وقضينا

---

(١) التركيب فى ذاته من شأنه أن يفيد الأغراض الثلاثة فهو بحيث لو خوطب به غير الله أمكن فيه ما ذكر.

(٢) أى للطالب، «فلى» ظرف مستقر وقع صفة لمحذوف.

أى اشرح شيئا كائنا لى، ثم فسر الشيء بالبدل منه بقوله «صدرى». ويصح أن المجرور متعلق باشرح أى اشرح لأجلى، فالمقصود زيادة ربط اشرح بنفسه، فلا إجمال. أو أنه من قبيل الاجمال والتفصيل لأن اشرح يفيد طلب شيء يشرح لأن الشرح يستدعى مشروحا لكنه مبهم، ثم فسر بصدرى، وذلك أن تخصيص المطلوب بالطالب يفيد تعينه عنده، وإنما يتعين بمتعلق هو المفعول، لعلم الإنسان بأحوال نفسه غالبا وتعلق غرضه بمصالحه الخاصة غالبا، فيكون ذكره بعد إيضاحا بعد إبهام، أما إذا لم يكن متخصصا بالطالب فلا يفيد ذلك

(٣) أى تفسير ذلك الشيء وبيانه.

اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ، ففى ابهامه تفسيره تفخيم للامر وتعظيم له .

ومن الايضاح بعد الابهام باب نعم وبئس [١] على احد القولين [٢] اذ لو لم يقصد الاطناب لقيل نعم زيد وبئس عمرو [٣] ووجه حسنه [٤] سوى الايضاح بعد الابهام [٥] امران آخران احدهما ابراز الكلام فى معرض الاعتدال ؛ نظرا الى اطنابه من وجه والى اختصاره من آخر وهو حذف المبتدأ فى الجواب ؛ والثانى إبهام الجمع بين المتنافيين [٦]

---

(١) أى أفعال المدح والذم — راجع فى ذلك ص ١٢٣ من المفتاح .

« ٢ » وهو قول من يجعل المخصوص مبتدأ خبره محذوف والجملة مستأنفة للبيان . أما على من يجعل المخصوص مبتدأ قدم خبره عليه فليس من الايضاح لأن الكلام عليه جملة واحدة والمخصوص فيها مقدم فى التقدير وأل فى الفاعل حينئذ للعهد ؛ وما ذكره الشارح إنما يأتى إذا كان المقصود مدح زيد ومدح الجنس من أجله ، أما إذا قلنا المقصود مدح الجنس فيه فلا . والسكاكى كلامه يدل على أنه يرى جعل اللام للجنس « ١٢٣ مفتاح » .

« ٣ » أى بالنسبة إلى متعارف الأوساط ، وإن كان هذا التركيب فى نفسه ممتنعا ، لأن فاعل نعم لا بد أن يكون بأل أو مضافا لما فيه أل أو ضميرا مفسرا بتمييز .

« ٤ » أى حسن باب نعم .

« ٥ » للأغراض الثلاثة المتقدمة .

« ٦ » أى الإيجاز والإطناب ، وقيل الاجمال والتفصيل ؛ ولا شك أن إبهام الجمع بين المتنافين من الأمور المستغربة التى تدخل على النفس اللذة ، وإنما قال « إبهام الجمع بين المتنافيين » لأن حقيقة جمع المتنافيين أن يصدق على ذات واحدة =

ومنه [١] التوشيع [٢] وهو :

ان يؤتى فى عجز الكلام [٣] بمثنى [٤] مفسر باسمين احدهما معطوف على الآخر [٥] كما جاء فى الخبر يشيب ابن آدم ويشب [٦] فيه خصلتان الحرص وطول الامل [٧] وقول الشاعر [٨]

= وصفان يمتنع اجتماعهما على شىء واحد فى زمان واحد من جهة واحدة وهنا الجهة ليست كذلك لأن الايجاز من جهة حذف المبتدأ والاطناب من جهة ذكر الخبر بعد ذكر ما يعمه . هذا والجمع المذكور إن كان الاتيان به مناسبا للمقام لنكته كالتأكيد فى إمالة قلب السامع كان من المعانى ، وإن قصد به التحسين لا غير كان من البديع .

(١) اى من الايضاح بعد الابهام

(٢) هو لغه جمع القطن المندوف. واصطلاحا يطلق على المعنى المصدرى وهو الاتيان فى عجز الكلام الى آخر ما ذكره الخطيب كما يطلق على المعنى الاسمى اى على الكلام وراجع ص ٢١٤ من الصناعتين فى باب التطريز

(٣) اى او فى اوله أو فى وسطه لأن تخصيصه بالعجز ليس له وجه

(٤) او بجمع

(٥) وفى الجمع يفسر بأسماء

(٦) اى ينمو

(٧) تجد هذا الخبر فى البيان والتبيين ص ٩٥ ج ٣

(٨) هو ابن المعتز شبيهة خديها هى الخمر الرقيب: الذى يراقبهما

وراجع البيتين فى ٢٢٧ ج ١ الأمالى ، ١٥ ج ٣ زهر الآداب وفى هذا الموضع من الزهر ابيات للشعراء فى هذا المعنى

وفى العقد ٢ : ١٢ ج ٤] قال : قال المعتز (لعلوا ابن المعتز)

فأمسيت فى ليلين : للشعر والدجا

وشمس : من كأس ووجه حبيب

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب

فما زلت فى ليلين : شعر وظلمة وشمسين : من خمر ووجه حبيب

وقول البحترى[1] :

لما مشين بذى الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدود

فى حلتى حبر وروض فالتقى وشيان : وشى ربى ووشى برود

[٢ — ذكر الخاص بعد العام] :

وإما بذكر الخاص بعد العام[2] للتنبيه على فضله[3] حتى كأنه ليس من جنسه[4] تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات ، كقوله تعالى : من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل

---

(١) من قصيدة له فى مدح المتوكل [١٢٦ ديوان البحترى ، ٤٩٩ الأدب العباسى] . الأعطاف : الجوانب . القضبان : الأغصان . القدود : القامات . الحلة الثوب او الجديد منه . الحبر : ضرب من برود اليمن . الوشى : النقش . الربى جمع ربوة ما ارتفع من الأرض . البرود جمع برد وهو كساء مخطط . الجنى مصدر جنى الثمر تناوله من الشجر

(٢) المراد الذكر على سبيل العطف لا على سبيل الوصف أو الابدال فلو كان الذكر على غير سبيل العطف كان من الايضاح بعد الابهام ، ووجهه انه مع الوصف او الابدال يكون ذلك الخاص هو المراد من العام فليس فى ذكره بعد إفراد العام تنبيه على فضله لجعل العام بمنزلة الجنس للآخر

٣ اى على مزية الخاص

٤ اى العام

وقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقوله «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »[١]

[٣ — التكرير[٢] :]

وإما بالتكرير، لنكتة[٣] : كتأكيد الانذار فى قوله تعالى "كلا[٤] سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون[٤] "، وفى ثم[٥] دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ وأشد[٦] "، كزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ؛ فى قوله تعالى " وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ، ؛ وقد يكرر اللفظ لطول فى الكلام كما فى قوله تعالى "ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم"، وفى

---

(١) اى الوسطى من الصلوات او الفضلى من قولهم للأفضل الاوسط وهى صلاة العصر عند الأكثر

(٢) راجع فى ص ٢٤٧ من المفتاح الرد على من يعيب القرآن بالتكرار

(٣) ليكون اطنابا لاتطويلا

(٤) فقوله «كلا» ردع وزجر عن الانهماك فى الدنيا وتنبيه على الخطأ فى الاشتغال بها، «وسوف تعلمون» إنذار وتخويف ، وفى تكريره تأكيد للزجر والانذار

(٥) اى فى العطف بها . وراجع الكلام على الآية وما فيها من تكرير فى ص ٣٩٦ من كتاب الاسكافى « درة التنزيل »

(٦) أى أوكد وأقوى من الاول ووجه الابلغية هى باعتبار زيادة المنذر به لا باعتبار أنه زاد شيئا فى المفهوم وذلك بتنزيل بعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمال لفظ ثم فى مجرد التدرج فى مراتب الارتقاء

قوله تعالى، ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم. وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله[1] فبأى آلاء ربكما تكذبان ؛ لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ؛ ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى . فإن قيل قد عقب بهذا القول ماليس بنعمة كما فى قوله : « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ، وقوله . « هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن » ، قلنا العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصى والترغيب فى الطاعات من آلائه تعالى . ونحوه قوله[2] « ويل يومئذ للمكذبين » ؛ لأنه تعالى ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة « ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة .

[٤ — الإيغال[3] .]

وإما بالإيغال . واختلف فى معناه :

---

(١) راجع ١٨٧ صناعتين ، ٣٥٦ الاسكافى

(٢) راجع ٣٩١ من كتاب الاسكافى

(٣) راجع الكلام على الايغال فى ص ١٠٠ نقد الشعر ، و ٣٧٢ صناعتين و ٢٩٦ المثل السائر ، ٤٣٢ من الصناعتين أيضا .

[ا —] فقيل هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة [١] فى قول الخنساء

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار [٢]

لم ترض أن تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا وقول ذى الرمة :

---

(١) أى فى التشبيه

(٢) العلم : الجبل . رأسه، قمته والضمير فى الرأس يعود للجبل. تأتم : تقتدى وتتبع . الهداة : الذين يهدون الناس جمع هاد . وراجع الكلام على البيت فى : ٦٩ ج ٤ زهر الآداب ، ٨٤ رسالة الغفران ، ٤٤ و ٢٨٠ ج ٢ الكامل للمبرد ، ١٠٨ و ٣٨٢ صناعتين والبيت من قصيدة ترثى بها الخنساء اخاها صخرا

والشاهد « فى البيت قوله فى رأسه نار » فانها زيادة للايغال وجىء بهذه الزيادة لغرض المبالغة فى التشبيه فان قوله «كأنه» علم واف بالمقصود أعنى التشبيه بما يهتدى به وهو الجبل إلا أن قوله « فى رأسه نار » زيادة مبالغة

ملاحظة :

الايغال من أوغل فى البلاد اذا أبعد فيها وسمى المعنى الاصطلاحى ايغالا لأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى

والذى يقع ايغالا فى آخر البيت يكون جملة أو مفردا ، والنكتة فى الايغال يتم أصل المعنى بدونها ، والنكتة لا تختص بما يتم المعنى بدونه بل يجوز أن يتوقف عليها كما يتوقف أحيانا على بعض الفضلات

وهى (أى النكتة) إما المبالغة فى التشبيه بأن يؤتى بشىء يفيد كون المشبه به غاية فى كمال وجه الشبه الكائن فيه فينجر ذلك الكمال إلى المشبه الممدوح بوجه الشبه . وإما تحقيق التشبيه وسيأتى

قف العيس فى أطلال مية وأسأل رسوما كأخلاق الرداء المسلسل [١]

أظن الذى يجدى عليك سؤالها دموعا كتبذير الجمان المفصل

وكتحقيق التشبيه [٢] فى قول امرىء القيس [٣]

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

---

(١) البيت فى الصناعتين ص ٣٧٢

العيس : الابل البيض يخالط بياضها سواد خفيف . الأطلال جمع طلل وهو الشاخص من الآثار . الرسوم جمع رسم وهو ما كان لاحقا بالأرض منها . الأخلاق جمع خلق بفتحتين وهو البالى . المسلسل الردىء النسج . يجدى : يعطى . التبذير : التفريق . الجمان المفصل اللؤلؤ المنظم

والشاهد فى البيت « المسلسل » و « المفصل » فانهما زيادتان للايغال جىء بهما للمبالغة فى التشبيه

(٢) أى بيان التساوى بين الطرفين فى وجه الشبه بأن يذكر فى الكلام ما يدل على ان المشبه مساو للمشبه به وجه الشبه

(٣) من قصيدة تقرؤها فى الادب والعصر الجاهلى لمحمد هاشم ص ١٧٢ ، وهو فى ٣٦ ج٢ من الكامل للمبرد ، ٢٣٣ و ٣٧٣ صناعتين

الخباء : ما كان من وبر أو صوف — لا شعر — على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك بيت . الجزع بفتح الجيم : الخرز اليمانى الذى فيه سواد وبياض وهو عقيق فيه دوائر البياض والسواد شبه به عيون الوحش بعد موتها ، وأتى بقوله « لم يثقب » تحقيقا للتشبيه لأنه إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون ، قال الاصمعى : الظبى والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سواد فاذا ماتا بدا بياضها ، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما ماتت والمراد كثرة الصيد ، يعنى مما أكلنا كثرت العيون عندنا . كما فى شرح ديوان امرىء القيس

فانه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج اليها جاء بزيادة حسنة فى قوله «لم يثقب» لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون ؛ ومثله قول زهير :

كأن فتـاة العهن فى كل مـنزل تزلن به حب الفنـا (١) لم يحطم

فان حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الأحمر الا ما لم يحطم ؛ وكذا قول امرىء القيس (٢)

حملت ردينيا كأن سنانه سنـا لهب لم يتصل بدخان

---

(١) قال المبرد :

الفنا : شجر يثمر ثمر أحمر ثم يتفرق فى هيئة النبق الصغار ، فهذا من أحسن التشبيه ، وإنما وصف ما يسقط من أنماطهن إذ انزلن ، والعهن : الصوف الملون ، وقال الاصمعى كل صوف عهن [٦٩ ج ٢ كامل]

والبيت فى الكامل للمبرد ص ٦٨ ج ٢ ، وفى الصناعتين ص ٢٧٣

(٢) وينسب لعميرة بن جعيل [ص ١٢٥ من المفضليات] . وسيأتى الكلام عليه فى التشبيه.

الردينى : الرمح منسوب إلى ردينة وهى امرأة اشتهرت بتقويم الرماح . سنا اللهب ضوءه . وسيأتى البيت فى التشبيه

والشاهد فيه قوله « لم يتصل بدخان» فهى زيادة أتى بها ايغالا لتحقيق التشبيه وقوله بعد البيت « كما سيأتى » أى فى باب التشبيه

[ب —] وقيل لا يختص بالنظم[١]، ومثل بقوله تعالى « اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون[٢] »

[٥ — التذييل[٣]]

وإما بالتذييل، وهو تعقيب الجملة بجملة[٤] تشتمل[٥] على معناها[٦] للتوكيد[٧]

---

(١) فالايغال على الوجه الأول مختص بالنظم وعلى هذا لا يختص به فهو على هذا ختم الكلام شعرا أو نثرا بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها أى بدون التصريح بها لا بدونها أصلا

(٢) فقوله « وهم مهتدون » مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لامحالة إلا أن فى التصريح به زيادة حث على الاتباع وترغيب فى الرسل

(٣) راجع الكلام عليه فى الصناعتين ص ٢٦٤ و ٤٠٣ . والتذييل لغة جعل الشىء ذيلا للشىء.

(٤) أى بجملة أخرى لا محل لها من الأعراب.

(٥) أى تلك الجملة المعقب بها .

(٦) أى على معنى الجملة الأولى ولو مع الزيادة فالمراد باشتمالها على معناها افادتها بفحواها لما هو المقصود من الأولى ، وليس المراد افادتها لنفس معنى الأولى بالمطابقة وإلا كان ذلك تكرارا فلا بد أن يقع اختلاف بين نسبتى الجملتين فيخرج التكرار كما فى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون فلا يكون ذلك تذييلا فان قوله « ذلك جزيناهم بما كفروا » مضمونة أن آل سبأ جزاهم الله بكفرهم ، ومعلوم أن الجزاء بالكفر عقاب كما دلت عليه القصة ومضمون قوله تعالى « وهل يجازى إلا الكفور » ذلك العقاب المخصوص لا يقع إلا للكفور ولكن أختلاف مفهومهما لا يمنع تأكيد احدهما بالأخرى للزوم بينهما معنى .

(٧) أى لقصد التقوية بتلك الجملة الثانية عند اقتضاء المقام للتوكيد. فالتذييل =

وهو ضربان :

[ا —] ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد [١] وتوقفه على ما قبله كقوله تعالى: ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكنور ، إن قلنا إن المعنى وهل يجـــازى ذلك الجزاء [٢] ، وقال الزمخشرى : وفيه وجه آخر

وهو ان الجزاء عام لكل مكافأة تستعمل تارة فى معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة ، فلما استعمل فى معنى المعاقبه فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجاز الا الكفور

= أعم من الايغال عموما وجهيا، يجتمعان فيما يكون فى ختم الكلام لنكتة التأكيد بجملة كما فى « ذلك جزيناهم الآية ، فهذا إيغال من جهة انه ختم الكلام بما فيه نكته يتم المعنى بدونها ، وتذييل من جهة انه تعقيب الجملة بأخرى تشتمل على معناها للتأكيد، وينفرد الايغال فيما يكون بغير جملة وفيما هو لغير التأكيد سواء كان بجملة ام بمفرد كما فى قوله « لم يثقب » وينفرد التذييل فيما يكون فى غـــير ختم الكلام بجملة كقولك مدحت زيدا اثنيت عليه بما فيه فأحسن الى .

فالتذييل يكون فى آخر الكلام وغير آخر الـــكلام بخلاف الايغال فانه لا يكون إلا فى الآخر ، والايغال قد يكون بغير الجملة أما التذييل فلا يكون الا بالجملة وللتوكيد .

«١» بأن يتوقف على ما قبله واستقل ولم يفش استعماله أى لم يكثر استعماله. هذا والمثل لا بد فيه من الاستقلال لأنه كلام تام نقل عن اصل استعماله لكل ما يشبه حال الاستعمال الأول

«٢» أى المخصوص الا الكفور فيتعلق بما قبله فحينئذ لا يكون جاريا مجرى المثل .

بمعنى وهل يعاقب ؛ فعلى هذا يكون من الضرب الثانى [1] ،
وقول الحماسى [2]

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل ؟

وقول أبى الطيب :

وماحاجة الاظعان حولك فى الدجى الى قمر ما واجد لك عادمه [3]

وقوله أيضا .

تمسى الأمانى صرعى دون مبلغه فما يقول لشىء ليت ذلك لى [4]

وقول ابن نباته السعدى

لم يبق جودك لى شيئا أؤمله تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

---

(١) وهو ما أخرج مخرج المثل وذلك على أن يراد : وهل يعاقب — أى بمطلق عقاب لا بعقاب مخصوص — إلا الكفور ، بناء على أن المجازاة هى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر ، وأما على الوجه الأول فبناء على أن الجزاء بمعنى العقوبة .

(٢) هو ربيعة بن مقروم الضبى [٢٣ ج ١ الحماسه] . وراجع البيت فى الصناعتين ص ٣٦٦

نزال اسم فعل بمعنى انزل يريد النزول إلى الحرب

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج . ما نافية والمعنى : ليس الواجد لك عادم القمر لأنك تقومين مقامه

(٤) المعنى أن الأمانى لاتصل إلى مدى غاياته وآماله فهو لا يتمنى أمنية لأنه يدرك أكثر ما يتمناه أمثاله فلا تجده يتمنى شيئا بناله

قيل نظر فيه الى قول أبى الطيب وقد أربى عليه فى المدح والأدب مع الممدوح ، حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئا

[ب —] وضرب يخرج مخرج المثل [١] ، كقوله تعالى : وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ،

وقول الذبيانى :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث ، أى الرجال المهذب [٢]

وقول الحطيئة :

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعط اثمان المكارم يحمد [٣]

وقد اجتمع الضربان فى قوله [٤] تعالى « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفان مت فهم الخالدون ؟ كل نفس ذائقة » ، فان قوله

---

(١) بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلى منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال فى الاستقلال وفشو الاستعمال أى استعمال اللفظ الدال على كل منهما . وفى ابن يعقوب : فشو الاستعمال لا دليل على اشتراطه فيه فالأولى حذفه

(٢) لا تلمه أى لا تضمه أو لا تصلحه ، حال مما قبله - أخاء - لعمومه لوقوعه فى حيز النفى ، أو حال من ضمير المخاطب فى « لست » . الشعث : انتشار الرأس وتغيره وكثرة وسخة والمراد به هو الأدران المعنوية كالتفرق وذميم الخصال والاستفهام فى شطره الثانى للانكار

والبيت فى : ٥٦ ضاعتين ، ١٤ حسن التوسل الى صناعة الترسل للحلبى .

(٣) راجع البيت فى ٥٠ / ٤ زهر الآداب

(٤) راجع ٣٦٥ ضاعتين

« أفان فهم الخالدون » من الأول[١] وما بعده من الثانى وكل منهما تذييل على ما قبله .

وهو[٢] أيضا :

إما لتأكيد منطوق كلام كقوله تعالى « وقل جاء الحق الآية[٣] »

وإما لتأكيد مفهومه[٤] كبيت النابغة ، فان صدره دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه

(٦ — التكميل[٥] :)

وإما بالتكميل — ويسمى الاحتراس أيضا[٦] — وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه[٧]

---

(١) لارتباطه بما قبله بالفاء الدالة على الترتيب

(٢) أى التذييل مطلقا سواء كان من الضرب الأول أو الثانى

(٣) فان زهوق الباطل فى قوله « إن الباطل كان زهوقا » منطوق به فى قوله « وزهق الباطل » . والمراد بالمنطوق هنا المعنى الذى نطق بمادته

(٤) أى مفهوم الكلام « الجملة الأولى »

(٥) راجع ٣٨٠ صناعتين

(٦) جعله العسكرى ضربان من ضروب الاستثناء [٣٩٧ صناعتين] . وسمى الاحتراس لأن فيه التوقى والاحتراز عن توهم خلاف المقصود

(٧) والتذليل وإن كان فيه أيضا دفع التوهم لأنه للتأكيد إلا أنه مختص بالجملة وبالآخر ولدفع التوهم فى النسبة والتكميل لايختص بشىء من ذلك . وسيأتى أنه يجامع الاعتراض فيكون فى الاثناء

وقوله بما يدفعه أى يدفع إيهام خلاف المقصود سواء كان ذلك القول مفردا =

وهو ضربان

ضرب يتوسط الكلام ، كقول طرفة :

فسقى ديارك — غير مفسدها صوب الربيع وديمة[1] تهمى

= أو جملة، كان للجملة محل من الاعراب أم لا. وذلك الدافع قد يكون فى وسط الكلام وقد يكون فى آخره وقد يكون فى أوله، وفى كل هو إما جملة أو مفرد ، فبينه وبين الأيغال عموم وخصوص وجهى ، لاجتماعهما فيما يكون فى الآخر لدفع ايهام خلاف المقصود وانفراد الأيغال فيما ليس فيه دفع الايهام مثل « علم فى رأسه نار » وانفراد التكميل بما فى الوسط مثل « غير مفسدها » وبينه وبين التذييل عموم وخصوص وجهى إن صح أن التأكيد الكائن بالتذييل قد يدفع ايهام خلاف المقصود ، وذلك لانفراد التكميل بما يكون بعد جملة ، وإنفراد التذييل بما يكون لمجرد التأكيد الخالى عن دفع الايهام ، وأما إن كان التأكيد الكائن بالتذييل لا يجامع دفع الأيهام فهما متابيان ، والحق أن التذييل لا يستلزم التكميل بل هو أعم من التذييل مطلقا وبينه وبين التكرير والإيضاح المباينة كمباينة الأيغال والتذييل لهما

(١) هو من قصيدة يمدح بها قتادة الحنفى . وراجع الكلام على البيت فى ٣٩٧ و ٣٨١ صناعتين ، ١٦٢ ج ١ البيان ، ٣٠٢ وساطة ، ٣١ الموازنة

تهمى : تسيل — صوب الربيع : مطره. غير مفسدها نصب على الحال من فاعل سقى. الديمة : المطر المسترسل .

لما كان نزول المطر قد يؤول الى خراب الديار وفسادها أتى بقوله « غير مفسدها » دفعا لذلك

والاحتراس هنا فى وسط الكلام بين الفعل وفاعله وقوله « ديارك » بفتح الكاف لأنه يخاطب به ممدوحه =

وقول الآخر [١] :

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى فى الحسن عند موفق لقضى لها

إذ التقدير عند حاكم موفق ، فقوله « موفق » تكميل وقول ابن المعتز:

صبينا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل [٢]

وضرب يقع فى آخر الكلام ، كقوله تعالى ، فسوف يأتى الله بقوم

= وقد عيب قول الشاعر :

ألا ياسلمى يادارمى على البلى ولازال منهلا بجر عائك القطر

لأن نزول المطر باستمرار قد يؤدى الى خراب الديار

وقيل لاعيب فيه لأن الدعاء قرينة على أن المراد ما لا يضر وللشاعر أن يكتفى بذلك فلا يحترس فيه .

(١) هو لكثير عزة ؛ وقضى لها حكم لها على الشمس .

(٢) والضمير فى عليها للأبل وفى « بها » للسياط قوله « ظالمين » تكميل لأن ضربها إنما يكون غالبا عن تثاقل فى السير فدفعه بذلك

قال الحصرى : فى قول زهير :

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم فلم يفعلوا ولم يألوا

قال بعض أهل المعانى : أعجب بقوله « ولم يألوا » لأنه لما ذكر السعى بعدهم والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير الطالبين فى طلبهم فأخبر انهم لم يألوا وإنهم كانوا غير مقصرين وأنهم مع الاجتهاد فى المتأخرين الخ ١/٨٨ زهر الاداب .

يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين "(١)" فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم أنها منهم تواضع لهم ، ولهذا عدى الذل بعلى لتضمينه معنى العطف ، كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ، ويجوز أن تكون التعدية بعلى لان المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقاتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم "(٢)" ومنه قول ابن الرومى(٣) فيما كتب به الى صديق : له إنى وليك الذى لايزال تنقاد

---

(١) قوله أعزة على الكافرين ، إطناب حيث دفع توهم غيره ، وإن كان له معنى مستقل فى نفسه ، لأنه لا يشترط فى الاطناب أن لا يكون فيه معنى مستقل بل يجوز وجود الأطناب إذا استقل لفظه بافادة المعنى وكان فى إفادته دقة مناسبة لا يراعيها إلا البلغاء .

فلما كان يتوهم أن ذلتهم على المؤمنين لضعف فيهم دفعه بقوله « أعزة على الكافرين » تنبيها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين .

(٢) فعلى الأول التوسع بتضمين الذل معنى العطف ، « وعلى » باقية على معناها .

وعلى الثانى « الذل » على معناه والتجوز فى استعمال « على » وضع اللام للاشارة إلى أنهم فى رفعة واستعلاء على غيرهم من المؤمنين وأن تذللهم تواضع منهم لا عجز .

« ٣ » راجع ٢٠٤ ج ٤ زهر الآداب .

اليك مودته ، من غير طمع ولا جزع وان كنت لذى الرغبة مطلباولذى الرهبة مهربا ، وكذا قول الحماسى [١]

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره وما فوق شكرى للشكور مزيد

وكذا قول كعب بن سعد الغنوى [٢]

حليم اذا ما الحلم زين أهله مع الحلم فى عين العدو مهيب

فانه لو اقتصر على وصفه بالحلم لاوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح فقال اذا ماالحلم زين اهله فأزال هذا الوهم وأما بقية البيت فتأكيد للازم مايفهم من قوله اذا ما الحلم زين أهله من كونه غير حليم حين لا يكون الحلم زينا لاهله فان من يكون حليما حين لايحسن الحلم لاهله يكون مهيبا فى عين العدو لامحاله فعلم أن بقيه البيت ليست تكميلا كما زعم بعض [٣] الناس ومنه قول الحماسى :

« ١ » راجع ٢/٢٥٧ حماسة ، وهى غير منسوبة لقائلها ؛ وراجع البيت أيضا فى ٣٩ ج ٢ زهر الآداب .

رهنت : حبست .

« ٢ » يرثى أخاه أبا المغوار - راجع ٣/٨٨ البيان والتبيين ، ٢/٢٧٠ الأمالى

« ٣ » فهى عند المصنف تذييل لتأكيد المفهوم . وفيه نظر لأنا لا نسلم أن من لا يكون حليما حين لا يحسن الحلم يكون مهيبا فى عين العدو لجواز أن يكون غضبه مما لا يهاب ولايعبأ به؛ والذى يفهم هنا أن معنى البيت ألطف مما يشعر به كلام المصنف وأن المصراع الثانى تكميل وذلك لأن كونه حليما فى حال يحسن فيه الحلم يوهم أنه فى تلك الحالة ليس مهيبا لما به من البشاشة وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والمهابة فنفى ذلك الوهم بالشطر الثانى .

وما مات منا سيد فى فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل[١]

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل اياهم لا وهم أن ذلك لضعفهم وقلتهم فازال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم. وكذا قول ابى الطيب

أشد من الرياح الهوج بطشا وأسرع فى الندى منها هبوبا

فانه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم ذلك انه عنف كله ولا لطف عنده فازال هذا الوهم بوصفه بالسماحة، ولم يتجاوز فى ذلك كله صفه الريح التى شبه بها وقال انه اسرع فى الندى منها هبوبا كانه من قول ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان كانه كالريح المرسلة

(٧ – التتميم[٢]):

وإما بالتتميم وهو أن يؤتى فى كلام[٣] لا يوهم خلاف المقصود[٤]

«١» البيت للسموأل [٣٨ ج ١ الحماسة شرح الرافعى].

طل: اهدر دمه.

«٢» راجع ٣٧١ و ٣٨٠ صناعتين.

«٣» سواء كان فى وسطه أو آخره.

«٤» هذا مخرج لتتميم ذكر فى كلام يوهم خلاف المقصود لأن النكتة فى التتميم غير دفع خلاف المقصود لا بأنه لا يكون فى كلام يوهم خلاف المقصود إذ لا مانع من اجتماع التتميم والتكميل

بفضلة[1] تفيد نكته، كالمبالغة فى قوله تعالى ' ويطعمون الطعام على حبه ، أى مع حبه والضمير للطعام أى مع اشتهائه والحاجة اليه [2] ، ونحوه « وآتى المال على حبه وكذا : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون [3] » ، وعن فضل بن عياض : على حب الله فلا يكون مما نحن فيه [4] ، وفى قول الشاعر :

انى على ما ماترين من كبرى أعرف من أين تؤكل الكتف [5]

---

(١) ولو كان معنى الكلام لا يتم إلا بها والفضلة مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك كالتمييز والمجرور مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام بأن كان مفردا أو جملة غير مستقلة.

وكلام المصنف يدفع ان يكون المراد بالفضلة هنا ما يتم أصل المعنى بدونه [والقائلون بذلك يقولون به لأجل دخول الجملة الزائدة على أصل المراد] إذلا تخصيص لذلك بالتتميم، حيث ذكر المصنف لن تنالوا البر الآية مثالا ولا شك ان مما تحبون ليس فضله بهذا المعنى فلا يكون تتميما، لأن الانفاق مما يحبون لا يتم أصل المعنى بدونه وكون الشيء مقصودا فى الكلام لا يتم المراد إلا به لا ينافى كونه إطنابا .

والتتميم مباين للتكميل لأن شرطه أن يكون الكلام معه غير موهم خلاف المراد بخلاف التكميل .

(٢) وإن جعل الضمير لله تعالى أى على حب الله أى لأجله فهو لتأدية أصل المراد فيكون غير تتميم لأنه يكون مساواة لا إطنابا .

(٣) لأن أصل المعنى يتم بقوله « حتى تنفقوا » أى يقع إنفاق

(٤) لأنه على هذا يدخل فى تأدية أصل المراد .

(٥) الكتف تؤكل من أسفلها . وهو تكميل للاول يريد أن عجزه عن ذلك ليس لتقصير منه .

وفى قول زهير :

من يلق يوما على عـــلاته هرما

يلق السماحة منه والندى خلقا [1]

[٨ - الاعتراض [2]] :

وهـو أن يؤتى فى أثنـاء الـكلام

---

(١) العلات جمع علة وهى ما يتعلل به ، وأصـــله من عل إذا شرب مرة بعد مرة .

والشاهد قوله « على علاته » فهى تتميم .

ومثله قول زهير : ولـكن الجواد على علاته هرم .

وراجع الـكلام على البيت فى ٤٣٨ صناعتين، ١٢٨ و ١٣٠ /٣ زهر الآداب وص ٦١ البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم الخفاجى، ٩٤ ج ١ الـكامل للمبرد و٢١٥ طراز المجالس للشهاب الخفاجى ، ١٤٦ ج ١ العقد .

ملاحظة :

التتميم كما ذكرنا مباين للتـكميل ، وهو مباين أيضاً للتذييل أن شرطنا فى الجملة أن لا يكون لها محل من الاعراب لأن الفضلة لابد أن يكون لها محل من الاعراب وإن لم نشترط ذلك كان بينه وبين التذييل عموم وخصوص وجهى لاجتماعهما فى الجملة التى لامحل لها ، وانفراد التتميم بغير الجملة ، وانفراد التذييل بالتى لامحل لها ، وبينه وبين الايغـــال عموم وخصوص وجهى يجتمعـان فى فضله لم تدفع ايهام خلاف المقصود وينفرد الايغال بالجملة التى لامحل لها وما فيه دفع ايهام خلاف المقصود وينفرد التتميم بما يكون فى أثناء الـكلام مما ليس بختم شعر ولا بختم كلام .

ثم التتميم قسمان : تتميم المعانى وهو ما ذكر ، وتتميم اللفظ ويسمى حشوا وهو مايقوم على الوزن ولا يحتاج إليه المعنى مثل « وخفوق قلب البيت » .

(٢) راجع ١٨٠ المفتاح ، ٣٨٥ صناعتين ، ٥٢ شرح لامية العجم .

أو بين كلامين متصلين معنى [١] بجملة أو أكثر لا محل لها من الأعراب [٢] لنكته سوى ما ذكر فى تعريف التكميل [٣] :

كالتنزيه والتعظيم فى قوله تعالى ويجعلون لله البنات ـ سبحانه [٤] — ولهم ما يشتهون »

والدعاء فى قول أبى الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل فيها وحاشاك فانيا

فان قوله « وحاشاك » دعاء حسن فى موضعه ، ونحوه قول عوف بن محلم الشيبانى

---

(١) يخرج الأيغال لأنه آخر .

(٢) خرج التتميم لأن له محلا من الأعراب .

هذا ولم يرد بالكلام مجموع المسند إليه والمسند فقط ، بل مع جميع مايتعلق بهما من الفضلات والتوابع المفردة ولو تأويلا .

هذا والمراد باتصال الكلامين أن يكون الثانى بيانا للاول ، أو تأكيدا أو بدلا منه أو معطوفا عليه .

(٣) خرج التكميل هذا . وشمل الكلام بعض صور التذييل وهو ما إذا كانت الجملة المعترضة مشتملة على ما قبلها وكانت النكته التأكيد لان سوى دفع الايهام شامل للتأكيد

(٤) قوله «سبحانه» جملة ـ لانه مصدر بتقدير الفعل ـ وقعت فى اثناء الكلام لأن قوله ولهم مايشتهون عطف على قوله لله البنات من قبيل عطف المفردات ، وجعل «ولهم ما يشتهون» حالا لايفيد التشنيع عليهم المستفاد من العطف المؤكد بالتنزيه

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعى الى ترجمان [١]

والتنبيه فى قول الشاعر [٢]

واعلم فعلم المرء ينفعه أن سوف يأتى كل ما قدرا [٣]

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد فى أمر علق بهما، كقوله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك » [٤]

والمطابقة مع الاستعطاف فى قول أبى الطيب

---

(١) الترجمان . الذى يفسر لغة بلغة أخرى ، والمراد به مطلق المفسر والمكرر والبيت من قصيدة فى ١٧ ج ١ مقدمة البيان والتبيين وراجعه فى ٣٨٥ صناعتين ، ٢٠٣ رسالة الغفران ، ونسبه العسكرى لجرير ؟ [ص ٤٩ صناعتين]

والشاهد فيه قوله «بلغتها» فهى جملة اعتراضية فى اثناء الكلام لقصد الدعاء للمخاطب والوو فى مثله تسمى اعتراضيه ليست بعاطفة ولاحالية ، هذا والواو الحالية ما قصد بالكلام الواقعة فيه كون الجملة بعدها قيدا للعامل ، والاعتراضية ما لم يقصد فيها ذلك

(٢) اى تنبيه المخاطب على امر يؤكد الاقبال على ما أمر به

(٣) البيت انشده ابو على الفارسى ولم ينسبه لأحد وقوله فعلم المرء ينفعه جملة اعتراضية للتنبيه وقعت بين « اعلم » ومفعوليه والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية ، وان مخففة من الثقيله واسمها ضمير الشأن محذوف هذا والاعتراض يكون مع الواو ومع الفاء وبهونهما

(٤) فقوله « ان اشكرلى » تفسير لوصينا وقوله حملته أمه اعتراض بينهما ايجابا للتوصية بالوالدة

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ياجنتى لرأيت فيه جهنما[1]

والتنبيه على سبب أمر فيه غرابة ، كما فى قول الآخر[2] :

---

(١) فقوله ياجنتى اعتراض للمطابقة - مع جهنم - والاستعطاف

(٢) هو الرماح بن ميادة ٣٨٥ صناعتين . والبيت فى ٣ ج ٣شرح الدسوقى والشاهد فيه قوله وفى الياس راحة فهو اعتراض

هجر الحبيب كونه مطلوبا للمحب أمر غريب فبين سببه بأن فى اليأس راحة

ملاحظة

الاعتراض يباين التتميم لأنه إنما يكون بفضله والفضلة لابد لها من اعراب والاعتراض انما يكون بجملة لامحل لها . ويباين التكميل لأنه يقع لدفع ايهام خلاف المقصود بخلاف الاعتراض فانما يكون لغير ذلك الدفع ويباين الايغال لأنه لايكون الا فى آخر الكلام والاعتراض يكون فى أثناء الكلام او بين كلامين متصلين . لكنه يشمل بعض صور التذييل وهو مايكون بجملة لا محل لها وقعت بين جملتين متصلتين معنى لأنه كما لم يشترط فى التذييل ان يكون بين كلامين لم يشترط فيه ان لا يكون بين كلامين والنكتة وان كانت فى الاعتراض غير دفع الايهام وفى التذييل التأكيد الا ان التاكيد أعم من دفع الايهام لحصوله مع غيره فلا يلزم من نفى دفع الايهام نفى التاكيد مطلقا وكفى هذا فى صحة أعمية الاعتراض فبينهما عموم وخصوص وجهى يجتمعان فى هذه الصورة وينفرد التذييل فيما لا يكون بين كلامين متصلين والأعتراض فيمالايكون للتاكيد. والنسبة بين الاعتراض وكل من الايضاح والتكرير هى العموم والخصوص الوجهى يجتمع الاعتراض والايضاح فى الجملة التى لامحل لها الواقعة فى الأثناء وينفرد الايضاح فيما يكون لغير الجملة او التى لها محل او التى لامحل لها ولكنها فى الآخر وينفرد الاعترض فيما يكون لغير باب الايضاح ويجتمع الاعتراض مع التكرير فى الجملة التى لامحل لها الواقعة فى الاثناء للتقرير وينبغى الاعتراض فى الجملة المذكورة اذا كانت لغير تؤكيد وينفرد التكرير فيما يكون فى الاثناء

فلا هجره يبدو وفى اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فان قوله « فلا هجره يبدو » يشعر بان هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب، فقال: وفى اليأس راحة، لينبه على سببه ، وقوله تعالى « لو تعلمون» فى قوله « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » إعتراض ، لانه إعترض به بين الموصوف والصفة، وإعترض بقوله «وانه لقسم لو تعلمون عظيم » بين القسم والمقسم عليه . ومما جاء بين كلامين متصلين [1] معنى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم [2] » ، فان قوله نساؤكم

---

(١) أى ومن الاعتراض الذى وقع بين كلامين متصلين وهو أكثر من جملة أيضاً أى كما أن الكلام الذى وقع الاعتراض بينه أكثر من جملة .

(٢) قوله « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » اعتراض وهو أكثر من جملة لأنه كلام يشتمل على جملتين .

بناء على أن الجملة ما اشتمل على المسند والمسند إليه أما ان قلنا هى ما يستقل بالإفادة وهو الأقرب ، فيكون كذلك إذا قدر عطف ,, ويحب المتطهرين ،، على مجموع «ان الله يحب التوابين» أى وهو يحب المتطهرين، أما إذا قدر على هذا البناء عطفها على يحب التوابين ، فيكون ليس هنا فصل بأكثر من جملة واحدة .

وهذا الاعتراض واقع بين كلامين [« فأتوهن من حيث أمركم الله » « نساؤكم حرث لكم »] والكلامان متصلان معنى لكون الجملة الثانية منهما عطف بيان للاولى فان قوله ,, نساؤكم حرث لكم ،، بيان لحيث من قوله تعالى « فأتوهن من حيث أمركم الله »

حرث لكم، بيان لقوله « فأتوهن من حيث أمركم الله » يعنى أن المأتى الذى أمركم به هو مكان الحرث ، دلالة على ان الغرض الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض ، وهو مما جاء فى أكثر من جملة أيضا . ونحوه فى كونه أكثر من جملة قوله تعالى « قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم » فان قوله « والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى » ليس من قول أم مريم . وكذا قوله : الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل ؛ والله أعلم باعدائكم ، وكفى بالله وليا ، وكفى بالله نصيرا ، من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ان جعل من الذين بيانا للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى أو لأعدائكم ، فانه على الاول يكون قوله « والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » إعتراضا ، وعلى الثانى يكون « كفى بالله » إعتراضا ، ويجوز أن يكون « من الذين » صلة « لنصيرا » أى ينصركم من الذين هادوا كقوله (ونصرناه من القوم الذين كذبوا) ، وان يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون ، صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون ، كقوله [1]

(١) هو تميم بن أبى بن مقبل (٢٧ ما انفق لفظه للمبرد ، ١١٥ / ٢ الكامل للمبرد ، ٢٧٦ / ١ الكتاب لسيبويه) أكدح : أجهد نفسى فى العمل . وتفد الكلام فتارة منهما أموت .

وما الدهر الا تارتان : فمنهما أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

وقد علم مما ذكرنا أن الاعتراض كما يأتى بغير واو ولا فاء قد يأتى بأحدهما ووجه حسن الاعتراض على الاطلاق حسن الافادة مع أن مجيئه مجىء مالا معول عليه فى الافادة ، فيكون مثله مثل الحسنة تاتيك من حيث لا ترتقبها

ومن الناس من لا يقيد فائدة الاعتراض بما ذكرنا ، بل يجوز أن تكون دفع توهم ما يخالف المقصود [1]

وهولاء فرقتان :

فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعا فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى ، بل تجوز أن يقع فى آخر كلام [2] أو يليه غير متصل به معنى ، وبهذا يشعر كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف

---

(١) فيجيزون فى النكتة فى الاعتراض ان تكون لدفع ايهام خلاف المقصود

(٢) فلا يليه جملة متصلة به ، وذلك بأن لا تلى الجملة التى اعترض بعدها جملة أخرى اصلا فيكون الاعتراض فى آخر كلام

ولعل أظهر مثل اذا وقع آخرا قول ابى العتاهية فى عتبة

وإلا ففيم تجنت وما جنيت ، سقى الله أطلالها
ألا إن جارية للأما م قد أسكن الحب سر بالها

والحديث : أنا سيد ولد آدم ولا فخر

فالاعتراض عند هؤلاء [١] يشمل التذييل ، ومن التكميل مالا محل له من الاعراب جملة كان أو أكثر من جملة [٢]

---

(١) الاعتراض عند هؤلاء هو ان يؤتى فى اثناء الكلام أو فى آخره أو بين كلامين متصلين او غير متصلين بجملة أو اكثر لامحل لها من الاعراب لنكتة

(٢) كقول السموأل :

وما مات منا سيد فى فراشه ولا طل مناحيث كان قتيل

فان المصراع الثانى تكميل وكلامه هذا دال على أن الجملة فى التذييل يجب أن لايكون لها محل من الأعراب وهذا مما لم يشعر به تفسيره

اللهم الا ان يقال انه اعتمد فى الاشتراط على الامثلة

والاعتراض بهذا التفسير يباين التتميم لأن التتميم انما يكون بفضلة والفضلة لابد لها من الاعراب اما الأعتراض فانما يكون بجملة لا محل لها

أما التذييل فيشمله الاعتراض على هذا التفسير الصادق على مالا محل له من الجمل المؤكدة لما قبلها سواء كانت فى آخر الكلام أو فى وسطه ، وذلك لأنه يجب أن يكون التذييل — كالأعتراض — بجملة لا محل لها من الاعراب وإن لم يذكره المصنف فى تفسير التذييل فيكون التذييل على هذا تعقيب جملة بأخرى لا محل لها تشتمل على معناها للتأكيد كانت تلك الجملة فى الآخر أو بين كلامين متصلين أو غير متصلين ولاشك أن الاعتراض على هذا القول صادق عليه إذ لا يخرج منه ما يكون فى آخر الكلام من التذييل بخلافه على القول السابق فى الاعتراض : ويزيد الاعتراض — على هذا القول — عن التذييل — بما ليس للتأكيد فهو أعم منه عموما مطلقا ، فيجتمعان فيما اذا كانت الجملة المعترضة مشتملة على معنى ما قبلها وكانت النكتة للتأكيد وينفرد الاعتراض فيما اذا كانت النكتة غير التأكيد

هذا وقول المصنف ومن التكميل ما لا محل له من الاعراب يعنى أن الاعتراض بهذا التفسير يشمل بعض صور التكميل وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الاعراب لدفع الايهام سواء كانت تلك الجملة آخرا أو بين كلامين متصلين أو غير=

وفرقة [1] تشترط فيه ذلك [2] لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة [3] ؟ فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا فى أحد الموقعين [4] ، ومن التكميل ما كان واقعا فى أحدهما ولا محل له من الاعراب جملة كان أو أقل من جملة أو أكثر [5]

= متصلين ، فان التكميل قد يكون بجملة وقد يكون بغير الجملة بأن يكون بمفرد [وهذا لا يكون اعتراضا] ، والجملة التكميلية قد تكون ذات إعراب فلا تدخل فى الاعتراض — وقد لا تكون فتدخل ، وعلى هذا فبين التكميل والاعتراض عموم وخصوص وجهى يجتمعان فيما يكون بجملة لا محل لها لدفع الايهام اذ لا يشترط فى الاعتراض على هذا القول أن يكون لنكته غير دفع الايهام ، وينفرد الاعتراض بما يكون من الجمل لغير دفع الايهام ، وينفرد التكميل بغير الجملة وبالجملة التى لها لا محل وعلى القول السابق بين التكميل والاعتراض التباين كما تقدم

(١) اى من القائلين ايضا بان النكتة فى الاعتراض قد تكون لدفع ايهام خلاف المقصود

(٢) اى ان يكون واقعا فى اثناء كلام او بين كلامين متصلين معنى

(٣) فيجيزون كونه غير جملة يعنى من غير تجويز كونه آخرا فالاعتراض عندهم ان يؤتى فى اثناء الكلام إذ لا يكون فى الآخر على هذا القول كالأول بخلافه على الثانى - او بين كلامين متصلين معنى - فلا يقع بين كلامين لا اتصال بينهما كالقول الأول بخلافه على الثانى - بجملة أو غيرها - بخلافه على القولين الأولين فانه عليهما لا يكون بمفرد - لنكته ما. فلم يخالفوا الجمهور إلا فى التعميم فى النكته وفى كون الاعتراض جمله لا محل لها أو غيرها بان يكون: جملة لها محل من الاعراب أو مفردا

(٤) وهو ما كان بغير جملة فى أثناء الكلام

(٥) فيدخل فيه إذاً بعض صور التكميل وهو ما يكون واقعا فى أثناء الكلام مفردا أو جملة أو بين كلامين متصلين فيكون بينه وبين التتميم عموم وخصوص =

[٩ — مواضع أخرى للاطناب غير ما سبق] :

وإما بغير ذلك، كقولهم "رأيته بعيني" ، ومنه قوله تعالى: اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، أى هذا الافك ليس الا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم فى القلب كما هو شان المعلوم اذا ترجم عنه اللسان ، وكذا قوله «تلك عشرة كاملة» لازالة توهم الاباحه كما فى نحو قولنا جالس الحسن أو ابن سيرين [1] ، ويعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين

= وجهى يجتمعان فى هذه الصورة المشمولة للاعتراض ، وينفرد عن التتميم بما يكون غير فضلة ، وينفرد التتميم عنه بما يكون آخرا . وهو والاعتراض على القولين السابقين مباينان للتتميم. وكذلك بين الاعتراض بهذا المعنى والتكميل عموم وخصوص وجهى : يجتمعان فيما ذكر ، وينفرد بما يكون لغير دفع الايهام وهو غير فضلة ، وينفرد التكميل بما يكون آخرا وهو جملة لدفع الايهام

هذا والنسبة بين الاعتراض على هذا القول وبين الايغال التباين ، لأنه اشترط فى الاعتراض أن يكون فى الأثناء وفى الأيغال ان يكون الآخر. وبينه وبين التذييل عموم وخصوص وجهى، يجتمعان فيما يكون فى الاثناء وهو جملة لا محل لها على تفسير التذييل بذلك أو مطلقا ان لم يفسر بذلك كما هو ظاهر تفسير المصنف سابقا ، وينفرد الاعتراض بما يكون لغير التوكيد أو فضلة، وينفرد التذييل بما يكون آخرا وكذلك النسبة بينه وبين كل من الايضاح والتكرير . أما ذكر الخاص بعد العام فمباين لغير التتميم والايغال والاعتراض ويجامع هذه الثلاثة فى بعض الصور

(١) فيه نظر لأنه حينئذ يكون من باب التكميل أعنى الاتيان بما يدفع خلاف المقصود

فيتأكد العلم وفى أمثال العرب : علمان خير من علم ، وكذا قوله « كاملة » تأكيد آخر ؛ وقيل أريد به تأكيد التكييف لا التكميم حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور لم تكن كاملة ، وكذا قوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا[١] ، فانه لو لم يقصد الاطناب لم يذكر «ويؤمنون به» لان ايمانهم ليس مما ينكره أحد من منبتيهم ؛ وحسن ذكره[٢] اظهار شرف الايمان ترغيبا فيه ، وكذا قوله « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » فانه لو اختصر لترك قوله والله يعلم إنك لرسوله ، لان مساق الآية لتكذيبهم فى دعوى الاخلاص فى الشهادة كما مر وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به فى نفس الامر[٣] ونحوه قوله البلغاء لا وأصلحك الله » وكذا قوله تعالى[٤] ,هى عصاى أتوكأ عليها

---

(١) راجع الآية والكلام عليها فى المفتاح ص ١٢٢

(٢) اى ذكر « ويؤمنون به »

هذا وكون هذا الاطناب بغير ماذكر من الوجوه السابقة ظاهر بالتأمل فيها ؛ وقد يقال انها للاعتراض والواو اعتراضية والجواب ان المتبادر كونها للعطف

(٣) وفيه نظر لأنه ايضا من قبل التكميل أو الاعتراض عند من يجوز كون النكتة فيه دفع الايهام

(٤) ص ١٢٣ مفتاح

وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » ؛ وحسنه انه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيم يحدثه الله تعالى فى المصطفى ينبغى أن يتنبه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت بين الحالين ، وكذا قوله نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ، وحسنه اظهار الابتهاج بعباداتها والافتخار بمواظبتها لتزداد غيظ السائل

[معنى آخر للايجاز والاطناب (١)]

واعلم أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والاطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبه الى كلام آخر مساوله فى أصل المعنى ، كالشطر الاول من قول أبى تمام :

يصد عن الدنيا اذا عن سودد ولو برزت فى زى عذراء ناهد (٢)

وقول الاخر (٣)

---

(١) راجع ١٢٤ مفتاح

(٢) يصد : يعرض ، العذراء : البكر . الناهد : بارزة الثدى

(٣) ابو سعيد المخزومى الشاعر [٢٦٠ معجم الشعراء للمرزبانى] وينسب ايضا الى المعذل بن غيلان (٣٠٩ المثل السائر ، ٣٣١ الادب العباسى لمحمود مصطفى) وقال الجاحظ عن أحمد بن المعذل : أنشدنى اعرابى من طيء

ولست بميال إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر
وإنى لصبار على ما ينوبنى وحسبك أن الله أثنى على الصبر

(٢١٨ ج ٢ البيان)

فالبيت ولست بنظار الخ اطناب بالنسبة الى الشطر الأول من بيت ابى تمام وهذا الشطر ايجاز بالنسبة للبيت وان كان يمكن أن يدعى أن كلا منهما مساواة باعتبار ما جرى فى المتعارف من مثل العبارتين

ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

ومنه قول الشماخ :

اذا ما راية وفقت لمجـــد تلقاها عرابة باليمـين

وقول بشر بن أبى خازم :

اذا ما المكرمات رفعن يوما وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت أذرع المثرين عنها سما أوس إليها فاحتواها [1]

ويقرب من هذا الباب قوله تعالى: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »

وقول الحماسى

وننكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين نقول [3]

---

(١) مبتغوها : طالبوها . مداها غايتها . المثرون ارباب الغنى والثروة

فبيت الشماخ ايجاز بالنسبة لبيتى بشر ، وبيتا بشر بالنسبة لبيت الشماخ إطناب وراجع بيت الشماخ والكلام عليه فى الكامل للمبرد ٦٢ و ٦٣ جـ ١

(١) يصف رياستهم ونفاذ حكمهم أى نحن نغير ما نريد من قول غيرنا وليس أحد يجرؤ على الاعتراض علينا والبيت للسموأل [١/٣٩ شرح الحماسه]

فالآية إيجاز بالنسبة إلى البيت ؛ وإنما قال « يقرب » لأن ما فى الآية يشمل كل فعل والبيت مختص بالقول فالكلامان لا يتساويان فى أصل المعنى بل كلام الله عز وجل أبلغ وأعلى لأن الآية الموجود فيها نفى السؤال وفى البيت نفى الانكار =

وكذا ماورد فى الحديث: الحزم سوء الظن، وقول العرب: الثقة بكل أحد عجز [1] والله تعالى اعلم

تم الفن الأول وهو علم المعانى

= ونفى السؤال أبلغ لأنه إذا كان لا ينكر ولو بلفظ السؤال فكيف ينكر جهارا بخلاف الانكار فقد يكون هو المستعظم المتروك دون الانكار بصورة السؤال، وما فى الآية حق وصدق دون ما فى البيت (١) فالآية إيجاز بالنسبة لقول العرب هـذا وقد قال ابن السبكى إن هذا المعنى للايجاز والاطناب يستغنى عن ذكره، لقوله السكاكى فيما تقدم ان الاختصار قد يكون باعتبار ان الكلام خليق بأبسط منه

ملحق للجزء الثالث

أهم كتب البلاغة فى مختلف العصور

[للأستاذ محمد خفاجى]

مجاز القرآن لأبى عبيدة م ٢٠٨ هـ

صفة البلاغة للسيرافى م ٣٦٨ هـ

البديع لابن المعتز م ٢٩٦ هـ

أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر م ٤٧١ هـ

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى م ٤٦٦ هـ

العمدة لابن رشيق م ٤٦٠ هـ

الصناعتين للعسكرى م ٣٩٥ هـ

المفصل فى البيان والفصاحة للمرزبانى م ٢٧٨ هـ

البديع لابن منقذ م ٥٨٤ هـ

نهاية الايجاز للرازى م ٦٠٦ هـ

المفتاح للسكاكى م ٦٢٦ هـ (١)

قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادى م ٦٢٩ هـ

المثل السائر لابن الأثير م ٦٣٧ هـ (٢)

التبيان لابن الزملكانى م ٦٥١ هـ

المعيار للزنجانى م ٦٥٤ هـ

---

(١) شرحه : الشيرازى م ٧١٠ هـ، والخلخالى م ٧٤٥ هـ، والسعد م ٧٩٢ هـ والسيد م ٨١٦ هـ، وابن كمال باشا م ٩٤٠ هـ

وعلى شرح السيد حواش : للبسطامى م ٨٧١ هـ، وللدولى اللطفى م ٩٠٠ هـ، ولحميد الدين م ٩٠٨ هـ، ولأسعد الناجى م ٩٢٢ هـ، ولمحيى الدين الفنرى م ٩٥٤ هـ ولشهاب الدين الخفاجى م ١٠٦٩ هـ

(٢) شرحه عز الدين بن أبى الحديد م ٦٥٥ هـ، الفلك الدائر على المثل السائر.

المصباح لبدر الدين ابن ابن مالك م ٦٨٦ هـ [١]

الأقصى القريب للتنوخى م ٦٩٨ هـ

بديع القرآن لابن أبى الأصبع م ٦٥٤ هـ

الايضاح للخطيب [٢] القزوينى م ٧٣٩ هـ

تلخيص المفتاح [٣] له أيضا

الفوائد الغياثية للعضد م ٧٥٦ هـ وشرحها الكرمانى م ٧٨٦ هـ

التبيان لشرف الدين الطيبى م ٧٤٣ هـ

الطراز ليحيى بن حمزة العلوى م ٧٤٩ هـ

عروس الأفراح للسبكى م ٧٧٣ هـ

السمرقندية للسمرقندى وهى رسالة فى الاستعارات وتوفى السمرقندى عام ٨٨٠ هـ [٤]

---

(١) ولابن النحوية م ٨ ٧ هـ ضوء الصباح فى مختصر المصباح ولمحمد بن خضر مصباح الزمان فى شرح المصباح

(٢) شرحه : الأقصرائى م ٨٠٠ هـ، وحيدرة م ٨٢٠ هـ، وشرح شواهده عالم ومن هذا الشرح نسخة خطية بمكتبة الأزهر . ثم شرح الايضاح استاذنا الشيخ عبد المتعال الصعيدى .وشرحته أنا أخيرا فى ستة أجزاء

(٣) شرحه . الخلخالى م ٧٤٥ هـ، وناظر الجيش م ٧٧٨ هـ، والبابرتى م ٧٨٦ هـ، وشمس الدين القونوى م ٧٨٨ هـ؛ والسعد م ٧٩٢ هـ [ليس الحمصى م ٩٦١ هـ، ولابن يعقوب م ١١٠٨ هـ، وللدسوقى م ١٢٣٠ هـ شروح عليه]؛ وجلال الدين التيزينى م ٧٩٣ هـ، والسيد عبد الله م ٨٠٠ ، وعصام الدين م ٩٥١ هـ

ولزكريا الانصارى م ٩٢٦ مختصر تلخيص المفتاح، وللعباسى م ٩٦٣ شرح لشواهد التلخيص [معاهد التنصيص]

(٤) شرحها وحشى عليها : عصام الدين م ٩٥١ هـ، والحفنى م ١١١٨١ هـ =

المطول للسعد م ٧٩٢ هـ [١]

عقود الجمان للسيوطى م ٩١١ هـ

الجوهر المكنون لعبد الرحمن الأخضرى م ٩٥٠ هـ [٢] وقد شرحه الشيخ أحمد الدمنهورى م ١١٩٢ هـ

الأعواز فى علاقات المجاز للسجاعى م ١١٩٧ هـ

تحفة الاخوان فى علم البيان للدردير م ١٢٠١ هـ

الرساله البيانية للصبان م ١٢٠٦ هـ وله حاشية على السعد

التجريد للبنانى م ١٢١١ هـ

حسن الصنيع للشيخ البسيونى م ١٣١٣ هـ

زهر الربيع للحملاوى م ١٣٥٢ هـ

البلاغة الواضحة للمرحوم الجارم بك م ٨ فبراير سنة ١٩٤٩

هذا وأهم الشروح على متن التلخيص للخطيب القزوينى : المطول ومختصره للسعد ، والأطول للعصام

= والملوى م ١١٨١ هـ والدمنهورى م ١١٩٢ هـ والأمير م ١٢٣٢ هـ ، والخضرى م ١٢٨٨ ، هـ والباجورى م ١٢٧٦ هـ

(١) للسيد م ٨١٦ هـ ، وعز الدين بن جماعه م ٨١٩ هـ ، والبساطى م ٨٤٢ هـ ، والسمرقندى م ٨٨٠ هـ ، وملاخسرو م ٨٨٥ هـ ، والفنرى م ٨٨٦ هـ ، وعبدالحكيم السيلاكوتى م ١٠٦١ هـ حواش عليه

(٢) شرحه ابن يعقوب م ١١٠٨ هـ

الموازنة للآمدى

وأثرها فى دراسات البيان

للاستاذ محمد خفاجى

أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى البصرى المتوفى عام ٣٧١ هـ من أعلام الأدب والنقد والبيان فى القرن الرابع.

وكتابه الموزانة سجل حافل لشتى مناهج النقد، ومذاهب النقاد فى تحليل شاعرية أبى تمام والبحترى وإن كان الآمدى ينتصر للبحترى فى مواقف كثيرة.

والصلة بين الآمدى والقاضى أبى الحسن الجرجانى صاحب الوساطة م ٣٩٢هـ لم يتكلم عنها التاريخ ولم يبحث عنها باحث، وبمتابعة البحث وجدت بين الرجلين اتفاقا فى كثير من الآراء فى النقد والأدب والبيان، وكثيرا ما نرى أسلوبهما فى شرح بعض الأبيات واحدا، أو متقاربا. على أن اتجاه الرجلين فى النقد واحد أيضا، فاتجاه الجرجانى فى نقد شعر المتنبى هو اتجاه الآمدى فى نقد شعر الطائيين فهو يحصى ما أخذ على المتنبى من سرقات، وما أخذ عليه من أخطاء ترجع إلى التكلف والتعقيد، أو إلى الافراط والمبالغة، أو إلى بعد الاستعارة وعدم وضوحها، أو غموض المعنى والتعثر فى أدائه، أو إلى اللحن فى الأداء والخطأ فى التركيب، وهذا هو الاتجاه الذى اتجهه الآمدى فى موازنته مع فوارق ضئيلة، وهو رجوع بالنقد إلى النهج العربى والذوق الأدبى دون ما عداهما، وكل ذلك يدلنا على وجود صلة أدبية بين الرجلين رغم تباين موطنيهما (البصرة وجرجان).

ومن المرجح عندى أن صاحب الوساطة قد تأثر بالموازنة دون العكس، وأن الموازنة كانت خطوة أولى فى النقد الأدبى كعلم، ثم تلتها الوساطة كخطوة ثانية فى مضماره، يرشدنا إلى ذلك دراسة فن التأليف فى كلا الكتابين، فالرقى التأليفى فى كتاب الوساطة المتجلى فى جمال عرضها وتهذيب تأليفها وحسن أسلوبها أكبر

دليل على ما أذهب إليه ، ويصعب علينا أن نفسر مابين الرجلين من تقارب كثير بأنهما عاشا فى عصر واحـــد وتثقفا بثقافة عصرهما المتحدة ؛ فان اختلاف بيئة الرجلين وحياتهما مما لا يجعل لذلك التفسير قوته ولا وجاهته .

أثر الموازنة فى كتب البيان :

عرفت مما سبق أثر الموازنة فى النقد ، وكيف كانت أصلا عظيما من أصول الموازنه والنقد الأدبى : وكذلك كان الكتاب مرجعا لعلماء البيان ، ومصـــدرا من مصادرهم العلمية :

(١) فعبد القاهر الجرجانى (م سنة ٤٧١) ينهج نهج صاحب المـــوازنة ويقبس منه فى الشرح الأدبى للنصوص ، وينقل عنه كثيرا ، ويستدل بآرائه فى كتبه[١] ، وقد ينقده أحيانا[٢] .

(ب) وابن سنان الخفاجى (م سنة ٤٦٦) يأخذ عنه كثيرا ، ويشيد بعلمه ورأيه ودقة نظره وسعة علمه فى مواضع كثيرة من كتابه ، وقد ينقده فى بعض الأحيان ، وقد يرد على من نقده كالمرتضى فى أحيان أخرى : وسر الفصاحه للخفاجى أكبر شاهد عند من يطالعه على مدى تأثر صاحبه البعيد بالموازنة ومؤلفها ، وعلى أن الموزانة كان مصدرا لابن سنان .

(ج) وابن رشيق (م سنه ٤٦٠) ينوه فى عمدته بالموازنة أعظم تنويه[٣] ، وإن كان لم يتأثر به فى بحوث البـــلاغة كثيرا كما تأثر بقدامة بن جعفر وكتابيه نقد الشعر والنثر .

(د) أما ابن الأثير (م سنة ٦٢٧) فقد نوه فى اول مثله السائر بالموازنة ككتاب بيان ، وبصاحبها كعالم من علماء البيان .

وعلى كل حال فأثر الموازنة فى علم البيان لا يجحد ، وهـــو أظهر من أن يحتاج إلى دليل

---

(١) ٣٢٩ و ٣٤٩ أسرار البلاغة (٢) ٤٢٥ و ٤٢٦ دلائل الاعجاز .
(٣) ٢٠٥ ج ١ عمدة

البديع والبيان عند الآمدى :

تكلم الآمدى على كثير من مباحث علم البيان وأصوله إجمالا وعرضا ، وذلك حين كان يعرض لنقد بيت أو شرح معنى الى غير ذلك ، فلنعرض آراءه فى البيان لنقف على قيمة الكتاب من هذه الناحية العلمية .

(ا) تكلم الامدى (فى ص ٦ و ٧) على نشأة البديع وتطوره ، وكيف كان يقع نادراً فى الشعر العربى عن غير عمد ، وكيف فطن المحدثون لجماله فطلبوه وتكلفوه وكيف بالغ أبو تمام فى طلبه وتكلفه .

(ب) وتكلم على البلاغة وتحدث عنها وعن عناصرها فى إيجاز ، وأقامها على أساس الجمال اللفظى وسحر الأسلوب ورقة الطبع ، وإيراد الألفاظ فى مواضعها ، وإيراد المعنى بالعبارة المألوفة فيه ، مع السلامة من التكلف والهذر والاخلال ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعانيها (١٨١ موازنة) ، وجعل صحة التأليف فى الشعر والنثر أقوى عناصر البلاغة ، واستدل على ذلك برأى الفلاسفه ورأى يزر جمهر الحكيم الفارسى فى عناصر البلاغة : من صدق الكلام ، ووقوعه موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة ثم طبق الامدى ذلك الرأى على الشعر (١٨١ — ١٨٣ موازنة) .

(ج) كما تكلم الامدى على سوء النظم وفساد التعقيد ، وعلى المعاظلة والحوشية فى أكثر من موضع (ض ١٢٥ موازنة) .

(د) وتكلم على أسلوب القلب وحلل ما ورد منه ، ورأى أن ما جاء على أسلوب القلب فى القرآن صحيح لا قلب فيه وهو جار على التأليف الصحيح المستقيم ، وعرض لما ورد منه فى الشعر العربى فزعم أن بعضه لا قلب فيه ، وأن الآخر قبيح فى ذلك الأسلوب ، ولم يجز القلب لمتأخر بحجة أن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخر وإن احتذاهم فلا ينبغى أن يهم فيما سهوا فيه ، ويناقش رأى المبرد فى جواز القلب للاختصار (٩٦ و ٩٧ موازنة) .

فلنقف مع الآمدى وقفة قصيرة نناقشه وننقد رأيه. لقد جعل سبب القلب هو السهو ومن ثم لم يجزه لمتأخر، ونحن لا نسلم له الأمرين جميعا، فليس صحيحا أن سبب القلب هو السهو، بل إن له سببا آخر غير ما ذكره وهو المبالغة فى أداء المعنى وإظهار فضل كمال الأمر فيه، فقول أبى تمام: «لعاب الأفاعى القاتلات لعابه» مثلا، لم يكن هذا القلب فيه عن سهو ونسيان، إنما قصده أبو تمام وطلبه، والقلب فى ذلك البيت هو سر روعته وجماله، وهو الذى أعطاك من المبالغة فى المعنى ما لا يعطيك إياه لو جرى الكلام على سننه المألوف. وكيف إذن نمنع المتأخرين عنه والعرب قد استعملته لتؤدى به فضل المبالغة فى المعنى على أكمل وجه وأتمه، وإن ضل الشعراء أحيانا النهج الصحيح فى القلب فأحالوا وأخطأوا

(ه) وحلل الأسلوب الذى يقع فيه المصدر نفسه وصفا لأسماء الذوات، مثل هند الحسن كله، ودعد الجمال أجمعه (٧٦ موازنة)، وتكلم على أسلوب التشبيه البليغ عرضا فى بعض المواضع (٦٩ و ٧٢)

(و) كما بحث المجاز المرسل وذكر بعض علاقاته وأفاض فى ذكر أمثلته (١٥ و ١٦٥).

(ز) وتكلم على الاستعارة حين كان بصدد بيان ما فى شعر أبى تمام من قبيح الاستعارات (١١٢ — ١٢٠ موازنة) فذكر قبيح استعاراته وبين سبب كثرتها فى شعره بأنه احتذى القدماء فيما رآه من بعيد استعاراتهم اليسيرة حباً للابداع (١١٧) والاغراق، ولا شك أن هذا تعليل غريب، فنحن لا نشك أن فى شعر الرجل استعارات بعيدة غريبة على الذوق العربى، ولكننا نثق أن باعثها عند أبى تمام هو أنه كان فى شغل بالمعانى والإغراق فى استنباطها وتدقيق النظر فى أجزائها وحواشيها والإلمام بأصولها، فكان كثيرا ما تجىء من أجل ذلك فى شعره استعارات بعيدة المعنى لا يستسيغها الطبع المطبوع.

ثم بين الآمدى النهج العربى فى أسلوب الاستعارة وأن العرب إنما تستعير لمعنى ما ليس له إذا كان يقاربه أو يدانيه أو يشبهه فى بعض أحواله، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت له وملائمة لمعناه (١١٤ موازنة)،

وهو بهذا يشرح الاستعارة ، ويبين الحد الفاصل بين جميلها وقبيحها ، وقد ذكر الآمدى عقب ذلك نصوصا ونماذج يتجلى فيها النهج العربى فى أسلوب الاستعارة شارحا أسباب الجمال فيها بأسلوب تتجلى روحه فى كتابة عبد القاهر فيها فى كتابه دلائل الإعجاز .

ومن المناسب أن نبحث رأى الآمدى فى الاستعارة ونعرف ما فيه من تجديد:

أهم شىء ذكره الامدى عن الاستعارة هو أن للعرب نهجا خاصا فى أسلوبها ، وأنها تراعى قرب الشبه وظهور المشاكلة والمناسبة بين المستعار له ومنه ، وأن على البليغ أن يحافظ على هذا النهج ولا يتعداه حتى تكون استعاراته جميلة غير قبيحة ومفهومة غير غامضة .

وأساس هذه الفكرة قديم ، فقد ورد فى خطابة أرسطو «أنه ينبغى إذا أراد الخطيب أن يستعير أن يأخذ الاستعارة من جنس مناسب لذلك الجنس محاك له غير بعيد منه ولا خارج عنه »(١) ، ونقل هذه الفكرة قدامة فى نقد الشعر فتكلم على حسن الاستعارة وقبحها وسبب الحسن والقبح بما لا يخرج عن هذا الرأى (٢) ثم أخذها عنه الامدى فى موازنته (٣) حيث جعل جمال الاستعارة بقرب معناها من الحقيقة وأن بعد الاستعارة يجعلها قبيحة ، وعلى نهج الامدى سار صاحب الوساطة ، فملاك الاستعارة عنده « تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه (٤) وإنما تحسن بأن تجىء على وجه من المناسبة وطرف من الشبه والمقاربة »(٥) ، وعلى هذا مشى ابن رشيق(٦) ، وعبد القاهر(٧) وابن سنان الذى أخذه الفكرة ووافق عليها وإن كان قد ضم اليها شطرا آخر وهو ألا تكون الاستعارة مبنية على غيرها ، فقد قرأ فى المقالة الرابعة من الفن الثامن من كتاب الشفاء عن أرسطو مانصه « أما الاستعارة فيجب أن تكون غير كثيرة التداخل

---

(١) المقالة الرابعة من الفن الثامن ـ الشفاء (٢) ١٠٤ - ١٠٦ نقد الشعر

(٣) ١١٤ (٤) ٤٣ وساطة (٥) ٣٢٤ وساطة

(٦) ٢٤٠ ج ١ عمدة (٧) ٢١١ و ٢١٢ أسرار البلاغة

وهو أن تدخل الاستعارة فى الاستعارة ، فضم هذا إلى الفكرة ، وأوجب فى الاستعارة أن تكون قريبة من الحقيقة وغير مبنية على استعارة أخرى ، وبهذا يتم حسنها وإلا كانت قبيحة ، فالاستعارة القبيحة عنده نوعان : استعارة بعيدة عن الحقيقة واستعارة مبنية على أخرى؛ ولذلك جعل ابن سنان بيت أمرىء القيس القيس «فقلت له لما تمطى بصلبه الخ » ليس من جيد الاستعارات بل من وسطها[1] لأن الاستعارة فيه مبنية على استعاره أخرى ؛ وهو لذلك ينقد الامدى الذى استحسن هذه الاستعارة، وماذا على ابن سنان لو ترك هذا القيد الثانى الذى اقتبسه من سواه؟ ولكنه عرض نفسه لنقد لاذع من رجل كابن الأثير[2]، وإن كان ابن الأثير يخلط فى رده عليه الاساءه بالاحسان ، كما فعل ابن سنان حين نقدر أى الامدى فى بيت امرىء القيس

وبعد فماذا يريد الآمدى من كلمة استعارة ؟

يطلق الامدى هذه الكلمة مريداً بها فى بعض الأحيان مجرد معناها اللغوى وهو مطلق النقل لا لعلاقة التشبيه [3] وهو بذلك يجارى أهل اللغة فيها ، ولكنه حين يذكرها فى معرض الكلام العلمى يريد منها معناها الاصطلاحى الخاص المعروف [4] ، ولكن الآمدى يجعل من الاستعارة الآية الكريمة « فصب عليهم ربك سوط عذاب » ويقول فى شرح الاستعارة فيها لما كان الضرب بالسوط من العذاب أستعير للعذاب سوط [5] ، وذلك عند المتأخرين من المجاز المرسل .

(ح) وتكلم الامدى على الجناس وعرفه بأنه ما اشتق بعضه من بعض، وذكر نماذج له من الشعر العربى وأن أبا تمام احتذى هذه الأمثلة فأتى بالجيد والسافط من الجناس (١٢٠ - ١٢٣ موازنة)

---

(١) ١١٤ سر الفصاحة .

(٢) ١٤٩ و ١٥٠ مثل سائر (٣) ١٦٩ س ٤ و ٥ موازنة

(٤) راجع ٣٤٩ أسرار البلاغة (٥) ١١٥ موازنة طبع صبيح :

(ط) وتكلم على الطباق فذكر حقيقته وحده وبعض ما وقع لأبى تمام من جيده ورديئه ، ونقد رأى قدامة فى تسمية الطباق تكافؤا وفى خلطه بين الجناس والطباق (١٢٣ و ١٢٤ موازنة)

(ى) كما تكلم على السرقات الشعرية وأنها لا تكون إلا فى المعانى الخاصية وفى البديع المخترع منها مما يظهر فيه فضل شاعر على شاعر، لا فى المعانى العامية التى هى مشتركة بين الناس (١٤٩ موازنة) .

هذه خلاصة لأهم آراء الآمدى فى البيان ، وبالاطلاع عليها نرى أن الامدى كان له ولكتابه الأثر البليغ فى البيان العربى ؟

انتهى الجزء الثالث

من شرح الايضاح

للاستاذ

محمد عبد المنعم خفاجى

ويليه

الجزء الرابع

وأوله علم البيان

الناشر

مكتبة الحسين التجارية

لصاحبها

محمود توفيق

الاستدراك

صفحة	السطر	خطأ	صواب
٥	٦	اللقمة	اللقحة
٧	١٤	بمنى	بمعنى
١٢	٢٥	واحد	واحدا
١٤	٨	يعتقد	تعتقد
١٦	٧	قائم ويعلم	قائم
١٨	٤	لشيء	بشيء
٢٠	٤	العيين	للتعيين
٢٤	٢٢	لافراد	والافراد
٢٥	٩	كأنها	كأنهما
٢٧	١٢	لليتم	لليم
٢٨	١٦	تقديره	تقديمه
٣٠	١٦	البقاء	البلغاء
٣٠	١٩	لاو	ولا
٣١	١٤	لقصد	القصد
٣٢	٦	وقائدة	وفائدته
٣٨	١٩	لأ	لا
٣٩	١٨	عبد	عبيد
٤٠	١٦	العصر	القصر
٤٣	٢٠	تقديرة حصر	حصر
٤٥	١	ما	أما
٥٠	٢	الله	الله الله
٥٤	٢٠	منها تزقب الحصول	منها
٥٥	٨	المقامات	لمقامات
٥٦	١٣،١٤	المبرد وهذا الخ	المبرد
٥٧	١١	وقوله لتضيمنها	في قوله لتضمينها
٥٨	١٦	المنطقة	المنقطعة
٥٨	٢١	بأن	أن
٥٨	٢٢	عن	عن ثبوت
٥٩	١٠	اللقحة	بينهما
٥٩	١٧	بمعنى	والمثال
٥٩	٢١	واحدا	إن زيد
٦٣	٢٤	تعتقد	غدا
٦٦	١١	قائم	لتصور
٦٨	٧	بشيء	تسمعون
٦٨	٧	للتعيين	مصر
٦٨	١٧	والافراد	واستهزاء
٦٨	١٨	كأنهما	لها
٦٩	٤	لليم	ومبة
٧٠	١	تقديمه	التخشيص
٧١	١٧	البلغاء	أوهى
٧٤	٨	ولا	استبطاء
٧٧	١٤	القصد	فانتهت للتقوير
٧٨	١	وفائدته	أزيد
٧٩	١٤	لا	للشاعر
٨٠	٣	عبيد	لاهو
٨٠	٥	القصر	فأنت
٨٠	١٠	حصر	في تقوي
٩٠	١١	أما	بينها
٩١	١٨	الله الله	ية
٩٣	١٠	منها	لا باعتبار
٩٤	١٥	لمقامات	إعراض
٩٩	٩	المبرد	الذهب
١٠٧	١٨	في قوله لتضمينها	بالجامعه
١١٤	٢٠،١٠	المنقطعة	الابهام
١١٦	٢١،٢٤	أن	وبقي الخ
١١٨	١	عن ثبوت	للأول
		خطأ	صواب
		بينها	بينهما
		والمثال	(٦) المثال
		إن زيد	أزيد
		غدا	مجتهدا
		لتصور	تصور
		تسمعون	تستمعون
		مصر	مصرا
		واستهزاء	واستهزأ
		لها	إلها
		ومبة	ومنه
		التخشيص	التشخيص
		أوهى	وهى
		استبطاء	الاستبطاء
		فانتهت للتقوير	فانها للتقرير
		أزيد	أزيدا
		للشاعر	الشاعر
		لاهو	إلا هو
		فأنت	أفأنت
		في تقوي	إلا تقوى
		بينها	بينهما
		ية	به
		لا باعتبار	بل باعتبار
		إعراض	اعتراض
		الذهب	لذهب
		بالجامعه	الجامعة
		الابهام	الأيهام
		وبقي الخ	تحذف
		للأول	للأولى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢٠	١٤	بأن	بأن لا
١٢١	٨	لـــكون	لـــكونه
١٢٥	٥	ووزانه وازن	ووزانةوزان
١٢٥	٨	يشر	بشرا
١٢٦	٤	قلنا	،قلنا
١٢٦	٦	يفصل	ينفصل
١٢٨	١	عند	عندغير
١٥٩	١٧	مصبحا	أمسى
١٧٩	٥	الآخر	الآخر (٢)
١٨٠	١	إسم	الاسم
١٨٠	٢٢	تمتنتع	تمنع
١٨٠	٢٢	تجب	لاتجب
١٨٠	٢٢	وجوب	امتناع
٨١	٩	عرلتة	عذلته
١٨٤	٢٣	الاسمية	الحالية
١٨٥	٢٠	وعد	،عدم
١٨٧	٥	وجد	وجز
١٨٨	١٤	(وهو الأمر العرفى) كمان	كان
١٩٢	٣	بالماواه	بالمساواة
١٩٣	١٦	ظلا	ظلال
١٩٣	٢١	اذكر	ذكر
١٩٤	٩		بحذف السطر كله
١٩٤	١١	لعدوى بن يزيد	لعدى بن زيد
١٩٥	١	وثانهيما	وثانيهما
١٩٥	١٩	بفضله	لفضـــله
١٩٥	٢٢	اعلم	علم
١٩٦	٤	تسطع	تستطيع
١٩٧	١١	بدعوا	يدعوا
٢٠٠	٦	فأعرض	فأعرض عنهم
٢٠٠	١٨	إلا	لا
٢٠٢	١٠٩		يحذفان
٢٠٢	١	احدهما	أحدها
٢٠٢	٣	فيه	فيه من
٢٠٣	١٩	فلوكان	بل لوكان
٢٠٤	٥		الشعر الاول قوسين
٢٠٤	٥	ينجحره	ينجحر
٢٠٤	١٦	اللاهب	االلاحب
٢٠٧	١	ظهووها	ظهورها
٢٠٧	١٧	المضير	الضمير
٢٠٩	٨	عند	عنده
٢٠٩	١٠	إذا	إذ
٢١٠	٩	الساكى	السـكاكى
٢١١	١٠	والفصيل	والتفصيل
٢١٤	٧	فساؤنا	فساءنا
٢١٤	٩	فامتلتم	فامتلتم
٢١٤	١٠	فانفجرت	فانفجرت
٢١٥	١٢	فوصف	فوصفت
٢١٥	١٤	السبكى	والسبكى
٢١٦	٣	أن	أن أرسل
٢١٧	١٥	عوم	عدم
٢٢٠	١٨	الأخرى	و لأخرى
٢٢٢	١١	المتنافين	المتنافيين
٢٢٣	١٣	وشمس	وشمسين
٢٢٥	٦	كزيادة	وكزياده
٢٢٦	٣	من	فى
٢٢٦	٥	نعة	نعمة
٢٢٨	١١	به	به فى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٨	١٢	والعصر	فى العصر
٢٢٨	١٤	عمرودين	عمودين
٢٢٩	٩	ثمر	ثمرا
٢٣٠	١٩	مضمونةجراهم	مضمونةجزاهم
٢٣٠	٢١	ن ذلك	أن ذلك
٢٣١	٤	الكنور	الكفور
٢٣١	٨	يجاز	يجازى
٢٣٢	١٠	مقام	مقامه
٢٣٤	١٨	والتذليل	والتذييل
٢٣٥	٣	صوت يهمى	صوب تهمى
٢٣٦	١٦	يألوا	يليموا ولم يألوا
٢٣٩	٣	وقلهتم	وقلتهم
٢٤٠	١٨	بأنه	لأنه
٢٤٠	٢٢	عن ذلك	من الكبر

الجزء الاول

من هذا الشرح صدر فى ٢٣٢ صفحة

الجزء الثانى

صدر فى ٢٨٠ صفحة

والجزء الثالث

صدر فى ٣٠٤ صفحة

فهرس

فهرست الجزء الثالث من شرح الايضاح

الصحيفة	الموضوع
٤	باب القصر
٥٤	باب الانشاء
١٠٤	باب الوصل والفصل
١٣٦	الجامع
١٥٦	محسنات الوصل
١٥٨	الجملة الحالية
١٨٤	خلاصة لبحث الجملة الحالية
١٨٧	باب الايجاز والأطناب والمساواة
٢٠٠	القسم الاول المساواة
٢٠١	القسم الثانى الايجاز
٢٢٠	القسم الثالث الاطناب
٢٥٥	ملحق للجزء الثالث
٥٥	أهم كتب البلاغة
٢٥٨	الامدى وأثره فى البيان
٢٠٤	ملاحق وفهارس واستدراكات

الايضاح فى علوم البلاغة

للخطيب القزوينى [٦٦٦ — ٧٣٩]

كتاب الخطيب : «الايضاح» أهم كتب البلاغة، وأحفلها بالبحوث والدراسات والآراء والمذاهب

وهو فوق ذلك أمثل كتب البلاغة أسلوبا ، وأجملها بيانا ، وأوفاها بحثا ، وقد جمع فيه المؤلف كثيرا من آراء ونظريات المتقدمين فى البلاغة ، وخاصة : عبدالقاهر الجرجانى أمام البلاغةم ٧٤١ هـ. والسكاكى فيلسوفها المتوفى عام ٦٢٦هـ

وكتاب الأيضاح هو الكتاب الدراسى المقرر فى شتى كليات اللغة والأدب فى الشرق العربى

وقد قام محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة بعمل جليل ، هو شرح الكتاب شرحا جديدا ضافيا ، فى ستة أجزاء كبيرة

وقد حرص فى شرحه على تلخيص آراء المتقدمين وتوضيحها ودراستها ونقدها وأعظم عمل فى هذا الكتاب فوق ذلك هو ذكر جميع المصادر والمراجع وشرح الشواهد وذكر مصادرها وموضع الشاهد فيها فوق ما فيه من تحقيقات علمية واسعة وتعليقات فى غاية الأهمية لعلماء البلاغة ودراسيها

وفى آخر كل جزء من أجزاء هذا الشرح بحوث ضافية ودراسات جديدة فى البلاغة ومؤلفاتها وعلمائها ، مما لم يسبق إليه أحد

ظهر منه ثلاثة اجزاء وسيظهر باقيه قريبا

يطلب من مكتبة الحسين النجارية

لصاحبها

محمود توفيق

بأول السكة الجديدة بحي الحسين

البلاغة والنقد أيضا :

إلى البروفيسير الكبير

بقلم الاستاذ يحيى عبد العزيز على

شرح الايضاح للأستاذ البروفيسير الكبير كتاب ذائع الشهرة فى البلاغة وعلومها ، وقد حفل وأيم الله بكثير من الآراء الطريفة ، وامامى الجزء الأول من هذا الشرح الجليل ، وسأعرض عليك أيها القارىء الكريم بعض ما فيه من طرائف ولطائف وعجائب وغرائب ، قال الأستاذ الكبير البروفيسير :

١ — « هذا ولى رأى فى الغرابة أنها وحدها بدون التنافر فى الحروف لا تخل بفصاحة الكلمة [١] »

وهذا رأى طريف حقا من طرائف البروفيسير المعلوم

٢ — ويرى أن « مسرجا » من قبيل التشبيه المحذوف الأداة ، فهى صيغة تشبيه ، مثل : فأمطرت لؤلؤا من نرجس » [٢]

ويقول : وأما مسرج فأخذه من السراج لاغرابة فيه من جهة الاشتقاق [٢] وأنا أقول : أفادكم الله ياحضرة مفتى واق الواق

٣ — ويقول صاحب الايضاح : وأنكر الجاحظ انحصار الخبر فى القسمين — الصادق والكاذب —

فيقول البروفيسير تعريفا بالجاحظ : وهو عمر بن بحر الأصفهانى [٣] زادك الله بركة يامولاى ، إن الجاحظ العربى صاحب البيان والتبيين والحيوان وغيرهما هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى العربى المشهور

---

(١) ١٠ ج ١ شرح الايضاح للبروفيسير ط ١٩٣٥

(٢) ١١ ج ١ المرجع

(٣) ٣٧ ج ١ المرجع

وليس أصفهانيا . ولا من الموالى ولا غير ذلك ، إنى أعتقد أنه التبس عليك بأبى الفرج الأصفهانى صاحب الأغانى ، وعذرك واضح معروف أيها البروفيسير الكبير .

٤ — وينسب البيت :

له همم لا منتهى لكبارها .. وهمته الصغرى أجل من الدهر - لحسان فى مدح الرسول (١) ، وهو لبكر بن النطاح فى أبى دلف (٢) .

٥ ويرى أنه لا نزاع حقيقى بين السكاكى وعبد القاهر فى إفادة تقديم المسند إليه التقوى أو التخصيص وأنه لا فائدة من كل هذا الجدل الطويل الممل (٣) وأنها (٤) خلافات لفظية ومجادلات عملة . وأنا لا أدرى هل لم يطلع البروفيسير على آراء السكاكى وعبد القاهر وآراء العلماء فى تفصيل الخلاف بينهما

وأنا أقول له . أرحتنا ياسيدى أراحك الله ، وحفظ الله أبا الشمقمق ورعاه ، وسلمه من كل عيب وعين وحاسد اذا حسد ، وإنى لأعجب كيف خفى على البروفيسير الفرق بين الرأيين ، وكيف يرجع مع قارئه بخفى حنين

٦ — ويقول إن السكاكى يرى أن البناء على النكرة لا يفيد إلا التخصيص (٥) ويرد رأى السعد فى أن البناء على النكرة كما يأتى للتخصيص يأتى لتقوية الحكم (٦) .

ولعله نسى أن السكاكى يقول إن النكرة تفيد التخصيص بشرط أن لا يمنع منه مانع الخ ، وأما رده على السعد فما الحيلة وهو (نيرون) المتسلط على علماء البلاغة الموكل بحرق كتبها للتمتع بمنظر النار الجميل .

٧ - ويقول : واذا كان الخطيب وعبد القاهر قد اقتصروا فى كل أمثلة الفعل المنفى على بيان تقوية الحكم ، فان التخصيص أيضاً يصح توجيهه فيها ،

---

(١) ٢٠٤ ج ١ (٢) ٧٤ صناعتين ، ٨٧ ج ٢ الكامل
(٣) ١٢٥ و ١٢٦ ج ١ شرح الايضاح (٤) ١٣١ ج ١ المرجع
(٥) ١٢٧ ج ١ (٦) ١٢٤ ج ١

إذ لا فرق فى المعنى بين الفعل المثبت والمنفى حتى يفرق بينها فى ذلك .

وهذا والله هو الخلط العجيب ، والابتكار الغريب ، والتجديد النافع ، والتوضيح القريب ، والهذيان الذى لا كلام بعده ، فقد قطعت جهيزة قول كل خطيب .

٨ - « والمراد بسكان البادية سكان الجزيرة جميعها بدوها وحضرها قبل فساد لغتها » (١) .

ولعله يعلم أن بعض أهله الحضر فى الجاهلية كما فى الحيرة والبحرين واليمن قد فسدت لغاتهم باختلاطهم بالعجم ولا يصح تحكيم لغتهم فى شىء ، وهل نسى زياد الأعجم مثلا ؟

٩ - « ثم إن القصر والوصل والفصل والايجاز والأطناب والمساواة هى أيضاً من أحوال الجملة أو المسند إليه أو المسند » (٢) .

وإذا كان لا يفهم أن هذه الأبواب هى من أحوال الجملة فحسب فانى وربك لأعجب من هذا البرفيسير المشهور .

١٠ - ويقول عن الفصاحة والبلاغة : وأعلم أن الخلاف فى أنهما مترادفان أولا وفى أنهما راجعان الى اللفظ والمعنى خلاف لفظى لامعنى له . (٣) . والخلاف بين عبد القاهر وغيره فى المجاز العقلى خلاف لفظى (٤) ، ومناقشة الخطيب لآراء السكاكى مماحكة لفظية ساقطة (٥) ، والخلاف بين السكاكى والخطيب فى تعريف علم المعانى وما حوله من مماحكاتهم اللفظية (٦) .

وأنا أقول له : شفاك الله وعافاك .

١١ - ويقول : والأحسن أن يمثل لضعف التأليف بنصب الفعل بأن المحذوفة فى مثل قول الشاعر : ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى » (٧) .

---

(١) ٩ ج ١ فى شرح تعريف الغرابة .
(٢) ٣٦ ج ١
(٣) ٢٨ ج ١ المرجع
(٤) ٦٣ ج ١
(٥) ٤٢ ج ١
(٦) ٣٤ ج ١
(٧) ١٨ ج ١

١٢ — ويجعل البيت من التعقيد المعنوى وهو :

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

لأنه دل بكفه عن البكاء على إطفاء غليله واخماد حرارة وجده والمعروف من لغة العرب خلافه (١) :

١٣ - ويقول : الحذف كما يكون مع وجود القرينة ، كذلك الذكر لابد أن يكون مع وجود القرينة (٢) :

١٤ — ويذكر أن بيت الحطيئة المشهور : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ، قد نسبه السبكى لابن الرومى مع أن ابن السبكى ينسبه للمتنبى (٣)

١٥ — وينسب البيت : هذا ابن خير عباد الله كلهم للفرزدق ولعله قد نقل ذلك عن مجموعة النظم والنثر . وجميع رواة الأدب الموثوق بهم ينسبونه للحزين الكنانى الشاعر الاموى .

١٦ — ويذكر الخطيب القزوينى رأى السكاكى فى افادة التقديم للتخصيص فقال البروفسير : وقد رجعت إلى كلام السكاكى فى المفتاح فلم أجده (٤) . ورأى السكاكى معروف مشهور فى المفتاح (راجعه فى ص ٩٧ من المفتاح)

١٧ — ، السكاكى مذهبه فى المسند إليه المعرف المثبت أنه يحتمل التخصيص أو التقوى كما يراه عبد القاهر (٥)

وأقول للبروفيسير : ارجع الى الأيضاح لترى أن السكاكى لم ير ذلك وأن هذا خلط عجيب وجرأة على الحق نادرة .

١٨ — وينسب لابن مالك القول بأن تقديم المسند إليه يدل على العموم ، وهذا القول ليس لابن مالك صاحب الألفيه م ٦٧٢ هـ إنما هو لبدر الدين محمد بن

---

(١) ٢٢ ج ١ المرجع

(٢) ٧٣ و ٧٥ ج ١

(٣) ٣١٣ ج ١ شروح التلخيص .

(٤) ١٢٧ ج ١

(٥) ١٢٧ و ١٢٨ ج ١

جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك م ٦٨٦هـ (وراجعه فى ص١٣ من كتابة المصباح)

١٩ — ويسرق جميع آراء السبكى فيضعها فى شرحه ، كما يسرق فى الجزء الثانى من شرحه كل آراء الاستاذ سليمان نوار فى الفصل والوصل والقصر، وإذا راجعت إلى تعليقات الأقصر انى عـــلى الايضاح فى دار الكتب الملكية تبين لك كيف سرق البروفيسير هذه التعليقات فحلى بها شرحه

٢٠ — ويقول عن عبد القاهر : وقد اضطرب كلامه فى البـــلاغة وعن ابى هلال العسكرى صاحب الصناعتين : فاضطرب كلامه فى البلاغة (١)

٢١ — ويرى أن مثل مسرج مما يحتاج الى أن يخرج على وجه بعيد يجوز أن يعد من مخالفة القياس (٢)

٢٢ — والبروفيسير حفظه الله ينسى الكلام على مقتضى الحال ومطابقة الكلام لمقتضى الحال نسيانا عجيبا كأنهما ليسا الاساس الاول فى فهم البلاغة .

٢٣ — ويقول البروفيسير :

فلم أجده وهم المهم أراد الى مخالفة عبد القاهر فى شىء من ذلك أو صرح بوجود خلاف بينهما فيه يحتاج الى كل هذا الجدال والحجاج وانما ترسم فى ذلك فى ذلك خطاه

وإنى أسأل البروفيسير أن يشرح لنا هذا الالغاز العجيب .

أما الجزء الثانى من شرح البروفيسير فلا داعى للنظر فيه ، فأنت أيها القارىء الكريم تعلم من الأخطاء التى وقع فيها المؤلف الكثير ، وتعجب كيف وقع رجل يتصدى لشرح الايضاح فى مثل هذه الأخطاء ، ولا بأس بعرض نماذج يسيرة هينة أمامك :

٢٤ — يرى البروفيسير أنه لاخلاف بين عبد القاهر وعلماء البلاغية فى جواز الأتيان بالواو وتركها فى الجملة الاسمية الواقعة حالا ، لأن عبد القاهر ينظر من

---

(١) ص ٥ ج ١ (٢) ١٢٧ ج ١

جهة البلاغة ، وهم ينظرون إلى صحة الكلام فى ذاته (٢/١٣٥ شرح الايضاح للبروفيسير ط ١٩٣٥)

٥٢ — ويرى أن الفصل فى الآية الكريمة : « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » لأن بين الجملتين توكيدا معنويا لالفظيا [١٠١ ج٢ المرجع]

٢٦ — ويرجح أن مثل قام القوم الا زيدا يفيد القصر مثل ماقام القوم الا زيدا (راجع ٣٥ ج ٢)

وهذا هو والله التجديد ، والفهم الجديد للبلاغة وعلومها .

٢٧ — ومثل « زيدا عرفته » يرى الزمخشرى أنه للتخصيص مطلقا ، ويرى غيره أنه للتخصيص إن قدر المفسر المحذوف بعد المنصوب أى زيدا عرفت عرفته وان قدر قبله أى عرفت زيدا عرفته كان للتوكيد

فيرى البروفيسير أن مثل ذلك لايفيد الا التوكيد (١٥ ج ٢)

٢٧ — ويذكر أن مثل « انما تفاحا اكلت » القصر فيه يسند إلى التقديم عند السعد وإلى انما عند السيد : ولكنه يقول هذا خلاف لفظى (٥٤ ج ٢)

٢٩ — ويقول : ومقام الايجاز هو حذف احد المسندين أو المتعلقات (١٤٥ ج ٢)

ونسى أن هذا إن صح أن يقال فى إيجاز الحذف فلا يصح أن يقال فى إيجاز القصر وهو لاحذف فيه ، أيها البروفيسير رحمك الله .

٣٠ — ويقول : لتحقق الأثبات والنفى المحققان للقصر (٣٦ ج ٢) .

ولعل الذى نقد سيبويه نسى أن يصحح الكلام وأن يقول : المحققين :

٣١ — وينسب البيت : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا — للعرجى [١] . وجميع كتب الأدب بل حتى سيبويه فى كتابه ينسبه لسحيم بن وثيل .

---

(١) ١٥٠ ج ٢

٣٢ — ينسب البيتين : ما أنت بالسبب الضعيف الخ إلى الباخرزى (١٧٩ ج ٢) ، مع أنه ذكر فى موضع آخر (القصر) نقلا عن ابن خلكان أن ابن أبى دؤاد كان ينشدهما . ولعله نسى أن الباخرزى توفى نحو عام ٤٦٧ ، وابن ابى دؤاد توفى عام ٢٤٠ هـ : وبين الشاعر الذى نسب له البيت وابن أبى دؤاد الذى كان ينشد البيت أكثر من ٢٠٠ سنة .

٣٣ — وشرح البروفيسير لشواهد الايضاح يتجلى فيه فقر الذوق إلى حد بعيد ، ولاأستثنى فى ذلك شاهدا دون شاهد ، ويطول المقام لوعرضت ذلك فى هذه العجالة ، وإن شئت فانظر : يقول فى شرح قول النابغة :

ولست بمستبق أخا لاتلمه على شعث أى الرجال المهذب

تلمه : تضمه . الشعث فى الاصل انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه والمراد به هنا الأوساخ المعنوية على طريق الاستعارة (١٦٦ - ٢)

وأقول ماأروع هذه الأوساخ أيها البروفيسير الكبير : ويقول فى شرح بيت المتنبى الجميل :

أشد من الرياح الهوج بطشا وأسرع فى الندى منها هبوبا

مانصه : الهوج جمع هوجاء : الريح التى لاتستوى فى هبوبها وتقلع البيوت من شدتها ، . (١٦٩ ج ٢) وهذا هو مايذكر فى شرح هذا البيت لاغير وأرجو القارىء أن يطلع على شرحه للشواهد بيتا بيتا ، فلا داعى لتسجيل هذا الذوق الأدبى الرفيع فى هذه العجالة .

٣٤ — وآراء السكاكى فى الايضاح كلها يذكرها البرفيسير بدون تعليق وعذره واضح فهو لم يجد مراجع فى شرحها ينقلها نقلا وينهبها على جارى عادته

٣٥ — ويرى أنه ليس هناك خلاف بين السكاكى والخطيب فيما يقاس به الايجاز والاطناب وأنه لا حاجة إلى إطالة الكلام فى تلك المماحكات ، ويقول :

ولقد كنا فى غنى عن كل هذا التطويل لولم يشتبه عليه - اى على الخطيب - الأمر فيما حكاه من كلام السكاكى (١٤٠ ج ٢)

وأنت أيها القارىء الكريم فى غنى من أن أشرح لك الأسس التى بنى عليها السكاكى ثم الخطيب تحديدهما لمعنى الايجاز والأطناب والمساواة ، فلعلك تذكر أن السكاكى حكم متعارف الأوساط حينا ومايقتضيه المقام حينا آخر وأن الخطيب حكم أصل المراد ، وأنت تعلم الفروق الجوهرية بين الرأيين وتعلم أن السكاكى لم يشتبه عليه الأمر فى شىء .

ولكن البروفيسير يريد أن يثبت أنه كان (ناصحا) واعيا أكثر من أئمة علماء البلاغه كالخطيب وسواه .

وأخيرا فيغنينا ذلك هنا فى هذا المقام وبالله التوفيق ؟

يحيى عبد العزيز على

البلاغة والذوق الأدبى :

أبو العتاهية الشاعر العالمى

بقلم الأستاذ على سالم المحمدى

للبروفيسير كتاب ذائع الشهرة هو « أبو العتاهية الشاعر العالمى » ، والبروفيسير معجب بهذا الكتاب إعجابا شديدا ، وأنا معه فى أنه يجب أن يعجب به حقا ، وهذا هو ما يدفعنى إلى تحليل بعض آرائه فى إيجاز ، ولسنا نريد نقد الكتاب ، وإنما نحب أن نبين مدى الذوق الأدبى عند البروفيسير ، لأن هذا الذوق هو الأساس الأول فى فهم مسائل البلاغة والحكم عليها ، ولذلك كتبت هذه الكلمة فى إيجاز ، ولا يفوتنا أننا نعجب حقا بالبروفيسير كل الأعجاب

١ — قال البروفيسير : وأبو العتاهية أولى عندى بها — أى بالزعامة على الشعراء المحدثين — دون بشار (ص ٣ الكتاب ط ١٩٣٩)

وهذا رأى يخالف فيه جميع الأدباء والنقاد . مع أنه ذكر فى (ص ١٦) أن بشارا أول من عمل فى نقل ألفاظ الشعر ومعانيه من البداوة إلى الحضارة

٢ — ويقول البروفيسير : والشعراء العالميون فى شعراء العربية قليل عددهم وربما يكون أبو العتاهية أول شاعر عربى بلغ هذه المنزلة الشعرية العالية فكان له شعر عالمى تتسابق الأمم المختلفة إلى روايته ودراسته وإلى نقـــله إلى لغاتها (ص ٤ من المرجع)

والدليل على ذلك يتلخص عند البروفيسير فى أن صاحب الأغانى ذكر أن ملك الروم أرسل إلى الرشيد يسأله أن يوجه إليه بأبى العتاهية وأن راهبا فى صومعته أنشد بيتا أو أبياتا لأبى العتاهية (٤ و٥ و٦ المرجع) ويقول البروفيسير عقب ذلك : وكل هذا يثبت لنا أن أبا العتاهية كان شاعرا عالميا (ص ٦)

اللهم لا حول ولا قوة إلا بالله .. أريد أن أعلق على كلام الناقد العالمى وعلى قضيته ودليلها ولكن ذوقك أيها القارىء يكفى فى الحكم والبيان ، والمقام لا يتسع للكلام والتبيان

٣ — ويقول : يذهب علماء الأدب إلى أن الصناعة البديعية لم تظهر فى الشعر العربى ولم يكلف بها شعراء العرب إلا فى العصر العباسى وذلك بعد ظهور أبى تمام . . . وإنى أخالف فى هذا أولئك العلماء وأرى أن الشعر نشأ صناعه لفظية ؛ ووجدت فيه العناية بالبديع من حين ظهوره ، فكان الشعراء قبل الاسلام يتكلفون صناعة البديع كما تكلفها أبو تمام . . . فامرؤ القيس لا أبو تمام هو أول من عنى فى الشعر بالصناعة البديعية وتكلف منها مالم يتكلفه أحد قبله الخ (ص ٦ و٧) . . وليس لنا تعليق بعد رأى زعيم النقاد العالميين أبى الشمقمق حفظه الله

٤ — « دعا — أى الرسول — إلى أدب مثقف يعنى فيه بالمعانى الأصلية السامية أكثر مما يعنى بتلك الصناعة اللفظية ، ولا تؤثر فيه المعانى الثانوية على المعانى الأصلية (٩ و ١٠ المرجع)

ومعنى هذا أن الرسول دعا الشعراء إلى ترك الكناية والاستعارة والتشبيه والمجاز الخ ، فما أروع هذا الفهم للأدب والشعر

٥ — ويقول عن أبى تمام والمتنبى والبحترى : عادوا بالشعر إلى سنته القديمة أى إلى منهج الجاهليين فى الشعر — (ص ١٣) وهذا تحليل رائع للمذهب الأدبى لهؤلاء الشعراء .

٦ — أبو نواس لم يجدد فى بناء القصيدة ومطلعها وإنما التجديد الصحيح فى هذا ما سبق إليه شاعر عصر بنى مروان العظيم الكميت بن زيد فقد خرج على ذلك التقليد القديم فى هاشمياته فقال مثل قصيدته : طربت وما شوقا إلى البيض أطرب — إلى أن قال : فهذا هو التجديد الصحيح فى مطلع القصيد (١٩ — ٢٣) أى تجديد ياسيدى البروفيسير ؛ هلا سكت فسلمت وأفدت ؟

٧ — أبو العتاهية هو حامل راية التجديد فى أغراض الشعر بين الشعراء المحدثين (راجع ص ٢٣) ، اللهم إنا نستعيذ بك من هذا الهراء والهذيان .

٨ — أبو العتاهية أولى من بشار وأبى نواس باسم الشاعر المجدد فى العصر العباسى (ص ٢٧)

وكرر ذلك فى ص ١٠٤ حيث يقول : فله التقديم على طبقته من الشعراء المحدثين .

٩ — ويرى أبا العتاهية كان شاعر الشعب لأنه أمكنه أن يدنو بالشعر العربى إلى أفهام العامة فوردوا مناهله بعد أن حرموا منها زمناً طويلا . فكأنهم كانوا من العجماوات التى لاحظ لها فى الحكمة والأدب (١٠٥)

وهذا كلام لا يصح أن يقال فى صدر العصر العباسى حيث الملكات كانت لا تزال قريبة من فطرتها ، فكيف كانوا من العجماوات يا سيدى المهراجا رابندرات .

١٠ — ابتذال الكلام ليس بعيب فيه وقد ذكر ذلك فى كتابه البلاغة العالية وهذا حقا من ابتكاره أيضاً (ص ١٠٧) .

١١ — كان يذهب أبو العتاهية فى غزله مذهب الشعراء العشاق مثل جميل والمجنون (١١٦ المرجع) .

وما حيلتنا فى الناقد العذرى سيدى أبى الشمقمق حفظه الله .

١٢ — كان مدح أبى العتاهية تجاريا (١٢٠) وهذا أسلوب طريف من أساليب الناقد العالمى .

١٣ — والكلام على زهديات أبى العتاهية وهو الفن الوحيد الذى امتاز به أبو العتاهية على نظرائه يتخلص فيما يأتى بالحرف : أكثر أشعار أبى العتاهية فى الزهد والحكمة والمثل وهى الأشعار التى بذل فيها كل جهده وأربى فيها على الشعراء السابقين واللاحقين ونظم فيها ما استفاده من أهل العلم من السنن وسير السلف الصالح وما جرى من الحكم على ألسنة هذه الأمة وغيرها من الأمم (١٤٢ المرجع) ويلى ذلك بعض مختارات من زهدياته . أفدتم أفادكم الله أيها البروفيسير الكبير .

١٤ - ويقول البروفيسير لأبى العتاهية نصيحة له لينظم الشعر على نهج هذه الوصية :

والذى أراه فى هذا أنه يجب أن يتوسط فى الشعر بين اللغة الدارجة وبين لغته القديمة المتكلفة (١٥٧ المرجع) ، ياشيخ يا أبا العتاهية اسمع نصيحة البروفيسير الكبير .

١٥ - ويقول عن ضعف بعض معانى أبى العتاهية مانصه : ومما أنكر على أبى العتاهية قوله :

حلاوة عيشك ممزوجة فما تأكل الشهد إلا بسم

فالمعنى صحيح لأنه جعله مثلا لبؤس الدنيا الممازج لنعميها والعبارة غير مرضية لأنا لم نر أحداً أكل شهدا بسم . أفدتنا أفادكم الله .

وبعد فنكتفى بعرض بعض المسائل التى تمس الذوق الأدبى ورأى المؤلف فيها لنعرف ذوقه الأدبى ومدى أثره عليه فى فهم البلاغة والحكم على علمائها وبالله التوفيق ؟ على سالم المحمدى

حول البلاغة أيضا :

المقامة الشمقمقية

مهداة الى الاستاذ الكبير البروفيسير

بقلم الاستاذ محمد فكرى عثمان منصور

سيدى الأستاذ الكبير البروفيسير

أصلح الله أمرك ، وعلمك ، الخير ، وجعلك من أهله

أى سيدى الشدياق ، ومفتى واق الواق : كلمة تهـــدى إلى أدبك ، وتحية تقتبس من فضلك .

وكيف لا ؟ ونحن لانزال نذكر مذهبك فنعجب ، ونقرأ تفكيرك المرقص فنطرب ، ولاغرو فسيدى أبو الشمقمق حفظه الله ، فى الذرة العالية من العـــلم والفن والأدب وعلو الحسب ، ولم لا وقد قال سميك ابو الشمقمق القديم :

قالوا : اقترح شيئا نجدله طبخه قلت : اطبخوا لى جـــبة وقميصا

وفقته أنت ، فقلت مالم تقله الأوائل ، وأتيت بما لم تأت به الفطاحل

ياسيدى البروفيسير :

ان سيبويه ليخجل إذا قاس علمه الى علمك ، أليس هو صاحب النحو القديم وأنت صاحب النحو الجديد ؟ وان عبد القاهر ليتواضع ويتضع إذا قرأ الناس له ولك ، أو ليس هو الذى اضطرب كلامه فى البلاغة وعجز عن فهم أسرارها ؟ فجئت أنت فحللت المشكلات ، وكتبت الايات البينات . وإن السكاكى الأعجمى ليتضاءل ، إذا ذكر كتابه المفتاح ، وذكر كتابك « بغية الأيضاح ، إنه صاحب هذه المماحكات اللفظية الساقطة ، المملة المخلة ، السكاكية الأعجمية ، وأنت أنت أيدك الله مبتكر هذا المذهب الأصلاحى الجديد فى البلاغة وعلومها .

أى سيدى البروفيسير أبا الشمقمق :

لقد عجبت وهـذا مكانك فى التفكير ، وتلك آراؤك ومؤلفاتك فى الأدب

واللغة والدين ، بماسطرته فى بغية الأيضاح ودبجته فى كتابك « أبو العتاهية الشاعر العالمى » ، عجبت وأيم الله لهذا التلميذ البليد — طه الحاجرى — بكلية الاداب الذى اجترأ فطعنك فى الرسالة ، وسفه رأيك وعلمك وفند فهمك فى المعلقات .

وعجبت لأديب مثل أنور المعـداوى « كيف يزدريك ويحتقرك ، ويتهم علمك وعقلك ،

وعجبت ورب الكعبة ، وخالق أبى الشمقمق بشرا سويا ، للمرحوم الاستاذ الكبير الشيخ اللبان ، حين استنكر رأيك وفتواك بعدم وجوب الحدود فى الشريعة الاسلامية ، وأراد جمع جماعة كبار العلماء لتسحب منك العالمية ، ونفاك إلى القسم العام فى طنطا ورماك بالحالاد ، حتى أنبت وبكيت ، وندمت وتبت ، وأقلعت عن كل ذنب . فتاب عليك ، وأمر باعادتك إلى كليتك ، وعجبت وأيم الله كثيرا حين حاول كثير من المغرضين أن ينالوا من مجدك الأشم فكنت كما قال على بن الجهم يمدح الخليفة المتوكل :

أنت كالكلب فى حفاظك للو د وكالتيس فى قراع الخطوب .

أى سيدى عكبرى المشرق ، ابا الشمقمق ، خليفة الشدياق . مفتى جزر واق الواق ، وارث الشنقيطى ، والذى نقد محمد عبده والمراغى ، وهـدم سيبويه وعبد القاهر ، وحطم آراء العلماء ، وكفر رجال الصوفية ، وحرم الذكر والوسيلة وناصر الوهابية والوهابيين ، أى سيدى البروفيسير الكبير المعلوم : كيف نحصى ثناء عليك ؟ وأنت رب القلم والبيان ، وهبيد يمدك بالوحى ، ولافظ ينفث فى فى قلمك السحر ، والشيصبصان جليسك ، وأرسطاطا ليس لم يتأت له ماتأتى لك أى سيدى الشيخ ديكارت ، الذى شك فى كل شىء ، ولم يهتد الى شىء ، وكفر بكل مذهب ، وأنكر كل واضح معروف ، إنى وربك لأعجب كيف يزعم سهل بن هارون أنك ملى رسالته فى البخل وكاتبها ، ومنمقها وناظمها ، وكيف تحلل وتكتب وتنشر عن أبى العتاهية ، ويقول الناس اننا لم نفهم عنه شيئا إلا أنه الشاعر العالمي ؟ ، وكيف يشكو علماء البلاغة لأنك رميتهم بالبله والقصور

والأملال والأخلال والخطأ ، وإنى لمعك ياسيدى ، أو من بأنهم قصروا وأجنت وأخطأوا وأصبت .

يا سيدى البروفيسير :

يقول السبكى — شاكيا باكيا — إنك ملأت صفحات بغية الايضاح من كتابه ، ويزعم الأقصر انى أنك نقلت تعليقاته الخطية نقلا ، ويشكو الأستاذ الجليل نوار لأنك لم تدع كلمة من كلماته ولا رأيا من آرائه فى الوصل والفصل والقصر إلا نهبتها وأخذتها ، دون إشارة ، وعجبت وأيم الله من هؤلاء الشاكين ، يشكونك وأنت أحق منهم بالفضل ، وأسبق فى الذكر ، وأرفع فى المنزلة ، وهم خليقون بأن يتهمهم سيدى البروفيسير بالظلم والقصور ، وأن يهددهم بالويل والثبور .

ولقد ظلمك ياسيدى علماء البلاغة ، اذا اتهموك بأنك حفلت بمن لا شأن لهم فى البلاغة من غير هؤلاء تاخذ عنهم ، وتسلم لهم ، وتنهب منهم ، وتركت المراجع التى لها أهميتها فى التفكير البلاغى . بل رميت أصحابها بالقصور والتقصير والافراط والتفريط والخطأ والبله وقلة الفهم . وأنا معك ياسيدى البروفيسير فى أنهم مخطئون مقصرون . وأنهم لا يفهمون عن البلاغة شيئا . ولا يعرفون منها قليلا أو كثيرا وأنك بينهم الأوحد الأمجد الأبجد .

وما قيمة هذا السكاكى الأعجمى ، وما فضل عبد القاهر المتحذلق ، وما أهمية السعد والسيد ؛ وكيف يجرؤ هؤلاء جميعا على اتهام سيدى البروفيسير المذكور حفظه الله ، إنك ياسيدى وأستاذى أبا الشمقمق لجدير بأن تصدر فتوى واحدة وربك تجردهم فيها من ألقابهم ، وتصور فيها حقيقة حالهم وسوء مالهم ، فلا يصح أن يتطاولوا على سيدى مفتى واق الواق ، وهو الذى طبق ذكره الآفاق وطار علمه فأضاء السبع الطباق ؛ ألا ساء ما يزعمون :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

لاورب أبى الشمقمق لاسكوت ولا قرار ، حتى تصدر الفتوى عاجلة بغير

انتظار ، ياسيدى البروفسير وحق الواحد القهار ، إنك لأمامهم وإن لجوا فى الانكار .

أى سيدى الشاهنشاه ، أبا الشمقمق حفظه الله

إنى لم أجد أحدا يشبهك من الناس ، إلا عباس بن فرناس ، طار وطرت طار بجناح مصنوع ، وطرت كالأشباح بذهن مطبوع ، وليس فى ذكائك والله إلا إياس أو أبو نواس .

ياسيدى العلامة ، ومارأيك فى أمر أبى دلامة ، زعم ظالما أنك هجوته فقلت فيه .

ألا أبلغ إليك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة
جمعت رقاعة وجمعت خزيا غذاك اللؤم تتبعه الدمامة

وظلمك والله هذا الشيطان ، يزعم أن أبا العتاهية أوصاك به خيرا فى مجالس الرشيد والمأمون ، ويدعى عابثا أنك عاصرته مع بينكما من عشرات الأجيال والقرون

وما رأيك يامولاى فى جامعة فؤاد ، اشكوها إلى مجلس الدولة والا فالى رب العباد ، كيف ترفض أخذ بغية الايضاح ، وتأخذ ثلثمائة نسخة من جزئى شرح الايضاح ، وكيف يرد كتاب البروفيسير المعلوم ، ويذهب الجزآن الى الجامعة فالى دار العلوم ؟ وجامعة فاروق هى الأخرى انها بالشكوى والله لأحرى ، كيف ياسيدى لا تأخذ الكتاب الأرشد الأوفق ! لا وحقك يا سيدى أبى الشمقمق ، لأرفعن بالنيابة عنك ضدها قضية وألف قضية ! فهى بلية وشر بلية .

ثم مافتواك أمر طلاب الفلسفة ، كيف يشكون ويتذمرون ، لاوحق أبى الشمقمق ؛ لنعلمنهم أن عملهم ليس بالسديد ولا بالأخلق ، فان سيدى كالقمر إذا أشرق ، ودروس سيدى متعة وفن وآراء ظريفة ، وفتاوى لطيفة ، فتوى واحدة ياسيدى الأغر الأبلج ، ترشدهم الى الصواب ، وتعلمهم بها فنون الدبلسة والآداب ، ولاتكن كريم الجرشى وإلا طمع فيك الذئاب .

ياسيدى ؛ وماهذا الذنب الذى ارتكبته الكاكولة التى عليك ، والعمامة التى على رأسيك ، والحذاء الذى فى رجليك ؛ والشال الموضوع فوق أخدعيك ، كيف

يخاطبك مهما كنت تفهم لحن العجماوات ، ويستعطفك وربك لاتعطف على هؤلاء الثرثارات ، وما حظهن من التغيير ، ونحن فى شدة الزمهرير ، لماذا وربك وقد سكتن على أبى العتاهية ، حتى جمع الضياع والقصور الغالية ، ولايسكتن على خليفته الأكبر ، حتى يجوز الأبيض والأصفر والمحفظة الأخرى ، كيف تقول إنك أتعبتها بحمل الاسفار ، لبيعها بالليل والنهار ، فتوى أخرى . وإلافلطمة على صفحتها اليسرى ، لاوحق أبى الشمقمق خليفة أبى العتاهية ، لارمينها بدلا عنده بألف داهيه .

والملك أدويب وسوفوكليس وتوفيق الحكيم والمعداوى . وحقك ياسيدى أبى الشمقمق الطحاوى . لأتولين بالنيابة عنك مايستحقون من تأديب وتهذيب . وضرب وحرب ، وزجر ونهر .

وربك ياسيدى المهراجا رابندرات ، ابى الشمقمق صاحب الكرامات والافتاءات ، وبحق بغية الايضاح ، لأمزقن كل ورقة تكتب أو تنشر فى البلاغة ولو كانت لعبد القاهر أو لصاحب المفتاح . حتى لاتصرف أحدا عن سيدى أبى الشمقمق المعظم ، أو تقطع الوارد عن محفظة مولاى المبجل المكرم .

وأخيرا لك ياسيدى الولاء ، ولمحفظتك الدعاء ، عشت طول الابد ، ماعاش لبد ، ليتمتع بالنظر إليك كل مشتاق ، ولير فعوا دائما خالص الشكر إلى جناب حضرة مفتى واق الواق ، ؟

محمد فكرى عثمان منصور

بينى وبين الناقد العالمى

البروفيسير الاستاذ الصعيدى

أولا :

١ — قرأت هذه الرسالة التى كتبها الناقد العالمى البروفيسير الاستاذ الكبير الصعيدى فضحكت وعجبت وحزنت فى وقت واحد . أما ضحكى فلهذه الآراء التافهة التى كتبت ، وأما عجبى فلهذا الجزع الغريب من ظهور شرح جديد لايضاح القزوينى ، وأما حزنى فلما آل إليه أمر الأخلاق فى هذا البلد المسكين

بينى وبين ناقدنا العالمى صلة لا أنكرها ، فلقدسعى منذ أمد ليدرس معنا فى قسم الأستاذية العروض والقوافى فرحبنا به ثم انصرفنا عنه فآثر أن يوفر على نفسه مؤنة السعى إلينا فانصرف عنا . وفى الصيف الماضى أهديته كتابى « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » فأهدانى كتابا من كتبه ، وبعد قليل جاء إلى يهمس فى أذنى أن إهداء الكتب إلى الأساتذة لا داعى له لأنهم لا يصح أن يهدى إليهم كتاب وذلك خلاصة تجاربه خلال عشرات السنين ، وبعد حين طلب أن أهدى إليه ما ظهر من شرحى على الايضاح فأهديت إليه الجزء الأول فقبله وكان ذلك منذ شهور ، ومن أيام بعث إلى صديقا عزيزا يقول إننى اتفقت معه على أن لا تدخل نسخة واحدة من كتابى إلى الكلية وأنه يتمسك بنصوص هذه المعاهدة ، وقابلته فى آخر الأسبوع المنصرم فأهدانى أعجوبته الجميلة « التنوير » وقال لى إن محمد عبده حاربه الأزهريون فقهرهم ، فقلت : يا سبحان الله لقد آمنت بأنك محمد عبده أحدوثة القرن العشرين

والطريف حقا أن ناقدنا الكبير يرى أن الايضاح ملك له وأنه كان حجرا محجورا على سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، لأن عمل الناقد فيه معجزة

الأجيال ولأنه قد فرضه على الطلاب المساكين فرضا وحمله إليهم فى حقيبته صباح مساء.

ولعل سيدى الناقد يعلم أنه قد ألزمنى إلزاما بمناقشته، ولعله يعذرنى حين أتناول أراءه بالنقد، ولعله لا يصيح صيحة المستعدى بعد أن بدأ يصول وحده فى الميدان أسابيع حينا فى الفصول وحينا أمام الأساتذة وأخيرا فى نقده الطريف العجيب المطبوع

٢ — يقول السيد الجليل إننى عنيت بنقل عبارات الحواشى وما حكاتها اللفظية بأسلوبها الذى لا يليق بعصرنا

وإنى أقول للسيد الجليل إننى جد فخور بهذه المماحكات اللفظية فى رأيه أو البحوث العلمية الخصبة فى رأى كل دارس للبلاغة وباحث فيها، والسيد الجليل حفظه الله يرى مسائل البلاغة كلها مما حكات لفظية مملة لا طائل تحتها: فالخلاف بين السكاكى والخطيب فى تعريف علم المعانى وما حوله «من مما حكاتهم اللفظية التى لا يليق ذكرها فى هذه العلوم»(١)، وجدل الخطيب ومناقشته لآراء للسكاكى «مما حكة(٢) لفظية ساقطة»:، والخلاف بين عبد القاهر وغيره فى المجاز العقلى «خلاف لفظى»(٣)، والبحث فى المجاز العقلى أهو من بحوث المعانى أو البيان خلاف لا ثمرة له(٤)، وأراء السكاكى ونكاته «أعجمية سكاكية لا عربية فطرية»(٥)؛ ومسلك الخطيب فى الكلام على التعريف باللام «بعيد عن مسالك البلاغة(٦)» دون أن يذكر أى مبرر أو شرح لذلك، وإذا نقد الخطيب رأيا للسكاكى كان هذا النقد مما حكة من الخطيب غير لائقة به(٧)

---

(١) ص ٣٤ شرح الايضاح للاستاذ الصعيدى ط ١٩٣٥

(٢) ص ٤٣ المرجع

(٣) ص ٦٣ المرجع

(٤) ص ٦٧

(٥) ٦٩ المرجع

(٦) ٨٨

(٧) ص ١١٦

وإذا كانت بحوث البلاغة ودراساتها هكذا مماحكة لفظية عند ناقدنا الكبير ، فانى أدعو بالنيابة عنه علماء البلاغة إلا أن لا يبحثوا فى البلاغة وأدعو دارسى البلاغة إلى أن يقفوا وينصرفوا عن هذه الدراسة فانها مماحكات لفظية لا طائل تحتها!! ولنبدأ بحرق هذه الكتب التى لا تبحث إلا فى مماحكات لفظية ، وبأن نغلق دور الأدب وكلياته مادامت دراستها مماحكة لفظية مملة

٣ – ويأخذ على الناقد الكبير أنى علقت على كلمة مقدمة وتناولتها بالبيان لماذا ؟ لأن ذلك ليس فى شىء من البلاغة ، ويقول : وليته وفى الكلام فيها حقه أو نقل عن الحواشى نقلا أمينا ، فيأخذ على ما ذهبت إليه من أن المقدمة مقدمة كتاب لا مقدمة علم بدعوى أنى أهملت ما حققه ابن يعقوب من أنها مقدمة علم أيضا ! ! وأقسم لك أيها القارىء الكريم أن ابن يعقوب لم يفهم المقدمة إلا على أنها مقدمة كتاب وإليك نص ما قال (١) : « والجواب أن المراد بالمقدمة هنا مقدمة الكتاب وهى طائفة من كلامة تتقدم أمام المطلوب لارتباط معناها به وانتفاع بذلك المعنى فيه ... وأما مقدمة العلم وهى المعانى التى يتوقف عليها الفن فقد تكون نفس مدلول الألفاظ المتقدمة هى فى مقدمة الكتاب وقد تكون غير مدلولها

٤ – وينقد البروفيسير قولى « نقد النثر لقدامة » لأن أستاذا كتب مقالة فى الرسالة يثبت فيها أن نقد النثر لغير قدامة ، وأنا أقول للاستاذ ومالك وهذه البحوث المضنية عافاك الله إنك لم تبحث أمر نقد النثر ومؤلفه ، كما أنك لست متخصصا فى البلاغة ولا مدرسا لها ، وكان يجب أن تترك لغيرك الحديث عن ذلك ، وأنى أبادر فأطمئنك بأنى كتبت مقالات فى مجلة الأزهر عن نقد النثر وشخصية مؤلفه المجهول وأن فى آخر الجزء الثالث من شرحى على الايضاح الذى سيظهر قريبا بحثا ضافيا فى نحو الخمسين صفحة عن ذلك البحث فارجع إليه مشكورا إن شئت

---

(١) ص ١/٦٦ شروح التلخيص

٥ ـ وقلت مانصه « وعلى متن التلخيص كثرت الشروح والحواشى وفى مقدمتها ... شروح التلخيص » فقال الناقد الكبير . وذكر أنه مما وضع على متن التلخيص شروح التلخيص مع أنها من جمع بعض الوراقين وليست من وضع مؤلف فأبدل العبارة وحرفها ثم نقدها بعد تحريفه . ولا أدرى أهذا المذهب الجديد فى الفهم والدرس والنقد هو مذهب ناقدنا الكبير

٦ ـ ونقد ماذهبت إليه من أن ابن المعتز واضع البلاغة ، بدعوى أنه أول من وضع البديع والبديع عنده ليس منها فى الصميم

ونسى الناقد الحبر البحر الفهامة أن البديع عند ابن المعتزى كان يشمل التشبيه والاستعارة والكناية أى بحوث علم البيان والبديع ، فهو إذا فى صميم البلاغة ، وعسى أن يرجع إلى ما كتبته عن ذلك فى آخر الجزء الثانى من شرحى على الايضاح

٧ ـ وذكرت فى الأيضاح للخطيب : وانحصار علم البلاغة فى علمى المعانى والبيان ، بدلا من « علم » المعانى والبيان كما كان فى النسخ الأولى ، وقلت فى الهامش : الأصل : علم ، فذكر الناقد الألمعى أننى علقت بمايفهم منه أن عبارة الأيضاح خطأ مع أنه لاخطأ فيها ومن أين له هذا الفهم أكرمه الله ورده إلى الصواب ؟

٨ ـ ولا أدرى كيف كنت فى واد الخطيب فى واد ـ كما يقول ناقدنا حين علقت على كلام الخطيب إذ ذكر الفصاحة والبلاغة وانه لم يبلغه مايصلح لتعريفهما ولا للفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بها المتكلم فذكرت أقوال ابى هلال وابن سنان وابن رشيق وعبد القاهر والسكاكى وابن الاثير مما استغرق كما يقول صفحتين ، وكيف كنت مجازفا فى ذلك ؟ أهذا

خلاف لفظى ووهما حكه لاطائل تحتها أيضا ، أم أنه وضع فى غير موضعه ، أم أنه استغرق صفحتين [1] ؟ لا أدرى والله

٩ - وينقد ماذكرته من جواز رجوع الضمير فى قول النابغه « جزى ربه عنى عدى بن حاتم » إلى شخص مذكور قبل البيت . مع أن هذا رأى لابن السبكى قال [2] : وأجيب بجواز أن يكون الضمير لمتقدم فى بيت سابق

١٠ - والصاحب وقدروى البيت . « ياعلى بن حمزة بن عمارة » بهذه الصيغة وهى « كقول القائل » ، لاينفى ذلك أن يكون البيت له كما يذهب اليه ناقدنا البحاثة وأنا أتحداد أن يأتى بأى مرجع ينسب هذا البيت لغير الصاحب

١١ - ونقده الرابع عشر نقد عجيب وان شئت فاسمع واعجب واطرب ايها القارىء الكريم

ذكرت فى ص ١٣٩ من شرحى على الايضاح أن البيت « وصيرنى هواك وبى لأبى نواس وان كان ينسب لابن المعذل ، وفى ص ١٤٠ ذكرت أن البيت « يزيدك وجهه حسنا » لأبى نواس أيضا ، فكتب الناقد يقول . ذكر فى ص ١٣٩ تعليقا أثبت فيه أن بيت « وصيرنى هواك لأبى نواس ، ثم ذكر فى ص ١٤٠ تعليقا آخر لايكاد يخرج عن التعليق الأول . جميل وجميل جدا هذا النقد الجديد

١٢ — والكلام على نشأة البحث البلاغى عن أسلوب المجاز العقلى تطويل ممل عنده لايحتمله شرح الأيضاح وكذلك الكلام على نشأة البيان العربى تطويل ممل ، وكذلك دراستى للجاحظ وأثره فى البيان

وانى أفخر بأن أكون صاحب هذا التطويل الممل المخل السخيف فى نظر ناقدنا اللوذعى العبقرى عافاه الله

---

(١) ومن الغريب أن الناقد كتب ثلاث صفحات فى عرض تافه ضئيل لآراء ابن المقفع وسواه فى البلاغة ، وذلك لايعد عيبا ومؤاخذة لأن الذى كتبه هو الناقد لاسواه (راجع ص ٤ و٥ و٦ شرح الايضاح للصعيدى ط ١٩٣٥)

(٢) ٩٨ ج ١ شروح التلخيص

١٣ — واذا ذكرت آراء أرسطو فى المجاز العقلى فى وسط البحث وآراء عبد القاهر فى آخره كان ذلك عيبا فظيعا شديدا لايصح أن أقع فيه ، وأنا أطمئن ناقدنا الكريم فأقول إن تأخير الكلام على آراء عبد القاهر لطولها ولأنها خاتمة المطاف . ولست أدرى وايم الله اين هو هذا التناقض الذى وقعت فيه فى ص ١٧١ فى نظر البرو فيسير الناقد العالمى ، وأنا إنما رددت فى أول الصفحة ماذهب إليه بعض المحدثين من أن المجاز العقلى من ابتداع عبد القاهر ؛ وفى آخرها قلت إن فهم عبد القاهر لبلاغة المجاز العقلى هو أمثل الآراء ، إنى فى حاجة إلى أن يشرح لى أستاذ الفلسفة والمنطق هذا التناقض الرائع

ثانيا :

وقد تستطيع أيها القارىء أن تكشف ماوراء هذا النقد العجيب وأن تعرف ما كانت تنطوى عليه نفسية صاحبه من أفكار ومعان وخيالات حين كتبه ، وأن تلمس روحة فى نقده ، فهو حينا يعيب على أن كلمة تقريظ كتبت بعنوان كلمة نقد وحينا يأخذ انى ذكرت فى آخر الكتاب أسئلة امتحان الأدب العربى ، إلى آخر هذا النقد الجميل

ثالثا :

والآن فان أمامى الجزء الأول من شرح البروفسير الناقد العالمى للأيضاح وسأنظر معك أيها القارىء الكريم فيه نظرات خاطفة لاتستغرق الكثير من وقتك ، لأنها لم تستغرق من وقتى إلا نصف ساعة أو يزيد ، وسترى مايعجلك ويطربك :

١ — قال الاستاذ الكبير . وإذا كان الأمام عبد القاهر واضع أساس البلاغة بكتابيه أسرار البلاغة ودلائل الأعجاز فان الأمام السكاكى هو منظم بنيانها ومفصل أجزائها ومهذب مسائلها فى كتابه مفتاح العلوم ، والخطيب هو الذى أبرز مفتاحه فى حلة عربية بكتابيه : تلخيص المفتاح والايضاح [1]

(١) ٢و٣ ج ا شرح الايضاح للصعيدى ط ١٩٣٥ ، ومن الغريب أن المؤلف يعترف هنا بأن الأيضاح إبراز للمفتاح فى حلة عربية . وفى الملاحظة الأولى من نقده يقول عن مما حكاتى اللفظية إنها لا تليق بطريقة الايضاح التى تغلب عليها طريقة عبد القاهر . وهذا وأيم الله هو التناقض الملموس

وهذا هو كل ماذكره المؤلف عن نشأة البلاغة، وما سوى ذلك لايصح ذكره لأنه تطويل ممل سخيف

٢ — وعلماء البلاغة فى نظر المؤلف لم يفهموا شيئا من مسائل البلاغة ولا من معناها، وإن شئت فهذا هو الدليل . يقول عن ابى هلال، « فاضطرب كلامه فى البلاغه » ويقول عن عبد القاهر، وقد اضطرب أيضا فيها (اى الفصاحة والبلاغة) كلام عبد القاهر (١)

٣ — ويجعل المؤلف لفظ سويدوا تهافى بيت المتنبي من التنافر مثل مستشرزات فوق أنه يجعل هذا اللفظ مركبا اضافيا (٢) وأنا احتكم إلى جمهور العلماء ورجال البلاغة والنحو فى ذلك

٤ — ويرى المؤلف أن مثل قول العجاج « وفاحماً ومرسنا مسرحا » مما يحتاج إلى أن يخرج على وجه بعيد بجوز أن يعد من مخالفة القياس (٣). وأنا اتحدى المؤلف أن يعيد الجهر بذلك القول الساقط الغريب .

٥ — ويدخل اللغز والمعمى فى التعقيد ويقول أن هذا هو رأى صاحب الايضاح (٤)، وقد أطلع الشيخ على الدسوقى وقرأه وفهمه خطأ وإليك كلام الدسوقى : . . وأجاب (أى المصنف) بأن اللغز والمعمى غير فصيحين مطلقاً (٥) .فقد أخرجهما عن الفصاحة ولكن لم يدخلهما فى التعقيد، فكيف أتى ناقدنا العظيم برأيه العجيب .

٦ — ويجعل من التعقيد المعنوى قول الشاعر :

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم ثم أرعويت وذاك حكم لبيد

---

(١) ص ٥ المرجع

(٢) ص ٩ المرجع

(٣) ص ١٠ المرجع، فيكون كالأجلل مثلا .

(٤) ص ١٩ المرجع (٥) ١٠٣ / ١ شروح التلخيص .

لأنه دل بكفه عن البكاء على إطفاء غليله وإخماد حرارة وجده والمعروف من لغة العرب خلافه [1] . ومن أين له هذا الفهم الغريب والرأى العجيب وأتركه ليراجع نفسه فى ذلك .

٧ — ولعل مقتضى الحال ومطابقة الكلام لمقتضى الحال وظاهر الحال ليست من المماحكات اللفظية عند المؤلف لأنها من صميم البلاغة فى عزف كل إنسان وأنا أتحدى المؤلف إذا كان قد ذكر عنها كلمة واحدة فى كتابه .

٨ — وينسب خطأ البيت .

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

إلى الفرزذق .

ولعله لا يعلم أنه من قصيدة للحزين الكنانى الشاعر الأموى كما فى الحماسة [2] والأمالى وسواهما من مصادر الأدب

٩ — ويقول فى ص ٥٧ : « فاسناد الخبر إلى المبتدأ مجاز قطعاً » وهو يتناقض مع كلامه فى هذه الصفحة ومع الحقيقة التى نسيها وهى أنه عند الخطيب ليس مجازاً كما أنه ليس حقيقة .

١٠ — ويقول فى ص ٧٣ : الحذف كما يكون مع وجود القرينة كذلك الذكر لا بد أن يكون مع وجود القرينة ، وكرر ذلك فى ص ٧٥ . ولا أدرى كيف يستسيغ ذلك .

١١ — ويذكر أن البيت .

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا

وهو من قصيدة مشهورة للحطيئة قد نسبه السبكى لابن الرومى . وتطالع السبكى فترى أنه ينسبه للمتنبى لا لابن الرومى [3]

---

(١) ٢٢ المرجع .

(٢) المرجع ٢٦٩ / ٢ مختصر الحماسة للرافعى .

(٣) ص ٣١٣ / ١ شروح التلخيص .

١٢ — ويذكر أنه ليس بين السكاكي وعبد القاهر نزاع حقيقي فى التقديم وأفادته التخصيص أو التقوى[١] وأنه لا فائدة فى كل هذا الجـــدل الطويل الممل[٢] .

وإذا ففيم كانت بحوث البلاغيين فى التقديم ، وما أجدرهم أن يطرحوا البحث فى البلاغة .

ولا أترك هذه النقطة قبل أن أنبه إلى هذا الخطأ الفاحش الخطير الذى يذهب إليه مؤلفنا العالمى من أنه لا نزاع بين عبد القاهر والسكاكى فى التقديم وإفادته التخصيص و التقوى ، وأحيلك إلى ما كتبته فى شرح هذا الموضوع فى الجزء الثانى من شرحى على الايضاح .

١٣ — وذكر الخطيب القزوينى رأى السكاكى فى إفادة التقديم للتخصيص ، فقال المؤلف[٣] : وقد رجعت إلى كلام السكاكى فى المفتاح فلم أجده . .

وهذا هو صاحب الرأى المشهور فى الأصلاح البلاغى. وإنى لأتبرع برده عن هذه الحيرة وأقول له ارجع إلى رأى السكاكى فى صفحة ٩٧ من المفتاح .

١٤ — وقال المؤلف الناقد بعد ذلك[٣] : فلم أجده وهم المهم أراد إلى مخالفة عبد القاهر فى شىء من ذلك أو صرح بوجود خلاف بينهما فيه يحتاج إلى كل هذا الجدال والحجاج وانما ترسم فى ذلك خطاه ».

وهذه عبارة أراهن إن كان يفهمها أحـــد أو يستطيع أن يفسرها لنا إنسان .

١٥ - ويرجع فى صفحة ١٢٧ و ١٢٨ رأى السكاكى إلى رأى عبد القاهر فى إفادة التقديم التخصيص أو التقوى فيقول :

ا — وهو (أى السكاكى) فى النكرة يرى أن البناء عليها لا يفيد إلا التخصيص كما يرى عبد القاهر .

---

(١) ص ١٢٥ (٢) ص ١٢٦

(٣) ص ١٢٧

ولعمرى أن ذلك فى صورة من صور النكرة فقط وهى مثل ما رجل قام ، أما مثل رجل قام ورجل لم يقم فهما للتخصيص أو للتقوى عند عبد القاهر وللتخصيص عند السكاكى .

ب — وفى المعرف المثبت أنه يحتمل التخصيص أو التقوى كما يراه عبد القاهر :

ونحن نعلم أن محمداً قام للتخصيص أو للتقوى عند عبد القاهر وللتقوى فقط عند السكاكى .

حـ — ويبنى على ذلك ما سبق أن أشار إليه من أن هذا كله من الخلافات اللفظية والمجادلات المملة (ص ١٣١) . وبأنه لا خلاف بينهما

١٦ — وينسب لابن مالك القول بأن تقديم المسند اليه يدل على العموم . وأرشده إلى أن ابن مالك توفى عام ٦٧٢ هـ أما هذا القول فهو لبدر الدين محمد جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك المتوفى عام ٦٨٦ هـ فى كتاب المصباح ص ١٣

١٧ — ويذكر البيت : إلهى عبدك العاصى أتاكا ويقول أن شراح الشواهد لم يذكروا قائله [1] ولو أتعب نفسه لوجده منسوبا لرابعة العدوية المتصوفة المشهورة .

١٨ — ويروى بيت خداش بن زهير هكذا :

وتلحق خيل لا هوادة بينها .

والرواية : « وتركب خيلا » كما فى الموازنة والمفتاح والكامل .

الى غير ذلك مما وقع فيه ناقدنا العالمى من الخطأ والقصور والأحاله والتناقض ومما لاداعى لتسجيله كله فأمامكم الجزء الأول من شرحه فأرجعوا إليه فهو تمثال صورت فيه هذه الألوان بوضوح

رابعا :

وإذا كان الناقد يستغل بعض الأخطاء المطبعية الضئيلة فى كتابى فأنى أنبه عليها وهى :

---

(١) ص ١٤٨

١ — فالخلاصة أن معنا : لفظ مفرد تركب منه التآليف فلا ترجع إليه البلاغة [ص ٦٣ شرحى على الايضاح]
وصحة العبارة : أنه معنا ؛ لفظ الخ

٢ — اللازم الاعم مثل لزوم الحيوانية للأنسانية فلا يلزم من العلم بالانسانية العلم بالحيوانيه (ص ٨٨ شرحى على الايضاح) . وصحة العبارة فانه يلزم من العلم بالانسانية العلم بالحيوانية .

٣ — ثم ان قولنا ان العلاقة فى التحقيق المشابهة لا الملابسة ، لأن ملاحظة المشابهة بين الفاعلين أتم الخ . [ص ١١٣ شرحى]
وصحتها : لا الملابسة أقوى ، لأن ملاحظة المشابهة بين الفاعلين أتم .

٣ — الأطول للسيد . وصحتها للعصام وقد نشر تصحيح لها منذ كثير فى الجزء الذى يكاد ينتهى طبعه الآن

خامسا

وأخيرا فانى أحمد الله على توفيقه وأفتخر بأنى أقوم بعمل جليل مثل شرح الأيضاح فهو نفسه خير حجة لى فى هذا الفخر ، وأتمنى أن يتفضل أساتذة البلاغة بكتابة مايعن لهم من ملاحظات وآراء ونقد وأنا أعد بنشرها كاملة
وفق الله وأعان وسدد سبيلنا لخدمة العربية لغة القرآن الحكيم ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

١٧ / ١٢ / ١٩٤٩

دراسة وتحليل

حول الجزء الأول من شرحى على الايضاح

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود فرج العقدة المدرس فى كلية اللغة وأستاذ الأدب والبلاغة ، فبعث إلى بهذه الكلمة :

أهدى إلى صفى الصبا ، وصديق الشباب ، وعضد الكهولة والشيخوخة إن شاء الله ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى فيما أهدى من كتبه النفيسة الجزء الأول من شرحه القيم للايضاح فوجدته كجميع كتبه صورة بينة لهذه النفس الفاضلة التى أعرف من مواهبها العلمية والأدبية فى أكثر من عشرين عاما ما لا يعرفه كثير من الناس وهى تبدو لناظرها فى مظهرين : أولهما راجع إلى عبارته التأليفية ، والثانى إلى مداركه العقلية والعلمية

أما الأول فآيته هذه البساطة الآخذة بسياق لفظه ، المشرقة بوضوح أسلوبه واتساق نظمه ، إلى حد يقرب البعيد ويوضح الغامض ويهون المصاعب ويحل المشاكل مما ينبىء عن ملكة مسيطرة آخذة بعنان الكلم مهيمنة على ضروب القول وجأش رابط ، وجنان ثابت جرىء على ما يقتحم من مفاوز وما يعالج من معضلات

وأما الثانى فآيته هو هذا العجب العجاب الآخذ بمجامع الأفئدة والألباب من هذه الحافظة الواعية والذاكرة اليقظة التى جمعت الأخبار والآثار إلى المذاهب والأفكار إلى التحصيل والنقد والابتكار جميعا ، لا يزال يتزايد وينمو وينتظم ويتسق إلى الحد الذى جعله لا يجد ما يجده كثير من محاولى التأليف من وعورة التأليف ومشقة التوضيح والتلخيص ، ونماجعله آية من آيات المواهب الالهية العليا وسبحان الفتاح العليم الذى يهب بفضله ما يشاء لمن يشاء .

محمود فرج العقدة
المدرس فى كلية اللغة العربية

تقدير ملكى كريم

كان المؤلف قد رفع إلى مقام حضره صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه الله نسخة من كتابه « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » فتلقى من معالى كبير الأمناء الخطاب الآتى :

ديوان كبير الأمناء

حضرة المحترم الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

أتشرف بابلاغ حضرتكم أنى رفعت إلى السدة العلية الملكية النسخة التى قدمتموها لحضرة صاحب الجلالة الملك من مؤلفكم « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان »

فتفضل أعزه الله فأولاها حسن القبول ، وإنى أتشرف بابلاغ حضرتكم ذلك مع الشكر السامى

وتفضلوا حضرتكم بقبول وافر الاحترام . كبير الأمناء

تحريراً فى ٢١ يوليو ١٩٤٩ عبد اللطيف طلعت

(إمضاء)

وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأرفع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى حفظه الله أصدق آيات الولاء وأعمق شعائر الاجلال والاخلاص والوفاء مع الدعاء لجلالته بأن يحفظ الله عرشه ويؤيد ملكه ويكلأه ويرعاه لمجد الوطن والعروبة والشرق والاسلام ، وأن يديمه ملاذا للثقافة والعلم والحضارة والانسانية

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ بكلية اللغة العربية

مطبوعات للمؤلف

١ ــ شرح البديع لابن المعتز نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٥

٢ ــ رسائل ابن المعتز فى النقـــد والأدب والاجتماع نشر مصطفى الحلبي ط ١٩٤٦

٣ ــ قواعد الشعر لثعلب شرح وتعليق المؤلف نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٨

٤ ــ التشبيه فى شعر ابن المعتز وابن الرومى ط ١٩٤٨ ــ المطبعة الفاروقة

٥ ــ الشعر العربى أوزانه وقوافيه مقرر العروض للسنة الأولى الثانوية بالأزهر الشريف . نشر مطبعة مصطفى الحلبي ط ١٩٤٨

٦ــ فن الشعر ــ مقرر العروض والقوفى لطلبة كلية اللغة العربية نشر مطبعة محمود صبيح بالأزهر ط ١٩٤٩ ــ جزءان

٧ ــ توبة شاعر البطولة ط ١٩٤٩ ــ دار الأنوار بالقاهرة

٨ ــ فصيح ثعلب والشروح التى عليـــه ط ١٩٤٩ ــ مكتبة التوحيد بدرب الجماميز

٩ ــ الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى نشر محمود توفيق ١٩٤٩

١٠ ــ أعلام الشعر الجاهلى ـ مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩ ـ بالاشتراك مع أستاذ

١١ ــ ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ـ مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩

١٢ ــ الشعراء الجاهليون ـ مكتبة الحسين التجارية ط ١٩٤٩

١٣ ــ أحلام الشباب ديوان شعر دار الأنوار ط ١٩٤٩

١٤ ــ وحى العاطفة ديوان شعر ط ١٩٣٦

١٥ ــ نشيد الصحراء ط ١٩٤٧

١٦ ــ شرح متن التلخيص ــ مكتبة الحسين التجارية ١٩٤٩

١٧ ــ حكومة القاضى الجرجانى فى النقد ـ ط صبيح ١٩٤٩

١٨ ــ شرح الايضاح ستة أجزاء ـ مكتبة الحسين التجارية

١٩ ــ الحياة الادبية بعد ظهور الاسلام ـ ٦٠٠ صفحة ـ مكتبة الحسين التجارية

٢٠ ــ مرشد البيان

ابن المعتز

وتراثه فى الأدب والنقد والبيان

تأليف محمد عبد المنعم خفاجى

نشرت جريدة المصرى كلمة عن هذا الكتاب جاء فيها :

هذا سفر جديد ، ألفه محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية ، ونشرته مكتبة الحسين التجارية لصاحبه محمود توفيق بالقاهرة ، فى أربعمائة صفحة من الحجم الكبير على ورق أبيض مصقول

تناول مؤلفه فيه ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر الأديب الكاتب والناقد العالم المؤلف المتوفى ٢٩٦ هـ ، وحياته وشعره وأدبه وآثاره فى النقد والبيان بالدراسة والتحليل والنقد

وهو أول كتاب يؤلف وينشر فى الأدب العربى عن ابن المعتز وآثاره الفنية والأدبية والعلمية

ويمتاز بدقة البحث ، وعمق الدراسة وتنوعها ، وتعدد ألوان التجديد فى مناهج النقد الأدبى ، وبكثرة المصادر المخطوطة والمطبوعة

وقد صدره مؤلفه بكلمة عن عهد الفاروق الزاهر ، وفيض رعايته وتشجيعه وعطفه على النهضة الفكرية والعلمية والأدبية

ولاشك أنه جهد كبير يستحق مؤلفه عليه الثناء والتقدير .

الإيضاح
في علوم البلاغة

للخطيب القزويني ٦٦٦ — ٧٣٩ هـ

شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي

الاستاذ بكلية اللغة العربية

الجزء الرابع

عني بطبعه ونشره

محمود توفيق

صاحب مكتبة الحسين التجارية بالسكة الجديدة بمصر

تليفون ٥٥٦٤٧

الطبعة الأولى

١٣٦٩ — ١٩٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

صدرت الأجزاء الثلاثة من شرحى على كتاب الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى [٦٦٦ - ٧٣٩] بحمد الله وتوفيقه وفضله

وهذا هو الجزء الرابع من هذا الشرح الجديد

وهو كالأجزاء التى سبقته فى الشرح والتحليل والتفصيل والدقة وتنظيم البحوث والموضوعات

ولا أجد ما أقوله إلا أن أقدمه لجمهور العلماء ورجال اللغة والأدب والنقد وطلاب البحث والمعرفة والثقافة معتمدا بعد فضل الله على حسن تقديرهم وكريم ثقتهم

وما توفيق إلا بالله ؟

١٠ / ٣ / ١٩٥٠

محمد عبد المنعم خفاجى

البلاغة والنقد أيضا :

بيني وبين زعيم المجددين فى البلاغة

مجدد من طراز غريب :

أستاذنا الجليل عبد المتعال الصعيدى صاحب مذهب جديد فى البلاغة ، ولمادا لا يكون صاحب مذهب جديد فيهـا وقد شرح الأيضاح فى أربعة أجزاء ، وقرأه طلاب البلاغة وأساتذتها سنين طوالا ، وأعاد طبعه عدة مرات .

وأستاذنا الجليل كتب فى النحو فهدم مذاهب سيبويه ، وكتب فى المنطق والفلسفة فأتى بآراء طريفة لا يعرفها المنطق ولا الفلسفة ، وكتب فى الميراث فجاء بآراء تخالف نصوص الشريعة وما اتفق عليه الفقهاء ولا تزال كلية الشريعة تنظر شزرا إلى كتابه فى الميراث ، وكتب مقالات فى الرسالة عن أبى العتاهية الشاعر العالمى ، وفوق ذلك كله فهو يعلن صباح مساء أن رجال الصوفية هم الذين هدموا الاسلام وهم سبب نكبته وأن الذكر والوسيلة يجب محاربة كل من يدعو إليهما ، وأن إقامة الحدود كما فى الشريعة الأسلامية غير واجبة ؛ إلى غير ذلك من آرائه الجديدة ؛ فلم لا يكون والله مع ذلك إمام البلاغة وخاتمة المحققين فيها .

كان الأزهر القديم يدرس البلاغة متأثرا بمذاهب علمائها المتأخرين أصحاب الشروح والحواشى والتقارير . وبدأ - كلية الآداب تدرسها على نمط جديد يوغل أحيانا فى القديم حتى يصل إلى الجاحظ وقدامة ، ويبعد أحيانا فى الحديث فيستضىء بدراسات الأوربيين للبيان ونقده ، ويقف حينا داعيا إلى وجوب أن يتأثر البيان ودراساته بالمصرية الحديثة . وكان أستاذنا الكبير الشيخ محمد عرفه عضو جماعة كبار العلماء يدرس البلاغة منذ أمد قريب فى قسم الاستاذية بكلية اللغة على نهج يجمع بين الأدب والبلاغة والقديم والحديث والعمق والتحليل ودقة الفهم لبحوث البلاغة والموازنة بين شتى الآراء والمذاهب .

وأستاذنا الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، وهو الذى لم يتخصص فى البلاغة ولم يلق فيها درسا واحدا طول حياته يأبى إلا أن يحشر نفسه فى زمرة أئمة البلاغة حشرا ، وإلا أن يدعى أنه صاحب مذهب جديد فيه ، فاذا سألته عن مذهبه فى البلاغة ودراستها لم تسمع منه جوابا ، ولا تستطيع أن تظفر برأى مقنع إلا إذا درست شرحه للايضاح .

وهذا الشرح ممتع حقا ، ففيه ألوان طريفة من الدراسة والبحث والتجديد

١ ـ فشواهد الايضاح له مذهب جديد فى فهمها ، فتجده يشرح قول النابغة :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

فيقول : تلمه تضمه . الشعث فى الاصل انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه والمراد به هنا الأوساخ المعنوية على طريق الاستعارة . ويعلق على بيت المتنبى :

أشد من الرياح الهوج بطشا وأسرع فى الندى منها هبوبا

فيكتفى بقوله : الهوج جمع هوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت من شدتها . وهكذا سائر شواهد الايضاح . ومع ذلك فهو وايم الله أول من حلل شواهد الايضاح تحليلا أديبا رائعا وأول من سار فى شرح الايضاح على الطريقة الأدبية .

٢ ـ ونسبة شواهد الايضاح لأصحابها تجد له فيها العجيب الطريف . فبيت حافظ المشهور :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طاهر الأعراق

ينسبه لشوقى وبيت بكر بن النطاح المشهور « له همم لا منتهى لكبارها » ، ينسبه لحسان . وبيت الحزين الكنانى الاموى المشهور : هذا ابن خير عباد الله كلهم « يأبى الا أن يكون للفرزدق . وإذا أراد التحقيق فى نسبة بيت قال : قول بعضهم ، وقول الآخر ، وقول الشاعر ، ويذكر بيت لبيد المشهور : وما والمال والأهلون الا ودائع ، فيقول قبله : وكذا قول الشاعر ، ويقول فى بيت مشهور لجرير : « ونمت ومالى المطى بنائم » هو لبعض الشعراء . وسار على ذلك

فى نسبة الآراء البلاغية لأصحابها ، فيقول حين نقل رأيا بلاغيا للاستاذ الجليل « سليمان نوار » : « ويقول بعض كتاب عصرنا » الخ . فلم لا يكون بعد ذلك كله أمام البلاغة وشيخها ، ولم لا يكون أول من سبق بنسبة الشواهد لأصحابها

٣ — وإذا وصل إلى المذاهب والآراء فى مسائل البلاغة ادعى أنها مماحكات لفظية ساقطه ، وأنها إملال لافائدة منه ، وأنها أمور لا داعى اليها فى عصر الذرة ، وزعم فوق ذلك أنه لاخلاف بين أصحاب هذه الآراء وأن الخلاف بينهم لفظى ، الى آخر ما ملأ به صفحات شرحه للايضاح . ثم يذهب إلى أكثر من ذلك ، فيزعم أن عبد القاهر قد اضطرب كلامه فى البلاغة وان آراء السكاكى سكاكية أعجمية ، وان ابا هلال العسكرى قد اضطرب كلامه فى البلاغة الخ . . .

فاذا وصل الى التعريف بالعلماء أتى بالعجب العجيب ، فيقول عن الجاحظ : هو عمرو بن بحر الاصفهانى ، ونسى أنه عربى وليس اصفهانيا ولا من الموالى وأنه عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى

فاذا أتى بأمثلة تطبيقية لمسائل البلاغة حرف وبدل وأتى بالغريب من الكلام والساقط من الفهم ، كما قال فى بيت أبى تمام :

ظعنوا فكان بكاى حولا كاملا ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

ان فيه تعقيدا معنويا ، ولما لفت نظره إلى أنه ليس فيه تعقيد ولا ما يشبه التعقيد عاد يخطئنى ويرد على فى نشراته التى يصدرها ويقول إنه ليس هو الذى يقول بذلك وحده ولكن صاحب الصناعتين صرح بذلك فاضطررت الى أن ارجع الى كلام صاحب الصناعتين فوجدته ذكر هذا البيت ووصله ببيت ثان هو :

أجدر بجمرة لوعة إطفاؤها بالدمع أن تزداد طول وقود

وقال أبو هلال بعد ذلك مباشرة :

« هذا خلاف ما يعرفه الناس ، لأنهم قد أجمعوا أن البكاء يطفىء الغليل الخ » . والطالب المبتدىء فى الأدب يفهم أن كلام صاحب الصناعتين انما هو عن البيت الثانى وحده وأن البيت الأول « ظعنوا الخ » لا حديث له عنه . ولكن استاذنا الجليل فهم أن كلام صاحب الصناعتين إنما هو عن البيت الاول « ظعنوا » فذكره

واكتفى به وحذف البيت الثانى . أجدر الخ ، الذى يتحدث عنه أبو هلال ، ثم حرف كلام صاحب الصناعتين فاسند إليه القول بأن فيه تعقيدا معنويا .

وهذا والله هو التجديد فى بحوث البلاغة ودراستها

وأنا والله فى حيرة من أمر أستاذنا المجدد العظيم إنه مجدد من طراز غريب حقا ، ولماذا وهو عمدة المحققين وزبدة الممحصين وخاتمة المجتهدين .

والطريف حقا فى مذهب أستاذنا الجليل أنه يرى أن البلاغة وقف عليه ، وأن إيضاح القزوينى الذى سبق فشرحه صار ملكا له ، وأنه كان حجرا محجورا على أحد سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، وأعاد طبعه أخيرا فحذف اسم الخطيب منه ونسب كل مافيه إليه وادعى أنه تأليفه . مما لانجد له نظير فى غرابته

خصومة طريفة :

وكان لى نصيب متواضع محدود فى دراسات البلاغة وبحوثها ، فقمت بنشر شرح جديد للايضاح ، توخيت فيه تمحيص المسائل ، وتحقيق الآراء ، وإسناد كل رأى إلى صاحبه ، والموازنة بين القديم والحديث من هذه الآراء ، ثم عمدت فيه إلى بسط الحديث عن بحوث جديدة فى البلاغة تتصل بنشأتها وعلمائها وأوائل المصادر المؤلفة فيها ، وقرأ الناس ماظهر من هذا الشرح ، فحمدوا لى هذا الجهد وأثنوا على منهج البحث العلمى فيه ، وتداولته الأيدى فى كل مكان ، ففزع استاذنا الجليل فزعا شديدا ، وأخذ ينقدنى فى كل مكان ، ثم طبع نشرة صغيرة سماها « التنوير » ثم عكف ستة شهور على قراءة الجزء الأول والثانى من شرحى وأخرج بعدها نشرة ثانية سماها «دراسة لكتاب فى البلاغة» واشترت الجامعة لدار العلوم مئات النسخ من شرحى فأرسل إلى عميد كليه دار العلوم رسالة ينبهه فيها إلى أن كتابه يدرس منذ عشرات السنين وأن شرحى مملوء بالأخطاء ، ونشرت لى الرسالة بحثا أدبيا فبادر إلى إرسال نقد لها بامضاء مستعار لطالب زعم أنه من أبناء كلية الآداب . وكان نقده صورة لفهمه الغريب لمسائل النقد والموازنة . وخاصم جميع الأساتذة الذين طلبوا إليه أن يتأنى قليلا فى هذه الخصومة الطريفة .

وإنى والله لأعجب غاية العجب من أستاذنا المجدد ، الذى يدعى أننى عاق

لأستاذيته منكر لامامته ، وأنا وايم الله لا أنكر شيئا من مذهب أستاذنا فى التجديد البلاغى ، ولقد بسطت الكلام على مذهبه بسطا فى أول هذه الكلمة ، ليعلم الناس وليعلم هو أنى أبعد الناس عن إنكار فضله أو جحد بيض أياديه على البلاغة وعلمائها ، على أنه لم يسبق لى شرف الأخذ عنه أو التلمذة عليه ولو حدث ذلك لكنت شيئا جديدا حقا ولأتيت بطرائف العتاهيات ، وبدائع اللوذعيات ، وروائع الصعيديات. ولكنى أشكر الله الذى وقف بى عند هذا الحد الصغير المتواضع فى البلاغة ودراساتها ، وأعترف لأستاذى الجليل بأنه ما من رجل فى العصر الحديث يستطيع أن يجحد مواهبه التى كتب الله لها الخلود فى عالم العبقريات .

نشرة مثالية :

وإذ أردت أيها القارىء الكريم أن أتحدث إليك عن نشرة أستاذنا المثالية الجديدة فأنى لا أضن عليك بما تريد ، ففى هذه النشرة ألوان رائعة من التحليل والدراسة والنقد تصور لنا مذهب أستاذنا فى فهم البلاغة والتجديد فيها

إشادته بنفسه :

وأول مايطالعك فيها هذا الثناء العاطر الذى يضفيه الاستاذ على نفسه ، فهو رجل يمقت هذه الشروح والحواشى ويعلم أن غثها أكثر من سمينها ويقول :

وياويل الأزهر فى عصر الذرة اذا علم الناس أنه لايزال يبحث فى « متعلقات الفعل » الامها مكسوره أم مفتوحه ، وهو رجل يسير فى فهم البلاغة والتأليف فيها على الطريقة الأدبية من حيث عدت أنا فى شرحى الى الطريقة التقريرية ، وشرحه قد طبع منذ أمد طويل فلم يرفيه الأساتذة كما يقول إلا مؤاخذة أو مؤاخذتين سهلتين ، ولا ينسى أن يشيد بأن ترتيبه كان الاول فى امتحان النقل بالسنة الأولى الابتدائية وأن الاستاذ الكبير العدوى عوذه من شر حاسد إذا حسد ولا أدل على فضله عنده من أنى قلت فى مقدمة شرحى للايضاح ما نصه : ولم يتناول الايضاح أحد بالتعليق حتى الآن إلا أستاذنا الشيخ الصعيدى ، وأنى أيضا أهديت إليه الجزء الأول من شرحى بهذه الصيغة : « مهداة إلى أستاذنا الكبير الشيخ عبد المتعال الصعيدى الاستاذ بكلية اللغة » ولاينسى أن يعلق عليها فيقول

« وهى صيغة تحتاج إلى حاشية تتكلف تصحيح إعرابها الخ » . ومجال الموازنة بين شرحه وشرحى فى نظره معدوم : فشرحه مضبوط الشكل كما يقول مرتب ترتيبا حسنا مع جمال الطبع وجودة الورق أما شرحى فقد أعـــدت فية التحريفات فى الايضاح الى مثل ما كانت عليه مغ عدم حسن الطبع ولا جودة الورق .

النشرة الاولى وردى عليها :

وتفضل أستاذنا فنشر نشرته الاولى وردى عليها ، وفى آخر نشرته الجديدة لا ينسي أن يرد على ردى عليه ، فيأتى بكلام عجيب لا أدرى وجه الصواب فيه ، وكله تأييد لرأيي فى سفسطته واضطراب كلامه وإختلال فهمه للبلاغة ومسائلها ، وهذه بعض أمثلة من رده على نقدى :

١ — زعم استاذنا أن بيت الحطيئة : «أولئك قوم ان بنوا الخ» قد نسبه السبكى لابن الرومى ، ولما لفت نظره إلى ان السبكى ينسبه للمتنبى لا لابن الرومى ، رد على فى نشرته الجديدة بأنه نقل ذلك عن السبكى خطأ لوجود ابن الرومى فيه بجوار المتنبي ؟

٢ — وينسب رأيا فى تقـديم المسند إليه لابن مالك ، فلفت نظره إلى أنه لحفيده ، فرد على بأن الأب جد أيضا ؟

٣ — ويقول إنه كان يؤاخـــذنى فى تكرار التعليق على بيت أبى نواس : وصيرنى هواك وبى الخ ، وإن كان قلمه قد سبق الى بيت آخر بجواره

وهذا والله هو منتهى التحقيق البلاغى عند أستاذنا الجليل ، ينقد شيئا فيترك ما ينقده ويأتى بغيره لأنه بجواره . ومن الطريف أن هذ البيت ليس لأبى نواس كما يقول وإنما هو لابن البواب

٤ — وخطأته فى رواية بيت فقال إن كثيرا من الأبيات لها روايات متعددة

٥ — ولما طالبته بأن يأتى بأى مرجع ينسب البيت : « يا على بن حمزة بن عمارة » لغير الصاحب بن عباد ، رد على بأن كثيرا من الابيات لا يعلم قائلها وهذا البيت لعله منها

٦ — وذهبت أنا الى ان البيت : « الهى عبدك العاصى أتاكا » لرابعة العدوية فانكر على ذلك دون أن يشير الى أى مرجع ينفى ذلك

٧ — ويؤكد فى رده على أن الذكر كالحذف لا بد له من قرينة دون أن يتواضع ويخطىء نفسه ولو مرة واحدة

٨ — ويتحلل من التناقض الذى آخذته به فى زعمه أن إسناد الخبر الى المبتدأ مجاز قطعا بأنه يلزم الخطيب أن يقول ذلك ولا يدعى انه قال ذلك ؟

٩ — ويرد على بأن الأبيات « هذا ابن خير عبـــاد الله كلهم الخ » ليست للفرزدق وانما هى للحزين الكنانى بماخلاصته أنه وجد القصيدة فى مراجع كثيرة منسوبة للحزين ولم يجد فيها هذا البيت

١٠ — وقصة بيت ابى تمام : « ظعنوا فكان بكاى حولا كاملا » قصة ظريفة وقد سبق الاشارة اليها

١١ — ويدافع فى صفحة أو اكثر عن صحة عبارته : « وهو المهم أراد إلى مخالفة عبدالقاهر فى شىء من ذلك أو صرح بوجود خلاف بينهما فيه يحتاج الى كل هذا الجدال والحجاج وانما ترسم فى ذلك خطاه » ، بكلام طويل لا أدرى والله كيف يكتب انســـان ، ويؤكد فى آخر كلامه ما سبق قرره فى شرحه من أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكى فى تقديم المسند إليه

١٢ — وخطأته فى زعمه أن فى سويدوانها تنافرا ، فقال ان ذلك موجود فى سر الفصاحة . وهذا والله جرأة نادرة على العلماء ، فان ابن سنان لم يدع أن فيهـا تنافرا وأنهـــا مثل مستشزر كما يذكر أستاذنا . ولكنه ذكر أن الكلمة قد يخل بفصاحتها طولها بكثرة حروفها مثل سويدوانها

١٣ ويأخذ على أنى اثبت فى شرحى أنه يجوز أن يكون الضمير فى قول النابغة : « جزى ربه عنى عدى بن حاتم الخ » عائدا على شخص متقدم . مع أنى لفت نظره إلى أن ذلك رأى السبكى

١٤ — ولم يفهم أستاذنا كلام ابن يعقوب الذى رأى أن المقدمة مقدمة كتاب

حيث قال : « والجواب ان المراد بالمقدمة مقدمة كتاب الخ »، ثم فرض ابن يعقوب فرضا جدليا أنها ليست مقدمة كتاب وبين ما يصح أن يسند ذلك الرأى، على عاداتهم دائما فى مثل تلك المواقف. ولكن أستاذنا يفهم ان ابن يعقوب لا يرى المقدمة إلا أنها مقدمة علم لا مقدمة كتاب ، وكان يجب أن يبحث أستاذنا هذه المسألة بعقله حتى يهتدى فيها الى الصواب ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه

نظرة المجدد الأعظم إلى البحوث الجديدة فى شرحى :

وفى شرحى للايضاح بحوث جديدة فى آخر كل جزء ، وفيه أيضا بحوث ضافية خلال الشرح .

وقد حنق المجدد الأعظم على هذه البحوث الجديدة حنقا شديدا ، ورماها بعدم الجدة حينا وبالتكرار حينا آخر وبالخطأ مرة ثالثة وأسبغ عليها من نعوته ما شاء .

ولن أناقش الأستاذ فى شىء من ذلك لأنه معذور ، معذور حقا لخلو شرحه للايضاح من أى جديد ، ولأنه لا يفهم هذا الجديد ، ومن الذى يعبأ برأيه فى الحكم على مسألة من مسائل البلاغة حتى يرضى برأيه فيها ؛ إنما الجديد الذى يألفه مجددنا أن يأخذ آراء السبكى كلها وينحلها لنفسه مع ما فيها من عدم تمحيص ودقة ومن المضحك أن تسمع له يقول :

« وكذلك بحثه السابع الذى سينشره فى الجزء الثالث ، وأستطيع أن أحكم الآن بأنه لا جديد له فيه وأنه يدور فيه حول رأى معروف للاستاذ طه حسين فى كتاب نقد النثر » . ومن الجميل حقا أن الجزء الثالث لم يظهر حتى الآن ، ولم يطلع على بحوثه أحد .

الغلطات الأملائية :

ويأخذ على المجدد الكبير ألوانا من الغلطات الإملائية بدعوى أنى لا أفرق بين الألف المهوزة من أعلى والمهموزة من أسفل ولا بينهما وبين الألف الموصولة الخ

ومن الجدير بالعلم أن علم الاملاء لا يفرق بين الألف المهموزة من أعلى أو من أسفل فهمزتهما توضع أعلى الألف دائما . . وهب أنى أيها المجدد الكبير لا أعلم شيئا من ذلك فهل هذا هو الذى يتنقص على عند العلماء ؟

الغلطات المطبعية :

ومن الجدير بالذكر أن المجـــدد الأكبر يحاسبنى على الأغلاط المطبعية التى نشرتها فى استدراك آخر كل جزء من شرحى . ولا أستطيع أن أفهم الباعث على ذلك إلا إن كان لوثة من جنون .

أغلاط نحوية :

ويأخذ على استاذنا بعض الأغلاط النحوية وهاك بعضها :

١ — قلت فى ص ٢٥ ج ١ : « أعم من أن يكون له مقدمة علم أم لا » .

ومن الطريف أن هذا كلام نقلته فى شرحى عن السعد .

٢ — وأنى قلت فى ص ١١ ج ١ من شرحى : فالبلاغة باعتبارها علما مدروسا ليس من علوم العصر الجاهلى .

وهذا نص موضوع بين قوسين ومكتوب فى أسفله ما نصه :

« ص ٤ و ٥ الادب والفن — من مقـال للاستاذ جب المستشرق المشهور » .

ولكن أستاذنا يجب أن يستند إلى أى شىء ليرمى به من هـــو أثبت منه قدما فى البلاغة ودراساتها .

٣ — وأنى قلت فى ص ٣٠ ج ١ من شرحى . « المعانى المختلفة الغير المشتركة » لدخول أل على غير . ومن الجدير بالذكر أن دخول أل على غير يجيزه النحويون لتوغلها فى الإبهام وعدم تخصصها بالاضافة إلى ما فيه أل ، على أنهم نصوا عـــلى أن غير تستعمل استعمال الصفات المشتقة ومن أحكام الصفات المشتقة قرنها بأل مع إضافتها إلى ما فيه أل .

٤ — ومن الخطأ النحوى عنده قولى فى ص ٣٩ ج ١ من شرحى : « فلو تقدم

المرجع على الضمير لفظا الخ » ، بدعوى تأخير جواب الشرط .

وأستاذنا لعله قرأ نص كلامى هنا ؛ وعلم أنه لا غبار عليه وأن كل الزيادات التى أخرت جواب الشرط كانت موضوعة بين أقواس ، وأنى أعدت ذكر « لو » قبل ذكر الجواب فقلت : « نعم لو تقدم المرجع فى كل ذلك جاز » . فهل يحب سيدى البروفيسير أن أذكر الجواب قبل استكمال الشرط ، لعل ذلك من مذهبه البلاغى المعروف .

٥ — ويؤاخذنى على تحريف مطبعى جاء فيه « فالخلاصة أن معنا نظم الخ » ، مع أنى سبقت فصححتها بأن الكلام « فالخلاصة أنه معنا نظم » ، ومن الطريف أنه يستدل على خطأى هنا بأنى قلت فى موضع آخر « أن معنا تسع صور » ولم أقل « أنه معنا

٦ — ومن غلطاتى النحوية عنده قولى : « بشىء من وقوعها ولا وقوعها »

تحريفاتى فى الايضاح :

ويعدد أستاذنا كثيرا من التحريفات التى وقعت فى كتاب الايضاح فى شرحى ، وهاك بعض نماذج لهذه التحريفات كما قال :

١ — « كما فى قول أبى الطيب » ، ذكرت فى شرحى : كما فى قول أبى الطيب (المتنبى)

٢ وفيه نظر ـ ذكرت : (قال الخطيب) وفيه نظر .

٣ — أو غير لفظية ذكرت هكذا : أو غير لفظية (معنوية)

٤ — ولابد له من قرينة ذكرت هكذا ولا بد له (أى للمجاز العقلى) من قرينه

٥ — وفيما ذهب اليه (أى السكاكى) نظر ، وصحتها عنده : وفيما ذهب اليه نظر

٦ — وقوله (أى الحطيئة) : أولئك الخ ، وصحتها عنده : وقوله أولئك

وذكر من هذا اللون نحو المائة تحريف مما زدت فيه على الايضاح بعض زيادات

ووضعتها بين قوسين مع أنى ذكرت فى مقدمة شرحى أنى زدت على الايضاح (١) بعض زيادات ووضعتها بين قوسين وليست من صلب الكتاب ومن نماذج التحريفات عنده ما يأتى :

١ — وضع الاعلام مثل أميم هكذا : (أميم)

٢ — زيد هو المنطق ، وصحتها كما يقول : المنطلق \

٣ — ولفظ الكلام البليغ أما ، وصحتها كما يقول: إما

٤ — الاخبار إذا خلا ، وصحتها كما يقول : الإخبار الخ

٥ — وأعلم أن ، وصحتها كما يقول : واعلم أن

٦ — أفاده الاسناد، وصحتها كما يقول :أفاده الإسناد

٧ — فيقال انه ، وصحتها كما يقول . فيقال إنه

٨ — إمرأتين ، وصحتها كما يقول : امرأتين

٩ — يانتفاء ، وصحتها كما يقول : بانتفاء

١٠ — إصفرارى ، وصحتها كما يقول : اصفرارى

١١ — وينكر على زيادة بعض حروف أو كلمات بين قوسين لا زالة التحريف الموجود فى بعض نسخ الايضاح المطبوعة ، مع أنى وجدت كثيرا من هذه الزيادات فى نسخة خطية بدار الكتب الملكية أثناء مراجعاتى قبل شرحى للايضاح

١٢ — ويزعم أن : « ومهمه مغبرة أرجاؤه » زيادة زدتها أنا على الايضاح

---

(١) ولو حاسبناه على ذلك لكان فى كتابه بغيه الايضاح عشرين الف تحريف تقريبا ، لأنه وضع بين كلام الخطيب بعضه والبعض أبياتا من الشعر وآيات من القرآن الكريم بدعوى أنها تطبيقاب

فى شرحى ولم أضعها بين قوسين . وإذا كانت عند أستاذنا إمام البلغاء زيادة فلم وضعها هو فى صلب الايضاح أيضا [ص ١٦٢ حـ اشرح الايضاح للصعيدى ط ١٩٣٥] .

١٣ — ومن التحريف عنده ما جاء فى شرحى : « عزير ابن الله » ، وصحتها عنده : « عزير بن الله » ، ولعله لا يعرف أن الله هنا ليس أبا ، واذا كان أبا فى رأى اليهود فليس ذلك بصحيح أو ذلك ليس على حقيقته عندهم كما فى رأى للأيضاح ومن هذا يتبين أن رسمه هو الخطأ وفيه التحريف

١٤ — ويأخذ على انى قلت : « علمقة بن عبده » وذلك تحريف عنده . وراجع [١٢٢ حـ ٢ من شرحى] فتجد نص ذلك : «علقمة بن عبده» لا علمقة كما يقول . واذا كان التحريف فى « عبده » حيث لم ترسم « عبدة » فما أروع ذلك من تحريف

١٥ — ويقول ان «التعيين» وردت فى كتابى «التعين» ، وأنى صحتها «التعنين» وليراجع القارىء كتابى ص ٢٣١ حـ ٢ ليرى ان كانت وردت «التعنين» فى شرحى كما يقول أولا

١٦ — ومن التحريف عنده « أخى الهيجا » ، وصحتها عنده : « أخى هيجا » ، ولا ادرى لم لم يعتذر بما اعتذر به عن نفسه من تعدد الروايات

١٧ — ومن التحريف : وادم من تراب ، وصحتها عنده : وآدم من تراب . وأمثال تلك التوافه الصغيرة كثير يعتد به الناقد المجدد

١٨ — ومنه « اللذين » وصحتها عنده الذين ، ومن الطريف انه فى موضع آخر من نشرته « دراسة لكتاب فى البلاغة » ص ٦٥ يؤاخذنى على الذين وصحتها عنده اللذين ولا أدرى أيهما هو الصواب عنده

١٩ — والزيادة التى ذكر أنى زدتها على الايضاح فى باب التعريف باللام مع انها للدسوقى أرجو من ناقدنا أن يطلع على نسخة خطية للايضاح فى دار الكتب الملكية وعلى طبعة صبيح القديمة للأيضاح ليعلم إن كانت قد ذكرت فيها أم لا ولا ينافى ذلك ذكرها فى الدسوقى

٢٠ - ومن التحريف عنده : «لو أنك الخ» وصحتها عنده : «لو انك تستضىء بهم أضاءوا» . ورسمى هو الصحيح ولكن مولانا العبقرى لا يجب أن يجنب نفسه الزلل ، وصدق الشاعر : «وتنكر العين ضوء الشمس من رمد»

مزاعم لناقدنا المجدد :

ومن مزاعمه الطريفة : أنه كان عندى فخر الأزهر ، وأننى طلبت منه الا ينقد كتابى ، مع انى يعلم الله أنما قلت له امام جمع من الاساتذة : إنى أرحب بنقدك ، ولدى مئات الملاحظات على الجزء الاول والثانى من شرحك ، وأتمنى أن تراجعها أنت أو غيرك لتحذف مالا توافق عليه ، فثار حين سمع بذلك ، وقال ان كتابى يدرس منذ عشرات السنين ولم يقل أحد إن فيه خطأ واحدا

الى ما سوى دلك من مزاعمه الطريفة . . ولم لا يكون عندى فخر الأزهر وقد حرف نصوص الله ورسوله فى الميراث ، وكفر رجال الصوفية وحرم الذكر والوسيله وأفتى بعدم وجوب الحدود فى الشريعة الاسلامية ، وذكر فى مجلة الأزهر أن الرسول أباح القتل غيلة وأمر به ، الى غير ذلك من اقتراماته على الاسلام ورسوله الكريم مما ثار عليه «اللبان» ورماه بالألحاد من أجله

مؤاخذات جديدة :

وعقد الناقد المجدد فصلا بعنوان : «مؤاخذات جديدة» ، وهناك كثيرا منها فى ايجاز واختصار :

١ - فى شرحى بيت المتنبى بهذا النص .

مثلك يثنى المزن عن صوبه ويسترد الدمع عن غربه

فقال ناقدنا العالمى [ص ٤٠ من نقده] مانصه . روى بيت المتنبى هكذا . «مثلك يزنى المزن الخ ، ورواية الديوان . . يثنى الحزن» . فحرف الناقد روايتى لغرض فى نفسه واحتج على برواية أخرى للبيت مع ان الرواية التى فى شرحى هى نص كلام الايضاح وكلام عبد القاهر فى الدلائل [ص ١٠٦] ، بل هى نص رواية الناقد فى شرحه [١٣٣ ج ١ شرح الايضاح للصعيدى ط ١٩٢٥] .

وليس هناك أغرب من ذلك النقد ياسيدى الجليل

٢ ـ وقال ناقدنا العبقرى .

« علق الأستاذ على قول الايضاح . , فتقول له زيد أخوك سواء عرف أن له أخا ولم يعرف أن زيدا اخوه أو لم يعرف أن له أخا أصلا بقوله :

أى مع كونه عالما بكل منهما فى ذاته كما هو أصل المسألة من كون السامع عالما بكل من المسند اليه والمسند .. وهذا لا يصح التعليق به على قول الايضاح « أو لم يعرف أن له أخا أصلا ، لأنه مناقض صريحا لاصل المسألة

ولا أدرى كيف فهم استاذ المنطق والفلسفة هذه المناقضة وكيف يثبتها ، مع قولى عالما بكل منهما فى ذاته ، وعالما بكل من المسند اليه والمسند

٣ ـ [redacted] من طريف نقده ما نصه :

وذكر ـ أى خفاجى ـ ان ضعف التأليف ينفرد عن التعقيد اللفظى فى مثل « جاءنى أحمد » ، مع أن هذا المثال ليس فيه ضعف تأليف . فهل خفى عليه أن يقرأ أحمد بالتنوين فى هذا المقام ، أو خفى عليه أن تنوين الممنوع من الصرف من ضعف التأليف ؟

ولا أدرى إذا كانت المطبعة لا تستطيع شكل أحمد كيف يوجه الأستاذ مثل هـذا النقد الظريف ؟ ومن الطريف انه يطيل جدا فى شرح كل نقد ليملأ صفحات كتاب كامل حتى يكون فى ذلك القضاء الأخير على منافس خطر كما يزعم ويتخيل . بل انه يكرر كثيرا من نقده لى أكثر من مرة لتكثر ارقام المؤاخذات فى كتابه .

٤ ـ والتنكير فى « إنى أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن » للتهويل أو لخلافه ، فشرحت كلمة « خلافه » بأن المراد منها التقليل . فخطأنى الناقد بدعوى أن المراد منها : التحقير . وارجو ان يقرأ الآية الكريمة مرة أخرى ليفهم إن كان له ذوق إن التحقير هنا لا يفهم من الآية ولا يقال فيها .

٥ ـ وهاك نقدا آخر رائعا .

ذكر بيت الشاعر .

الحمد لله العلى الأجلل [أنت مليك الناس ربا فاقبل]

« فزاد ما وضعه بين قوسين وليس هذا من حقه . وقد ذكر بعد هذا أن البيت فى الكتاب لسيبويه ، فجعله بيتا وهو بيتان لأن كل مصراع من الأراجيز بيت كما هو ظاهر » . أفادكم الله ياأستاذ كما يقول بعض الناس .

٦ — وقال صاحب الإيضاح : « أما توكيده فللتقرير كما سيأتى فى باب تقديم الفعل وتأخيره » ، فقلت : أى تقرير المسند إليه أى تحقيق مفهومه . . . وقيل المراد تقرير الحكم نحو أنا عرفت الخ . فقال الناقد : تلك الزيادة « كما سيأتى الخ » تقتضى تفسير التقرير فى الايضاح بتقوية الحكم أى تقريره فقط . ولم يدر الناقد أن هذا ضعيف جدا وقد ضعفته فى شرحى أيضا لأنه على ذلك لا يكون فى المثال تأكيد المسند إليه . ولكن ما ذنبنا والناقد العالمى يأبى إلا أن يكون له جديد .

٧ — ونحو زيد أخوك يقال كما فى الايضاح لمن يعرف زيدا بعينه سواء عرف ان له أخا أم لم يعرف ؛ وظاهر لفظ متن التلخيص أنه يقال لمن يعرف ان له أخا . فذكرت التوفيق بين الرأيين ، فكان ذلك خطأ وحشوا عند ناقدنا الكبير

٨ — ولأنى جعلت المصدر هو المشتق لا الفعل كان ذلك خطأ كبيرا عنده لأن ذلك خلاف المذهب البصرى كما يقول ؟

وكذلك من تافه نقده : قولى فى بيت أبى تمام : « كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى الخ » الواو فى الورى للحال ، فكان ذلك خطأ كبيرا .

ومنه قولى فى بيت المتنبى « كريم الجرشى الخ » : الشاهد فى الجرشى فانها لفظ غير فصيح الخ ، فكان ذلك خطأ عنده لأن صاحب الايضاح قال : « كلفظ الجرشى » .

٩ — ومن الطريف أنى ذكرت الآراء فى فتح لام « متعلقات الفعل » أو كسرها فى آخر الجزء الثانى من شرحى فقال ناقدنا ما نصه :

ياويل الأزهر من التاريخ إذا مكث بعد ألف سنة من إنشائه يردد فى عصر القنبلة الذرية كلام الحواشى فى فتح لام متعلقات الفعل أو كسرها ؟ ؟

١٠ — وقولى فى الانشاء: «هل له نسبة خارجية أولا»، خطأ فظيع لأن ذلك عنده أسلوب الحواشى القديمة .

١١ — وقلت فى بيتى المتلمس : « ولا يقيم على ضيم يراد به الخ » وهما من شواهد التقسيم فى باب البديع ، فكان ذلك عنده خطأ فظيعا لأنى ذكرت الشىء فى غير موضعه .

١٢ — وكرر ما ذكره من أنى زدت : « ومهمه مغبرة أرجاؤه » على كلام الايضاح . وإذا كان ذلك كذلك فقد كان أولى بأن يحاسب نفسه على زيادتها فى شرحه للايضاح [١/١٦٢ شرح الصعيدى] .

١٣ — وذكرت رأى السكاكى فى تقديم المسند إليه بتفصيل ثم وضعت عنوانا نصه : « رأى السكاكى فى الميزان » ، فلم يرق ذلك ناقدنا فقال : على حد قول بعضهم البرلمان فى الميزان وقد خيل للاستاذ فى هذا أنه يكتب فى جريدة أو مجلة فاختار ذلك العنوان ليأتى بجديد فى البلاغة [ص ٥٤ من نقده]

١٤ — وذكرت فى التعليق على الحديث الشريف : « الكريم ابن الكريم الخ » ما نصه : يسمى هذا اللون فى البديع « الاطراد » فكان هذا عيبا شنيعا عند ناقدنا الحبر البحر الفهامة لأنه ذكر فى غير موضعه ، ونسى أن دراسة البلاغة لكلية عالية غير دراستها فى معهد ابتدائى

١٥ - وهذه الدراسة الواسعة لمذاهب البلاغيين فى تقديم المسند اليه غاظت البروفسير ، فرمى هذا البحث الطريف بالحشو والتكرار ، ونسى أننا لا نصنع صنيعه فنمر على مسائل البلاغة قائلين: هذه مما حكات لفظيه ساقطة ، وناخذ آراء البلاغيين ونقول « ويقول بعض كتاب عصرنا »

ومن الغريب أن نجد رأى الاستاذ فى كل تحقيق بلاغى واحدا، ففى كل تحقيق بلاغى يقول : فيه تكرار وحشو وإطالة . ولو كنا نستبيح أيها الشيخ لأنفسنا ما تستبيح لأرحنا واسترحنا ، ولكنا لا نستطيع أن نقول فى جرأة وافتراء على البلاغة وعلمائها ما تقوله أنت ، مثل قولك انه لاخلاف بين السكاكى وعبد القاهر

فى تقديم المسند اليه . ومن الطريف أنه ينقدنى فى موضع بأنى أتابع السعد فى تكلفه [٤٧ من نقده] . أكرمك الله وردك إلى الصواب ورفع ما فى آرائك وعقلك من تكلف بغيض

١٦ — والبيت : « قال لى كيف أنت قلت عليل الخ » ذكرت فيه علة حذف المسند اليه ، ثم قلت : وهو مع هذا شاهد على شبه كمال الاتصال فى باب الوصل فكان دلك خطأ لا يغتفر عند مولانا حفظه الله للبلاغة

١٧ — ومن ملاحظاته الجميلة ما نصه :

« وروى بيت الخالدى :

وصيرفى القريض وزان دينار المعانى الدقاق منتقد

فأضاف بعض الشطر الأول الى الثانى » ؟

ومن مثل هذا اللون نقد رائع آخر ، قال ما نصه :

« ذكر هذا العنوان : البلاغة والمحاولات الأولى فيها [هذا تحريف منه وصحة الكلام فى فهمها كما فى شرحى ص ٤ ج ١]

١ — أخذا النقاد الخ . وتبحث عن رقم ٢ فلا تجده ، فلم يكن داع لرقم ١ »

١٨ - وهذا نقد عجيب حقا يدل على أستاذية مولانا فى البلاغة ، يرى عبد القاهر أن حذف المفعول فى الآية « ولما ورد ماء مدين الخ » للتوفر على اثبات الفعل ورأيه هو ما سار عليه السعد والخطيب فقال السعد « للقصد الى الفعل » ، وقال الخطيب : لا ثبات المعنى فى نفسه للشىء على الاطلاق » ، ولكن السكاكى يجعل الحذف للاختصار وقال الخطيب . فى رأى عبد القاهر : وهو ظاهر كلام الزمخشرى

فقلت فى شرحى . وقد رجح الخطيب رأى الشيخين (عبدالقاهر والزمخشرى) على رأى السكاكى ، فقال ناقدنا البروفسير : ونسى - أى خفاجى - ما ذكره فى الصفحة السابقة من المخالفة بين رأى عبد القاهر والخطيب .. وكرر الناقد ذلك فقال : مع ثبوت الفرق بينهما باعترافه

وما أروع هذا العقل الجبار الذى يعقد مخالفة بين أقوال متحدة وينسب الى أننى مسلم هذه المخالفة المزعومة ومقرر لها : اللهم لا حـــول ولاقوه الا بالله . رفقا بنايا أستاذ المنطق والفلسفة

١٩ — قال الخطيب فى : «يسألونك ماذا ينفقون الخ» : أجيبوا ببيان المصرف . فقلت أنا فى شرحى ما نصه : رواية سبب النزول أنهم سألوا عنه وعن المصرف فلا تكون الآية على هذا من تلقى السائل بغير ما يتطلب. فنقدنى الاستاذ الكبير بأن الواجب الأخذ بظاهر الرواية لأن أسباب النزول فيهـــا كلام كثير الخ . مؤاخذة جبارة مثل عقل استاذنا الجبار

٢٠ — وقلت عن البيتين : « أتت تشتكى عندى مزاولة القرى الخ » ما نصه : لعلهما لحاتم ، فقال الناقد : ان طريقة لعل لم تسمع الا من الاستاذ . وكنت أريد من ناقدنا أن يقول لا بل هما لغير حاتم ، واذا كان شراح الشواهد لم يتعرضوا لقائلهما فقلت « لعلهما لحـــاتم » فما خطأ ذلك ، ولست أنا من الذين ينسبون الشواهد لغير قائليها كما يفعل ناقدنا الجليل

٢١ — وقال صاحب الايضاح: «واعلم ان الفعل المبنى للفاعل فى المجاز العقلى واجب ان يكون له فاعل فى التقدير اذا أسند إليه صار الاسناد حقيقة»، فشرحت وحللت كلام العلماء فى هذا كعبد القاهر والرازى والسكاكى . فكان ذلك شيئا لا داعى له عنده لأنها كما يقول زيادة للتعقيد والتحريف

٢٢ — وذكر قولى فى نحو رجـــل مانصه : « قيل انه وضـــع للفرد المنتشر بناء عليه فلا تعين فى مدلوله » ، وعلق على ذلك بكلام طويل . ولم يرشده عقله الى خطأ مطبعى ظاهر حتى للأطفال ، ولكنه لا يهتدى إلى البدهيات والى أن الكلام « وبناء عليه الخ »

٢٣ — ويقول نقدا لى فى تعليقى على قول امرىء القيس: «تطاول ليك بالأثمد الخ » ما نصه : وقد قيل ان مذهبهما — أى السكاكى والزمخشرى — فى الالتفـات واحد كما ذكر الاستاذ — يريد خفاجى — ، ولكن هـذا لا يؤخذ من رأيهما فى هذه الابيات لأن السكاكى صرح بان فى كل بيت منها التفات [نسى صاحب النحو

الجديد أن يقول: التفاتا لأنه اسم ان] ، والزمخشرى لم يصرح بذلك الخ. ولا أدرى معنى هذا الكلام الأجوف الفارغ الذى ينطق عن عدم فهم للموضوع. ولطول الكلام عليه أحيل القارىء الى كتابه لفهمه وفهم سقطة اللوذعى العبقرى عافاه الله وشفاه

٢٣ — ومن أخطائى الفظيعة عنده قولى فى شرحى : « فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها الثبوت .. وقد تفيد الدوام أى بالقرينة ومن حيث العدول عن الفعل إليه » ، لأنه ليس هناك مرجع للضمير . ولعله لم يفهم أن الضمير عائد الى الاسم بدلالة « الاسمية »

٢٤ — ويقول الخطيب فى تنكير المسند : وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انحطاطه» . فقلت فى شرحى : «وفى شرح السعد : أو للتفخيم نحو هدى للمتقين أو للتحقير نحو ما زيد شيئا ، وهما عبارتان متقاربتان » . فقال ناقدنا : مثل هذا لا يقبل من الاستاذ لأن النكتتين متحدتان . فلم يفهم مغزى كلامى من تقارب العبارتين ، ورد على باتحاد النكتتين . ولعله لا يفهم الفرق بينهما

٢٥ — ومن طريف نقده وعجيب مآخذه ما نذكره لك : البيت :

ان التى ضربت بيتـــا مهاجرة بكوفة الجند قد غالت ودها غول

جاء فى الاستدراك المنشور فى آخر الجزء الثانى من شرحى : قد غالت صحتها غالت . فقال ناقدنا : «يشير بهـــذه الزيادة - قد - الى تحقيق الخبر وان كانت مخلة بوزن البيت ولكنه تنبه هنا الى أنها تخل بالوزن فاشار الى زيادتها فى التصحيحات وانى ارجح انه زاد ذلك عمدا لا سهوا» . عافاك الله ياسيدى البروفيسير الكبير ، فالصفحة التى ملأت بها هذا النقد كانت فى حاجة الى توفير

٢٦ - وقلت عن قول الخطيب فى تعريف المسند اليه بالأشارة لصحة إحضاره فى ذهن السامع بواسطة الاشارة اليه حسا: لتمييزه أكمل تمييز لغرض من الأغراض كالمدح وغيره فكان ذلك خطأ كبيرا عند مولانا الكبير. ولم يفهم أن عبارتى شرح لصحة الاحضار أو بيان لغايتها

٢٧ — وذكرت أن تعريف المسند إليه بالاشارة يبحث عنه فى علم المعانى من جهة غير الجهة اللغوية ، واستشهدت بكلام لعبد القاهر نصه : « علم البلاغة هو على الجملة بحيث ينتق لك من علم الاعراب خالصه ولبه » . فقال ناقدنا : وفى رأيى أن استعمال اسم الاشارة فى ذلك ليس من خالص علم الاعراب ولبه الخ ولا أدرى أهذا نقد لكلامى أم لكلام عبد القاهر . ؟

٢٨ — ويقول ناقدنا فى ص ٦٥ من نشرته : وعلق الاستاذ على قول الايضاح « جاءنى زيد لا عمرو » بقوله : لمن اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد الخ مع أن الإيضاح قال مثل هذا بعد المثال الذى علق عليه الاستاذ . ونص كلامى لمن اعتقد أن عمرا جاءك دون زيد فيكون قصر قلب أو أنهما جاءاك جميعا فيكون قصر افراد الخ . فما الخطأ فى ذلك التوضيح لاجمال الخطيب وفى هذا التنصيص على الفرق بين الوجهين .

٢٩ — ويقول السعد فى المطول ص ٤٦ فى شرح « تنزيل المخاطب العالم بالفائدة ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم » ما نصه : « فان من لا يجرى على مقتضى العلم هو الجاهل سواء كما يقال للعالم التارك للصلاة الصلاة وللسائل العارف بما بين يديك ما هو : « هو الكتاب » ؛ ومثله : هى عصاى فى جواب « وما تلك بيمينك » ، اهـ كلام المطول . فقلت ذلك فى شرحى ، فقال الناقد الكبير : فكأن موسى نزل المولى منزلة الجاهل عند الاستاذ . وأمر ناقدنا الكبير عجيب وأعجب منه أنه أستاذ الفلسفة والمنطق ، ولو استشار هذان العلمان لقالا له : « المعنى : ومثله فى الأسلوب لا فى التنزيل ، مثلا .

٣٠ — وملاحظته على كلامى عن ثعلب وابن المعتز ومنزلتهما فى دراسات البلاغة لا رد لى عليها ، لأن ناقدنا لا يفهم مثل هذا النحو من البحوث .

٣١ — ومن طريف نقده قوله: وذكر بيت الفرزدق «ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا الخ ، وفسر البيت بالكعبة أو بيت الشرف والصحيح أن البيت بيت الشرف لا الكعبة .

٣٢ — والمبرد فى الكامل يعرض لاسلوب القلب، وليس فيه تخصيص جوازه للمتقدمين . ولكن الآمدى يذكر فى الموازنة ان اسلوب القلب قاصر على المتقدمين عند المبرد فذكرت كل ذلك فى شرحى فكان ذلك تناقضا كبيرا عند مولانا الفيلسوف الشهير . ولعله لا يعلم أنى أضع النصوص أمام القارىء ليبحث كلام الآمدى ويراجع البحث فى مراجع واسعة غير الكامل لعله يظفر بما يؤيد كلام الامدى

٣٣ — وشرحت قول الايضاح : الا ملكا يعنى هشاما ، بقولى : أى رجل أعطى الملك والمال يعنى هشاما ، فقال : وهو كتفسير الماء بالماء

٣٤ — والملابسة بين الفاعل الحقيقى والمجازى فى المجاز العقلى وتحقيق معناها أهى المشابهة بينهما كما ارتضاه العلماء أم هى التعلق والارتباط كما هو ظاهر كلام بعضهم . كل ذلك بحث لا يرضى الشيخ ، وهو غير صحيح عنده ، ولم يدر أن اختيارى لأنها هى المشابهة بينهما هو حقيقة كلام عبد القاهر والزمخشرى والسكاكى فهو لا يخطئنى وحدى وانما يخطىء هؤلاء . ويقول : السكاكى وحده هو الذى جعل علاقة المجاز العقلى هى المشابهة فى الاستعارة وما وقع من غيره من ان العلاقة فى المجاز العقلى هى المشابهة فى الملابسه فلا يريد بها المشابهة المعتبرة فى الاستعارة .. مسكين أنت يا سيدى الشيخ

٣٥ - وقال ما نصه : علق على قول رؤبة : كأن لون ارضه سماؤه، بعد أن زاد عليه فى الايضاح قوله : ومهمه مغبرة ارجاؤه , فقال بعد شرح المفردات : والشاهد المصراع الاخير فانه من باب القلب والمعنى كأن لون سمائه لغبرتها لون ارضه ، وهذا هو ما علق به عليه الأيضاح فلا معنى لذكره ، وقد نسى هنا أن يضع ما زاده فى الايضاح بين قوسين على عادته فصار من الايضاح بلا اشتباه . فنجد ناقدنا :

١ — ذكر هذا النقد فى التحريفات فكرر

٢ — ادعى انى زدت ومهمه الخ على الايضاح . وكان يجب ان يحاسب نفسه على هذه الزيادة اذ وردت فى صلب كلام الايضاح فى شرحه (١٦٢ ج ١ شرح الصعيدى ١٩٣٥) ومن الجدير بالذكر أنه ليست هناك زياده على الأيضاح ولاشبهها

٣ ـ نسى الناقد الكبير ان الايضاح لم يحدد موضع الشاهد فحددته وذكرت سبب كونه شاهدا وإن اتفق جزء من كلامى مع كلام صاحب الايضاح ..

ومن الظريف أنى فى شرحى ابسط الكلام على الآراء بسطا كافيا ، فلا يجد ناقدنا مجالا للنقد الا ان ياتى بعبارات الحواشى التى يقول انه ينفر منها فيقيسها على عبارتى ليرى ما بين العبارات من زيادات أو نقص !!

٣٦ ـ وحين كلامى على إيراد المسند اليه علما للكناية ذكرت رأى الخطيب والسكاكى فى تعريف الكناية فكان ذلك خطأ لا يغتفر

٣٧ ـ وخصص صفحة لنقد كلامى على قول الايضاح ، فالجمع بينهما بحمل كلامه حيث نفى انها من صفات اللفظ على نفى انها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ، دون أن يفهم شيئا عن الموضوع والخلاف فيه

ومن الظريف انه يعلق على قولى : ويقول عبد القاهر فى الدلائل ، بما نصه : يعنى الاستاذ دلائل الاعجاز لا دلائل الخيرات

وحين أنقل رأيا لعبد القاهر لأعقد الموازنة بين كلامه وكلام الخطيب يكون يكون ذلك تكرارا فظيعا

وأخيرا

وبعد فليس هنا بعد ذلك مجال الافاضة فى الرد على أخطاء ناقدنا الكبير ومدى فهمه للبلاغة ومسائلها، فلنختم ذلك الآن، وسنعود إلى الموضوع فى الفرص العزيزة التى يتيحها لنا مولانا الاستاذ الأجل كلما طبع نشرة أو أبدى رأيا ساقطا.

وبالله التوفيق ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

علم البيان

الفن الثانى

(١) علم البيان

---

(١) الفن عبارة عن الألفاظ فان جعل علم البيان عبارة عن المسائل احتيج لتقدير مضاف أى مدلول الفن الثانى علم البيان أو الفن الثانى دال علم البيان. وإن جعل علم البيان عبارة عن الملكة أو الادراك احتيج لتقدير مضاف آخر وهو « متعلق ».

وقدم علم المعانى على علم البيان لما سبق فى علم المعانى وهو أن مفاد علم المعانى من مفاد علم البيان بمنزلة المفرد من المركب لأن رعاية المطابقة لمقتضى الحال التى هى مرجع علم المعانى معتبرة فى علم البيان مع زيادة شىء آخر هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة. قال ابن يعقوب: وفيه نظر لأن إيراد المعنى الواحد بطريق من الطرق التى يقبلها لا يستلزم المطابقة لذاته، فلا توقف؛ بل المتبادر أن مفاد البيان هو الذى يتنزل من مفاد المعانى منزلة الجزء من الكل لأنه للاحتراز عن التعقيد المعنوى الذى تتحقق به الفصاحة التى هى جزء من البلاغة

وقدم علم البيان على البديع للاحتياج إليه فى نفس البلاغة لأنه يحترز به عن التعقيد المعنوى وهو شرط فى الفصاحة التى هى شرط فى البلاغة وشرط الشرط شرط، والاحتراز المذكور لا يتيسر لغير العرب العرباء إلا بهذا العلم؛ والبديع لا تعلق له بالبلاغة إنما يفيد حسنا عرضيا للكلام البليغ فهو من توابع البلاغة، وقال بعضهم هو من تتمة المعانى، وقيل من تتمة البيان

هذا وراجع تعريف علم البيان فى المفتاح ص ٧٠ و ١٤٠

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد [١] بطرق مختلفة [٢] فى وضوح الدلالة عليه [٣]

---

(١) قوله « علم » أى ملكة يقتدر بها على ادراكات جزئية ، أو اصول وقواعد معلومة ، والسعد سوى هنا بين معنيي العلم وفى « الفن الأول » رجح المعنى الأول ، ويرجح الدسوقى المعنى الثانى

وقوله « يعرف به » أى برعايته

وقوله « إيراد المعنى الواحد » أى المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، فاعتبار علم البيان انما هو بعد اعتبار علم المعانى لأن علم المعانى يعرف به إيراد المعنى بكلام مطابق لمقتضى الحال وعلم البيان هو علم يعرف به ايراد المعنى بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة ، مثلا اذا كان المخاطب منكرا كون زيد مضيافا فالذى يقتضيه الحال بحسب المقام جملة مفيدة لرد الأنكار سواء كان افادتها إياه بدلالة واضحة أو أوضح أو أخفى نحو إن زيدا لمضياف أو لكثير الرماد فافادتها لذلك المعنى بدلالة المطابقة كالمثال الأول من وظيفة علم المعانى وإفادتها له بغيرها من وظيفة علم البيان

(٢) أى بتراكيب مختلفة

ملاحظة

فائدة علم البيان فهم ما فى الكلام العربى من المجاز والكناية والتشبيه للوقوف على أسرار بلاغته وللقدرة على الأتيان بما يشبهها فى الاسلوب

أو نقول أن فائدته هى الاحتراز عن التعقيد المعنوى بشتى صوره

(٣) أى على ذلك المعنى سواء كانت تلك الطرق من قبيل التشبيه أو المجاز أو الكناية ، بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة وبعضها أوضح ، والواضح خفى بالنسبة الى الاوضح ، فلا حاجة الى تقدير كلمة « وخفائها » بعد ذلك كما فعل الخلخالى الذى قدر كلمة الخفاء =

ودلالة [١] اللفظ إما على ما وضع له [٢] أو على غيره

= وتقييد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ، أى ليخرجها عن كونها جزء من مسمى علم البيان وإلا فالمعرفة بالنسبة لمعنى واحد لا يصدق عليها الحد استقلالا لأن المراد بالمعنى جميع المعانى الداخلة . ثم اختلاف الطرق فى الوضوح كما يكون باعتبار قرب المعنى المجازى وبعده من المعنى الحقيقى يكون بوضوح القرينة المنصوبة وخفائها واللام فى المعنى الواحد للاستغراق العرفى أى كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وإرادته فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا « زيد جواد » بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان .

ثم الغرض من معرفة هذا الايراد ان يحترز المتكلم عن الخطأ فى تأدية الكلام بحيث لا يورد من الكلام ما يدل على مقصوده دلالة خفية عند اقتضاء المقام دلالة واضحة أو واضحة عند اقتضائه دلالة خفية أو أوضح عند اقتضائه دلالة متوسطة فى الوضوح والخفاء أو عند اقتضاء المقام دلالة اوضح أو أخفى

ثم لما لم تكن كل دلالة قابلة للوضوح والخفاء بل منها ما لا يكون الا واضحا كالوضعية ومنها ما يقبل الوضوح والخفاء كالعقلية اراد أن يشير الى تقسيم الدلالة وتعيين ما هو المقصود هنا فقال « ودلالة اللفظ الخ »

(١) الدلالة هى كون الشىء بحيث يلزم من العلم به العلم بشىء آخر والأول الدال والثانى المدلول

والدال ان كان لفظا فالدلالة لفظية وإلا فغير لفظية كدلالة الخطوط والعقود والأشارات والعلامات المنصوبة

ثم الدلالة اللفظية إما وضعية بأن يكون للوضع مدخل فيها بأن يكون سببا تاما فيها كما فى المطابقية أو جزء سبب كما فى التضمنية والالتزامية؛ وإما غير وضعية كالدلالة اللفظية العقلية أو اللفظية الطبيعية ، والأولى (الوضعية) هى المقصودة بالنظر ههنا من حيث تقسيمها إلى تضمنية والتزامية ومطابقية وهذا لا ينافى أن المقصود =

والثانى [١] اما داخل فى الاول ، دخول السقف فى مفهوم البيت ، والحيوان فى مفهوم الانسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف ، أو الضاحك عن مفهوم الانسان

وتسمى الأولى [٢] دلالة وضعية [٣] وكل واحدة من الاخيرتين [٤] دلالة عقليه [٥]

= بالذات فى هذا الفن هو الدلالة العقلية لا الوضعية لأن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتى بالوضعية فالمراد بالدلالة السابقة فى التعريف الدلالة العقلية

(٢) الدلالة الوضعية هى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى المطابقى أو التضمنى أو الالتزامى عند إطلاق اللفظ عن القرائن

هذا وراجع بحث الدلاله فى المفتاح ص ١٤٠ و ١٤١

(١) وهو دلالة اللفظ على غير ما وضع له

(٢) وهى دلالة اللفظ على تمام ما وضع له

(٣) لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام المعنى لا لجزئه ولا للازمه

(٤) أى الدلالة على الجزء والخارج

(٥) لتوقف كل منهما على أمر عقلى زائد على الوضع . لأن دلالة اللفظ على كل من الجزء والخارج إنما هى من جهة حكم العقل لا من جهة الوضع وحده للجزء أو اللازم فلا ينافى أنه من جهة العقل والوضع معا وإنما اقتصر على العقل فى بيان التسمية لأنه سبب قريب للوضع بخلاف الوضع فانه سبب بعيد . فالعقل يحكم بأن حصول الكل فى الذهن أو الخارج .. وهو المعنى المطابقى - أو الملزوم يستلزم حصول الجزء اللازم

والمنطقيون يسمون الثلاثة دلالة وضعية باعتبار أن للوضع مدخلا فيها ويخصون العقلية سواء كانت لفظية أولا بما يقابل الوضعية والطبيعيه كدلالة =

وتختص الاولى بدلالته المطابقة [١] ، والثانيه بالتضمن [٢] ، والثالثة بدلالة الالتزام [٣]

= الدخان على النار. والآمدى يجعل التضمنية وضعية كالمطابقية ويجعل الالتزامية عقلية . قال بعض البلاغيين : والظاهر أن كلا من الدلالتين الأخيرتين لا يصدق عليها أنها مجاز إذ ليس اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة

(١) لتطابق وتوافق اللفظ والمعنى

(٢) لكون الجزء المفهوم من اللفظ فى ضمن المعنى الموضوع له، فهو بالقياس إلى جزئه تضمن وأما إذا استعمل اللفظ فى الجزء مجازا كان فهمه منه مطابقة لأنه تمام ما وضع له بالوضع الثانوى المجازى ، وقال بعضهم إن التضمن فهم الجزء من اللفظ مطلقا سواء استعمل اللفظ فيه أو فى الكل واختاره السيد ضرورة أنك إذا استعملته فى الجزء فلعلاقة الجزئية فما زالت الجزئية ملاحظة . وهذا الخلاف جار فى دلالة الالتزام أيضا فقيل انها فهم اللازم فى ضمن الملزوم وقيل فهم اللازم مطلقا

(٣) لكون الخارج لازما للموضوع له

ملاحظة

التضمنية دلالة اللفظ على جزء ما وضع له

والالتزام دلالة اللفظ على لازم مسماه

فان قيل إذا فرضنا لفظا مشتركا اشتراكا لفظيا بين الكل وجزئه وبين الملزوم ولازمه كلفظ الشمس المشترك مثلا بين الجرم والشعاع وبمجموعهما أى وضع للجميع بوضع وللجزء بوضع وللازم بوضع ، فاذا أطلق لفظ شمس على المجموع مطابقة واعتبر دلالته على الجرم تضمنا - باعتبار الوضع للمجموع - وعلى الشعاع التزاما لا باعتبار الوضع للمجوع بل باعتبار وضع آخر وهو وضع الشمس للجرم فقط ، فقد صدق على هذا التضمن والالتزام أنها دلالة =

وشرط الثانية [1] اللزوم الذهنى [2] ، أعنى أن يكون حضول

= اللفظ على تمام الموضوع له وإن كان ذلك الصدق بالنظر لوضع آخر وهو الوضع لكل واحد منهما على حدته ، وإذا أطلق على الجرم أو الشعاع مطابقة صدق عليها أنها دلالة اللفظ على جزء الموضوع له - نظرا لوضع الشمس للمجموع - أو على لازمه بالنظر لوضعها للجرم وحده . وحينئذ ينتقض تعريف كل من الدلالات الثلاث بالدلالتين الأخريين فيكون التعريف غير مانع

فالصور المذكورة أربع : وهى انتقاض المطابقة بكل من التضمن والالتزام وانتقاض كل من التضمن والالتزام بالمطابقة . وبقى صورتان : انتقاض التضمن بالالتزام وعكسه ، كأن أطلق الشمس على الشعاع التزاما بالنظر لوضعه للجرم وحده فقد صدق عليه أنه دلالة اللفظ على جزء معناه بالنظر لوضع الشمس للمجموع فيكون الالتزام داخلا فى تعريف التضمن . وإذا أطلق الشمس على الشعاع تضمنا بالنظر لوضع الشمس للمجموع فقد صدق عليها أنها دلالة اللفظ على لازم معناه بالنظر لوضع الشمس للجرم وحده فيكون التضمن داخلا فى تعريف الالتزام وبهذا تمت الصور الست

والجواب أن قيد الحيثية مأخوذ فى تعريف الأمور التى تختلف باعتبار النسب ، فالمطابقة هى الدلالة على تمام ما وضع له من حيث انه تمام الموضوع له . والتضمن هى الدلالة على جزء ما وضع له من حيث انه جزء ما وضع له . والالتزام هى الدلالة على لازمه من حيث انه لازم ما وضع له . وكثيرا ما يتركون هذا القيد اعتمادا على شهرة ذلك وانسياق الذهن إليه

(١) أى الدلالة الالتزامية

(٢) أى كون المعنى الخارجى بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له فى الذهن حصوله فيه : إما على الفور - وذلك فى اللزوم البين - أو بعد التأمل فى القرائن وذلك فى اللزوم الغير البين

وليس المراد باللزوم هنا عدم انفكاك تعقل المدلول الالتزامى عن تعقل =

ما وضع اللفظ له فى الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه، لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون نسبة [ذلك] الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجة (١)

= المسمى فى الذهن أصلا، أعنى اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين ، بل المراد أعم من ذلك والا لخرج كثير من معانى المجازات و الكنايات عن ان تكون مدلولات التزامية ، والمراد بذلك الكثير من معانى المجاز ما عدا الجزء واللازم البين بالمعنى الأخص والمراد بالكثير من معانى الكناية ما كان مفتقرا الى مطلق التأمل فى القرائن

ثم كلام السعد يفهم أن دلالة المجاز على معناه بالالتزام ولكن قيل أنها بالمطابقة وان المراد بالوضع فى تعريف الدلالات أعم من الشخصى والنوعى حتى يدخل المجاز والمركبات

فشرط الالتزام اللزوم الذهنى صاحبه لزوم خارجى أولا ، فاللزوم الخارجى ليس بشرط ؛ والمراد باللزوم الذهنى ما يشمل اللزوم الغير البين وهو ما لا يكفى فى جزم العقل به تصور اللازم والملزوم بل يحتاج ويتوقف على وسائط كلزوم كثرة الرماد للكرم، وما يشمل اللزوم البين بالمعنى الأخص وهو ما يكفى فى جزم العقل به تصور الملزوم والبين بالمعنى الاعم وهو ما يجزم العقل به عند تصور اللازم والملزوم أما عند المناطق فالمراد باللزوم الذهنى هنا اللزوم البين بالمعنى الأخص وقيل المراد البين مطلقا (بالمعنى الأخص أو الأعم)

(١) فتقييد اللزوم بالذهنى اشارة الى انه لا يشترط اللزوم الخارجى — لا استقلالا ولا منضما للذهنى - كالعمى فانه يدل على البصر التزاما لانه عدم البصر عما من شأنه ان يكون بصيرا مع التنافى بينهما فى الخارج . وابن الحاجب ينازع فى اشتراط اللزوم الذهنى فكانه أراد باللزوم الذهنى المنفى اشتراطه فى دلالة الالتزام اللزوم البين بالمعنى الاخص بمعنى عدم انفكاك تعقله عن تعقل المسمى فأتى المصنف

ولا يشترط فى هـذا اللزوم أن يـكون مما يثبتـه العقل ، بل يـكفى أن يـكون مما يثبته اعتقـاد المخاطب إما لعرف [١] أولغيره ، لإمـكان الانتقال حينئذ من المفهوم الاصلى إلى الخارجى

وقد وقع فى كلام بعض العلماء [٢] ما يشعر بالخلاف فى اشتراط اللزوم الذهنى [٣] فى دلالة الالتزام ، وهو بديع جدا ، وإن صح فلعل السبب فيه توهم ان المراد باللزوم الذهنى اللزوم العقلى ، لامكان الفهم بدون اللزوم الذهنى بهذا المعنى حينئذ كما سبق

ثم إيراد المعنى الواحد ـــلى الوجه المذكور [٤] لا يتأتى بالدلالة الوضعية [٥] لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ [٦] لم يـكن بعضها

= بما يدل على أنه ليس المراد باللزوم الذهنى اللزوم البين فقط بل المراد ما يشمل البين وغير البين وذلك بقوله « ولا يشترط الخ »

(١) أى بأن يكون ذلك اللزوم مما يثبته اعتقاد المخاطب وذهنه بسبب عرف عام — إذ هو المفهوم من اطلاق العرف ، والعرف العام هو مالم يتعين واضعه — أو غير العرف العام يعنى العرف الخاص كالشرع واصطلاح أرباب الصنـاعات وغير ذلك كقرائن الاحوال وكالتعريض

(٢) وهو ابن الحاجب

(٣) فيمنع اشتراط اللزوم الذهنى ويعتبر اللزوم مطلقا

(٤) أى بطرق مختلفة فى الوضوح

(٥) أى بالدلالات المطابقية

(٦) أى بوضع كل واحد منها لذلك المعنى

أوضح دلالة من بعض ، والا [1] لم يكن كل واحد منها دالا

---

(٥) أى وإن لم يكن عالما بوضع جميع الالفاظ لم يكن كل واحد من الالفاظ دالا عليه لتوقف الفهم على العلم بالوضع ؛ فلا يوصف إذاً بوضوح الدلالة ولا بخفائها . مثلا إذا قلنا « خده يشبه الورد » فالسامع إن كان عالما بوضع المفردات والهيئة التركيبية — أى بمدلول اسناد « يشبه » إلى « الخد » ؛ بناء على موضوعة — امتنع أن يكون لكلام آخر يؤدى هذا المعنى بطريق المطابقة دلالة أوضح أو أخفى لانه إذا أقيم مقام كل لفظ مايرادفه مثل « وجنته تماثل الورد » فالسامع إن علم وضع هذه المفردات فلا تفاوت فى الفهم وإلا لم يتحقق الفهم ، وعلى كلا التقديرين لم يكن تفاوت فى الدلالة وضوحا وخفاء

ملاحظة :

الدلالة المطابقية يندرج فيها دلالة سائر المجازات مرسلة كانت اولا ، لانها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له بالوضع النوعى بناء على ان المراد بالوضع فى تعريف المطابقة اعم من الشخصى والنوعى فليست دلالة المجاز على معناه تضمن أو التزام بل مطابقة اذ المراد بالوضع فى الدلالات الثلاث أعم من الجزئى الشخصى كما فى المفردات والكلى النوعى كما فى المركبات وإلا لبقيت دلالة المركبات خارجة عن الاقسام ، والمجاز موضوع بازاء معناه بالنوع

وقيل ان دلالة المجاز ليست وضعية أى مطابقية لأن الوضع المعتبر شخصيا أو نوعيا تعيين اللفظ نفسه بازاء المعنى بلا واسطة قرينة لا تعيينه مطلقا بازائه فانتفى الوضع مطلقا فى المجاز فدلالته تضمنية أو التزامية نظرا الى تحقق الفهم ضمنا فتكون عقلية كدلالات المركبات على موضوعها

وإنما يتأتى بالدلالات العقلية [١] لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما [٢] من بعض

---

(١) وهى التضمن والالتزام

(٢) المراد باللزوم ما يشمل لزوم الجزء للكل فى التضمن ولزوم اللازم للملزوم فى الالتزام

فيجوز ان تختلف مراتب لزوم الاجزاء للكل فى التضمن كالحيوان والجسم النامى والجسم المطلق والجوهر التى هى أجزاء للانسان ، وان تختلف مراتب لزوم اللوازم — التى هى المدلول الالتزامى — للملزوم فى دلالة الالتزام

واختلاف مراتب اللزوم فى الوضوح فى دلالة الالتزام ظاهر فانه يجوز أن ان يكون للملزوم لوازم متعددة بعضها اقرب اليه من بعض واسرع انتقالا من ذلك الشيء إليه ، أى الى ذلك البعض ، لقلة الوسائط فيمكن تأدية الملزوم كالكرم مثلا بالألفاظ الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوحا وخفاء . وكذا يجوز ان يكون للازم ملزومات — هذا إذا استعمل لفظ الملزوم لينتقل منه الى اللازم كما فى المجاز وكما فى الكناية على مذهب المصنف — لزومه لبعضها اوضح من اللزوم للبعض الآخر فيمكن تأدية اللازم بالالفاظ الموضوعة للملزومات المختلفة وضوحا وخفاء

وأما اختلاف مراتب اللزوم وضوحا فى التضمن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جزءا من شيء وجزء الجزء من شيء آخر كالجسم فهو جزء من الحيوان وجزء الجزء من الانسان ، فدلالة الشيء كحيوان الذى ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشيء كالانسان الذى ذلك المعنى وهو الجسم جزء من جزئه ، مثلا دلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الانسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه

ويمكن الاعتراض « على أن دلالة الشيء الذى ذلك المعنى جزء منه أوضح من دلالة الشيء الذى ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى » بأن يقال: بل الأمر =

. . . . . .

= بالعكس فدلالة الشيء الذى ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشيء الذى ذلك المعنى جزء منه عليه فدلالة إنسان على الجسم أوضح من دلالة حيوان عليه على عكس ما ذكرتم من أن دلالة حيوان عليه أوضح : لأن فهم الجزء سابق على فهم الكل وما كان أسبق فى الفهم فهو أوضح ، وقولنا « سابق على فهم الكل » أى وحينئذ فيكون فهم جزء الجزء سابقا على فهم الجزء لكونه كلا بالنسبة إلى جزء الجزء

و الجواب أن المراد بالتضمن هنا انتقال الذهن إلى الجزء — أى المراد من اللفظ على حدة لا فى ضمن الكل — وملاحظته بعد فهم الكل، وكثيرا مايفهم الكل من غير التفات إلى الجزء كما ذكره ابن سينا فى الشفاء قال : « يجوز أن يخطر النوع — أى كالإنسان — بالبال — أى على سبيل الإجمال لا التفصيل — ولا يلتفت الذهن إلى الجنس — الذى هو جزء من النوع كالحيوان

ملاحظات

١ — المراد بالاختلاف فى الوضوح أن يكون ذلك بالنظر لنفس الدلالة ودلالة الالتزام كذلك لأنها من حيث إنها التزام قد تكون واضحة كما فى اللوازم القريبة وقد تكون خفية كما اللوازم البعيدة ، بخلاف المطابقة فان فهم المعنى المطابقى واجب قطعا عند العلم بالوضع والتفاوت فى سرعة الحضور وبطئه إنما هو من جهة سرعة تذكر السامع للوضع وبطئه

٢ — السبب فى الوضوح فى دلالة الالتزام إما كون اللزوم ذهنيا بينا تستوى فيه العقول وإما قلة الوسائط عند ضميمة كثرة الاستعمال ، والسبب فى الخفاء كثرة الوسائط المحوجة لمزيد التأمل لقلة الاستعمال

٣ — المراد هنا باللازم التابع وبالملزوم المتبوع وإلا لم يصح كلامه لأن دلالة الالتزام مؤدية للازم بلفظ الملزوم لا العكس . وقيل إن كلامه على مذهب السكاكى فى الكناية بأن الانتقال فيها عنده من اللازم للملزوم بعكس المجاز =

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له [١] ان قامت [٢] قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز وإلا [٣] فهو كناية [٤]

= ٤ — دلالة التضمن والالتزام المرادة هنا فى هذا الفن لا بد أن تكون مقصودة مرادة أى قصد من اللفظ نفس الجزء أو اللازم وأما إذا اتفق ان فهما من الكل أو الملزوم فلا يكون ذلك من التضمن والالتزام المراد هنا وإنما يكون كذلك عند المناطقة فلا يكون من المجاز ولا من الكناية المبنيين على التضمن والالتزام هنا

٥ — قال السعد بعد انتهاء هذه المقدمة المذكورة قبل بحث التشبيه : « هذا هو الكلام فى شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى وأنت خبير بما فيه من الاضطراب . والأقرب أن يقال علم البيان يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الابحاث التى أوردها فى صدر هذا الفن »

وهو كلام جميل

(١) فى هذا الكلام اشارة الى أنه لا بد فى المجاز والكناية من قرينة لتعيين المراد غير أنها مانعة من إرادة المعنى الموضوع له فى المجاز دون الكناية

وفيه إشارة أيضا إلى أن دلالتى الالتزام والتضمن لابد أن تكون كل منهما مقصودة من اللفظ، ففى المجاز يراد باللفظ الجزء أو اللازم فقط بأن توجد قرينة مانعة من إرادة المعنى المطابق ، وفى الكناية يراد اللازم أو الجزء لكن مع صحة إرادة المعنى المطابق لكون القرينة لا تمنع إرادته ، فان أطلق لفظ الكل أو الملزوم على كل منهما واتفق أن فهم من الأول جزؤه ومن الثانى لازمه فليس من الكناية ولا من المجاز

(٢) أى دلت

(٣) بأن وجدت قرينة دالة على ارادة اللازم إلا أنها غير مانعة

(٤) فعند المصنف الانتقال فى المجاز والكناية كليهما من الملزوم إلى اللازم إذ =

ثم المجاز منه الاستعارة وهى ما تبتنى على التشبيه[١] فيتعين التعرض له[٢]

فانحصر المقصود فى : التشبيه[٣]، والمجاز والكناية

وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التى هى مجاز على التشبيه

وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل

= لادلالة للازم من حيث إنه لازم على الملزوم، إلا أن إرادة المعنى الموضوع له بالتبع لا بالذات جائز فى الكناية دون المجاز

هذا وقد قدم المجاز على الكناية لأن معنى المجاز كجزء معنى الكناية لأن معنى المجاز هو اللازم فقط ومعنى الكناية يجوز أن يكون هو اللازم والملزوم جميعا وإن كان القصد الاصلى منها إلى اللازم ، والجزء مقدم على الكل ، فقدم المجاز على الكناية، وإنما قلنا «كجزء معناها» لظهور أن ليس المجاز جزء معناها حقيقة فان معنى الكناية ليس هو مجموع اللازم والملزوم على الجزم بل هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم ، فالمجزوم فيها إنما هو إفادة اللازم وأما الملزوم فيجوز أن يراد وأن لايراد لا أنه يراد قطعا

(١) وهى التصريحية التحقيقية والمكنيه على مذهب الجمهور والتخييلية عند السكاكى ففى هذه الانواع شبهنا ثم بالغنا فى التشبيه وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به فاستعرنا له اسمه (٢) أى للتشبيه

(٣) قدم التشبيه على المجاز لانه لما كان أحد أقسام المجاز وهو الاستعارة مبنيا على التشبيه ناسب ذكر التشبيه قبل المجاز مطلقا مبنيا على التشبيه ام لا

ولما كان فى التشبيه مباحث كثيرة وفوائد جمة لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة بل جعل مقصدا برأسه . وقديقال إن البيانيين قد تعرضوا للتشبيه لذاته من حيث توقف الا ستعارة عليه .وقد يقال إنه باب مستقل لذاته لان الاختلاف فى وضوح الدلالة موجود فيه فهو من الفن قصدا وان توقف عليه بعض أبوابه

التشبيه

القول فى التشبيه[1]

التشبيه[2] الدلالة على مشاركة أمر[3] لآخر[4] فى معنى[5]

والمراد بالتشبيه ههنا[6] مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقيه[7]

---

(١) ملاحظات

١ — راجع ذكر طرفى التشبيه على وجه ينبىء أو لا ينبىء عن التشبيه فى الشروح [١٧١ و١٧٢، ج ١ ، وفى « فصل حسن الاستعارة » فى الشروح أيضا]

٢ — التشبيه الضمنى بسميه العسكرى بالاستشهاد والاحتجاج [راجع ٤٠٣ صناعتين]

٣ — يحقق السبكى أن التشبيه حقيقة ويرد على من يقول إنه مجاز [راجع ٢٩٠ ج ٣ السبكى] - وراجع حقيقة التشبيه أيضا عند السبكى [٢٩٤ ج ٣ السبكى]

(٢) أى مطلق التشبيه وهو التشبيه اللغوى أعم من أن يكون على وجه الاستعارة بالفعل أو بالصلوحية مثل زيد كالأسد أو غير ذلك كالتشبيه المضمر كما فى بعض صور التجريد ، يعنى أن معنى التشبيه فى اللغة هو الدلالة الخ

(٣) وهو المشبه

(٤) وهو المشبه به

(٥) أى فى وصف وهو الشبه الجامع بين الطرفين المشترك بينهما . وهذا شامل لمثل « قاتل زيد عمرا » و « جاءنى زيد وعمرو » مما هو تشبيه لغوى فكان الواجب أن يزيد « بالكاف ونحوها لفظا أو تقديرا » لاخراج مثل هذا

(٦) أى المصطلح عليه فى علم البيان

(٧) مثل رأيت أسدا يحارب الأعداء

ولا الاستعارة بالكناية [١] ، ولا التجريد [٢]

فدخل فيه ما يسمى [٣] ، تشبيها بلا خلاف وهو ما ذكرت فيه

---

(١) وهى التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه بلفظ يدل عليه عند المصنف أو لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء عند السكاكى أو لفظ المشبه به المطوى المرموز إليه بذكر لازمه عند الجمهور مثل أنشبت المنية أظفارها

(٢) التجريد قسمان : ١ — أن ينتزع من الشىء شىء آخر مساو له فى صفاته للمبالغة فى ذلك الشىء حتى صار بحيث ينتزع منه شىء آخر مساو له فى صفاته مثل لهم فيها دار الخلد وهذا ليس فيه مشاركة أمر لآخر حتى يحتاج إلى إخراجه

٢ — أن ينتزع المشبه به من المشبه للمبالغة فى التشبيه حتى صار المشبه بحيث يكون أصلا ينتزع منه المشبه به مثل لقيت بزيد أسدا وهذا هو المحترز عنه. وإخراج التجريد المذكور بناء على أنه لا يسمى تشبيها اصطلاحا وقيل أنه تشبيه حقيقة فلا يحتاج لأخراجه وهو رأى السكاكى

فهذه الثلاثة [الاستعارة التحقيقية والمكنية والتجريد] لا يسمى شىء منها تشبيها اصطلاحيا بل هى تشبيه لغوى

أما الاستعارة التخيلية كاثبات الاظفار للمنية فى المثال المذكور فليست فيها مشاركة أمر لآخر فى معنى على رأى المصنف والجمهور فهى عندهم حقيقة وليس لفظ الأظفار مجازا أصلا إذ المراد بالأظفار ههنا معناها الحقيقى والتجوز فى إثباتها للمشبه فالتخييلية عنده مجاز عقلى ولذا لم يخرجها وأما عند السكاكى فالتجوز فى نفس الأظفار فهى داخلة فى الجنس

فالتشبيه الاصطلاحى هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر فى معنى — هو وجه الشبه ولا بد أن يكون له زيادة اختصاص بهما وقصد اشتراكهما فيه — بأداة لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد

(٣) أى فى التشبيه الاصطلاحى

أداة التشبيه ، كقولنا زيد كالاسد ، أو كالاسد بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يسمى تشبيها على المختار كما سيأتى ، وهو ما حذفت فيه اداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه أو فى حكم (١) الخبر ، كقولنا زيد أسد ، وكقوله تعالى صم بكم عمى ، أى هم (٢) ، ونحوه

---

(١) أى من حيث افادة الاتحاد وتناسى التشبيه كما فى الحال والصفة والمضاف والمفعول الثانى فى باب علمت وكونه مبينا له

(٣) فالمحققون على أن مثل ذلك تشبيه بليغ لا استعارة لأن الاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له - وهو المشبه كالرجل الشجاع فى رايت أسدا ، وطى المستعار له انما هو فى التصريحية لا المكنية — ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه — المشبه به المستعار منه — والمنقول اليه لولا دلالة الحال - وهى القرينة الحالية - أو فحوى الكلام وهى القرينة المقالية. وقولنا «لولا دلالة الحال أو الفحوى راجع للأول اعنى ارادة المنقول عنه فهو شرط فيه لأن القرينة حالية أو مقالية مانعة من ارادة المنقول عنه أعنى المعنى ، الحقيقى ويلاحظ انه عند عدم القرينة يحمل على المعنى الحقيقى (المنقول عنه) لأنه لا يراد به المنقول اليه الا بواسطة القرينة . وقيل عند عدمها يجوز حمل اللفظ على المعنى الحقيقى والمجازى . وممن حمل هذا على التشبيه السكاكى [١٥١ مفتاح] وعبد القاهر (٢٧٧ - ٢٨٨ أسرار البلاغة)

هذا وقد أدعى بعضهم أن مثل زيد اسد ، استعارة بناء على ان حمل الاسد عل زيد لا يصح الا بادخاله فى جنس الاسد المعلوم كما فى الاستعارة وعلى هذا فلا يدخل فى تعريف التشبيه ؛ وجوز السعد ان يكون من باب الاستعارة ولكن ادعى ان المشبه ليس زيدا بل كليه وهو الرجل الشجاع

قول من يخاطب الحجاج [1]

أسد على ؛ وفى الحروب نعامة فتخاء ، تنفر من صفير الصافر

---

(١) هو عمران بن حطان من شعراء الخوارج . فتخاء من فتخ كفرح : استرخت مفاصله ولانت فهو أفتح وهى فتخاء

ملاحظات :

١ — التشبيه ليس بكذب - راجع رد عمران بن حطان على امر أنه فى ذلك فى ٨٨ ج ٢ كامل المبرد

٢ صور التشبيه كثيرة :

منها مثل : زيد كالبحر بالأداه

ومثل : زيد بحر بحذف الاداه وجعل المشبه به خبرا عن المشبه

ومثل : بدت قمرا بحذفها وجعل المشبه به حالا من المشبه

ومثل: فلان رجل بحر بحذفها وجعل المشبه به صفة المشبه

ومثل: وهى تمر السحاب بحذفها وجعل المشبه به مصدرا مبينا لنوع المشبه

ومثل: ذهب الاصيل باضافة المشبه به الى المشبه

ومثل : الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر «بتبيين المشبه به بالمشبه

٣ — التشبيه عند المبرد اربعة اضرب .

تشبيه مفرط متجاوز كقولهم للسخى هو كالبحر والشجاع هو كالاسد

وتشبيه مصيب كقول النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وتشبيه مقارب

وتشبيه يحتاج الى تفسير كقوله :

بل لو رأتنى أخت جيرانتـــا إذ أنا فى الدار كأنى حمـــار

[٨٧ — ٨٩ ج ٢ الكامل للمبرد]

وكقولنا رأيت زيدا بحراً

واذ قد عرفت معنى التشبيه فى الاصطلاح فاعلم [1] أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة وان تعقيب المعانى به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس الى المقصود بها مدحا كانت أوذما أو افتخارا أو غير ذلك [2] وإن اردت تحقيق هذا فانظر الى قول البحترى :

دان على أيدى العفاة، وشاسع ... عن كل ند فى الندى وضريب

كالبدر أفرط فى العلو وضوءه ... للعصبة السارين جد قريب [3]

أو قول ابن لنكك [4]

اذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا ... رأيت صورته من أقبح الصور

---

(١) راجع ص ٩٢ أسرار البلاغة

(٢) راجع ٩٣ — ٩٦ من الأسرار

(٣) راجع البيتين فى الأسرار ٩٨ و ١١٢ و ٢٧٢ ، وفى الوساطة ٢٠٤ و ٢٠٥

العفاة جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق . الند : المثل والنظير . السارين : السائرون ليلا . جد قريب : بالغى الغاية فى القرب

(٤) تجده فى الأسرار ١٠٠

السمج : القبيح

ملاحظات

١ — يتعلق التمثيل فى مظهرين : =

وهبه كالشمس فى حسن ألم ترنا نفر منها اذا مالت الى الضرر

= أولهما : أن يجىء فى أعقاب المعانى متأثرا لها لايضاحها وتمكينها فى النفوس وتقريرها فى الأفئدة كقول الله عز وجل :

« ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا » بعد أن ذكر الله عز وجل أمر التوحيد منوها به داعيا إليه ناعيا على المشركين سفههم واشراكهم موضحا للدليل النير والبرهان المبين ؛ وكقول الشاعر:

دان على أيدى الصفاة وشاسع عن كل ندفى الندى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

أو قول المتنبى :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ثانيهما أن ترتدى المعانى ثوبه ابتداء ، فتمثل فى صورة من التمثيل رائعة، وتجلى فى معرض من الجمال الأدبى الساحر

وهذا بالنسبة للأول قليل نادر وهو مع قلته كثير فى كتاب الله الحكيم وسنة رسوله الكريم وكلام البلغاء المعجز ؛ ومنه قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه واردف أعجازا ونآء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل

٢ — يقع التمثيل فى جميع أغراض الكلام من مدح وهجاء ، ووصف ورثاء وحجاج واعتذار ، ونسيب وافتخار ، وعظة وشكوى وهو فى كل ذلك ، وسواء وقع فى أعقاب المعانى أو ظهر المعنى فى صورته ابتداء يكسو الكلام بهاء ويكسبه رواء ، يرفع من أمره ، ويضاعف من سحره ، ويدفع إلى الاعجاب به والتأثر منه ، ويستثير عواطف السامع ، ومشاعر القارىء ، ويبعث شغف الأريب ، وكلف الأديب ، وبالتمثيل يشرف المعنى وينبل ، ويفخم المقصود ويكمل ، فيأخذ الكلام =

أو قول ابن الرومى : [1]

بذل الوعد للأخلاء سمحا وأبى بعد ذاك بذل العطاء

فغدا كالخلاف يورق للعـ ـين ويأبى الأثمار كل الأباء

= الحسن من أطرافه ، ويأتى الجمال من أبوابه ، والبلاغة من نواحيها ، والجلالة من مناحيها

فترى التمثيل فى المدح أبلغ فى رفعة الممدوح ، وأظهر لشأنه ، وأملك للبه ، وأهز لعطفه ، فيفيض بالعطاء ، ويؤوب بخالد الثناء ، ويسير ذكره على مر الأيام وتوالى الأحقاب والأجيال

وهو فى الهجاء أوجع وأشد عابا وأحط للشرف وأبقى للمثالب

وفى المناظرة أقهر سلطانا وأبهر برهانا وأسحر بيانا ؛ وفى المفاخرة أبين للمآثر وأجد للمفاخر وأدعى للفوز بقصبات الرهان وخلد الزمان

وفى الاعتذار أسل للموجدة ، وأنفى للوشاية ، وأبعث على الصفح الجميل ، وأدعى للعفو السبيل

وفى الوعظ أهدى سبيلا وأقوم قيلا وأبلغ إرشادا وأمكن للفضائل فى النفوس وأقتل للرذائل فى القلوب

وفى جميع فنون الكلام للتمثيل المثل الأعلى فى السحر ، والمنزلة الرفيعة فى التأثير ، وهل يرى على قول أبى تمام فى المدح :

وإذا أراد الله نشر فضيـلة طويت أتاح لهـا لسان حسود

سمة من السحر لولا قوله بعده :

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

(١) راجعه فى ٩٩ و ١٢٨ من الاسرار

الخلاف : صنف من الصفصاف

أو قول أبى تمام [١]

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

أو قوله أيضا [٢] :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديبا جتيه فاغترب يتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقس [٣] حالك وأنت فى البيت الأول ولم تنته الى الثانى ، على حالك وأنت قد انتهيت اليه ووقفت عليه ، تعلم بعد ما بين حالتيك فى تمكن المعنى لديك : وكذا [٤] تعهد الفرق بين أن تقول: الدنيا لا تدوم وتسكت ، وان تذكر عقيبه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة » ، أو تنشد

---

(١) راجعه فى ص ١٠٠ من الأسرار ، ٢٤٨ ج ١ زهر الآداب

نشرها : اذاعتها . أتاح لها : هيأها . عرف العود : رائحته

(٢) راجعه فى ١٠٦ من الأسرار ٢٨٢٠ من الدلائل ، ١٤٢ ج ٢ البيان - مخلق من أخلق أى أبلى . ديباجتيه: أى صفحتى وجهه. السرمد : الدائم

(٣) راجع هذا فى الأسرار ص ٩٨

(٤) راجع هذا فى الأسرار ص ١٠١

قول لبيد :

وما المال والاهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع (١)

وبين أن تقول: أرى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر، وتقطع الكلام وأن تتبعه نحو قول ابن لنكك : (٢)

فى شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمر

وانظر فى جميع ذلك الى المعنى فى الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه فى الحالة الاولى .. ولذلك أسباب (٣): منها ما يحصل للنفس من الانس: باخراجها من خفى الى جلى كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة، أو باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كما قيل

[نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاول (٤)

أو مما تعلمه الى ما هى به أعلم كالانتقال من المعقول الى المحسوس

---

(١) ١٠٠ من الأسرار، وهو من قصيدة للبيد فى الرثاء

(٢) هو أبو الحسن محمد بن لنكك البصرى . والبيت فى الأسرار ص ٩٩ هذا والكلام على هذا البحث فى المطول ص ٣٣١

(٣) راجع ٢٢٧ من الصناعتين

(٤) البيت لأبى تمـــام — راجعه فى ١٠٢ من الأسرار، ١٧٨ ج ٣ من البيان والتبيين

فانك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر يوم كأقصر ما يتصور، فلا يجد السامع له من الانس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهيم القطا [١] وقول الشاعر :

ظللنا عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفة الذباب [٢]

وكذا [٣] تقول : فلان اذا هم بالشيء لم يزل ذلك عن ذكره وقصر خواطره على امضاء عزمه فيه ولم يشغله عنه شيء، فلا يصادف السامع له أريحية، حتى اذا قلت « إذ هم القى بين عينيه عزمه [٤] » امتلأت

---

(١) الإيهام : الاصبع العظمى جمعه أباهيم، والبهيم الذى لا يخالط لونه شيء سوى لونه، قال جرير :

ويوم كابهام القطاة محبب إلى صباه غالب لى باطله

(٢) البيت فى الأسرار ص ١٠٨، والسالفة : ناحية مقدم العنق والمراد أنه مثلها فى قصرها ومثله البيت :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

(٣) راجع ذلك فى ١٠٨ من الأسرار

(٤) قال سعد بن ناشب وهو شاعر أموى :

إذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

[٢٥ ج ١ شرح الحماسة] . وقال :

إذا هم القى بين عينيه عزمه وصمم تصميم السريحى ذى الأثر

[٢٧٧ ج ١ شرح الحماسة للرافعى)

نفسه سرورا وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه. ومن الدليل [1] على أن

(١) راجع ذلك فى ص ١٠٦ من الأسرار

ملاحظة

تكلم عبد القاهر فى الأسرار بتفصيل على أسباب روعة التمثيل وسحره ؛ ويمكننا أن نوجز بيان ذلك على ضوء كلامه فيما يلى :

يرجع سر سحر التمثيل وقوة تأثيره إلى عدة أسباب :

١ — فالسبب الأول :

هو أنس النفوس بالتمثيل ، لأخراجه إياها من خفى إلى جلى ، ولرده لها من الشىء الذى تعلمه إلى ما هى به أعلم ، كأن ينقلها من المعقول إلى المحسوس . ومن النظرى إلى الضرورى ، ولعود التمثيل بالنفس إلى ما تألفه وتطمئن إليه

ولا ريب أن نقل النفس بالتمثيل من الادراك العقلى ، والعلم النظرى ، إلى إدراك الحواس ، وما يعلم على وجه الطبع والضرورة ، لاريب فى أن فى ذلك إيناسا للنفس ، وطمأنينة لها فيستقر المعنى ويثبت ، ويصير الشك يقينا والخبر عيانا

وفى هذا الأنس البلاغى الذى يكسبناه التمثيل نفى للريب ، وزوال للشك ، فى المعانى الغريبة البديعة التى يمكن أن يخالف فيها ، ويدعى امتناعها واستحالة إمكانها ووجودها ، فيأتى التمثيل لنفى ذلك الريب ، وإزالة هذا الشك كقول المتنبى :

فان تفق الأنام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وفى الانس أيضا بيان لحال المشبه أو مقدار حاله ، أو تقرير ، أو تزيين له أو تشويه لجماله أو إبرازه فى صورة مستطرفة بديعة ، أو غير ذلك من الأسرار البلاغية التى يأتى لها التمثيل الواقع فى عقب المعانى التى ليست غريبة ولا نادرة وليست محتاجة إلى حجة وبرهان ، يثبت به دعوى وجودها وإمكانها

وذلك أن الوصف كما يحتاج إلى الحجة على إمكانه فهو محتاج إلى ما يبين مقدار حاله أو يقرر حاله أو يبينها إلى غير ذلك، فاذا جاء التمثيل مصورا ذلك فى =

للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك اذا كنت أنت وصاحب لك يسعى فى أمر على طرف نهر وأنت

= صورة رائعة مشاهدة عرفنا منه حقيقة المعنى، وجوهر المراد، وكان فى ذلك أنس للنفس ومسرة للفؤاد، وإن لم تصل إلى قوة الأنس الحاصل بنفى الريب والشك

ولا شك أن التمثيل بنفى الشك مفيد، ولا يقل فائدة عنه أن يكون لبيان الحال أو تقريره أو بيان المقدار الخ، على أنا لو غضضنا النظر عن ذلك كله فللرؤية — التى يقربها التمثيل — فى إحداث الأنس ما لها من التأثير والمزية

٢ — والسبب الثانى من اسباب سحر التمثيل هو جمعه بين المختلفين، وتأليفه بين المتناقضين حتى ليبرزهما فى سلك واحد، ترى به الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، فترى الصورة الواحدة فى الأرض والسماء، واللفظ والماء، والخلق والندى، والرفعة والسنى، وترى الحياة والموت مجموعين، والماء والنار مقترنين والحسن والقبح متمازجين، والسواد والبياض متآلفين.

وذلك أن مبنى التمثيل على جمعه بين المختلفات، وتأليفه بين المتناقضات.

فان التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة أم خاصية مبتدعة، لا يقع بها اعتداد، ولا يكون لها جمال فى نفس السامعين، وهزة لو جداناتهم، إلا إذا كان الشبه مقررا بين شيئين مختلفين فى الجنس.

فتشبيه نبالة الخلق وأريحيته ببسمة الورد ونضرته فى قول ابن زيدون:

زهرت أخلاقكم فابتسمت كابتسام الورد عن لؤلؤ طل

هو تشبيه خاصى جميل، والتباين بين طرفى التشبيه ظاهر للعيان، واضح عند كل إنسان

وتشبيه حالة الحبيب حين صده وإعراضه بالنفس المرتد فى قول بشار.

صدت بخد وجلت عن خد ثم انثنت كالنفس المرتد

كذلك خاصى رائع، وبين طرفى التشبيه بعد بين جلى

وتشبيه الخد بالورد أو الثغر بالأقحوانة كقوله: =

تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك

بسمت أقحوانة الثغر فى ور د نضير من الخدود جميل

عامى مشترك ، وطرفاه بعيدان

وكذلك تشبيه الحبيب بالريحانة النضرة فى قول صبرى :

ريحانة أنت فى صحراء مجدبة من الرياحين حيانا بها الله

عامى ، مع بعد ما بين الطرفين

وكلما كان التباعد بين طرفى التشبيه أكثر كان الأعجاب به أكبر ، والهزة لسماعه أنبل وأكرم ، وذلك لأن المثير للدفين من الارتياح والباعث على النشوة بالتشبيه نشوة الراح ، والباعث على العجب به ، والحافز للطرب منه ، هو رؤية الشيئين بالتشبيه متحدين مختلفين ، ومثلين متناقضين ، فتسحر السامع روعة الحسن وفتنته ، وترميه رهبة الجمال الأدبى وبهجته ، وتنثال عليه طرائف يلتمحها فى موكب الحسن ، ومراح البيان ، وقد فطر الانسان على الأعجاب بالشىء إذا ظهر له من مكان لم يعهد ظهوره منه ، ولم يألف إشراقه فيه ، فترى الصبابة به أكثر ، والشغف بسحره أجدر ، وسيان فى إثارة التعجب ، ومرى درة الحمد والثناء عثورنا على الشىء فى مكان ليس من مواضعه ، أو وجود شىء لم يوجد ولم يعرف من أصله

وإذا كان جمع التشبيه بين المختلفين ، له هذا الأثر وذلك الخطر ، فما أجدر التمثيل بهذه الآية ، وما أقمنه بأن يوفى فى هذا السبيل على الغاية

أو ليس التمثيل هو ذروة التشبيه البيانى وسنامه ، أو ليس هو رب السحر وإمامه ؟ وهل يشك أديب فى أن التمثيل يعمل عمل السحر فى تأليف المتباينين وجمع المفترقين ، وأن له فى ذلك القدح المعلى ، والشرف الكريم

إن محاولة إثبات ذلك كتكلف الاحتجاج للضرورات وكفى من افتتانه وابتداعه أنه يريك العدم وجودا والوجود عدما ، والسقم صحة ، والصحة سقما ، =

فى الماء ثم قلت له « انظر هل حصل فى كفى من الماء شىء فكذلك أنت

= بل إنه يجعل الموت نفسه حياة مستأنفة ، ويأتى للشىء الواحد بنظائر عدة وأشباه جلى

ولا يبعد مدى التمثيل إلا بهذه الصنعة الساحرة ، والفتنة الباهرة ، وتقرير الشبه بين الأشياء المختلفة المتباينه ، فان الأشياء المشـــتركة فى الجنس المتفقة فى النوع تستغنى بثبوت الشبه بينها وقيام الاتقان فيها عن النصب فى إيجاب ذلك لها والتعب فى تثبيته فيها

٣ — والسبب الثالث من أسباب سحر التمثيل

هو أن المعنى إذا كان ممثلا لا يتجلى فى الذهن إلا بعد أن يحوج المرء إلى طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له ، وبذل الجهود فى نشدانه

وكل ما نيل بعد الطلب له ، والاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحـوه ، كان نيله أحلى ، وفضله أجلى ، وموقعه فى النفس ألطف ، والقلب به أهيم وأشغف

وهذا الضرب من المعانى كالسهل الممتنع ، والخليل المقنع ، لا يريك جماله حتى يستـأذن عليه ، وتنص مراقل الفكر إليه ، وما كل فكر يهتـدى إلى مفاتنه ، ويكشف عن محاسنه ؛ كما أنه ليس كل فكر يمكنه أن يبتدعه ويبتـكره ، ويصوغه وينظمه ، ويقرب هذا البعيد ، ويأتى فى ذلك بالمستطرف الجديد

وإنما هى صنعة تستدعى جودة القريحة وحضور البديهة ودقه الفكر ولطف النظر ، وإعمال الحيل ، والحذق فى عقد أعناق المتباينات فى قرن ، وجمع أشتات المتناقضات فى وطن

وهل يتسنى لكل إنسان أن يأخذ الشبه للشىء مما يخالفه فى الجنس ، أو يباينه فى الظاهر ؟

وبحسب دقة المسلك ، ولطف المذهب ، واستخراج الشبه من هذه المختلفات ، وتأليف هـذه المتباينات ، بعين نافذة تسبح فى مسارب الفكر ومسارح الخاطر =

فى أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير فى النفس وتمكين المعنى فى القلب، زائد على القول المجرد ... ومنها[١] الاستطراف كما سيأتى

ومن[٢] فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشىء الواحد باشباه عدة ، نحو أن يعطيك من الزند بابرائه[٣] شبه الجواد والذكى، والنجح فى الأمور ، وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى ؛ ومن القمر الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام[٤] :

لهفى على تلك الشواهد فيهما ... لو أمهلت حتى تصير شمائلا
لغدا سكونها حجىً وصباهما ... حلماً وتلك الاريحية نائلا
ولأعقب النجمُ المرذ بديمة ... ولعاد ذاك الطلُّ جوْدا وابلا

وتحضر ما يستحضر العقل ، وتعلق به الروية ، لا ما تناله الرؤية ، وتتملى منه الآذان والأبصار

وبحسب الاجادة فى إصابة الشبه الصحيح المعقول بين المتباينات ، وفى الملاءمة والتأليف بين هذه المتخالفات ، مع السهولة لا التكلف والاستكراه

بحسب ذلك استحق الممثل المجيد المدح واستوجب التنويه

(١) أى من الأسباب فى سحر التشبيه وبالغ أثره فى النفس

(٢) راجع ١١٤ و ١١٥ من الأسرار

(٣) أى إذا أورى، وباصلاده أى اذا أصلد

(٤) راجع الأبيات فى ١١٥ من الأسرار، ٢٠٠ صناعتين ، وهما فى ابنين لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد [٢/٢٦٧ الكامل للمبرد ، ١/٢٧٩ زهر الآداب]

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا[١]

والنقصان عن الكمال كقول أبي العلاء المعرى .

وإن كنت تبغى العيش فابغ توسطا فعند التناهى يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهى أهلة ويدركها النقصان وهى كوامل

وتتفرع[٢] من حالتى كماله ونقصه فروع لطيفة ، كقول ابن بابك فى الأستاذ أبى على ، وقد استوزره ، وأبا العباس الضبى فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد :

وأعرت ثوب الملك شطر نواله والبدر فى شطر المسافة يكمل[٣]

وقول أبى بكر الخوارزمى[٤] :

---

(١) الحجى : العقل . وكذلك الحلم . الأريحية صفة يرتاح الإنسان معها الى الجود والخير . النائل : العطاء . المرذ اسم فاعل من أرذ والرذاذ المطر الخفيف . الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . الطل : المطر الضعيف . الجود : المطر الغزير . الوابل : المطر الشديد

(٢) راجع ذلك فى ص ١١٦ من الأسرار

(٣) الشطر النصف ، يريد بذلك وزارته المشتركة وقيامه بنصف أعمال الدوله لفخر الدولة مع أبى العباس الضبى ، والبيت فى الأسرار ص ١١٦

(٤) راجع البيتين فى الأسرار ص ١١٦ وهما فى ١١٥ ج ٢ زهر الآداب أيضا ولابراهيم من العباس الصولى فى محمد بن عبد الملك ابن الزيات :

يعرف الابعد إن أثرى ولا يعرف الأدنى اذا ما افتقرا

[١١٥ ج ٢ زهر الآداب]

خيمت : أقمت . لماما : وقتا بعد وقت

أراك إذا أيسرت خيمت عندنا مقيما وان أعسرت قمت لماما
فما أنت إلا البدر أن قل ضوءه أغب وأن زاد الضياء أقاما

المعنى لطيف وان لم تساعده العبارة على مايجب ، لأن الأغباب أن يتخلل بين وقتى الحضور وقت يخلو منه ، فانما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوال الطلوع فى كل ليلة ، بل يظهر فى بعض الليالى دون بعض وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار ، كذلك ينظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوءه وشعاعه فى نحو مامضى من بيتى (١) البحترى ، وإلى ظهوره فى كل مكان كما فى قول أبى الطيب :

كالبدر من حيث التفت وجدته يهدى إلى عينيك نوراً ثاقبا (٢)

[أركان التشبيه]

ثم النظر فى أركان التشبيه ، وهى أربعة :

طرفاه ، ووجهه ، وأداته ، وفى الغرض منه ؛ وفى تقسيمه بهذه الاعتبارات

---

(١) هما « دان على أيدى العفاة وشاسع الخ »

(٢) راجع البيت فى ١١٧ من الأسرار ، ٣٠٥ من الوساطة وفى معناه للاحوص:

إنى اذا خفى الرجال وجدتنى كالشمس لاتخفى بكل مكان

[٨١ ج ١ الحماسة]

[طرفا التشبيه (١)]

أما طرفاه فهما :

اما حسيان (٢) كما فى تشبيه الخد بالورد والقد بالرمح ، والفيل بالجبل ، فى المبصرات ، والصوت الضعيف بالهمس (٣) فى المسموعات والنكهة (٤) بالعنبر فى المشمومات ؛ والريق بالخمر فى المذوقات ؛ والجلد الناعم بالحرير فى الملموسات (٥)

واما عقليان كما فى تشبيه العلم بالحياة (٦)

---

(١) أى المشبه والمشبه به

(٢) أى مدركان باحدى الحواس الخمس

(٣) هو الصوت الذى أخفى حتى كانه لا يخرج عن فضاء الفم

(٤) ريح الفم (٥) وفى أكثر ما ذكر تسامح لأن المدرك بالبصر مثلا انما هو لون الخد والورد وبالشم رائحة العنبر وبالذوق طعم الريق والخمر وباللمس ملاسة الجلد الناعم والحرير ولينهما ، لا نفس هذه الأجسام ، لكن اشتهر فى العرف ان يقال أبصرت الورد وشممت العنبر وذقت الخمر ولمست الحرير.

وهذا التسامح مبنى على مذهب الحكماء القائلين المدرك بالحواس انما هو الأعراض وخواص الأجرام لاذواتها ، وأما على مذهب المتكلمين من ادراك الحواس للأجرام وخواصها فلا تسامح

(٦) ووجه الشبه بينهما كونهما طريق ادراك ، فالمراد بالعلم الملكة التى يقتدر بها على الادراكات الجزئية لا نفس الادراك ، وقيل وجه الشبه بينهما نفس الادراك اذ العلم نوع من الادراك والحياة مقتضية للحس الذى هو نوع من الادراك ، وهو قول ضعيف لأن كون الحياة مقتضية للحس لا يوجب اشتراكهما فى الادراك على ما هو شرط فى وجه الشبه من كونه مشتركا بين الطرفين =

واما مختلفان والمعقول هو المشبه كما فى تشبيه المنية بالسبع ؛ أو بالعكس كما فى تشبيه العطر بخلق كريم [١]

والمراد بالحسى المدرك هو أو مادته باحدى الحواس الخمس [٢] الظاهرة، فدخل فيه [٣] الخيالى [٤] كما فى قوله [٥]

= قائما بهما الا انه فى المشبه به اظهر، فالحال القائم بالعلم وهو كونه ادراكا لم يقم بالحياة وإنما وجد معها، وأيضا لا يخفى أن ليس المقصود من قولنا العلم كالحياة أن العلم إدراك كما ان الحياة معها إدراك بل ليس فى ذلك كثير فائدة كما فى قولنا العلم كالحس فى كون كل منهما إدراك فالجامع مطلق الادراك، وانما المقصود ان العلم كالحياة فى أن كلا سبب فى الادراك . قال ابن يعقوب : الحق أن الوجه بين العلم والحياة هو حصول الآثار المطلوبة من كل

(١) فالخلق عقلى لأنه كيفية نفسانية يصدر بسببها الافعال بسهولة . أما المنية فى التشبيه السابق أى الموت فهو عقلى لأنه عدم الموت عما من شأنه الحياة

هذا والوجه فى تشبيه المحسوس بالمعقول أن يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة ويكون من عكس التشبيه ، وإلا فالمحسوس أصل للمعقول لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ، فتشبيهه بالمعقول يكون جعلا للفرع أصلا والأصل فرعا وذلك لا يجوز بدون الطريق السابق وقال ابن يعقوب : لا حاجة الى جعل تشبيه الحسى بالعقلى من عكس التشبيه دائما

(٢) البصر — السمع - الذوق - اللمس - الشم

(٣) أى فى الحسى بسبب زيادة قولنا « أو مادته » - راجع ذلك فى المفتاح ص ١٤٢

(٤) هو المركب المعدوم الذى فرض وتخيل مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس وجعل الخياليات من قبيل المحسوسات لاشتراك الحس والخيال فى إدراك الصور وإن كان الحس يدركها بسبب حضور المادة والخيال يدركها بدون ذلك

(٥) أى الصنوبرى وهو احمد بن محمد الحلبى م ٣٣٤ هـ - وقوله: كما فى قوله ، أى كالمشبه به فى قول الصنوبرى

وكان حمـــر الشقيق اذا تصـــوب أو تصعد
أعـــلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجـد (١)

وقوله (٢) :

كلنا باســـط اليـدِ نحـو نيلوفر ندى
كدبابيس عسجـد قضبهـا من زبرجـد

والمراد (٣) بالعقلى ما عدا (٤) ذلك فدخل فيه الوهمى (٥) وهو ما

---

(١) الشقيق : ورد أحمر فى وسطه سواد ، ينبت بالجبال . تصوب : مال الى أسفل. تصعد: مال الى أعلى

فكل من العلم والياقوت والرمح والزبرجد محسوس لكن المركب من هذه الأمور ليس بمحسوس لأنه ليس بموجود والحس لا يدرك الا ما هو موجود فالمشبه فى البيت مفرد حسى والمشبه به مركب خيالى فان كان بعض المواد غير محسوس كان ذلك المركب وهميا كأنياب الأغوال فان الناب يدرك بالحس دون الغول وسمى ذلك مركبا خياليا لكون صور أجزائه مرتسمة فى الخيال ولكون المركب له القوة المخيلة وهى المفكرة

(٢) أى الصنوبرى - والبيتان فى الأسرار ص ١٥٠
النيلوفر : ينبت فى الماء الراكد ، وأصله كالجزر ، وساقه أملس فاذا ساوى سطح الماء أزهر وأورق . الدبابيس جمع دبوس وهى عصا فى رأسها كالكرة . العسجد الذهب
فالمشبه به هنا مركب خيالى

(٣) راجع ١٤٢ من المفتاح

(٤) وهو مالا يكون هو ولا مادته مدركا باحدى الحواس الخمس الظاهرة

(٥) أى الذى لا يكون للحس باعتبار نفسه أو مادته مدخل فيه

ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو [1] أدرك لم يدرك الا بها ، كما فى قول امرىء القيس [2]

وعليه قوله تعالى: طلعها كأنه رؤوس الشياطين [3] .. و كذا ما يدرك بالوجدان [4]

---

(١) أى لو وجد فى الخارج . وبهذا القيد يتميز العقلى الصرف كالعلم والحياة

(٢) سبق شرحه فى الاستفهام ، وصدره « أيقتلنى والمشرفى مضاجعى »
أى أيقتلنى ذلك الرجل والحال أن مضاجعى سيف منسوب إلى مشارف اليمن وسهام محددة النصال صافية مجلوة . وأنياب الأغوال مما لا يدركها الحس لعدم وجودها فى الخارج ولكنها لو وجدت لكانت مدركة بحس البصر
والبيت فى ٩١ من الدلائل ، ٢/٧١ من الكامل ، وسبق فى الإيضاح

(٣) راجع شرح الآية فى الكامل للمبرد ٦٩ — ٢/٧١ وهو شرح واف

(٤) هو القوى الباطنية . وما يدرك بها داخل فى العقلى
ملاحظة : القوة المتخيلة أو المفكرة من قوى الادراك فتسمى متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها وتسمى مفكرة باعتبار استعمال العقل لها ولو مع الوهم ، فالنفس تستعمل هذه القوة على أى نظام تريد بواسطة القوة الواهمة أو العقل ، وتصرفاتها بحسب العقل قد تكون صوابا وقد تكون خطأ أما بحسب الوهم فهى خطأ

وهذه القوة من شأنها تركيب الصور التى فى الخيال والمعانى المرتسمة فى الحافظة وتفصيلها والتصرف فيها واختراع أشياء لا حقيقة لها . والمراد بالخيالى المعدوم الذى ركبته المتخيلة من الأمور التى أدركت بواسطة الوهم بالحواس الظاهرة . والمراد بالوهمى ما اخترعته المتخيلة بواسطة الوهم على صورة المحسوس =

كاللذة والألم [١] والشبع والجوع

(وجه التشبيه)

وأما وجهه فهو المعنى الذى يشترك فيه الطرفان [٢] تحقيقا أو تخييلا والمراد [٣] بالتخييل أن لا يمكن وجوده فى المشبه به الا على تأويل [٤] كما فى قول القاضى التنوخى :

= من عند أنفسها كما إذا سمعت عن الغول وأنها شىء مهلك كالسبع فتأخذ المتخيلة فى تصويرها بصورة السبع واختراع ناب لها كما للسبع فالحاصل أن الوهمى لا وجود لهيئته ولا لجميع مادته ، والخيالى جميع مادته موجود دون هيئته

(١) المراد هنا اللذة والألم الحسيان وإلا فاللذة والألم العقليان من العقليات الصرفة

فادراك هذين المعنيين ليس بشىء من الحواس الظاهرة وليس أيضا من العقليات الصرفة لكونهما من الجزئيات المستندة إلى الحواس ، بل هما من الوجدانيات المدركة بالقوى الباطنية كالشبع والجوع والفرح والحزن والغضب والخوف (٢) قال المبرد :

اعلم أن للتشبيه حدا ، فالأشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه فانما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فاذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق الخ (٤٧ و٢/٤٨ الكامل للمبرد)

وقوله يشترك الطرفان فيه أى قصد اشتراكهما فيه . فزيد والأسد يشتركان فى كثير من الذاتيات وغيرها كالحيوانية والجسمية والوجود وغير ذلك مع أن شيئا منهما ليس وجه شبه إذا كان القصد تشبيه زيد بالأسد فى الشجاعة

(٣) راجع ١٩٤ من الأسرار إلى ص ٢٠٤ فى ذلك

(٤) فالتخيل أن لا يوجد ذلك المعنى الجامع بين الطرفين فى أحد الطرفين أو فى كليهما إلا على سبيل التخييل - أى فرض المخيلة وجعلها ما ليس بمحقق محققا - والتأويل

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع (١)

فان وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود ( ) فهى غير موجودة فى المشبه به الاعلى طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها فى حكم من يمشى فى الظلمة ، فلا يهتدى الى الطريق ولا يفصل الشىء من غيره فلا يأمن أن يتردى فى مهواة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة ، شبهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور ، وعليها قوله تعالى: يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وشاع ذلك حتى وصف الصنف الأول بالسواد كما فى قول القائل ، شاهدت سواد الكفر من جبين فلان ، ووصف الثانى بالبياض كما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « أتيتكم بالحنيفية البيضاء » وذلك لتخييل أن السنن ونحوها من الجنس الذى هو إشراق

---

(١) راجع البيت والكلام عليه فى الأسرار ص ١٩٦ وما بعدها وفى المفتاح ص ١٤٦ ، وهو فى البديع لابن المعتز ص ٧٢ شرح محمد عبد المنعم خفاجى

والدجى : الظلمة ، والضمير للنجوم

فوجه الشبه الكائن فى البيت تخييلى ، فالمشبه النجوم بقيد كونها ظهرت بين أجزاء ظلمة الليل ، والمشبه به السنن المقيدة بكونها لاحت بين الابتداع ، فهو تشبيه مفرد بمفرد من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وحينئذ فيقدر أن السنن محسوسة وتجعل كأنها أصل على طريق المبالغة أو يجعل من عكس التشبيه

(٢) وهو الظلمات

أو ابيضاض فى العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم مابين الدياجى بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب ، وبالأنوار مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة ، فالتأويل فيه أنه تخيل ماليس بمتلون ، متلونا ويحتمل (١) وجها آخر ، وهو أن يتأول بأنه أراد معنى قولهم إن سواد الظلام يزيد النجوم حسنا ، فانه لما كان وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا فى نفسه وحسنا فى مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك ، غير أنه لايخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر لأن الظاهر أن يمثل المعقول فى ذلك بالمحسوس ، كما فعل البحترى فى قوله (٢)

وقد زادها إفراط حسن جوارها ... خلائق أصفار من المجد خيب
وحسن دراريّ الكواكب أن ترى ... طوالع فى داج من الليل غيهب

---

(١) راجع ٩٩ من الأسرار

(٢) راجع ذلك فى الأسرار ص ٢٠٠

إفراط مفعول ، وجوارها فاعل ، وخلائق مفعول جوار . أصفار جمع صفر بمعنى الخالى . دراري جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضيء كالدر . غيهب : شديد السواد ،

ومن التشبيه التخييلى قول ابى طالب الرقى [١] :

واقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعا فيقال اسود النهار فى عينى واظلمت الدنيا علىّ ، وكان الغزل يدعى القسوة على من لم يعشق والقلب القاسى يوصف بالسواد توسعا ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرف به وأشهر من الظلام ، فشبهه بهما . وكذلك قول ابن بابك [٢]

وأرض كاخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

فان الاخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئا له سعة ، وجعلها اصلا فيها فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التنوخى [٣]

---

(١) راجعه فى ١٩٨ و١٩٩ من الأسرار ، و١٤٦ من المفتاح

(٢) راجعه فى ٢٠١ من الأسرار ، ١٤٧ من المفتاح

السماك نجم معروف وتكحيل الليل له بظلمته . والضمير فى « فأبصر » للسماك لأن الليل إذا اشتدت ظلمته ازدادت كواكبه نورا ؛ ويجوز أن يكون لليل فيعنى أنه صار ذا بصر بالسماك

(٣) راجع البيت فى ٢٠٠ و٢٠١ من الأسرار ، ١٤٧ من المفتاح ، ومن التشبيه التخيلى قول على بن بسام :

فى ليلة فيها السماء مرزة سوداء مظلمة كقلب الكافر

فانهض بنار الى فحم كأنهما فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا

فانه لما كان يقال فى الحق انه منير واضح فيستعار له صفة الاجسام المنيرة وفى الظلم خلاف ذلك، تخيلهما شيئين لهما انارة واظلام فشبه النار والفحم مجتمعين بهما مجتمعين ... وكذاما كتب به الصاحب الى القاضى ابى الحسن [١] وقد اهدى له الصاحب عطر القطر [٢] :

يا أيها القاضي الذى نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

فانه لما كان الثناء يشبه بالعطر و يشتق له منه، تخيله شيئا له رائحة طيبة وشبه العطر به ليوهم أنه أصل فى الطيب وأحق به منه .. وكذا قول الآخر [٣] :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع

فانه لما رأى الخلاص من شدة يشبه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره قلب التشبيه ، ليرى أن صورة النجاء من الباساء لكونها

---

(١) هو أبو الحسن الجرجانى صاحب الوساطة والرواية فى الأسرار ص ٢٠٣

(٢) بضمتين أو بضم فسكون العود الذى يتبخر به

(٣) وهو العلوى الأصفهانى الشاعر . والبيت فى الأسرار ص ٢٠٠ ، وفى المفتاح ١٤٧

انتضاء البدر : انكشافه . النجاء : الخلاص . البأساء : الشدة . الغيم : السحاب

مطلوبة فرق كل مطلوب اعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه

وإذا [1] علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان [2] ، علم فساد جعله فى قول القائل: النحو فى الكلام كالملح فى الطعام، كون القليل مصلحا والكثير مفسدا، لان القلة والكثرة انما يتصور جريانهما فى الملح وذلك بأن يجعل منه فى الطعام القدر المصلح أو أكثر منه، دون النحو، فانه اذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فان وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفعا به فى فهم المراد منه، والا لم يحصل وكان فاسدا لا ينتفع به، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحا والاهمال مفسدا لاشتراكهما فى ذلك .. ومما يتصل بهذا ما حكى ان ابن شرف القيروانى أنشد ابن رشيق قوله .

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم
فكأننى سباية المتندم [3]

---

(١) راجع ٥٥ من الأسرار، و٦ من الدلائل، ١٤٥ من المفتاح

(٢) أى تحقيقا أو تخييلا فاذا لم يوجد فيهما كذلك كان جعله وجه شبه فاسدا

(٣) البيت فى المطول ص ١٢٠

وقال له هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ، أما الاخذ فمن النابغة الذبيانى حيث يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

لكلفتنى ذنب امرىء وتركته كذا العر يكوى غيره وهو راتع [1]

وأما الافساد فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه [2] فلا يكون المعاقب غير الجانى ، وهذا بخلاف بيت النابغة فان المكوى من الابل يالم وما به عر ألبتة ، وصاحب العر لا يألم جملة

[الوجه إما خارج أو غير خارج [3]] :

وهو إما غير خارج عن حقيقة الطرفين [4] أو خارج .. والأول [5] إما تمام حقيقتهما كما فى تشبيه إنسان بانسان فى كونه إنسانا ؛ أو جزؤهما كما فى تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان فى كونه حيوانا

---

(١) ذو إمة بالكسر : ذو استقامة . العر : الجرب . راتع : مقيم

(٢) قال السبكي : يريد أن السبابة تتألم وهى جانية ، وفيه نظر لأن سبابة المتندم قد لا تكون جانية بأن يكون الندم وقع على فعل قلبي أو فعل عضو آخر ولكن اتصال الأعضاء وجعلها كالشيء الواحد سهل ذلك

(٣) راجع ١٤٢ مفتاح ، ٧١ أسرار البلاغة

(٤) بأن يكون تمام ما هيتهما وهو النوع أو جزء منهما وهو الجنس والفصل

(٥) وهو غير الخارج عن حقيقة الطرفين

والثانى[١] صفة إما حقيقية[٢] أو إضافية، والحقيقية: اما حسية[٣] وهى الكيفيات الجسمية[٤]، مما يدرك بالبصر، من الالوان والاشكال والمقادير والحركات، وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك، أو بالسمع من الاصوات القوية والضعيفة والتى بين بين، أو بالذوق من أنواع الطعوم؛ أو بالشم من أنواع الروائح، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقل وما ينضاف اليها[٥] واما عقليه[٦] كالكيفيات النفسية[٧] من. الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم، وما جرى مجراها فى الغرائز[٨] والاخلاق

---

(١) وهو الخارج عن حقيقة الطرفين

(٢) أى هيئة متمكنة فى الذات متقررة أى ثابتة فيها

(٣) أى مدركة باحدى الحواس الظاهرة

(٤) أى المختصة بالأجسام

(٥) أى من البلة والجفاف واللزوجة والهشاشة واللطافة والكثافة وغير ذلك

(٦) أى مدركة بالعقل. وينبغى أن يعلم ان تقسيم الخارج من وجه الشبه الى حسى وعقلى لمزيد الاهتمام به وإلا فغير الخارج منه أيضا قد يكون حسيا وقد يكون عقليا

(٧) أى المختصة بذوات الأنفس

(٨) جمع غريزة وهى ملكة تصدر عنها صفات ذاتية مثل الكرم والقدرة والشجاعة وغير ذلك

والاضافية [١] كازالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس [٢]

---

(١) عطف على الحقيقية، ونعنى بالاضافية مالا تكون هيئة متقررة فى الذات بل تكون معنى متعلقا بشيئين

(٢) فانها ليست هيئة متقررة فى ذات الحجة والشمس ولا فى ذات الحجاب وقد يطلق الحقيقى على ما يقابل الاعتبارى وهو الذى لا تحقق له إلا بحسب اعتبار العقل، وهو الاعتبارى الوهمى وعلى وجود فى هذا الاطلاق يكون الحقيقى شاملا للاضافيات فيراد به الأمر الذى له نفسه سواء كان متصفا بالوجود الخارجى أو لا فالحقيقى على هذا الأطلاق أعم منه على كلام المصنف حيث اريد بالحقيقى منه ماله وجود خارجى فالاضافى من قبل الحقيقى على الاطلاق الثانى وغير الحقيقى على اطلاق المصنف الذى يطلق الحقيقى على ما يقابل الاضافى فتكون الاعتبارية الوهمية غير داخلة فى كلامه : لا فى الاضافية وهو ظاهر، ولا فى الحقيقة لأنه قسم الحقيقية إلى حسية وعقلية فدل على أنه أراد بها ما كان متحققا فى ذات الموصوف بدون اعتبار العقل سواء كانت مدركة بالحس أو بالعقل فتقسيم المصنف الصفة الى حقيقية وإضافية فيه قصور

وفى المفتاح اشارة الى أن إطلاق الحقيقى بمعنى ما قابل الاعتبارى هو المراد هنا أى فى مقام تقسيم الصفة الى حقيقية وغيرها فيراد بالغير الاعتبارية الوهمية ويراد بالحقيقية ما يشمل الاعتبارية الاضافية . قال السكاكى : الوصف العقلى منحصر بين حقيقى كالكيفيات النفسانية وبين اعتبارى ونسبى كاتصاف الشىء بكونه مطلوب الوجود أو العدم عند النفس أو كاتصافه بشىء تصورى وهمى :

ملاحظة

مثل هذه التقسيمات عديمة الجدوى وهى بحوث منطقية أكثر منها بلاغية وعبد القاهر حين يلم بشىء من ذلك يلم به ألماما يسيرا فى حذر ورفق ولطف

الوجه إما واحد أو متعدد أو مركب [(١)]:

وجه الشبه إما واحد أو غير واحد والواحد إما حسى أو عقلى وغير الواحد : إما بمنزلة الواحد لكونه مركبا من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب [(٢)]

---

(١) راجع ص ١٤٣ من المفتاح

(٢) لبيان ذلك بتفصيل نقول :

التشبيه إما مفرد أو متعدد أو مركب

١ — فالتشبيه المفرد

هو ما أخذ وجه الشبه فيه من شيء واحد أى أمر واحد (هو المشبه به أو وجه الشبه الظاهرى اللازم له) والمثال خده كالورد فى الحمر وألفاظه كالعسل فى الحلاوة

٢ — والمركب هو ما انتزع وجه الشبه فيه من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث لهما صورة غير ما كان لهما فى حال الافراد لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما كما فى المتعدد

وقال السعد التشبيه المركب بمنزلة الواحد — وهو ما كان وجه الشبه فيه مركبا من متعدد تركيبا حقيقيا أو اعتباريا .

أما المركب تركيبا حقيقيا فبأن يكون الوجه حقيقة ملتئمة ومركبة من أمرين أو أمور مختلفة مثل زيد كعمرو فى الانسانية فالانسانية حقيقة مركبة تركيبا حقيقيا من أمرين مختلفين (الحيوانية والناطقية) وإنما كان التركيب حقيقيا لأن الجزءين صارا به شيئا واحدا فى الخارج

وأما المركب من متعدد تركيبا اعتباريا فبأن يكون الوجه هيئة انتزعها العقل=

. . . . . .

= من ملاحظة عدة أمور وتلك الأمور لم يصر مجموعها حقيقة واحدة بخلاف التركيب الحقيقى ، فالحاصل أن المركب تركيبا اعتباريا لا حقيقة له فى حد ذاته بل هو هيئة يلاحظها العقل من اجتماع أمور بحيث لا يصح التشبيه إلا باعتبار تعلقها بمجموع الأجزاء ، والمثال « كأن مثار النقع الخ » فالهيئة فيه (التى هى وجه الشبه) هى هوى أجرام مشرقة على وجه مخصوص فى جوانب شىء مظلم .

والتعميم فى المركب بجعله شاملا للنوعين (الحقيقى والاعتبارى) هو ظاهر كلام السعد ويشعر به كلام السكاكى فى المفتاح .

ولكن صاحب المطول يرى أن المركب تركيباً حقيقياً من قبيل الواحد لا من قبيل ما هو منزل منزلة الواحد فعلى هذا يكون المفرد قسمين (وجه الشبه الواحد ووجه الشبه المركب تركيبا حقيقيا) ويكون المركب قسما واحدا هو المركب تركيبا اعتباريا فقط ، وهذا هو الرأى الجدير بأن يتبع

٣ - والمتعدد

هو أن يكون الكلام معقودا على تشبيه شيئين بشيئين مرة واحدة إلا أن أحدهما (أى احد التشبيهين) لا يداخل الآخر فى الشبه (وجه الشبه) ، أى أن يجىء التشبيه فيه معقودا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك فيكون سبيلهما سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما

وقال السعد المراد بالمتعدد أن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين فى كل منها ليكون كل منها وجه شبه بخلاف المركب المنزل منزلة الواحد فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور بل فى الهيئة المنتزعة أو فى الحقيقة الملتئمة منها ولهذا لا يجوز حذف بعضه

ومثال المتعدد هذه الفاكهة مثل هذه الفاكهة فى شكلها ولونها وطعمها ورائحتها

ويلاحظ أن التشبيه المركب أدرجه بعضهم فى التشبيه المفرد فيجعل المفرد هو الواحد أو ما هو بمنزلته وغير المفرد هو المتعدد فقط =

. . . . . .

= وبعضهم أدرجه فى المتعدد فيجعل الوجه إما مفردا (وهو الواحد فقط) وإما غير مفرد (وهو إما بمنزلة المفرد وإما متعدد)

والحق أن المركب قسم برأسه كما يرى عبد القاهر فأقسام الوجه ثلاثة

والخلاف لفظى على ما هو ظاهر

والفروق بين المتعدد والمركب هى :

١ — المتعدد لم يقصد فيه مداخلة أحد المشبهين أو المشبهين بهما الآخر فى وجه الشبه فله أوجه شبه متعددة بتعدد المشبهات أو المشبهات بها بعكس المركب فقد داخل أحدهما الآخر فى وجه الشبه فكان له وجه شبه هو هيئة منتزعة من عدة أمور

٢ — يصح تفريق التشبيهات فى المتعدد كما سبق فى : كان قلوب الطير رطبا إلخ، بخلاف المركب فانه على نوعين :

ا — نوع منه لو فض تركيبه لو جدت أحد طرفيه يخرج عن أن يصلح تشبيها لما جاء فى مقابلته مع التركيب كالبيت :

غداو الصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

فان الجلال فيه فى مقابلة الليل ولو قيل كأن الليل جلال لم يكن التشبيه شيئا

ب — ونوع آخر منه يكون إذا فض تركيبه استوى التشبيه فى طرفيه إلا أن الحال تتغير ومثال ذلك :

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

يشبه أبو طالب الرقى النجوم طالعات فى السماء مفترقات مؤتلقات فى أديمها وقد مازجت زرقة لونها بياض نورها بدر منثور على بساط أزرق بجامع الهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير فى مرأى العين على سطح جسم أزرق صافى الزرقة =

. . . . . .

= فقابل النجوم (فى طرف المشبه) هو الدرر فى طرف المشبه به وكذلك يقابل السماء المفهومة من ذكر النجوم قوله بساط أزرق

ونحن وإن صح أن نقول كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق مع صحة التشبيه وقبوله وكونه معتادا بعد التفريق

ولكن يمنع من هـذا التفريق ضياع الحسن الذى يقتضيه التركيب المقصود للشاعر ولا يكون مع التفريق

وذلك أن المقصود من التشبيه أن يشبه الشاعر هيئة باخرى ويصورها لك بصورة بديعة ولا يخفى أن التفريق يذهب بهـذه الصورة فيضيع الاحسان وما فى التشبيه من روعة التركيب وسحر البيان

٣ — المتعدد لايجب فى أجزائه ترتيب خاص ولو حذت جزء منه مع ما يقابله لصح ذلك بعكس المركب فى ذينك

٤ — فائدة التشبيه المتعدد والفضيلة فيه فى اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن فى الجمع فائدة فى عين التشبيه أما التشبه المركب فبلاغته فى نفس التشبيه لأنه موضوع على أن يريك الهيئة ويوضح لك الصور المركبة

بيان ذلك أن قول الشاعر :

بدت قمرا وماست خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

للجمع فيه بين عدة تشبيهات مكان من الفضيلة مرموق وشأو يرى فيه سابق ومسبوق لا أن حقائق التشبيه تتغير بهذا الجمع أو أن الصور (التى فى طرفى التشبيه) تتداخل وتتركب وتأتلف ائتلاف الشكلين يصـيران إلى شكل ثالث، فكون قدها كغصن البان لا يزيد ولا ينقص فى تشبيهها بالغزال حين ترنو منه العينان وكذلك كونها تفوح العنبر ويلوح وجهها كالقمر

وليس كذلك قول الشاعر :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه =

. . . . . .

= فانه شبه هيئة السيوف المسلولة من أغمادها وهى تعلو وترسب وتتهاوى وتضطرب وتتحرك بسرعة إلى جهات وعلى أحوال مختلفة وهى تبرق وتومض فى أثناء النقع المظلم بهيئة الكواكب فى تهاويها أثناء ظلام الليل الحالك فى الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم ، فوجه الشبه مركب وكذلك الطرفان ؛ ولم يرد بشار تشبيه مثار النقع بالليل فانه غير طائل ولا تشبيه السيوف بالنجوم فانه غير مجد بل قصد تشبيه الهيئة الحاصلة من اجتماعهما على هذه الصورة بالهيئة الحاصلة من الكواكب وهى تتهاوى فى الليل ألا ترى أن الكواكب هى صفة لليل فلا يتصور فى متبوعها الانقطاع ولو كانت الكواكب مستبدة بشأنها لم يكن لكلمة (تهاوى) فائدة، ولقال : ليل وكواكب

فالمقصود فى هذه الأبيات هو بيان الهيئة ولا يجوز تفريق التشبيهات بأى حال

ملاحظة :

١ — الفرق بين تشبيه المركب بالمركب والمقيد بالمقيد ، هو من جهة المعنى فحيث كان المقصود الهيئة الحاصلة من مجموع أمرين أو أمور فهو تشبيه مركب بمركب لأن كل واحد من أجزاء الطرف الواحد ليس مقصوداً وإن صح تشبيهه بجزء الطرف الآخر .

وحيث كان المقصود أحد أجزاء الطرف الآخر ، ولكن بقيد فيه ، وليس ذلك القيد مقصودا لذاته بل للطرف فهو مقيد بمقيد .

أما ان كان المقصود أشياء منفصلة بأشياء منفصلة ، فهو تشبيه متعدد بمتعدد .

والخلاصة أن :

التشبيه المفرد ما كان الشبه فيه منتزعا من شىء واحد مثل جلال الشيخ كالشمس رفعة وأدبه كالزهر جمالا ، وذكره كالشذى تضوعا ، فالرفعة والجمال والتضوع وجوه شبه انتزعت من أمر واحد هو وجه الشبه السطحى المشترك المأخوذ من نفس الصفة وجنسها لا من أمور متعددة : =

. . . . . .

=والتشبيه المتعدد ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من أمرين أو من أمور متعددة لم يلاحظ امتزاجها وتركيبها مثل علمك بحر زاخر ، وخلقك زهر ناضر ومثل صديق يطلع علينا لماما كالشمس تشرق وتغرب فالشبه منتزع مما بين العلم والبحر وبين الخلق والزهر من سعة سحر ومما بين زيارة الصديق وفراقه وبين الشمس من طلوع وغرب فجمعنا بين تشبيهين فى جملة واحدة بدون أن يلاحظ وجه الشبه فيهما .

والتشبيه المركب ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من أمرين أو عدة أمور جمع بعضها إلى بعض واستخرج من مجموعها وجه الشبه مثاله قول الشاعر :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع - يريد أنه قد خاب ظنه فى أن يتمتع بها ويسعد بوصلها فلم يحظ منها بطائل كما لا يحظى القابض بكفه على الماء بشىء فالوجه هو الحرمان مما يظن الفوز به وينشد الظفر بادراكه .

وهذا الوجه منتزع من أمور متعددة ممتزجة غير منفصل بعضها عن بعض فقد أخذ من القبض — الحاصل بالكف — متعلقا بالماء فروعى من الرجل فعل مخصوص هو القبض وأن يكون المقبوض شيئا مخصوصاً هو الماء ، وأن يكون القبض بشىء مخصوص هو الكف ، وحصل بهذا الامتزاج الشبه المقصود ولا يمكن أن يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد ، كما لا يمكن أن يقال فيه تشبيه بعد تشبيه بدون ترتب الأول على الثانى ودخول الثانى فى الأول فقد بطلت صور التشبيه المفرد ، وحدثت صورة جديدة استخرج منها وجه الشبه .

ومثل هذا المثال قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الخ » . فالوجه حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه وهو صورة منتزعة من أمور متعددة ممزوجا بعضها ببعض حيث روعى من الحمار فعل مخصوص هو الحمل ومحمول مخصوص هو الأسفار التى ينتفع بها لأنها أوعية العلوم ، وأن الحمار يجهل مافيها ؛ وإذا حاول الانسان فصل كل واحد عن الآخر لم يتأت وجه الشبه ، ولم يكن للكلام هذا الجمال وذلك الاعجاز . =

والمركب اما حسي أو عقلي

والمتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف . والحسي لا يكون طرفاه الاحسيين ، لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء ، والعقلي طرفاه اما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يدرك بالعقل من

= وبهذا يمكننا أن نحصر الفروق بين التشبيه المفرد والمتعدد والمركب فيما يأتي باختصار بعد أن بسطنا الكلام عليها تفصيلا فيما سبق :

١ — المركب وجه الشبه فيه منتزع من أمرين أو أمور ممتزجة ببعض ، والمتعدد وجه الشبه فيه منتزع من أمور متعددة غير ملتئمة ، والمفرد منتزع من شيء واحد .

٢ — لايجب فى التشبيه المتعدد ترتيب مخصوص ، فيجوز فى أجزائه التقديم والتأخير فلا فرق بين أن يقال هو يصفو ويكدر ، وأن يقال هو يكدر ويصفو بخلاف المركب فانه لايصح تغييره بتقديم جزء منه أو تأخيره مثل هو يصفو فيكدر فلايجوز هو يكدر فيصفو والا لفسد ، المعنى لأن الكدر مرتب على الصفاء فلو عكس لأفاد التمثيل العكس وهو ترتيب الصفاء على الكدر .

٣ — يجوز حذف بعض أجزاء التشبيه المتعدد دون أن يقع خلل فى التشبيه بخلاف المركب ، فلو حذف منه جزء لفسد المعنى وضاع المغزى ففى يصفو ثم لايكدر لو حذفنا (ثم لا يكدر) لضاع معنى التشبيه ومغزاه ، ولو حذفنا من : (نشرها مسك ووجهها دينار وبنانها عنم) جزءا من هذه التشبيهات لما حدث شيء .

٤ — التمثيل المتعدد له وجوه شبه متعددة بتعدد أجزائه بخلاف المركب

ملاحظات

١ — المراد بالواحد ما يعد واحدا فى العرف لا الذى لا جزء له أصلا

٢ — والمراد بالمركب الذى بمنزلة الواحد ما كان حقيقة مركبة من أمرين أو أمور =

الحسى شيء ، ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى

= مختلفة، وذلك كالحقيقة الانسانية الواقعة وجه شبه فى قولك زيد كعمرو فى الانسانية فهى مركبة تركيبا حقيقيا من أمرين مختلفين وإنما كان التركيب حقيقيا لأن الجزءين صارا به شيئا فى الواقع ؛ أو كان مركبا تركيبا اعتباريا بأن يكون هيئة استحضرها العقل من ملاحظة عدة أمور لم يصر مجموعها حقيقة واحدة ، بخلاف ما فى التركيب الحقيقى ، فالمركب تركيبا اعتباريا لا حقيقة له فى حد ذاته بل هو هيئة ملاحظة من اجتماع أمور بحيث لا يصح التشبيه إلا باعتبار تعلقها بمجموع الأجزاء كالهيئة المنتزعة فى قول بشار « كان مثار النقع الخ »

فالمركب إما حقيقة مركبة وإما مركب تركيبا اعتباريا ، وبهذا يشعر لفظ المفتاح حيث قال : الوجه إما واحد أو غير واحد والثانى إما أن يكون فى حكم الواحد لكونه إما حقيقة ملتئمه وإما أوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة أو لايكون فى حكم الواحد (١٤٣ من المفتاح) . وفيه نظر: لأن المركب تركيبا حقيقيا — كالحقيقة الملتئمة من عدة أمور — من قبيل الواحد لا من قبيل المركب المنزل منزلة الواحد ؛ فالاولى كما سبق قصر المركب من متعدد على المركب تركيبا اعتباريا .

٣ — المتعدد المراد به أن ينظر الى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين فى كل واحد منها ليكون كل منها وجه الشبه بخلاف المركب المنزل منزلة الوحد فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور بل فى الهيئة المنتزعة فى المركب الاعتبارى أو فى الحقيقة الملتئمة منها فى المركب تركيبا حقيقيا

٤ — الوجه المركب المنزل منزلة الواحد وإن تأتى أن يكون بعض أجزائه حسيا والآخر عقليا ، الا أنه لما كان وجه الشبه هو المجموع المركب وهو إما حسي فقط أو عقلى فقط لم يلتفت الى تقسيمه لذلك

قال الشيخ صاحب المفتاح : (١)

وههنا نكتة لا بد من التنبه لها ؛ وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى ان يكون غير عقلى ، وذلك انه متى كان حسيا وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين ، فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت ، وهو استلزمه إذا عدمت حمرة الخدود ون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معا ، وهكذا فى اخواتها ، بل يكون مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان شيئا واحدا ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت احد فيلزم أن يكون أمرا كليا مأخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلى ، ويمتنع أن يقال فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين فى الطرفين ، فان المثلين متشابهان ، فما وجه تشبيه ، فان كان عقليا كان المرجع فى وجه الشبه العقل فى المآل وان كان حسيا استلزم ان يكون مع المثلين مثلان آخران ، وكان الكلام فيهما كالكلام فيماسواهما ، ويلزم التسلسل هذا لفظه . ويمكن ان يقال المراد بكونه حسيا أن تكون أفراده مدركة بالحس ، كالسواد ، فان أفراده مدركة بالبصر ،

---

(١) راجع ١٤٣ من المفتاح

وان كان هو فى نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس

[اولا — وجه الشبه الواحد [١] :

الواحد الحسى [٢] : كالحمرة، والخفاء، وطيب الرائحة ، ولذة الطعم؛ ولين الملمس : فى تشبيه الخد بالورد؛ والصوت الضعيف بالهمس ، والنكهة بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير . كما سبق

والواحد العقلى [٣] : كالعراء عن الفائدة فى تشبيه وجود الشىء العديم النفع بعدمه ، وجهة الادراك تشبيه العلم بالحياة ، فيما طرفاه معقولان، والجراءة فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد؛ ومطلق الاهتداء فى تشبيه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم بالنجوم [٤] ، فيما طرفاه

---

(١) الحاصل ان وجه الشبه إما واحد أو مركب أو متعدد ، وكل من الأولين إما حسى أو عقلى والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف ، فتصير الأقسام سبعة والثلاثة العقلية طرفاها إما حسيان أو عقليان أو المشبه حسى والمشبه به عقلى أو بالعكس . فصارت ستة عشر قسما

ويلاحظ أن الخيالى أهمل فى هذا الباب لدخوله فى الحسى ، والوهمى والوجدانى أهملا لدخولهما فى العقلى

(٢) راجع ١٤٣ من المفتاح

(٣) ١٤٣ مفتاح

(٤) راجع ١٤٣ مفتاح ، ٥١ أسرار البلاغة

ملاحظة

المراد بالواحد هنا ما ليس هيئة منتزعة من متعدد فيصدق على الواحد المطلق والمقيد

محسوسان ، والهداية فى تشبيه العلم بالنور ، وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان فى تشبيه العدل بالقسطاس ، فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس ، واستطابة النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم ، وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسنن فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول

قال الشيخ [١] صاحب المفتاح : وفى اكثر هذه الأمثلة فى معنى وحدتها تسامح [٢]

[ثانيا — وجه الشبه المركب]

والمركب الحسى طرفاه :

[١ —] إما مفردان كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص فى قول ذى الرمة [٣]

وسقط كعين الديك عاورت صاحبى أباها وهيأنا لموقعها وكرا

---

(١) ١٤٣ مفتاح

(٢) لما فيها من ثنائية التركيب كالعراء عن الفائدة واستطابة النفس

(٣) راجع البيت فى الأسرار ص ١٣٩ والمفتاح ص ١٤٣

السقط : النار التى تسقط من الزند : عاودتهم : تناوبت عنهم . وكانت عادتهم حين يريدون استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضعوا أحدهما أسفل ويسموه أنثى ويفرضوا فيه ويحروا فيه عودا آخر يسمونه الأب ، أطال الزمن ولم تخرج النار تناوبه جماعتهم . الوكر : ما تودع فيه النار بعد

وكالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة الى مقدار مخصوص في قول احيحة بن الجلاح أو قيس بن الاسلت [١]:

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

[ب —] وإما مركبان [٢] كالهيئة الحاصلة من هوى أجرام مستطيلة

---

(١) الملاحى : عنب أبيض فى حبه طول . نور : تفتح نوره

والبيت نسبه فى الأسرار لقيس بن الخطيم (٧٥ أسرار البلاغة) . وقيس بن الاسلت لعل صحتها « أبى قيس بن الاسلت » وفى المفضليات ص ١٣٥ قصيدة له والجاحظ يروى له أبياتا ويسميه أيضا أبا قيس بن الاسلت (١٢ ج ٣ البيان)

والكلام على البيت وتشبيهه تجده فى الأسرار ص ١٤٥ و١٦٩ وفى المفتاح ص ١٤٤

وقوله « على كيفية مخصوصة » أى بأن لا تكون مجتمعة اجتماع التلامس ولا هى شديدة الافتراق ، وهذا يجعله عبد القاهر تفسيرا لـ « مقدار مخصوص » أى مقدار فى القرب والبعد ، وجمع بينهما صاحب المفتاح . ويحتمل أن يراد بالكيفية الشكل المخصوص لأن الشكل من الكيفيات وبالمقدار المخصوص ما أراده الشيخ من التقارب على ما ذكرنا

(١) معنى التركيب هنا فى الطرفين إذا كان وجه الشبه مركبا هو أن تقصد إلى عدة أشياء مختلفة فتنزع منها هيئة وتجعلها مشبها أو مشبها به

فالمراد بالمركب هنا أى فى تقسيم الطرفين ما كان تركيبا اعتباريا فقط فهو هنا فى الطرفين أخص منه فيما سبق أى فى التركيب فى الوجه لأن التركيب فى الوجه ما كان حقيقة ملتئمة وما كان هيئة =

متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار [1]

كأن مثار النقع فوق رؤسنا

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه [2]

= ولهذا صرح السكاكى فى تشبيه المركب بالمركب بان كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة ، وهى لا وجود لها فى الخارج

وكذا المراد بتركيب وجه الشبه أن تعمد إلى عدة أوصاف لشىء فتنتزع منها هيئة

وليس المراد بالتركيب فى الطرفين والوجه ما يكون حقيقة مركبة من أجزاء مختلفة كحقيقة زيد الحسية وهى ذاته فانها مركبة من أجزاء مختلفة وذلك بدليل أنهم يجعلون المشبه والمشبه به فى قولنا زيد كالأسد مفردين لا مركبين مع أن فى « زيد » حيوانية وناطقية وتشخصا وفى الأسد حيوانية وافتراسا ويجعلون وجه الشبه فى قولنا زيد كعمرو فى الإنسانية واحدا لا منزلا منزلة الواحد

(١) راجع الكلام على البيت فى : ١٤٤ و ١٥٠ من المفتاح ، ١٥١ أسرار البلاغة ، ٢٣٩ صناعتين ، ٤١٣ و ٧٥ من الدلائل

وشرح العسكرى للبيت يدل على أنه عنده تشبيه متعدد بمتعدد

(٢) مثار إسم مفعول من أثار الغبار إذا هيجه والاضافة من اضافة الصفة للموصوف

تهاوى فعل مضارع أصله تتهاوى ، وصيغة المضارع تدل على الاستمرار التجددى الذى يدل على كثرة الحركات والتساقط فى جهات كثيرة : علوا وسفلا ويمينا وشمالا ، والتداخل والتلاقى

وجعل الفعل ماضيا يخل بتلك اللطائف ، وان كان صحيحا أيضا لأن التهاوى يشعر بتعددها وسقوط بعضها أثر بعض ، فيؤخذ منها هيئة . وفى الأطول توجيه آخر لعدم جعل الفعل ماضيا هو ان قوله « ليل تهاوى كواكبه » يفيد وصف الليل =

وكالهيئة الحاصلة من تفرق اجرام متلألئه مستديرة صغار المقادير فى المرأى على سطح جسم أزرق صاف الزرقة فى قول أبى طالب الرقى:

وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق [1]

[ح -] وإما مختلفان [2] : كما فى تشبيه الشاه الجبلى

بالخلو عن الكواكب بخلاف ليل تتهاوى كواكبه ، فانه يفيد وصفه بكونه ذا ذا كواكب تسقط تدريجيا ، وهذا هو المطابق لوجود الليل والمناسب للمشبه

وشرح عبد القاهر التشبيه فى هذا البيت وسبب كونه مركبا فى ص ١٧١ وما بعدها وص ١٥٢ وما بعدها من الأسرار

والواو فى وأسيافنا بمعنى « مع » فأسيافنا لهذا فى حكم الصلة للمصدر وهى مثار النقع ، فهى مفعول معه والعامل فيه « مثار »

وسيأتى شرح هذا التشبيه . وقوله فوق رؤوسنا ، يروى فوق « رؤوسهم » ، وهو أحسن من جهة المعنى

هذا ولم يجعل « أسيافنا » منصوبا بكأن معطوفا على «مثار» لئلا يتوهم أنهما تشبيهان مستقلان كل منهما تشبيه مفرد بمفرد ، وهذا لا يصح الحمل عليه لأنه متى أمكن الحمل على المركب فلا يعدل الى حمل التشبيه على المفرد لأنه يفوت معه الدقة التركيبية المرعية فى الوجه ولأن قوله «تهاوى» صفة فهو تابع لليل فتكون الكواكب مذكورة على سبيل التبع غير مستقلة فى التشبيه باعتبار الصناعة قطعا فيكون مقابلها الذى يتوهم كونه مشبها به تبعا لغيره أيضا.

(١) راجع البيت فى أسرار البلاغة ص ١٢٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٦٩ ، وفى المفتاح ص ١٤٤

(٢) راجع ١٤٢ من المفتاح

بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا ،
وكما مر فى تشبيه الشقيق والنيلوفر

[التشبيه المركب الحسى الواقع فى هيئة الحركات (١)] :

ومن بديع هذا النوع — أعنى المركب الحسى — مايجىء (٢) فى الهيآت التى تقع عليها الحركة
ويكون على وجهين (٣) :

---

(١) راجع ١٥٧ وما بعدها من الأسرار

(٢) أى وجه الشبه الذى يجىء ويتحقق فى الهيئآت التى توجد وتقع عليها أى معها الحركات : أى يكون وجه الشبه الهيئة التى تقع عليها الحركة من استدارة الحركة واستقامتها وغير ذلك من هيآت الحركة أى هيئة الجسم التى توجد معها مركبة من وجود الجزء مع الكل لأن الحركة جزء من الهيئة فى الوجه الأول وهو ظاهر، وكذلك فى الوجه الثانى أيضا لأن الهيئة فيه منتزعة من حركات فقط، فيراد بالهيئة مطلق الحركات وبالحركة التى هى جزء منها الحركة المخصوصه ويصح جعل على بمعنى من أى التى توجد منها الحركة ويكون فى الكلام قلب أى التى توجد بين الحركة فيكون التقدير من بديع المركب الحسى وجه الشبه الذى هو هيئة منتزعة من حركات فقط أو من حركات وغيرها من أوصاف الجسم ويعتبر فى فى الهيئة التى تقع عليها الحركة التركيب بأن تكون منتزعة من الحركة وأوصاف الجسم فى الأول أو من حركات مختلفة فى الوجه الثانى

(١) لتفصيل الكلام فى هذا البحث نقول :
التشبيه المركب الحسى الذى يجىء فى الهيآت التى تقع عليها الحركة قسمان :
لأن الهيئة المقصودة فى التشبيه إما أن تقترن بغيرها من أوصاف الجسم =

كالشكل واللون ونحوهما ، وإما أن تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غـــيرها للجسم حتى لا يراد سواها

١ — فالقسم الأول وهو ما اقترنت فيه هيئة الحركة المقصودة فى التشبيه بغيرها من أوصاف الجسم كقول الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

صور لك الشاعر الحركة التى تراها للشمس عند انعام التأمل وأثر هذه الحركة فى نور الشمس مع الشكل الذى هو الاستدارة واللون الذى هو الاشراق والتلألؤ على الجملة

بيان ذلك أن للشمس حركة دائمة سريعة ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب حتى يرى الشعاع كأنه يهم بالانبساط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو وله فيرجع من الانبساط الذى بداله إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ؛ وتشبه هيئة الشمس هذه بهيئة المرآة فى كف الأشل إذ لا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون المرآة فى يد الأشل لان حركته تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد، حتى ترى المرآة لا تقر فى العين ، وبدوام الحركة وشدة القلق فيها يتموج نور المرآة ويقع الاضطراب والقلق ، وتلك حال الشمس بعينها عند إنعام النظر والتأمل فى الحركة العجيبة فى جرمها وضوئها

ومما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول الشاعر :

كأن فى غدرانها حواجـبا ظلت تمط

أراد أن يصور ما يبدو فى صفحة الماء من أشكال كانصاف الدوائر صغار ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها وتقوسها حتى ينقلها من التقوس إلى ما يقرب من الاستواء فالتمس لهذه الصورة صورة حسية يشبهها فوجدها فى الحواجب إذا امتدت لان للحاجب كما لا يخفى تقويسا ومده ينقص من تقويسه

٢ — والقسم الثانى : هو ما جردت فيه هيئة الحركة عن غيرها من كل وصف غيرها للجسم فيقع فيها نوع من التركيب بأن يكون للجسم حركات فى =

جهات مختلفة ، فهناك لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له كان يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل وبعضه الى قدام والآخر إلى الوراء ونحو ذلك وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أبعاض الجسم إليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر

فحركة الرحا والدولاب والسهم لا تركيب فيها لأن الجهة واحدة فالحركة وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفتاحا

فيها تركيب لأنه يتحرك فى إحدى الحالتين إلى جهة غير التى يتحرك إليها فى الحالة الأخرى

الخلاصة

١ — المراد من التشبيه المركب الواقع فى هيئة الحركات تشبيه هيئة حركة بهيئة حركة أخرى أو بعبارة أخرى تشبيه إحدى هيئتين كلتاهما من هيآت الحركة بالأخرى

٢ — التشبيه المركب الواقع فى هيئة الحركات قسمان :

ا — أحدهما : ما يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون أو الشكل فقط

ب — والثانى : ما جردت هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم . مع كون هذه الحركة الواحدة حركات مختلفة ، باعتبار اختلاف الجهات التى تتحرك أبعاض الجسم إليها

موازنات

١ — قال الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

فى هذا التشبيه المركب الحسى الواقع فى هيئة الحركات تشبيه هيئة حـ

= الشعاع واضطرابه الحادث من تلك الحركة بهيئة حركة المرآة فى كف الأشل أى على الخصوص الذى يوجبه ارتعاش اليد ، واقترنت هذه الهيئة المقصودة فى التشبيه بغيرها من أوصاف الجسم وهو الشكل واللون

ومثل هذا التشبيه وإن صور فى غير المرآة قول الشاعر :

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لهـا حاجب
كأنهـا بوتقة أحميت يجـول فيها ذهب ذائب

فان البـوتقة إذا أحميت طويـلا وذاب فيهـا الذهب أخذ يتشكل بشكلهـا فى الاستدارة ويتحرك فيهـا بحملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بالانبساط حتى يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومه ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ولذلك لايقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه

فقد شبه الشاعر صورة الشمس وهى تبزغ مشرقة من مطلعها دون أن يحجبها عنا غمام أو ضباب بصورة البوتقة المحمية وهى يضطرب فيها ذهب ذائب

فصور لك هيئة الشمس وحركة شعاعها بهيئة البوتقة وحركة ما فيها من ذهب ذائب وقرن هذه الهيئة بالشكل واللون

٢ - وقال الشاعر :

كـأن فى غدرانهـا حـواجبا ظلت تمط

شبه الشاعر حركة صفحة الماء بحركة الحواجب إذا ظلت تمط ، وجمع فى التشبيه بين الشكل وهيئة الحركة

ومن لطيف ما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

بكر - تعير الأرض ثوب شباب رحبية محمودة الاسـكاب
نثرت أوائلها حيا فكأنه نقط على عجل ببطن كتاب =

= ٣ - وقال الشاعر :

وكأن البرق مصحف قار فانطباق مرة وانفتاحا

شبه الشاعر هيئة حركة البرق فى ظهوره وخفائه بهيئة حركة المصحف يفتحه القارىء مرة ويطبقه أخرى ، ولم تقترن هيئة الحركة هنا بسواها من أوصاف الجسم من شكل أو لون

وقال الأعشى يصف السفينة فى البحر ترتقاذف الأمواج بها وعقد التشبيه على تجريد هيئة الحركة

ولطف تشبيهه وعرف لما فيه من التفصيل والتركيب قال :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع

تقص : تثب . ينزو يثب أيضا: الرباح : الفصيل، وقيل القرد: الكرع ماء السماء

شبه الشاعر السفينة فى انحدارها . وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه فى الماء وقد خلاله فانه يكون له فى سنه فى هذه الحالة حركات متفاوته تصير لها أعضاؤها فى جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل احـــدى الحركتين فى الأخرى فلا يثبته الطرف مرتفعا - ى يراه متسفـــلا ويهوى مرة نحو الرأس وأخرى نحو الذنب وذلك أشبه شىء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج

وقال الشاعر : يصف الفصيل وهو يثب على الناقة ويعلوها ويلقى نفسه عليها لأنها قد بركت فلا يتمكن من أن يرتضع فهو يفعل ذلك لتثور الناقه

يقتاعها كل فصيل مكرم . كالحبشى يرتقى فى السلم — يقتاعها: أراد يعلوها ويثب عليها

شبه الشاعر الفصيل وهو يثب على الناقة بالحبشى وهو يصعد فى السلم ، وشبه بالحبشى فى هذه الحالة المخصوصة لما يكون له عند ارتفاعه فى السلم من تصعد بعض

. . . . . .

أجزائه وتسفل بعض على اضطراب مفرط وحمق شديد

وهذا كحركات الفصيل فى الماء وقد خلاله كرع فى أنه اختلاف فى جهات أبعاض الجسم على غير نظام مضبوط

وقد يقع التشبيه المركب الحسى فى هيئة السكون أيضا بأن تشبه إحدى هيئتى جسم ساكن فى سكونه تركيب بالأخرى .

وذلك أنه كما تعتبر هيئة الحركة فى التشبيه (بتنزيل هيئآت أجزاء الجسم المختلفة منزلة تعدد الأجزاء فى التشبيه المركب) فكذلك تعتبر هيئة السكون على الجملة وبحسب اختلافه ، نحو هيئة المضطجع أو الجالس ونحو ذلك فاذا وقع فى شىء من هيئآت الجسم فى سكونه تركيب وتفصيل لطف التشبيه وحسن ، كقول ابن المعتز يصف سيلا :

فلما طغا ماؤه فى البلاد وغص به كل واد صدى
ترى الثور فى متنه طافيا كضجعة ذى التاج فى المرقد

وقول المتنبى فى صفة الكلب : يقعى جلوس البدوى المصطلى

شبه ابن المعتز هيئة سكون أعضاء الثور الطافى على متن السيل بضجعة ذى التاج فى مرقد .

وشبه المتنبى هيئة سكون أعضاء الكلب ومواقعها فيها (أى فى تلك الهيئة) بهيئة البدوى المصطلى ، ونال التشبيه حظه من الحسن والروعه بما فيه من تفصيل من حيث كان لكل عضو من أعضاء الكلب فى اقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات فى حكم أشكال مختلفة تؤلف فتجىء منها صورة خاصة

موازنات :

قال الشاعر يصف مصلوبا :

كأنه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل

وقال الآخر فى هذا المعنى:

لم أرصفا مثـــل صف الزط تسعين منهم صلبوا فى الخط
من كل عال جذعه بالشط كأنه فى جذعه المشتط
أخو نعاس جد فى التمطى قد خامر النـــوم ولم يغط

الشاعر الأول يشبه فى البيت التالى هيئة سكون أعضاء المصلوب بهيئة قائم من نعاس يتمطى ويواصل تمطيه .

وأجاد الشاعر ولطف لكثرة ما فى بيته من تفصيل جعلت تشبيهه غريبا مبدعا فأصل التشبيه كأنه متمط من نعاس ، وهذا تشبيه يقرب أن يكون عاميا قريبا من المتناول ، لأنه يقع فى نفس الذى يرى المصلوب ويخطر بباله بدون عسر ومشقة لكونه (أى الشبه) من حد الجملة

إلا أن الشاعر تعسرف فى هذا التشبيه تصرفا جعله خاصيا غريبا ، بما فصل وأمعن فى التفصيل حتى أصبح التشبيه بهذا التفصيل بعيد الفكرة غريب المنزع لا يحضر إلا مع قوة تأمل الفكر وذلك لأنه نظر إلى المصلوب نظرة ثانية فرأى استمرار سكون أعضائه فطلب لذلك نظـــيرا فى المتمطى فعثر عليه فى مواصلة القائم من النعاس لتمطيه فقال مواصل ثم طلب علة ذلك وهى قيام اللوثة والكسل فى القائم من النعاس فأثبتها

أما الشاعر الثانى فقد شبه أيضا هيئة سكون أعضاء المصلوب بهيئة أخى نعاس خامر النوم ولم يغط

فأصل هـــذا التشبيه أن يقول كأنه متمـــط فى أوائل نومه إلا أنه زاد فى هذا التشبيه القريب قيداً فيه تفصيل وهو قوله « جد » فهل هذا القيد يبلغ مبلغ التفصيل فى البيت السابق ؟

الجواب لا ؛ فان فى اشتراط المواصلة فى البيت السابق من الفائدة ما لا يخفى وذاك لأنه يجوز أن يبالغ ويجتهد فى تمطيه ثم يدع ذلك فى الوقت ويعود إلى

احدهما [١] أن يقرن بالحركة غيرهما من أوصاف الجسم كالشكل واللون ، كما فى قوله [٢] :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

[لما رأيتها بدت فوق الجبل

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة

الحالة التى كان عليها فى السلامة مما يدعو إلى التمدد فكان المستفاد من قول الشاعر الثانى صورة التمطى وهيئته الخاصة وزيادة معنى وهو بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، وهذا كله مستفاد من قول الشاعر الأول الذى لم يقف عند هذا الحد بل زاد زيادة أخرى هى أخص ما يخرج من صفة المصلوب وهى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها ، وقول الشاعر الثانى : خامر النوم ولم يغط ، ومحاولته أن يرينا هذه الزيادة — من حيث يقال إنه إذا أخذه النعاس فتمطى ثم خامر النوم فان الهيئة الحاصلة له من جده فى التمطى تبقى له — فليس ببالغ مبلغ قوله مواصل لتمطيه وتقييده من بعد بأنه من الكسل واحتياطه قبل بقوله فيه لوثته

وشبيه بالبيت الأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى صفة المصلوب أيضا :

كأن له فى الجو حبلا يبوعه

إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فاشتراطه أن يكون بعد الحبل الذى ينتهى ذرعه حبل آخر يخرج من بوع وقياس الأول إليه كقوله « مواصل لتمطيه من الكسل » فى استيفاء الشبه والتشبيه على استدامته لأنه إذا كان لا يزال يقيس حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال

(١) ١٥٧ من الأسرار

(٢) ابن المعتز . وينسب لأبى النجم أيضا . وهو فى المفتاح أيضا ص ١٤٣

المتصلة ، وما يحصل من الاشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب حتى يرى الشعاع كأنه يهم بان ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بداله الى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب الى الوسط ، فان الشمس اذا احد الانسان النظر اليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذا المرآة إذا كانت فى يد الأشل

ومنه قول المهلبى الوزير : (١)

والشمس من مشرقها قد بدت
مشرقة ليس لهـــا حاجب
كأنها بوتقة احميت يجول فيها ذهب ذائب (٢)

فأن البوتقة اذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلهـــا فى الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومة ، ثم يبدوله فيرجع الى الانقباض ، لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ،

---

(١) ١٥٠ و ١٥٨ أسرار ، و ١٤٤ مفتاح ، و ٣٢٧ مطول

(٢) الحاجب : المـــانع من الاشراق . البوتقة : ما يذيب فيها الصانـــع الذهب والفضة

ولذلك لا يقع فيه غلمان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء وكما فى قول الصنوبرى [١] :

كأن فى غدرانها حواجبا ظلت تمط

أراد ما يبدو فى صفحة الماء من اشكال الماء كأنصاف دوائر صغار ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها فينقلها من التقوس الى الاستواء وذلك اشبه شىء بالحواجب اذا امتدت لأن للحاجب كما لا يخفى تقويسا، ومده ينقص من تقويسه

والوجه الثانى [٢] : ان تجرد هيئة الحركة عن كل وصف للجسم غيرها فهناك أيضا لا بد من إختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل، فحركة الرحا والدولاب والسهم لا تركيب فيها لاتحاد [٣] الحركة، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز [٤] :

---

(١) ١٥٨ أسرار البلاغة

تمط : تمد على البناء للمفعول

يصف أرضا بالطيب وأن غدرانها تهب عليها الرياح فيبدو على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد

(٢) ١٥٩ أسرار

(٣) هذا إذا لم يلاحظ معها وصف الجسم من الاستقامة والاستدارة وانتزاع الهيئة من المجموع وإلا كان وجه الشبه مركبا

(٤) راجعه فى ١٣١ و١٣٦ و ١٥٩ أسرار =

وكأن البرق مصحف قارىء فانطباقا مرة وانفتاحا

فيها تركيب لأنه يتحرك فى الحالتين الى جهتين فى كل حالة الى جهة. وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك ابعاض الجسم اليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر.. ومن لطيف ذلك قول الاعشي يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها [1] :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع

قال الشيخ عبد القاهر [2] : الرباح الفصيل. والكرع: ماء السماء شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه، فانه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفة، ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب، وبحيث يدخل أحدهما

= قار: مخفف قارىء. وانفتاحا أى وانفتاحا مرة أخرى

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تقارن هذه الحركات المختلفة بحسب الجهات مع تكررها، وهذه الهيئة حسية فى المصحف وخيالية فى البرق. ثم إن الانطباق والانفتاح للسحاب الذى يخرج منه البرق لأنه ينفتح فيخرج منه البرق ثم ينطبق فيلتئم آخرا، وأما البرق فلا انفتاح فيه ولا انطباق، ويمكن أن يقال أن المراد بانفتاحه ظهوره من خلال السحاب منتشرا ضوؤه وانطباقه بانضمام أجزائه.

(١) راجع ١٥٩ من الأسرار

(٢) ١٥٩ — ١٦٠ من الأسرار

تقص: تثب جانبيه: أى جانبى الموج أو الشاطىء

فى الآخر ، فلا يتبينه الطرف مرتفعا حتى يراه متسفلا ؛ وذلك أشبه شىء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين تتدافعها الامواج ومنه قول آخر (١) :

حفت بسرو وكالفيان ولحفت خضر الحرير على قوام معتدل

فكأنها والريح جاء يميلها تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل (٢)

فان فيه تفصيلا دقيقا ، وذلك أنه راعى الحركتين حركة التهيؤ للدنو والعناق ، وحركة لرجوع الى أصل الافتراق ، وأدى ما يكون فى الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة لان حركة الشجرة المعتدلة فى حال رجوعها الى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهم بالدنو لان ازعاج الخوف أقوى أبدا من ازعاج الرجاء .. ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرىء القيس

---

(١) هما لابن المعتز ويوجدان فى ٨١ من الأسرار وينسبان للأخيطل الاهوازى

(٢) الضمير فى « حفت » للرياض . القيان : الجوارى وهن يشبهن فى قد ودهن بالسرو وقد يشبه السرو بهن فيجعل الفرع أصلا كما هنا . لحفت خضر الحرير أى اتخذت ذلك لحافا

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل [١]

يقول ان هذا الفرس لفرط ما فيه من لـــين الرأس وسرعة الانحراف ، ترى كفله في الحال التى ترى فيها لبيه ؛ فهو كجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ؛ فان الحجر بطبعه يطلب جهة السفل ، لانها مركزه ؛ فكيف اذا أعانته قوة دفع السيل من عل ؛ فهو لسرعة تقلبه يرى أحد رجليه حين يرى الآخر

(التركيب فى هيئة السكون [٢]) :

وكما يقع التركيب فى هيئه الحركة قد يقع فى هيئه السكون [٣] فمن لطيف ذلك قول أبى الطيب فى صفة الكلب [٤] .

---

(١) البيت فى الكتاب لسيبوية ص ٣٠٩ ج ١ — مكر : مقبل . مفر : مدبر

(٢) راجع ١٦٢ من الأسرار

(٣) أى قد يتحقق فيها من تحقق الكلى فى جزئيه

(٤) راجعه فى الأسرار ص ١٦٢

يقعى : أى يجلس على اليتيه . المصطلى من اصطلى بالنار . وأربع هى يديه ورجليه . مجدولة : أى محكمة الخلق . لم تجدل : أى لم تجمع كما يكون فى غير صورة الاقعاء من جدل الشعر

والغرض من التشبيه مدح الكلب بشدة الحراسة لأن جلوسه على هذه الحال فى الغالب يكون وقت الحراسة

يقعى جلوس البدوى المصطلى [بأربع مجدولة لم تجدل]

أما لطف من حيث كان لكل عضو من الكلب فى اقعائه موقع [١] خاص وللمجموع [٢] صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع ومنه البيت الثانى من قول الآخر فى صفة مصلوب [٣]

وكأنه عاشق قدمد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل [٤]

والتفصيل فيه أنه شبهه بالمتمطى اذا واصل تمطيه ، مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه ، فنظر الى هذه الجهات الثلاثة ، ولو اقتصر على أنه كالمتمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداء ، لأنه من باب الجملة .

وشبيه بهذا القول قول الآخر [٥]

---

(١) أى وقوع وسكون (٢) أى مجموع أعضائه

(٣) هو للأخيطل الشاعر [٤٥ ج ٢ من كامل المبرد ، ٤٣٢ معجم الشعراء]

(٤) البيتان فى الأسرار ص ١٦٣ ، الصفحة : باطن الكف . اللوثة : الاسترخاء

(٥) هو دعبل فى صفة مصلوب [٤٥ ج ٢ من الكامل للمبرد]

الزط : طائفة من الهند صلب منهم هذا العدد فى خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وقيل الخط موضع بالبمامة . الضمير فى كأنه لكل واحد من المصلوبين المشتط : الخارج عن الحد فى طوله . خامر : خالط . الغطيط صوت النائم فى نومه . وراجع الابيات فى ١٦٣ و ١٦٤ من أسرار البلاغة

لم أر صفا مثل صف الزط تسعين منهم صلبوا فى خط
من كل عال جذعه بالمشط كأنه فى جذعه المشتط
أخو نعاس جد فى التمطى قد خامر النوم ولم يغط

والفرق بين هـذا والأول : أن الاول صريح فى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لهـا : دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثانى بالعكس ؛ قال الشيخ عبـد القاهر : وشبيه بالاول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى المصلوب [1] أيضا :

كأن له فى الجو حبلا يبوعه اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فقوله اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل كقوله « مواصل لتمطيه من الكسل » فى التنبيه على استدامة الشبه ، لانه اذا كان لا يزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال

---

(١) راجع ١٦٤ الأسرار
يبوعة : يقيسه بالباع . أتيح : هيء

ملاحظة

هيئة السكون على وجهين أيضا : أن تنتزع الهيئة التركيبية من السكون وحده مجردا من أوصاف الجسم فلا بد من تعدد افراد السكون ، وأن يعتبر فى تلك الهيئة مع السكون غيره ولا يشترط فى هذا تعدد أفراد السكون ، وقد مثل المصنف للأول ومثال الثانى : كانه عاشق قد مد صفحته . يوم الوداع الى توديع مرتحل

والمركب العقلى [1] : كالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذى هو على عكس ما قدر ، فى قوله تعالى « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه » شبه ما يعمله من لا يقرن الايمان المعتبر بالأعمال التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ، ويلقى خلاف ما قدر ، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيحسبه ماء ، فيأتيه ، فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه الى جهنم ، فيسقونه الحميم والغساق ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض ، وذلك أنه روعى من الكافر فعل مخصوص وهو حسبان الاعمال نافعة له ، وأن تكون للاعمال صورة مخصوصة وهى صورة الاعمال الصالحة التى وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الايمان به وبرسله عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم فى العاقبة شيئا ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الاليم ، وكذا فى جانب المشبه به ، وكحرمان الانتفاع [2]

---

(١) أى من وجه الشبه وراجع ذلك فى ١٤٤ من المفتاح ، ٨١ و ٨٢ من الأسرار

(٢) راجع ص ٨١ من الأسرار

أى كهيئة حرمان أى كالهيئة الحاصلة من حرمان الخ . وراجع الكلام على الآية « أو كصيب من السماء الخ » فى الأسرار ص ٢١٦

هذا و « مثل الذين حملوا الخ » الطرفان فيها مركبان عقليان وكذلك الوجه =

بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه كما فى قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا »، فانه أيضا منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهى الاسفار التى هى أوعية العلوم ؛ وان الحمار جاهل بما فيها . وكذا فى جانب المشبه

.
.
.

واعلم [1] أنه قد تقع بعد اداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها فيقع الخطا لكونه أمرا منتزعا من جميعها كقوله [2]

= وقد أخذ حرمان الانتفاع الذى اشترك الطرفان فيه من الجهل المعتبر فيهما ، وأخذ كون ما حرم الانتفاع به بأبلغ نافع من كون المحمول فيهما أوعية العلوم التى هى أولى ماينتفع به ، وأخذ تحمل التعب فى الاستصحاب من اعتبار حملهم الأمر الغير الخفيف فيهما .

(١) راجع ٨٨ من الأسرار و ١٤٩ من المفتاح

(٢) هو لكثير [راجع ٢/٧١ زهر الآداب ، ٢/١٦٦ الزهر أيضا ، ٧٤ دلائل الإعجاز]

وقبله :

وإنى وتهيامى بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت

كما أبرقت الخ . تجلت : انكشفت . أفشعت : تفرقت

والكاف للتشبيه وما مصدرية وأبرق أى ظهر أى حالى مع ليلى كحال ظهور غمامة لقوم عطاش الخ . فانتزاع وجه الشبه من مجرد قوله « كما أبرقت قوما عطاشا غمامة » فقط خطأ لوجوب انتزاعه من جميع البيت

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

فانه ربما يظن أن الشطر الاول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به الى الثانى، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه، ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر فى التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس؛ وذلك يتوقف على البيت كله.

فان قيل [1] هذا يقتضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويكدر تشبيها واحدا، لان الاقتصار على أحد الجزءين يبطل الغرض من الكلام، لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين وأن إحداهما لا تدوم، قلنا: الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس كما مر، وكون الشىء أبتداء لآخر زائد على الجمع بينهما، وليس فى قولنا «يصفو ويكدر» أكثر من الجمع بين الصفتين، ونظير البيت قولنا يصفو ثم يكدر لافادة ثم الترتيب المقتضى ربط أحد الوصفين بالآخر

وقد ظهر [2] مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ما ذكرنا بأمرين أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب، الثانى أنه اذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى إفادة ما كان يفيده

---

(١) ٨٩ من الأسرار

(٢) راجع ٨٩ وما بعدها من الأسرار

قبل الحذف. فاذا قلنا زيد كالأسد بأسا والسيف مضاء والبحر جودا لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى إفادة معناه (١)

[ثالثا — التشبيه المتعدد]:

والمتعدد الحسى (٢) كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة بأخرى

والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب

والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه انسان بالشمس.

∴

واعلم (٣) أن الطريق فى اكتساب وجه الشبه أن يميز عما عداه، فاذا أردت أن تشبه جسما بجسم فى هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره كما فعل

---

(١) فالفرق بينهما أن المركب لايجوز فيه حذف بعض ما اعتبره وإلا اختل المعنى، ولا تقديم بعض ما اعتبر على بعض بخلاف الثانى

(٢) أى من وجه الشبه وراجع ذلك فى المفتاح ص ١٤٤

(٣) راجع ١٣١ من الأسرار

ابن المعتز فى تشبيه البرق[١] فانه لم ينظر الى شىء من أوصافه سوى الهيئة التى تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض

[أداة التشبيه[٢]] :

وأما أدواته : فكاف فى نحو قولك «زيد كالأسد»[٣] ، وكأن فى نحو قولك زيد كأنه أسد[٤] ، ومثل فى نحو قولك «زيد مثل الأسد» وما فى معنى مثل كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما[٥]

(١) راجع ٢٢ من الأسرار — وذلك فى بيته :

وكأن البرق مصحف قار فانطبقا مرة وانفتحا

(٢) أى آلته إسما أو فعلا أو حرفا

(٣) وتلزم الكاف كلمة ما إذا دخلت الكاف على أن المفتوحة فيقال هو مجد كما أن خالدا مجد، لئلا تلتبس بكلمة كان التى هى من أخوات إن

(٤) هى بسيطة وقيل مركبة والأقرب الأول لجمود الحرف مع وقوعها فيما لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لأن المفتوحة وإن كان الثانى أشبه بحسب ما يظهر من صورة كأن

وقد تستعمل كأن عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد الى التشبيه سواء كان الخبر جامدا أو مشتقا نحو كأن زيدا أخوك وكأنه قائم . أما استعمالها للتشبيه فمقيد بما إذا كان خبرها جامدا على هذا القول

(٥) كالمماثلة والمشابهة والمضاهاة والمحاكاة ، فالمشتق منها يفيد التشبيه . قال اليعقوبى :

المتبادر أن هذه المشتقات انما تفيد الاخبار بمعناها فزيد يشبه الأسد إخبار بالمشابهة مثل زيد يقوم إخبار بالقيام وليس هنا أداة داخلة على المشبه به ، ومثل هذا يلزم فى لفظ مثل فعدها من الأداة لا يخلو من تسامح

والأصل فى الكاف ونحوها [١] أن يليها المشبه به، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به وذلك اذا كان المشبه به مركبا كقوله [٢] تعالى «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح» اذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء [٣] ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره، بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقائم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن ... وأما قوله عز وجل [٤] «يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله» فليس منه لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين

---

(١) كلفظ نحو ومثل وشبه، أى من كل ما يدخل على المفرد بخلاف ما يدخل على الجملة مثل كأن أو يكون جملة بنفسه مثل يشابه ويضاهى ويماثل: فان هذه لا يليها المشبه به بل المشبه ففى زيد يماثل عمرا الضمير المستتر الوالى للفعل هو المشبه وعمرا هو المشبه به المتأخر

(٢) ٨٧ وما بعدها أسرار، ٥٠ مفتاح، ٢١٥ أسرار أيضا

(٣) وذلك لأمرين: الأول أننا لانسلم أن المشبه به مثل الماء وصفته بل مثل النبات. الثانى أنه على تسليم أن المشبه به هو مثل الماء فلا نسلم أن الكاف فى الآية قد وليها غير المشبه به بل الوالى لها اذا هو المشبه به لأن المقدر عندهم كالملفوظ

(٤) ١٤٨ مفتاح

قال لهم من أنصارى الى الله . وقد يذكر فعل[١] ينبىء عن التشبيه[٢] كعلمت فى قولك علمت زيدا أسدا ونحوه ؛ هذا اذا قرب التشبيه[٣] فان بعد[٤] أدنى تبعيد قيل خلته وحسبته ونحوهما

الغرض من التشبيه[٥]] :

وأما الغرض من التشبيه فيعود فى الاغلب الى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به

أما الاول[٦] فيرجع الى وجوه مختلفة منها .

[١ -] بيان أن وجو المشبه ممكن وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه كما فى قول أبى الطيب[٧]

فان تفق الانام وأنت منهم فان المسك بعض دم الغزال

اراد أنه فاق الأنام فى الاوصاف الفاضلة الى حد بطل معه أن يكون

---

(١) أى من غير الأفعال الموضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه

(٢) أى يدل عليه من غير ذكر أداة فيكون الفعل قائما مقامها

(٣) أى وادعى كمال المشابهة لما فى علمت من معنى التحقيق

(٤) أى أن بعد التشبيه أى إن كانت المشابهة بين الطرفين ضعيفة ككون وجه الشبه خفيا عن الادراك ، وذلك لما فى الحسبان من الاشعار بعدم التحقيق واليقين ، هذا والمنبى عن التشبية فى هذه الأفعال هوعدم صحة حمل الأسد على زيد

(٥) راجع ١٤٥ مفتاح ، ١٠٣ أسرار

(٦) أى ما يعود إلى المشبه

(٧) راجع ١٠٣ أسرار

واحدا منهم بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الانسان وهذا أعنى أن يتناهى بعض افراد النوع فى الفضائل الى أن يصير كأنه ليس منها أمر غريب يفتقر من يدعيه الى إثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيىء الى اثبات وجوده فى الممدوح فقال «فان المسك بعض دم الغزال» أى ولا يعد فى الدماء لان فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد شىء منها فى الدم وخلوه من الأوصاف التى لها كان الدم دما فأبان أن لما ادعاه أصلا فى الوجود على الجملة (١)

[٢ -] ومنها بيان حاله (٢) كما فى تشبيه ثوب بثوب آخر فى السواد ، إذا علم لون المشبه به دون المشبه

[٣ -] ومنها بيان مقدار حاله (٣) فى القوة والضعف والزيادة والنقصان ، كما فى قوله (٤) :

---

(١) فالتشبيه فى البيت تشبيه مركب بمركب . وهو تشبيه ضمنى أى مدلول عليه باللازم لأنه ذكر فى الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه (فوقان الأصل) وأراد الملزوم وهو التشبيه ، وقيل سمى ضمنيا لأنه يفهم من الكلام ضمنيا ومكنيا عنه لأنه مكنى أى خفى ومستتر . قال اليعقوبى : الذى بين إمكانه هو وجه الشبه ليتوصل به إلى إمكان المشبه

(٢) أى حال المشبه أى صفته بانه على أى ، وصف الأوصاف

(٣) أى مقدار حال المشبه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان

(٤) أى حبيب الطائى (٣٠ ج ٢ العقد ، ٢٦٤ ج ٢ زهر الآداب) ويروى للحسن بن وهب

الخافية من الريشات العشر فى مقدم الجناح

مداد مثل خافية الغراب [وقرطاس كرقراق السحاب]

وعليه قول الآخر [1]

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الاصابع

أى بلغت فى بوار السعى فى الوصول اليها وأن أتمتع بها أقصى الغايات حتى لم أحظ منها بماقل ولا بما كثر

(٤ -) ومنها تقرير [2] حاله فى نفس السامع ، كما فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء ، وعليه قوله عز وجل: « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، فانه بين مالم تجر به العادة بما جرت به العادة

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وهو به أشهر ولهذا ضعف قول البحترى [3]

---

(١) راجع ١٠٤ أسرار . الفروج : جمع فرج يطلق على الخلل بين الشيئين

(٢) راجع ١٠٦ أسرار . هذا ومن تقرير التشبيه قول الشاعر :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وهو لشبرمة بن الطفيل (٧٩ ج ١ حماسة) أو لابن الطثرية (٥ ج ٦ الحيوان للجاحظ)

(٣) راجع ١٩٢ : ونقده ابن العميد بأنه تشبيه غير رائع ولا بارع ولإعرابى : والليل قد صبغ الحصى بمداد =

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد

فانه رب مداد فاقد اللون ، والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى ، ولهذا قال ابن الرومى (١)

حبر أبى حفص لعاب الليل يسيل للاخوان أى سيل

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه نظر الى قول العامة فى الشىء الاسود هو كالنقس (٢) ثم تركه للقافية الى المداد

= (١٨ ج ٣ زهر الآداب)

ولابى نواس : وجفن الليل مكحول بقار (١٨ ج ٣ زهر) . وله :

قد أغتدى والليل كالمداد

(١) راجع ٢٢١ ج ٢ زهر الآداب ، ١٩٢ أسرار . وفى الزهر بدل « يسيل للاخوان أى سيل » : « كأنه ألوان دهم الخيل »

(٢) بالكسر : أى الحبر

ملاحظة : الأغراض الأربعة : بيان الحال والمقدار وبيان الامكان والتقرير — تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وأقوى ولو باعتبار ما عند المخاطب بالتشبيه ، وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر عند السامع — وإن لم يكن أشهر فى الواقع — وأعرف . وظاهر هذا أن كلا من الاربعة تقتضى الاتمية والاشهرية وهو غير صحيح ؛ ويمكن الجواب بأن الامر على التوزيع ، فالاشهرية للجميع والاتمية للتقرير فقط ؛ إذ التحقيق أن بيان الامكان وبيان الحال لا يقتضيان إلا الاشهرية فقط ليصح القياس ويتم الاحتجاج فى الاول ويعلم الحال فى الثانى ، وكذا بيان المقدار لا يقتضى الا تمية بل يقتضى أن يكون المشبه به مع كونه أعرف وأشهر بوجه الشبه — على حد مقدار المشبه — أى مساويا للمشبه فى وجه الشبه لا أزيد ولا أنقص ليتعين مقدار المشبه =

(٥ —) ومنها تزيينه للترغيب فيه كما فى تشبيه وجه اسود بمقلة الظبى

(٦ —) ومنها تشويهه للتنفير عنه كما فى تشبيه وجـــه مجدور بساحة[1] جامدة قد نقرتها الديكة ، وقد أشار الى هذين الغرضين ابن الرومى فى قوله : [2]

= على ما هو عليه؛ وأما تقرير الحال فيقتضى الأمرين: الأتمية والأشهرية جميعا لأن النفس إلى الأتم والأشهر أميل ، فالتشبيه بالأتم الأشهر بزيادة التقـــرير والتقوية أجدر من التشبيه الخالى منهما

(١) ١٤٦ مفتاح

(٢) هى العذرة اليابسة . والمجدور : الذى عليه آثار الجدرى

(٣) المجاج الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل العسل . الزنابير جمـــع زنبور وهو ذباب أليم اللسع فيدخل فيه النحل

ملاحظات

١ — تزيين المشبه أى تصويره بصورة حسنة سواء كانت تدرك بالعـــين أو بغيرها لأجل ترغيبه فيه . وتشويهه بتصويره بصورة تجهما النفس ويشمئز منها الطبع

٢ — بيان الحال إذا كان المشبه به معروفا والمشبه مجهولا أو فى حكم المجهول وبيان المقدار إذا كان حال المشبه معلوما وأراد المتكلم أن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار

٣ — مثال التزيين :

سوداء واضحـــة الجبين كمقلة الظبى الغـــرير

ومثال التهجين : «مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» =

تقول هذا مجاج النحل تمدحه

وان تعب قلت ذاقىء الزنابير

[٧ —] ومنها استطرافه [١] كما فى تشبيه فم فيه جمر [٢] موقد ببحر من المسك موجه الذهب [٣] ، لأبرازه [٤] فى صورة الممتنع

= وقول الشاعر :

وإذا أشار محدثا فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

٤ — سبق أن بيان الامكان وبيان الحال وبيان مقدار الحال كلها تقتضى أن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف

وأما التقرير فيقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف معا

وأما التزيين والتشويه والاستطراف فلا تقتضى الأتمية ولا الأشهرية لصحة تشبيه وجه الحبشى الشديد السواد بمقلة الظبى للتزيين مع أن السواد ليس فيه أتم منه فى وجهه ولا هو أشهر منه فى السواد

والذى يظهر من كلام المفتاح أن كون المشبه به أعرف بوجه الشبه معتبر فى بيان الحال والمقدار والإمكان وزيادة التقرير والتزيين والتشويه وأن كونه أتم وأقوى فى وجه الشبه معتبر فى زيادة التقرير والحاق الناقص بالكامل ، وأما الاستطراف فالمعتبر فيه غرابة المشبه به وندرة حضوره

(١) أى عد المشبه طريفا جديدا بديعا لأجل الاستلذاذ به راجع ١٤٨ من الأسرار ، ١٤٦ من المفتاح

(٢) أى سرت النار فيه سريانا يتوهم منه الاضطراب كاضطراب الموج

(٣) وجه الشبه الهيئة الحاصلة من وجود شىء مضطرب مائل إلى الحمرة فى وسط شىء أسود والاستطراف من حيث هو له وجهان: إبراز المشبه فى صورة الممتنع فى الخارج ، وإبرازه فى صورة النادر الحضور فى الذهن ، وهذا الوجه الثانى أعم فيلزم من ندرة الحضور فى الخارج ندرة الحضور فى الذهن دون العكس

(٤) أى إنما استطرف المشبه فى هذا التشبيه لأبراز المشبه

عادة [١]

وللاستطراف [٢] وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور : إما مطلقا [٣] كما مر [٤] ، وإما عند حضور المشبه [٥] كما في قوله [٦] :

ولازورديةٍ تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت [٧]

---

(١) وإن كان ممكنا عقلا ، ولا يخفى أن الممتنع عادة مستطرف غريب

(٢) أي المطلق ، لا الاستطراف في خصوص المثال السابق

(٣) أي ندورا مطلقا من غير تقييد بحالة حضور المشبه في الذهن، أي عند حضور المشبه في الذهن وعدمه

(٤) أي في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب

فالاستطراف في هذا التشبيه له جهتان: إبراز المشبه في صورة الممتنع وإبرازه في صورة النادر الحضور ولا منافاة بين الجهتين وتقدم لك وجه ثالث للاستطراف في التشبيه المذكور

(٥) أي وإما أن تكون تلك الندرة حاصلة في المشبه به عند حضور المشبه لا مطلقا لكون المشبه به مشاهدا معتادا لكن موطنه غير موطن المشبه لكون كل منهما من واد

(٦) هما لابن المعتز ونسبا لأبي العتاهية

وتجدهما في الأسرار ص ١١٠ والمفتاح ص ١٤٦

(٧) اللازوردية : البنفسج الشبيه بحجر اللازورد لكونه على لونه . تزهو من الزهو وهو الكبر من زها يزهو زهوا . حمر البواقيت استعارة يعني الازهار والشقائق الحمر . كأنها الضمير فيها للازوردية . القامات : السيقان . أوائل النار، أي النار المتصلة بالكبريت التي تضرب إلى الزرقة لا الشعلة المرتفعة

فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت لا يقدر حضورها فى الذهن قدرة صورة بحر من المسك موجه الذهب، وانما القادر حضورها عند حضور صورة البنفسج، فاذا أحضر مع صحة الشبه استطرف، لمشاهدة عناق بين صورتين [1] لا تتراءى ناراهما. ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريرا قال أنشدنى عدى [2]:

عرف الديار توهما فاعتادها

فلما بلغ الى قوله

تزجى أغن كأن ابرة روقه

---

(١) هما: صورة البنفسج وصورة اتصال النار بأوائل الكبريت

لايقال: الاستطراف لأجل المعانقة المذكورة يعم الطرفين. لأنا نقول: الكلام المشتمل على التشبيه مسوق للمشبه فلذلك كان المعتد به هنا استطرافه ملاحظة التشبيه فى الآية الكريمة، ومثل نوره كمشكاة، لبيان مالا يعلمه البشر بما يعلمونه، فليس من التشبيه المقلوب لأن المشكاة فى الذهن أوضح وأقوى والقوة فى المشبه به قد تكون باعتبار الوضوح

(٢) راجع ١٣٢ من الأسرار، ٤٠٦ / ٣ العقد، والبيت فى ٢٣٤ و ٢٤١ صناعتين، ٢٥٣ معجم الشعراء، ٢٧٢ / ١ الكامل

ويروى أن جريرا دخل على الوليد بن عبد الملك وابن الرقاع العاملى عنده ينشده، قال جرير: فحسدته على ابيات منها، حتى إذا أنشد فى صفة الظبية، تزجى أغن، قلت فى نفسى والله مايقدر أن يقول أو يشبه، فلما قال، قلم الخ، ماقدرت أن أقيم فانصرفت (٩٤ ج ٢ الكامل للمبرد ٢

رحمته وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو اعرابي جلف جاف ، فلما قال :

قلم اصاب من الدواة مدادها [١]

استحالت الرحمة حسدا ، فهل كانت رحمته فى الاولى والحسد فى الثانية إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبه وحين أتمه صادفه قد ظفر باقرب صفة من أبعد موصوف

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجها آخر [٢] : وهو أنه أراك شبها لنبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر

وأما الثانى [٣] :

---

(١) ترجى : تسوق والضمير للظبية . الأغن : الذى فى صوته غنة والمراد به ولدها . ابرة الروق : طرف القرن ، الروق : القرن

(٢) راجع ١٠٩ و ١١٠ أسرار البلاغة ، ١٤٦ مفتاح

(٣) وهو الغرض من التشبيه الذى يعود إلى المشبه به وهو ضربان : الحاق الناقص بالكامل ، والاهتمام

[١٦ — م] فيكون فى الغالب ايهام [١] أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه ، وذلك فى التشبيه المقلوب [٢] ، وهو أن يكون الأمر بالعكس كقول محمد بن وهيب [٣] :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

فانه قصد [٤] ايهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء . واعلم أن هذا وإن كان فى الظاهر يشبه قولهم : « لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح ، وغرته أضوأ ام البدر » ، وقولهم إذا أفرطوا : « نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ونحو ذلك من وجوه المبالغة » ؛ فان فى الأول خلابة وشيئا من السحر ليس فى الثانى ؛ وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد فى تشبيه يفخم به أمره ، فيوقع المبالغة فى نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر إدعاؤه لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه

---

(١) أى ايهام المتكلم للسامع

(٢) هو الذى يجعل فيه الناقص فى نفس الأمر مشبها به ويجعل الكامل مشبها قصدا إلى أدعاء أنه أكمل من المشبه الذى هو أكمل فى نفس الأمر

(٣) راجع البيت والكلام عليه فى الاسرار ص ١٩٤ - ١٩٦ ، وراجعه فى ٤٢٠ معجم الشعراء ، ٤٢٩ صناعتين ، ١٧ ج ٣ زهر الآداب

(٤) أى بقلب التشبيه

لا يشفق من خلاف مخالف وتهكم متهكم، والمعانى اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب، فكانت كالنعمة التى لا يدركها المنة، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب، وفى قوله حين يمتدح [1] فائدة شريفة، وهى الدلالة على إتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل فى الكرم من معرفة حق المادح، على ما احتشد له من تزيينه، وقصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس، بالاصغاء والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده. ومنه[2] قوله تعالى حكاية عن مستحل الربا « إنما البيع مثل الربا »، فان مقتضى الظاهر أن يقال " إنما الربا مثل البيع "، اذ الكلام فى الربا لا فى البيع؛ فخالفوا؛ لجعلهم الربا فى الحل أقوى حالا من البيع واعرف به. ومنه قوله عز وجل: " افمن يخلق كمن لا يخلق "، فان مقتضى الظاهر العكس، لأن الخطاب للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة، تشبيها بالله سبحانه وتعالى، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى خطابهم، لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلوا، حتى صارت عندهم اصلا فى العبادة، والخالق سبحانه فرعا، فجاء الانكار على وفق ذلك... قال

---

(١) راجع ١٤٦ من المفتاح

(٢) أى من التشبيه المقلوب وراجع ذلك فى ١٤٧ من المفتاح، ٤٩٠ ج ١ ابن السبكي

السكاكى : [1] عندى ان المراد بمن لا يخلق الحى العالم القادر من الخلق تعريضا بانكار تشبيه الاصنام بالله عز وجل ، وقوله « افلا تذكرون » ، تنبيه توبيخ عليه . ونحوه قوله تعالى [2] « أرأيت من اتخذ الهه هواه » ؛ بدل ارايت من اتخذ هواه الهه

[٢ —] وقد يكون الغرض العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به[3] كتشبيه الجائع وجها كالبدر فى الاشراق والاستدارة بالرغيف ، اظهارا للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا يسمى اظهار المطلوب . قال السكاكى ولا يحسن المصير إليه إلا فى مقام الطمع فى تسنى المطلوب ، كما يحكى عن الصاحب أن قاضى سجستان دخل عليه ، فوجده الصاحب متفننا ، فأخذ يمدحه حتى قال :

وعالم يعرف بالسجزى[4]

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحدا بعد واحد إلى أن انتهت النوبة إلى شريف فى البين ، فقال :

---

(١) ١٤٧ مفتاح

(٢) راجع ٤٩٠ ج ١ ابن السبكى

(٣) أى بالمشبه به وراجع ١٤٧ مفتاح

(٤) أراد به السجستانى نسبة على غير قياس

ومن طريف هذا النوع ما رواه الجاحظ قال : قيل لطفيلى : كم اثنين فى اثنين ؟ فقال أربعة أرغفة : (١٣٥ ج ٢ البيان والتبيين)

أشهى إلى النفس من الخبز

فامر الصاحب أن تقدم له مائدة

∴

هذا [١] كله إذا أريد إلحاق الناقص فى وجه الشبه حقيقة أو ادعاء بالزائد ؛ فان أريد مجرد الجمع بين شيئين فى أمر [٢] ، فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه [٣] ؛ ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر [٤] ، كقول أبى اسحاق الصابى :

---

(١) راجع ١٤٧ مفتاح . وقوله « هذا » أى الذى ذكرناه من جعل أحد الشيئين مشبها والآخر مشبها به إنما يكون إذا أريد الحاق الناقص فى وجه الشبه بالكامل فيه

(٢) أى من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصا والآخر كاملا سواء وجد الكمال والنقصان أم لم يوجدا

(٣) أى الذى هو تشبيه غير معروف ، فلا ينافى ما تقدم من أن « تشابه » من أدوات التشبيه ؛ والتشبيه المعروف هو ما قصد فيه التفاوت فى وجه الشبه ، وغير المعروف هو ماقصد فيه التساوى بين الطرفين فى أمر من الأمور

والتشابه وما وازنه كالتماثل والتشاكل والتساوى وكذا « كلاهما سواء » ، لا ما كان له فاعل ومفعول من هذه المواد مثل شابه وساوى وضارع فان فيه الحاق الناقص بالزائد . ويلاحظ أن قول المصنف « حقيقة أو ادعاء » المراد بحقيقة منه كما فى الغرض العائد إلى المشبه به

(٤) أى فى وجه الشبه

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى ابا الخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت اشرب (١)

وكقول الآخر :

رق الزجاج وراقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

ويجوز التشبيه أيضا (٢) ، كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس، متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة كما قال (٣) :

وكأن الشمس المنيرة دينا ... رجلته حدائد الضراب

وتشبيه المرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، متى أريد استدارة متلألىء متضمن لخصوص فى اللون ، وان عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرآة

---

(١) أسبل الدمع والمطر إذا هطل ، واسبلت السماء بالمطر . والباء فى «أبا لخمر» للتعدية للزوم الفعل ، وليست زائدة : المدامة : الخمر . تسكب : ترسل ، من سكب الدمع : أرسله
والمراد تشبيه الدمع بالخمرة فى الحمرة

(٢) راجع فى ذلك ١٩٣ أسرار ، ١٤٨ مفتاح . وقوله « يجوز » مقابل لقوله « فالأحسن »

(٣) أى ابن المعتز [١٩٣ أسرار ، ٢٤٢ ج ١ زهر الآداب] . حدائد الضراب : آلات الصك . جلته : صقلته

والدينار وبين الجرمين، فانه ليس شيء من ذلك بمنظور اليه فى التشبيه، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعلم ابيض على ديباج اسود فى قول ابن المعتز (١) :

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم

فانه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديدا (٢)

∴

[تقسيم التشبيه]

وأما تقسيم التشبيه :

[١ -] فباعتبار طرفيه

(١ -) أربعة أقسام :

الأول : تشبيه المفرد ، وهو ما طرفاه مفردان : إما غير مقيدين (٣) كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم

---

(١) راجع ١٩٣ أسرار . الحلة الثوب الجديد أو الثوب مطلقا . الطراز : علم الثوب . مرقوم : مخطط

(٢) هذا هو آخر الكلام فى أركان التشبيه ، وسيشرع فى تقسيمه : باعتبار الطرفين ، وباعتبار الوجه ، وباعتبار الأداه ، وباعتبار الغرض منه

(٣) أى بمجرور أو إضافة أو مفعول أو وصف أو حال مما يكون له تعلق بوجه الشبه ، فما يذكر من القيود مما لا تعلق له بوجه الشبه لا يكون فيه الطرف مقيدا

لباس لهن[1] » فان قلت : ما وجه الشبه فى الآية ؟ قلت : جعله الزمخشرى حسيا فانه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا[2]

وقيل شبه كل واحد منهما باللباس للآخر لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة . وأما مقيدان[3] كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شىء : هو كالقابض على الماء وكالراقم فى الماء ، فان المشبه هو الساعى لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكون قبضه على الماء أو رقمه فيه لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشىء أن يحصل فيها فاذا كان مما لا يتماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم فى الشى أن يبقى أثره فيه ، فاذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد فى هاتين الصورتين هو الجار والمجرور ، ونحوهما قولهم

---

(١) راجع الكلام على الآية فى الصناعتين ٢٦١

(٢) الضجيع : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد . ثنى عطفها : رد جانبها إليه

(٣) راجع ٨٣ و ٨٥ و٨٦ من الاسرار

: هو كمن يجمع سيفين فى غمد وقولهم : هو « كمبتغى [١] الصيد فى عريسة الاسد » ، وقد يكون [٢] حالا كقولهم هو كالحادى وليس له بعير . ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر [٣] :

انى وتزيينى بمدحى معشرا كمعلق درا على خنزير

فان المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشرا ، فمتعلق التزيين أعنى قوله بمدحى داخل فى المشبه ، والمشبه به من يعلق درا بقيد أن يكون تعليقه اياه على خنزير ، فالشبه [٤] مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته . وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشىء غير قابل للتزيين ، فالواو فى قوله « وتزيينى » بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال « إنى كذا وإن تزيينى كذا » لأنه ليس معنا شيآن يكون أحدهما خبرا عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيينى ، لا يقال تقديره « إنى كمعلق درا على خنزير وإن تزيينى بمدحى معشرا كتعليق در على خنزير » ، لأنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعلق درا على خنزير ، بل لا بد أن يكون

---

(١) هو شطر بيت للطرماح . وصدره : « ياظبية السهل والأجبال موعدكم »

(٢) أى القيد

(٣) راجع فى ١٧٤ من الاسرار حيث تكلم عليه عبد القاهر وشرحه . تزيينى مفعول معه والواو بمعنى مع

(٤) أى وجه الشبه

يشبه نفسه باعتبار تزيينه بعدده معشرا . وإما مختلفان والمقيد هو المشبه به كقوله [١] :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل [لما رأيتها بدت فوق الجبل]

فان المشبه هى الشمس على الاطلاق والمشبه به هو المرآة لا على الاطلاق بل بقيد بكونها فى يد الأشل . أو على عكس [٢] ذلك كتشبيه المرآة فى كف الأشل بالشمس .

الثانى . تشبيه المركب بالمركب [٣] ، وهو ماطرفاه كثرتان مجتمعتان [٤] كما فى قول البحترى [٥] :

---

(١) هو ابن المعتز أو ابو النجم الراجز ، وراجعه فى ١٥٧ من الأسرار فان قلت المشبه الشمس لامطلقا بل حال حركتها فيكون مقيدا ، قلت : الحركة لازمة لها غير منفكة عنها أبدا فكانت كأنها جزء من مفهومها وليست بقيد خارج

(٢) بأن يكون المشبه مقيدا والمشبه به هو المطلق من التقييد

(٣) ويجب أن يكون الوجه حينئذ مركبا أى هيئة ، وكذلك فى تشبيه المفرد بالمركب لابد أن يكون الوجه كذلك مركبا ، وأما تشبيه المفرد بالمفرد فتارة يكون الوجه مركبا وتارة يكون مفردا

(٤) بأن يكون كل من الطرفين هيئة حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا

(٥) الاحجال جمع حجل وهو البياض فى رجل الفرس . الجهام السحاب لا ماء فيه . يصف الفرس أثناء عدوه وظهور بياض رجليه فى مواضع مختلفة أثناء سيره

وراجع البيت والكلام عليه فى الأسرار ص ١٧٠ و ١٧١

ترى احجاله يصعدن فيه صعود البرق فى الغيم الجهام

لايريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين بالآخر . وكذلك المقصود فى بيت بشار ، ولذلك وجب الحكم بأن أسيافنا فى حكم الصلة للمصدر[1] ونصب الاسياف لا يمنع من تقدير الاتصال ، لأن الواو فيها بمعنى مع كقولهم « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها » ، ومما ينبه على ذلك أن قوله « تهاوى كواكبه » جملة وقعت صفة لليل ، فان الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال ليل وكواكب[2] ؛ وأما بيت امرىء القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى[3]

---

(١) أى مفعول معه العامل فيه « مثار » المصدر

(٢) فقد شبهت الهيئة المنتزعة من السيوف المسلولة المقاتل بها مع انعقاد الغبار فوق رؤسهم بالهيئة المنتزعة من النجوم وتساقطها فى الليل إلى جهات متعددة

(١) راجع البيت فى ص ١٦٨ الأسرار ، ١٤٤ مفتاح ، ٧٥ دلائل الإعجاز ، ٣٥ ، ٣٦ ج ٢ من الكامل للمبرد ؛ ويعجب به المبرد كثيرا

وهو فى ص ٦٩ من البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى

رطبا ويابسا حالان من قلوب ، والعامل فيه معنى التشبيه . فان قيل الحال يجب أن تطابق صاحبها فى التذكير والتأنيث وهنا لم تحصل المطابقة حيث لم يقل رطبة ويابسة ، فالجواب أن التقدير رطبا بعضها ويابسا بعضها فحذف فاعلها المقدر الذى هو صاحبها فى الحقيقة =

. . . . . .

= ولكن حذف الفاعل لايجيزه البصريون وبعض الكوفيين فالأحسن أن يقال فى الجواب إن تفصيل الحال لفظا يستدعى تفصيل صاحبها معنى (أو أن الجمع الذى تفيده الصيغة فى المتفق تجرى مجرى العطف فى المختلف) فالتقدير قسما رطبا وقسما يابسا

والبيت لامرىء القيس يصف فيه عقابا بكثرة اصطياد الطيور ، وفيه تشبيه ملفوف فقد ذكر المشبهين أولا والمشبهين بهما بعدهما ، والتعدد فى المشبه به ظاهر وأما فى طرف المشبه فانك وإن كنت ترى إسما واحدا وهو القلوب فان الجمع الذى تفيده الصفة فى المتفق يجرى مجرى العطف فى المختلف فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تثنيه أو جمع لا يوجب أن أحدهما فى حكم التابع للآخر كما يكون ذلك إذا أجرى الثانى صفة الأول أو حالاله ، هذا وقد صرح بالعطف فى البدل وهو المقصود فقال رطبا ويابسا

فالقلوب هو المشبه ولما قسمه إلى قسمين كان متعددا ، والعناب والحشف البالى مشبه بهما ، فالطرفان متعددان ، والطير أل فيها جنسية ، والضمير فى وكرها يعود إلى العقاب والوكر عش الطائر ، ولدى ظرف حال من قلوب أو من الضمير فى رطبا و يابسا أو صفة لرطبا أو يابسا

العناب حب أحمر مائل للحمرة قدر قلوب الطير يوجد بثمرة السدر وهذا مقابل للقلب الرطب لأنه يشاكله لونا وقدرا وشكلا

والحشف البالى : أى التمر اليابس ، وهذا هو المقابل للعناب اليابس لأنه يشاكله لونا وقدرا وشكلا وانكماشا

ووصف الحشف بالبالى وصف كاشف للتأكيد

وقال السبكى : « لا نسلم أن المشبه متعدد وهو القلب الرطب والقلب اليابس ويكون بعض القلوب شبه بالعناب وبعضها شبه بالحشف البالى ، بل كل واحد من القلوب شبه بالعناب فى حال رطوبته وبالحشف فى حال يبوسته ، فالمشبه القلوب =

فهو على خلاف هذا لأن [١] أحد الشيئين فيه فى الطرفين معطوف على الآخر ؛ أما فى طرف المشبه به فبين ، وأما فى طرف المشبه فلأن الجمع فى المتفق كالعطف فى المختلف ، فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدها فى حكم التابع للاخر كما يكون ذلك إذا جرى الثانى صفة للاول أو حالا منه أو ما أشبه وقد صرح بالعطف فيما أجراه بيانا له من قوله « رطبا ويابسا »

وهذا القسم [٢] ضربان :

أحدهما : ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من من الطرف الآخر ، كقوله [٣] .

= بقيد الرطوبة أو اليبوسة فهو كتشبيه مفرد تعدد قيده باعتبار حالتين وهو نظير قولنا : « هو فى الجود والشجاعة كالبحر والأسد » ، وقوله رطبا ويابسا يمكن عوده إلى كل واحد من القلوب فلا حاجة إلى توزيع الحالين على القلوب ، ومما يرجح ذلك افراد الحالين أى كأن كل قلب رطبا ويابسا ، لا يقال هو تشبيه متعدد باعتبار أنه جمع لأن ذلك يقضى أن يكون قولك أياد كالبحار تشبيه متعدد بمتعدد وأن يكون قوله « وكأن أجرام النجوم لوامعا الخ » كذلك اهـ

والبيت من قبيل اللف والنشر المرتب ولو عكس سمى ملفوفا أيضا لوجود اللف فيه وسمى بملفوف للف المشبهات فيه أى ضم بعضها إلى بعض وكذلك المشبهات بها

(١) راجع ٣٦ ج ٢ كامل المبرد ، ١٧٤ أسرار

(٢) أى تشبيه المركب بالمركب ، وراجع فى ذلك ١٦٩ من الأسرار

(٣) هو لابن المعتز ، وهو تشبيه مركب بمركب ، والظاهر انه عند السبكى تشبيه مقيد بمقيد [٤٢٢ ج ٣ ابن السبكى) =

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ماق الجلال

فان الجلال فيه فى مقابلة الليل، ولو شبهه به لم يكن شيئا . وكقول الآخر (١)

كأنما المريخ والمشترى قدامه فى شامخ الرفعه

منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعه

فان المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ولو قيل كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفا من القول

والثانى : ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ؛ غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله (٢)

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

= والبيت وشرحه فى الأسرار ص ١٤٧

باد : ظاهر . الطرف بكسر الطاء : الفرس الكريم . الأشهب : الأبيض . الجلال جمع جل وهو للدابة كالثوب للانسان . والضمير فى «غدا» للساق

(١) هو القاضى التنوخى «ص ٢٢ حسن التوسل» . والبيت فى الأسرار ص ١٧١، ١٧٣، وفى المفتاح ص ١٤٤

والمريخ والمشترى كوكبان معروفان

(٢) هو لأبى طالب الرقى . وتجده فى الأسرار ص ١٢٧

وهو فى معنى قول كعب بن زهير

وليلة مشتاق كأن نجومها تفرقن منها فى طيالسة خضر

«راجعه فى ص ٢٣٦ صناعتين»

فانه لو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيها صحيحا لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سرورا وعجبا، من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية

الثالث : تشبيه المفرد بالمركب [1] كما مر من تشبيه الشاة الجبلى والشقيق والنيلوفر

الرابع . تشبيه المركب بالمفرد كقول أبى تمام .

يا صاحب تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر [2]

---

(١) الفرق بين المركب والمفرد المقيد هو من حيث المفهوم واضح لأن المركب هيئة منتزعة من عدة أمور والمفرد المقيد ما كان مقيدا بقيد فى المركب المقصود بالذات الهيئة والأجزاء تبع للتوصل بها اليها وفى المقيد أحد الأجزاء مقصود بالذات والباقى بالتبع . فالاحتياج للتأمل انما هو بالنظر للتراكيب فمعرفة المركب منها والمفرد محتاج للتأمل وتحكيم الذوق لأن المفرد والمركب مستويان باعتبار التركيب اللفظى غالبا وإن اختلفا بحسب قصد الهيئة أو قصد جزء من الأجزاء

وهذه التفرقة بينهما باعتبار المتكلم أما باعتبار السامع فيفرق هو بينهما بالقرائن الدالة على أن المتكلم قصد الهيئة أو قصد جزءا مرتبطا بغيره أو باعتبار أنه لو استعمل ذلك التشبيه لم يطابق ذوقه الا ذلك الوجه المقتضى للتقييد أو للتركيب

(٢) تقصيا نظريكما أى ابلغا أقصى نظريكما واجتهدا فى النظر ، وتقصيته أى بلغت أقصاه . تصور أى تتصور بحذف التاء . مشمسا : ذا شمس لم يستره غيم . شابه : خالطه . مقمر : ليل ذو قمر =

يعنى أن النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر

[ب — التشبيه الملفوف والمفروق والتسوية والجمع]

وأيضا [1] إن تعدد طرفاه فهو إما ملفوف أو مفروق

[ا —] فالملفوف [2] ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما كقول امرئ القيس

= شبه النهار الشمس الذى اختلطت به أزهار الربوات فقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صارت تضرب إلى السواد بالليل المقمر : فالمشبه مركب والمشبه به مفرد : قيل لا يخلو هذا عن تسامح لأن قوله « مقمر » تقديره ليل مقمر ففى المشبه به تعدد وشائبة تركيب . والجواب أن الوصف والاضافة لا تمنع الافراد لما سبق أن المراد بالتركيب الهيئة المنتزعة من عدة أشياء والمشبه به هنا ليس كذلك بل مفرد مقيد بمقيد وحينئذ فلا تسمح على أن صاحب القاموس ذكر أن القمر ليلة فيها قمر فليس فى الكلام تقدير الموصوف حتى يرد الاعتراض

والبيت فى ص ١٥٩ من المثل السائر ، ٤٤٣ من الصناعتين

(١) هذا تقسيم آخر للتشبيه باعتبار الطرفين أيضا

(٢) يسميه المبرد بالجامع ٢ ج ٩٧ الكامل] . وراجع فى ذلك ٧٥ و٤١٣ من الدلائل ، ٢٢٣ و ٢٣٨ صناعتين . والملفوف سمى ملفوفا للف كل من المشبهات والمشبهات بها أى ضم بعضها إلى بعض فى المشبهات وكذلك فى المشبهات بها ، ففيه الطرفان متعددان بحيث صار التشبيه تشبيهات لا تشبيها واحدا

ملاحظة :

هذه الاقسام : الجمع واللف والتفريق والتسوية ، الاقرب فيها أنها من البديع لأنها من قبيل اللف والنشر الذى هو من الصنائع البديعية فكأن وجه =

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

[ب —] وغير الملفوف [١] بخلاف ذلك كقول المرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا

نير وأطراف الأكف عنم [٢]

ومنه قول ابى الطيب .

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا [٣]

التعرض لها تكميل أقسام التشبيه مع أن الملفوف يشبه تشبيه المركب بالمركب ، والتسوية يشبه تشبيه المركب بالمفرد ، والجمع يشبه تشبيه المفرد بالمركب ؛ وإن كان لا إلباس فيها . والمفروق والملفوف يجرى فى الوجه أيضا

(١) وهو التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر . وسمى مفروقا لأنه فرق بين المشبهات بالمشبهات بها وفرق بين المشبهات بها بالمشبهات

(٢) النشر : الرائحة . عنم : هو شجر أحمر والمعنى : أن رائحتهن تشبه رائحة المسك فى الطيب ، ووجوههن كالدنانير فى الاستدارة والاستنارة مع مخالطة الصفرة لأن الصفرة تستحسن فى ألوان النساء ، وأصابعهن شبيهة بلون هذا الشجر فى حمرتهن

هذا والبيت من قصيدة فى المفضليات ، راجعها فى ص ١١١ — ١١٤ ، ويوجد البيت أيضا فى ص ١٩٦ من رسالة الغفران ، ٢٣٨ صناعتين ، ٤١٣ دلائل الاعجاز و ٨٨ أسرار البلاغة ، ٢٠١ معجم الشعراء

(٣) الخوط : الغصن الناعم . البان : شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف . رنت : نظرت

والبيت فى الأسرار ص ١٧٠ والدلائل ص ٢٢٢ وص ٣٤٥

[ج -] وان تعدد طرفه الأول أعنى المشبه دون الثانى [١] سمى تشبيه التسوية [٢] كقول الآخر :

صـــدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليـــالى

وثغـــره فى صفـاء وأدمعـــى كالـــلآلى

[د -] وان تعدد طرفه الثانى أعنى المشبه به دون الاول سمى تشبيه الجمع [٣] كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح [٤]

ومثله قول امرىء القيس [٥] :

---

(١) وهو المشبه به

(٢) لأن المتكلم سوى بين شيئين أو أكثر بواحد فى التشبيه ، والمشبه به فى البيت واحد لأن المراد بالتعدد هنا وجود معنيين مختلفى المفهوم والمصدوق ، لا وجود أجزاء الشىء مع تساويهما كالليالى

(٣) سمى بذلك لأنه جمع فيه للمشبه وجوه شبه ؛ أو لانه جمع له أمور مشبهات بها

(٤) قبله :

بات نديما لى حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح

الاغيد : الناعم البدن . منضد : منظم . البرد : حب الغمام . الاقاح جمع أقحوان وهو ورد له نور ومنه أبيض وهو المراد هنا ومنه الاصفر ، شبه ثغره بثلاثة أشياء فالمشبه هنا هو الثغر أى مقدم الاسنان ، والتشبيه هنا هو التشبيه الذى بنيت عليه الاستعارة فى البيت فهو تشبيه ضمنى لا صريح

(٥) راجعه فى ٢٨٤ ج ١ زهر الآداب ، ٤٧ رسالة الغفران

المدام : الخمر . صوب الغمام : وقعه . الخزامى : نبت زهره من أطيب الازهار =

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به ؛ برد أنيـــابها اذا طرب الطائر المستحر

إلا أن فيه شوبا من القصد إلى هيئة الاجتماع

[٢ — تقسيم التشبيه باعتبار الوجه :]

وأما باعتبار الوجه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومجمل ومفصل ؛ وقريب وبعيد :

[ا — تشبيه التمثيل [١] وغيره :]

التمثيل [٢] : ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور

= القطر : عود يتبخر به . يعل به : يسقى مرة بعد مرة والضمير للمدام . برد أنيابها خبر كأن . الطائر المستحر . الديك المصوت بالسحر : يريد أنها طيبة الفم فى الوقت الذى تخبث فيه الافواه بعد النوم

(١) راجع ص ١٤٨ مفتاح ، ٧٥ ، ٢٠٧ أسرار البلاغة

(٢) لا مانع من تفصيل الكلام هنا فى هذا المقام فى التمثيل فنقول :
لعلماء البلاغة خمسة أراء فى التشبيه والتمثيل

١ — فيرى الزمخشرى وعلماء اللغة أن التمثيل والتشبيه لفظان مترادفان على معنى واحد ، فمحمد كالبحر تشبيه أو تمثيل

٢ — ويرى الامام عبد القاهر أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزى والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه حسيا أو غرزيا أو خلقيا ، « فجة كالشمس » تمثيل ، و « وجه سعدى كالبدر » تشبيه لا تمثيل

٣ — ويرى الجمهور أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء كان الوجه عقليا مثل : « مثل الذين حملوا التوراة الخ » أم كان الوجه حسيا والطرفان : =

. . . . . .

= ا - مركبان مثل قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ب - أو مفردان مثل قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

حـ - أو كان الأول مركبا والثانى مفردا مثل :

ياصاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

د - أو كان الأمر بالعكس مثل :

وكان مجرى الشقيـ ق اذا تصوب أو تصعد

اعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

٤ - ويرى السيد الجرجانى أن التمثيل ما كان طرفا التشبيه فيه مركبين كقول بشار « كأن مثار النقع الخ »

والتشبيه عنده أعم من ذلك، مثل « وقد لاح فى الصبح الثريا » مثلا

٥ - ويرى السكاكى : أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد وكان وهميا . والمراد بالوهمى : أن يكون اتصاف أحد الطرفين بوجه الشبه لا على سبيل الحقيقة اللغوية كقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة الآية » فالحمل حقيقة فى المحسات مجاز فيما عداها

فمذهب الزمخشرى أعم مطلقا بالنسبة إلى غيره من المذاهب، فحجة كالشمس ومحمد كالأسد تشبيه عنده وإن شئت فقل تمثيل

وبين رأى الجمهور وعبد القاهر عموم وخصوص وجهى

فالآية : « مثل الذين حملوا التوراة الخ » تمثيل على رأى عبد القاهر والجمهور، وحجة كالشمس تمثيل عنده لا عند الجمهور، « وقد لاح فى الصبح الثريا » تشبيه عنده لا عند الجمهور =

. . . . . .

= وبين رأى الجمهور والسكاكى عموم وخصوص مطلق، فالآية «مثل الذين حملوا التوراة الخ» تمثيل عندهما، وقول ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض حولنا مداهن درحشوهن عقيق

تمثيل عند الجمهور وتشبيه عند السكاكى

وبين الجمهور والسيد عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى قول بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا الخ، وينفرد الجمهور فى: وقد لاح فى الصبح الخ

وبين عبد القاهر والسيد عموم وخصوص وجهى يجتمعان فى الآية (مثل الذين حملوا الخ) وينفرد عبد القاهر فى حجة كالشمس وينفرد السيد فى بيت بشار

وبين عبد القاهر والسكاكى عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى الآية وينفرد عبد القاهر فى «حجة كالشمس»

وبين السيد والسكاكى عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى الآية وينفرد السيد فى بيت بشار

فالآية الكريمة «أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الخ» مثلا:

ا — هى مثل ضربه الله للحق والباطل. فمثل الحق فى ثباته ونفعه بالماء الذى ينزل من السما، فتسيل به الأودية فيحيا عليه الناس وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى واتخاذ الأوانى والآلات.. رأن ذلك ماكث أبدا فى الأرض باق بقاء ظاهرا، يثبت الماء فى منافعه وتبقى آثاره فى العيون وفى النبات وكذلك الجواهر تبقى أزمنة طويلة

وشبه الباطل فى سرعة اضمحلا له ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه إذا أذيب

ب وهذه الآية تمثيل عند عبد القاهر لأن وجه الشبه عقلى غير غرزى، وهو الثبات والمنفعة فى الماء والفلز والحق، والزوال السريع عدم مع الفائدة فى الزبد =

. . . . . .

=والباطل. وهى أيضا تمثيل عند الزمخشرى وكذلك عند الجمهور لأن وجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد وهو ما بين الماء والفلز والحق من تماثل فى الاستقرار والنفع وما بين الباطل والزبد من التلاشى وعدم النفع. وكذلك هى تمثيل عند السكاكى لأن وجه الشبه وهمى

أما السيد فلا يرى مثل هذا تمثيلا لأن الطرفين غير مركبين

وبيت التنوخى :

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود فشبه النجوم ما بين الدياجى بالسنن ما بين الابتداع فى ذلك

وهذا البيت تمثيل على رأى الجميع

أما عند الزمخشرى فظاهر ؛ وأما عند الجمهور فلأن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة متعدد ؛ وأما عند السيد فلان الطرفين مركبان ، وأما عند السكاكى فلأن اتصاف المشبه به بوجه الشبه خيالى ؛ وأما عند عبد القاهر فلأن وجه الشبه عقلى غير غرزى إذ أن المشبه به عقلى فلا يكون وجه الشبه فى البيت إلا عقليا ولأنه يحتاج الى التأويل وذلك أن تشبيه البدعة والضلالة بالظلمة وتشبيه السنة والهدى بالنور مما يحتاج إلى تأويل

ومن الجدير بالملاحظة أن التمثيل محتاج إلى التأول دون التشبيه عند عبد القاهر، والتأول فى التشبيه هو طلب المآل والمرجع فيه أى طلب الوصف المشترك بين الطرفين فى الواقع ونفس الأمر

والسر فى احتياج التمثيل إلى التأول دون التشبيه عند عبد القاهر هو أن وجه الشبه فى التمثيل ظاهره خلاف المقصود منه وأن الاشتراك بين الطرفين فى حكم لازم لوجه الشبه ومقتضى له فالجامع فى الحقيقة لازم لما ذكر فى الكلام أوفهم منه. فقولنا: خلقك كالزهر نضرة وكالربيع جمالا ، ليس المقصود فيه تشبيه الخلق بالزهر=

. . . . . .

= فى النضرة ولا تشبيهه بالربيع فى الجمال، إنما المقصود تشبيه الخلق بالزهر من جهة ما يلزم النضرة من ارتياح الناس له وحبهم إياه وثنائهم عليه وذيوع ذكره فيهم ذيوع أرج الزهر بين الرياض والخمائل والأزهار والورود، وكذلك تشبيه الخلق بالربيع فى الحسن ليس الحسن هو وجه الشبه الحقيقى إنما هو شغف الناس به وإجلالهم إياه وتمتعهم بنبيل أخلاقه وكريم آدابه تمتع العاشق المقبول والصب المتيم بمشاهدة محاسن محبوبته ومفاتن ليلاه . فالمراد الأخبار بأن السامع يجد من نبل أخلاق هذا الرجل ما يجده الناظر لنضرة الزهر والرائى لمحاسن الربيع، فنجد أنفسنا فى بيان الوجه فى التمثيل قد احتجنا إلى التأول

أما التشبيه فالجامع فيه عند عبد القاهر أمر حسى مشاهد ظاهره باطنه والجامع فى الطرفين على حد سواء غاية الأمر أنه يتفاوت ضعفا وقوة أو قلة وكثرة .. فاذا قلنا: « شعرها كفحمة الليل » فاننا ننصر سواد الشعر وظلام الليل جميعا وإن كانا يختلفان فى السواد قوة وضعفا

وهكذا فالجامع بين الطرفين فى التشبيه هو نفس الصفة المذكورة فى الكلام أو التى تفهم بادى ذى بدء منه فلا يحوج الأمر فيه الى التأويل

الخلاصة :

١ - التمثيل والتشبيه عند الزمخشرى وعلماء اللغة مترادفان فكل تمثيل تشبيه وبالعكس

ويرى الجمهور أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء كان :

الوجه حسيا ، والطرفان :

١ - مركبان مثل

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ب - أو مركب ومفرد مثل

ياصاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور =

. . . . . .

= ثريا نهارا مشمسا قدشابه زهر الربا فكأنما هو مقمر

جـ - أو مركب ومفرد مثل :

وكأن محمر الشقـ يق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشـ ر على رماح من زبرجد

د - أو مفردان مثل

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحيـة حين نورا

أو كان الوجه عقليا مثل : مثل الذين حملوا التوراة الخ ، . وعلى مذهب الجمهور يكون التشبيه أعم مطلقا

ويرى السيد أن التمثيل ما كان طرفاه مركبين ، والتشبيه أعم

ويرى عبد القاهر أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزى ولا خلقى، والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه حسيا أو غرزيا أوخلقيا . فبينهما عنده عموم وخصوصا مطلق

ويرى السكاكى أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد وكان وهميا . والوهمى أن يكون أحد الطرفين قد اتصف بوجه الشبه لا على وجه الحقيقة كقوله :

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

هذا والوجه فى التمثيل هيئة مأخوذة من متعدد سواء كان طرفاه مفردين أو مركبين أو مختلفين وسواء كان الوجه حسيا أو عقليا أو اعتباريا وهميا وهذا هو مذهب الجمهور ، والسيد يشترط تركيب الطرفين ، والسكاكى يشترط أن يكون الوجه وهميا . أما الزمخشرى فيجعل التمثيل مرادفا للتشبيه . فالمراد بالمتعدد هنا ماله تعدد فى الجملة سواء تعلق التعدد بأجزاء الشىء الواحد أم لا

وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى [١] ، ومثل بصور مثل بها غيره ومنها قول ابن المعتز [٢]

اصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطلبه إياها لينال بها نفثة مصدور بالنار التى لا تمد بالحطب فى أمر [٣] حقيقى منتزع من متعدد وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء . . ومنها قول صالح بن عبد القدوس [٤]

وإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مونقا ناضرا بعد الذى أبصرت من يبسه

فان تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان غرسه فيما يلزم كل

---

(١) أى قيد الوجه المنتزع من متعدد بأن يكون الوصف غير حقيقى أى غير متحقق حسا ولا عقلا بل كان اعتباريا وهميا

(٢) تجدهما فى العقد ٣٠٦ ج ١ ، والمفتاح ١٤٨ ، والأسرار ص ٧٧

(٣) عند السكاكى : فى أمر متوهم، وفى أمر تصورى، وفى أمر توهمى، فيكون قول الخطيب فى أمر حقيقى زيادة من عنده على كلام السكاكى يقصد بها بيان الأمر عند الجمهور نقدا للسكاكى فى اعتبارها أمرا وهميا

(٤) من أبيات راجعها فى ص ٣٢ من الأدب العباسى لمحمود مصطفى ، وتجد البيتين فى ٣٦٣ ج ١ العقد ، ١٤٨ المفتاح ، ٧٧ الأسرار
وفى البيان ص ١٦٩ ج ٢ شعر فى هذا المعنى

واحد من كون المؤدب فى صباه مهذب الاخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته، وكون العود المسقى أوان غرسه مونقا باوراقه ونضرته، لسقيه المصادف وقته، من تمام [١] الميل وكمال الاستحسان بعد خلاف [٢] ذلك.. ومنها قوله [٣] تعالى: مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون؛ فان تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصفة الموصول فى الآية فى أمر [٤] حقيقى منتزع من متعدد، وهو الطمع فى حصول مطلوب، لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب [٥]

---

(١) قوله «من تمام» متعلق بقوله «فيما يلزم كل واحد» السابق

(٢) هذه الجملة ليست فى المفتاح، بل الذى فيه «وكمال استحسان حاله وهو كما ترى أمر تصورى لا صفة حقيقة، وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور»

(٣) راجع ١٤٨ من المفتاح

(٤) فى هذه الجملة ما سبق شرحه فى نظيرتها السابقة

(٥) والخلاصة أخيرا أن التمثيل عند السكاكى أخص منه بتفسير الجمهور، أما عند الزمخشرى فكل تشبيه تمثيل ولو كان الوجه مفردا. وذهب عبد القاهر إلى أنه يشترط فى التمثيل أن لا يكون الوجه حسيا بأن كان عقليا أو اعتباريا وهميا، وأعم هذه المذاهب مذهب الزمخشرى ويليه فى العموم مذهب الجمهور ويليه مذهب الشيخ. ثم الهيئة من حيث إنها هيئة اعتبارية جعلها حسية أو عقلية انما هو باعتبار الأمور المنتزعة منها

هذا وقد كتب السيد فى حاشيته على المطول ص ٣٩١ وما بعدها كلاما طويلا فى التشبيه التمثيلى، واختار أن وجهه كطرفيه لابد فى ثلاثتها من التركيب

وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك كما سبق فى الامثلة المذكورة

[ب — التشبيه المجمل والمفصل]:

والمجمل ما لم يذكر وجهه :

[١ —] فمنه ما هو ظاهر ؛ يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا « زيد أسد » ، إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه فى الشجاعة دون غيرها

[٢ —] ومنه ما هو خفى لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع به عن طبقة العامة ؛ كقول من وصف بنى المهلب [١] للحجاج لما سأله عنهم وان أبيهم أنجد ، « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » ، أى لتناسب أصولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه ، كما ان الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا ، هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر الى من وصف بنى المهلب [٢] ، ونسبه الشيخ جار الله العلامة الى الأنمارية ، قيل هى

---

(١) وهو كعب بن معدان الأشقرى

(٢) وفى معناه « ذرية بعضها من بعض »

(٣) وهذا فى الكامل للمبرد ٢٤٤ جـ ٢ ، وفى زهر الآداب ٢١٣ و ٢١٤ جـ ٢ ورواها عبد القاهر فى الأسرار ص ٧٤

فاطمة بنت الخرشب [١] ، سئلت عن بنيهما أيهم أفضل ، فقالت : عمارة، لا بل فلان ، لا بل فـــلان لا ، ثم قالت : ثكلتهم ان كنت اعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها»... وأيضا منه [٢] :

[ا ـ] ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه [٣] به كالمثال الاول

[ب ـ] ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده [٤] كالمثال الثانى، ونحوه قول زياد الاعجم [٥]:

وانا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما تاق فى البحر يغرق

---

(١) وراجع الرواية عنها فى الأدب فى العصر الجاهلى ض ٢٤١. وفى الكامل للمبرد ض ١٠٨ ج ١ حديث عنها

(٢) أى من التشبيه المجمل ، أما المفصل فله وجه فلا يذكر فيه الوصف المذكور المشعر ، فلو ذكر الوصف المشعر بالوجه فى التشبيه المفصل لكان تكرارا وهو مستقبح

(٣) أى لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به ، يعنى الوصف الذى يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه ، نحو زيد أسد

(٤) أى دون وصف المشبه ، أى الوصف المشعر بوجه الشبه ، كقولها « هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » ، فوصف المشبه به هو نفى الدراية ، أما وصف الحلقة بالافراغ فلتحقق المشبه به وحينئذ فلا دخل له فى الايماء الى وجـــه الشبه

(٥) راجعه فى ٧٦ و٤١٣ من الدلائل

وكذا قول النابغة الذبيانى [١] :

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما كقول ابى [٢] تمام :

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب

كالغيث إن جئته وافاك ريقه

وان ترحلت عنه لج فى الطلب

والمفصل: ما ذكر وجهه [٣] ، كقول ابن الرومى [٤]

يا شبيه البدر فى الحسـ ـن وفى بعـــد المنال

---

(١) راجعه فى الأسرار ص ١١٩ ، ٢٦ ج ٣ من الكامل ، ١٩٠ و ٢٣٧ صناعتين ، ٩٢ ج ٣ زهر الآداب

(٢) راجعه فى الموازنة ص ٤٣ ، فى المثل السائر ص ١٥٧ . صدفت عنه : أعرضت عنه . وافاك : أتاك . ريق كل شى أى أفضله ، فوصف المشبه أعنى الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض ، وكذلك وصف المشبه به أعنى الغيث بأنه يصيبك إن جئته أو ترحلت عنه ، والوصفان مشعران بوجه الشبه وهو مطلق الافاضة فى الحالين ، أعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه بالنسبة للغيث المشبه به وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه بالنسبة للممدوح المشبه وترك المصنف ما ذكر فيه وصف المشبه فقط ولعله لعدم الظفر له بمثال فى كلامهم ومثاله الشمس التى إذا طلعت لم يبد كوكب مثلك

(٣) أى حقيقة أو ذكر فيه ملزوم وجه الشبه كما سيشير اليه بقوله «وقد يتسامح»

(٤) راجعهما فى ٢٥٤ من الاسرار. المنال: التناول أو مكانه، يعني بعد وصاله وأنه مثل البدر في بعد منالـه

جد فقد تنفجر الصخ رة بالماء الزلال

وقول ابى بكر الخالدى :

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما ومللا
زارنا حتى إذا ما سرنا لقرب زالا

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه[1] : كقولهم فى وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تثقل على اللسان ، لتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعد دلالتها على معانيها هى كالعسل[2] فى الحلاوة وكالماء فى السلاسة وكالنسيم فى الرقة ، وقولهم فى الحجة اذا كانت معلومة الاجزاء ، يقينية التأليف بينة الاستلزام للمطلوب : « هى كالشمس فى الظهور والجامع فى

---

(١) أى مكان وجه الشبه وبدلا منه ، أى قد يتساهل بذكر ملزوم وجه الشبه ، فيكون ذلك من التشبيه المفصل أيضا ، أى قد يتساهل فيذكر مكان وجه الشبه أمر يستلزم ذلك الأمر وجه الشبه ، ومعنى ذكره مكانه أن يؤتى به على طريقته من ادخال فى عليه ليخرج بذلك ذكر الوصف المشعر بالوجه لأحد الطرفين أو كليهما فانه لا يذكر على طريقة وجه الشبه

وراجع ذلك فى ص١٤٥ مفتاح ، ٧٣ و ٧٤ ر ٧٨ من الأسرار

(٢) راجع ٢ ٧ من الاسرار

الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع [١]، ولازم السلاسة والرقة وهو افادة النفس نشاطا وروحا، ولازم الظهور وهو إزالة الحجاب فان شأن النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذى يلذ طعمه، فتهش النفس له؛ ويميل الطبع اليه، ويحب وروده عليه، أو كشأنها مع الماء الذى يسوغ فى الحلق، ومع النسيم الذى يسرى فى البدن، فيتخلل المسالك اللطيفة منه، فيفيدان النفس نشاطا وروحا، وشأنها مع الشبهة التى تمنع القلب ادراك ما هى شبهة فيه كشأنها مع الحجاب الحسى الذى يمنع ان يرى ما يكون من ورائه، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب ادراكه، قال الشيخ صاحب المفتاح [٢]: وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يكون التشبيه فى وصف اعتبارى كالذى نحن فيه. وأقول: يشبه أن يكون تركهم التحقيق فى وجه الشبه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا

---

(١) وهذا وجه فى المثال ويحتمل أن تكون الحلاوة نفسها هى وجه الشبه ويكون وجودها فى المشبه وهو الكلام على وجه التخييل كما فى تشبيه السنة بالنجم والبدعة بالظلمة، وهذا هو الأقرب لأنه على الوجه الأول يكون مجازا ولا تسامح فيه. هذا والتلازم يكتفى فيه بالتلازم العادى ولا يشترط أن يكون عقليا فالمراد بالاستلزام هنا مجرد الحصول مع الحصول سواء كان عاديا أو عقليا ولا يشترط التلازم العقلى

(٢) راجع ١٤٨ من المفتاح

انتهى كلامه

[حـ — التشبيه القريب والبعيد[١]]:

والقريب[٢] المبتذل[٣] وهو ما[٤] ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به

---

(١) راجع ص ١٤٩ و ١٥٠ من المفتاح ، ص ١٣٥ — ١٥٦ من أسرار البلاغة

(٢) أى يستعمله العامة وغيرهم

(٣) أى المتداول

(٤) أى التشبيه الذى

ملاحظة

لتفصيل الكلام فى قرب التشبيه وبعده وغرابته وسبب الغرابة نقول :

نسمع البيانيين يقولون : تشبيه غريب وغير غريب فنفهم معنى ما يقولون بطريق الاجمال دون التفصيل ولكن هذه المعرفة الاجمالية لا تغنى غناء التفصيل فان لوضع الحدود وذكر الفروق وبيان التقسيم فائدة جلى عند البلاغى يتم بها الغرض وتسكن إليها النفس ويرتاح لها الفؤاد : أما الضابط العام فى سبب الغرابة فهو بعد الشبه فى بادىء الرأى بأن يكون الشبه المقصود من المشبه مما لا ينزع إليه الخاطر إلا بعد بحث وروية لأن الانتقال فى التشبيه من المشبه إلى المشبه به مما لا يقع إلا بعد انعام النظر وتحريك الفكر واستعراض الصور والأخيلة لاختيار ما يناسب الغرض ويشاكل المقصود ، وبهذا يكون التشبيه غريبا ، فان كان الانتقال فى التشبيه من المشبه إلى المشبه به غير محتاج إلى شىء من ذلك لظهور وجه الشبه فى بادىء الرأى فالتشبيه ليس بغريب

أمثلة لغير الغريب : ترى الشمس فيجرى فى خاطرك استدارتها واشراق

نورها ويستحضر ذهنك عند ذلك عن غير كد صورة المرآة المجلوة ، ويتراءى له الشبه بين هذين الأمرين =

. . . . . .

= ومن التشبيه غير الغريب تشبيه الوشى المنشور الذى تفتن فى حسنه العيون وتقيد فى رقشه المنعم الأبصار بارض الممطور يفتر فيه النور وتتضاحك بين أفنانه الأزهار ؛ وتشبيه السيف المجلو المسلول بالبرق الخاطف المستطير

فالأمثلة السابقة لم يكد فيها الفكر فى عقد الشبه بين الطرفين ولكن هل يسرع الخاطر هذا الاسراع إلى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، وهل يستحضر الذهن بهذه الطفرة تشبيه البرق الخاطف باصبع السارق كما يقول كشاجم ، وهل يجلو الأديب بسهولة ودون تفكير تشبيه البرق فى انبساطه وانقباضه بانفتاح المصحف وانطباقه بسهولة ودون تفكير كما يقول ابن المعتز ، أو تشبيه الشقيق باعلام ياقوت على رماح زبرجد ، أو تشبية النجوم الساطعة فى زرقة السماء الصافية بالدر المنثور على بساط أزرق كقول الرقى ، وغير ذلك من التشبيهات التى تحوج إلى التفكير وتأتى بعد الكد والروية والتى تنظم فى سلك التشبيه الغريب

سبب غرابة التشبيه وظهوره : علمت أن ضابط الغرابة وعدمها فى التشبيه هو بعد الفكرة فى الشبه أو قربها وخفاء الوجه أو ظهوره ، فكان بعض الشبه حاضرا فى الفكر أبدا وبعضه كالغائب عنه وبعضه كالبعيد عنه لا ينال إلا بعد الانعام والتفكير . أما سبب ذلك فيرجع إلى احدى شيئين :

١ — حضور المشبه به فى الذهن أو بعده عنه ٢ — الاجمال أو التفصيل

ا — حضور المشبه به فى الذهن أو ندرة حضوره

مما يقتضى حضور الشىء فى الفكر ، وثبوت صورته فى النفس كثرة مشاهدته ورؤيته بالبصر أو إدراكه باحدى الحواس كل وقت أو حين ، وبعكس ذلك كان من سبب بعد الشىء عن الذهن وعدم مروره بالخاطر قلة رؤيته وندرة مشاهدته وأنه مما يحس حينا بعد حين ، وذلك أن الحواس ولا سيما البصر هى التى تحفظ صور الأشياء فى النفس وتجدد عهدها بها وإلفها لها وتمنعها أن تزول عن الفكر

. . . . . .

=أو تمحى من الذاكرة، وعلى ذلك فاذا كان المشبه به — وصفا أو صورة أو هيئة — غالب الحضور فى الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما كتشبيه النفاحة بالوردة وإما مطلقا لكروره على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوه كان التشبيه فيه قريبا مبتذلا

وما كان بالضد من ذلك، بأن يكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت، وإما مطلقا

١ — لكونه

ا — وهميا كما فى تشبيه المية بأنياب الأغوال

ب — أو مركبا خياليا كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد

ج — أو عقليا كتشبيه أحبار اليهود بالحمار يحمل أسفارا

٢ — أو لكونه لا يتكرر على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ..

فما كان من التشبيه كذلك فالتشبيه المردود إليه غريب نادر وخاصى بديع

وبين هاتين المرتبتين أوساط قيمتها البلاغية بحسب حالها منهما فما قرب منها إلى الأولى فهو قريب وما قرب إلى الثانية فهو أفضل وأعجب

ب — الاجمال والتفصيل

الجملة دائما أسبق إلى النفس من التفصيل سواء كانت فى المشاهدات المحسة أم فى العقليات البعيدة. ألا ترى أن النظرة الأولى لا تبلغ حقيقة الشىء على التفصيل بل على الجملة ثم بانعام النظر ومعاودته تصل إلى التفصيل، وهكذا سائر الحواس حكمها فى أول إدراكها بجمل قاصر، ثم تدرك بها فى المرة الثانية تفاصيل الشىء المحس ودقائقه، فلا شك أنك تدرك من تفاصيل الصوت أو الذوق مثلا فى المرة الثانية ما لم تدركه فى المرة الأولى

وبالادراك التفصيلى يتفاضل الناظرون والسامعون. فأما المعرفة الاجمالية فتستوى فيها الأقدام، فمن أدرك تفصيل ما رأى أو سمع أو تذوق كان كمن يختار=

. . . . . .

الشيء من بين جمله وكمن يميزه مما اختلط به، ومن لا يهمه التفصيل فهو كمن يأخذ الشيء جزافا

وهكذا ما يدرك بالعقل، الجمل فيه أسبق إلى الذهن، والتفاصيل مغمورة فيما بينها لا تحضر إلا بعد أعمال الروية والفكر

ويتفاوت الحال فى الحاجة إلى الفكر بحسب مرتبة الوصف الجامع من حد الجملة وحد التفصيل فكلما كان الشبه أوغل فى التفصيل كانت حاجته إلى الروية والتفكير أكثر

فاشتراك الأمرين فى وجه الشبه إذا كان من جهة الاجمال بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل — كاشتراكهما فى السواد أو الحمرة مثلا — لم يحتج إلى القياس والتشبيه؛ فان نال التشبيه شيئا من التفصيل احتاج بعد ذلك إلى إعمال الفكر مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح؛ فان زاد تفصيله ازداد الأمر قوة فى اقتضاء الفكر وطلب الروية نحو تشبيه سقط النار بعين الديك فى قول الشاعر: وسقط كعين الديك الخ، فان ما فى المشبه به من تفصيل وخصوص يزيد على النظرة المجملة من كون الحمرة رقيقة ناصعة والسواد صافيا براقا كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فان وجه الشبه — وهو الاستدارة والأشراق والحركة السريعة المتصلة والتموج والاضطراب فى الاشراق لا يقوم فى نفس الناظر للمرآة الدائمة الاضطراب إلا بعد النظر والتأمل

وبحاجة التشبيه إلى اعمال الفكر ترتفع طبقته فى البلاغة

فضابط الغرابة هو خفاء الفكرة فى الشبه، وبعد الشبه فى بادىء الرأى بأن يكون الوصف المقصود من المشبه به مما لا ينزع إليه الخاطر إلا بعد بحث وروية لأن الانتقال فى التشبيه من المشبه إلى المشبه به مما لا يقع إلا بعد إنعام وتحريك الفكر واستعراض الصور والأخيلة لاختيار ما يناسب الغرض ويشاكل المقصود

وسبب ذلك يرجع إلى أحد أمرين :=

. . . . . .

= الأول : ندرة حضور المشبه به فى الذهن : إما عند حضور المشبه ، لبعد المناسبة بينهما كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وإما مطلقا لكونه وهميا كتشبيه المنية بأنياب الأغوال ، وكتشبيه النوى بالغول كما فى قول الشاعر :

ثم شبت لى النوى الحرب فيه وهى غول هريتة الأشداق

أو مركبا خياليا كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد أو عقليا كتشبيه أحبار اليهود بالحمار يحمل أسفارا ، أو لكونه لا يتكرر على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل

وما كان كذلك فالتشبيه المردود إليه غريب نادر وخاصى بديع

وذلك أن قلة مشاهدة الشىء وندرة رؤيته بالبصر وأنه مما يحس حينا بعد حين مما يقتضى بعد الشىء عن الذهن وعدم مروره بالخاطر لأن الحواس ولا سيما البصر هى التى تحفظ صور الأشياء فى النفس ، وتجدد عهدها بها وإلفها لها ، وتمنعها أن تزول عن الفكر أو تمحى من الذاكرة ، فاذا كان المشبه به مما لا يرى إلا نادرا قلت مشاهدته وضعفت ملاحظته وكان التشبيه المعقود عليه غريبا نادرا

الثانى : التفصيل

الجملة دائما أسبق إلى الذهن من التفصيل ، وأقل منه أثرا فى إدراك الأشياء ، ولا يصل الانسان إلى التفصيل إلا بانعام النظر ومعاودته لأن التفاصيل مغمورة فيما بين الجمل لا تحضر إلا بعد إعمال الروية والفكر

وكلما كان الوصف أوغل فى التفصيل كانت الحاجة إلى التفكير أكثر ، والفقر إلى التأمل أشد ، فاشتراك الطرفين فى وجه الشبه إن دخل فى التفصيل شيئا احتاج بقدر ذلك إلى إعمال الفكر وكد الذهن كتشبيه الحجة البالغة بالشمس الساطعة

فاذا زاد تفصيله بخصوص يدق عن البيان ، ويتعرف بفضل التأمل والامعان ازداد الأمر قوة فى اقتضاء الفكر وطلب الروية كتشبيه بشاشة الأريحية والندى بابتسام الصبح فى الدجى فى قول الشاعر :=

. . . . . * . . . . . .

= أمسى ابتسامك والألوان كاسفة
تبسم الصبح فى داج من الظلم

وكتشبيه سقط النار بعين الديك فى قول الشاعر :

وسقط كعين الديك عاورت صحبتى
أباها ، وهيأنا لموضعها وكرا

فان مافى المشبه به من تفصيل وخصوص يزيد على كون الحمرة رقيقة ناصعة والسواد صافيا براقا

ولتفاوت مراتب التفصيل واختلاف الحاجة إلى الفكر بحسب ذلك ، تفاوتت مكانة التشبيه فى البلاغة ؛ فقولنا : « فى طرف هذه العذراء سحرها روت من فتكه بالألباب ، وإثارته لمكامن الهوى والاعجاب » ، أبلغ وأروع من أن نقول : طرفها فى سحره سهم فاتك » ، وذلك لأن التفصيل والخصوصية فى المشبه به الأول (سحرها روت) أكثر وأظهر منها فى الثانى (وهو السهم)

وحسبنا أن ننظر إلى قول الشاعر :

يتسابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

ثم نقابل به قول الآخر :

جمعت رديئا كأن شباته
سنا لهب لم يتصل بدخان

فسنرى أن البيت الثانى أبلغ وأروع من الأول ، وإن كان المشبه به شيئا واحدا فيهما وهو شعلة النار . وذلك أن فى الثانى تفصيلا لطيفا أغفله الأول ، فقد زاد زيادة جميلة وقصد إلى غرض بليغ ، هو أن قصر التشبيه على مجرد النار الملتهبة دون ما يتصل بها من دخان ، حتى لا تقدح الفكرة والروية فى حقيقة الشبه ؛ أما الشاعر الأول فقد أجمل ولم يخرج ذلك الدخان الداجن الذى يمنع من قيام التشبيه ، ويزيل روعته ؛ فذاق البيت الثانى الذى تراه أبلغ وأروع وأقضى لحقائق التشبيه ودقائق الأوصاف ، فان التفصيل الذى أتى به مما لا يقع فى الخاطر لأول وهلة ، =

. . . . . .

=بل لا بدفيه من الأناة والروية والنظرة الفاحصة التى ترى فى الأصل (وهو المشبه به)ما يقدح فى حقيقة التشبيه وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة مع خلو السنان مما يشبه ذلك ، فتأتى بما يدفع هذا الخطأ ، ويرفع ذلك العيب

هذا ويقع التفصيل على ثلاثة وجوه :

الأول أن يفصل المشبه بأن يأخذ بعض أوصاف المشبه به ويدع الآخر كما فعل امرؤ القيس حين فصـــل الدخان عن سنا اللهب ، وجرده عنه ، وأثبت الســـنا مفردا

الثانى التفصيل بالنظر إلى أوصاف المشبه وتطلبها فى المشبه به واعتبارها كلها فيه كتشبيه الثريا بعنقود الكرم فى قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

لتوافق الهيئتين فى الشكل واللون والتقارب على الوجه المخصوص

الثالث : التفصيـل بالنظر إلى خاصية تخص المشبه به وتظهر فيه ، وذكرها فى التشبيه ، وذلك كالخاصية التى تجدها فى صياح البوازى فى قول الشاعر :

كأن على أنيابها كل سحرة صياح البوازى من صريف اللوائك

وكما فى المشبهات بها فى هذه الأبيات :

من كل زاهرة ترقرق بالندى فكأنها عين إليك تحدر

تبدو ويحجبها الجميم كأنه عـــذراء تبدو تارة وتخفر

من فاقع غض النبات كأنه درر تشقق قبل ثم تزعفر

فان الأديب لا يقنع بأن هذا صوت وذلك عين وتلك عذراء وهذى درر ، ولكنه ينفذ إلى أعماق الأشياء ، فنقول : هذا صوت شاد وتلك عين تتحدر ، ، وهذه عذراء تبدو تارة وتخفر أخرى ، وهذى درر تشقق ثم تزعفر

وللتفصيل مراتب كثيرة ، وغرائب بليغة ، ودقائق لطيفة ، ومما يكثر فيه التفصيل ما كان من التشبيه مركبا بين شيئين أو أشياء وهو على قسمين : =

. . . . . .

= الأول أن يكون المشبه به بقدر المشبه وصفته ويكون غير موجود فى الخارج كتشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق وكتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت على رماح من زبرجد وكتشبيه للنيلوفر الندى بدبابيس عسجد قضبها من زبرجد فى قوله

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

فقد راعى الشاعر أجزاء المشبه به وقدر اجتماعها على وجه مخصوص وبشرط معلوم ليحصل الشبه المطلوب ، فأنت تراه مثلا قد حصل الشبه فى النرجس من المداهن والعقيق بشرط أن تكون المداهن من در وأن يكون العقيق فى حشوها ولو أخل بواحد من هذه الأمور لم يحصل الشبه . وكذلك لو خالف الوجه المخصوص فى الاجتماع والاتصال .. ويلاحظ أن صورة المشبه به هنا مما لا توجد ولا نظير لها فى الخارج

الثانى أن تعتبر فى التشبيه هيئة مجموعة من اقتران شيئين وذلك الاقتران مما يوجد فى الخارج كتشبيه الشمس وهى تسطع من مشرقها ببوتقة محمية يحول فيها ذهب ذائب ؛ وكقول الشاعر :

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

فى تشبيه هيئة اختلاط الصبح بالليل ومقارنة أحدهما للآخر بالفرس الأشهب قد ألقى الجل ، فهذا الاقتران الذى وضع عليه التشبيه مما يوجد ويعهد بعكس تشبيه الشقيق بأعلام ياقوت الخ مثلا فانه لا يتعدى الوهم والتقدير . ويلاحظ أن وجود ذلك الاقتران يتفاوت حاله ، فمنه ما يتسع وجوده مثل كأنها فضة قد مسها ذهب ، ومنه مايوجد فى النادر القليل مثل : درر نثرن على بساط أزرق

هذا وإذا اعتبرنا موضع قسمى التفصيل المركب (وجود المشبه به المركب وعدم وجوده) من عبرتى الغرابة (الندرة والتفصيل) رأينا هذين القسمين بحسب نسبتهما من العبرتين يعطيانهما لطف الغرابة ، وينفضان عليهما صبغة السحر وروعة الحسن والأعجاب. فقول الشاعر:=

. . . . . .

= « أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد »

وقوله :

كلنا باسط اليد نحو نيلوَ فرندى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

من المقدر الذى لا يباشر الوجود ، قد اجتمع فيهما الندرة والتفصيل ، وقد أتت فيهما الندرة على غاية القوة والروعة لأن المشبه به ممتنع الوجود فى الخارج لا يتصور إلا فى الوهم والتقدير

أما قول الشاعر :

وكأن أجرام السماء لوامعا
درر نثرن على بساط أزرق

ففيه عبرة الندرة ضعيفة لأن المشبه به ممكن الوجود وإن كانت رؤيته قليلة ، فقد دنا من لوقوع فى الفكر والتعرض للذكر دنواً لا يقارب الأول فيه ، ولذلك كان الضرب الأول أبلغ وأسنى وأروع وأقوى

ومن هذه المثل نرى أن عبرة الندرة مختلفة فى المكانة والروعة والبلاغة ، وكذلك عبرة التفصيل تختلف وتتنوع فقد ينظر شاعر إلى ثلاثة أشياء و جهات فيكون أبلغ من آخر نظر إلى شيئين أو جهتين ، ومثال ذلك قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول المتنبى : يزور الأعادى فى سماء عجاجة
أسنته فى جانبيها الكواكب

وقول عمرو بن كلثوم :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم
سقفا كواكبه البيض المباتير

كل شاعر منهم أراد تشبيه لمعان السيوف فى الغبار بالكواكب فى الليل ، =

. . . . . .

= فالتفصيل فى الأبيات الثلاثة شىء واحد إلا أن بشارا راعى ما لم يراعه غيره بأن ذكر (تهاوى) فأتم الشبه ، وعبر عن هيئة السيوف المسلولة من الأغماد وهى تعلو وترسب وتذهب وتجىء أتم تعبير ، وصورها أبدع تصوير ، بينما وقف الشاعران الآخران عند لمعان السيوف فى أثناء العجاج ، ولزيادة بشار حظ من الدقة تجعلها فى حكم تفصيل بعد تفصيل

ومثل ذلك فى زيادة أحد التشبيهين عن الآخر بفضل استقصاء ليس فى الآخر مع أن جنسهما واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة — قول ابن المعتز :

وحمل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق فى قرارتها مسك

وقوله أيضا فى هذا المعنى :

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فالبيت الثانى أعلى طبقة وأرفع منزلة فى البلاغة العربية لأن بقايا الغالية فى مدهن الذهب تمثل السواد الذى فى باطن الآذريونه تمثيلا صادقا وتصور مكانه وارتفاعه عن قرارة الكأس تصويرا بينا ، بعكس المسك فى قرارة كأس العقيق فانه لا يعطيك لهذا صورة واقعة صادقة ، ومن أبلغ الاستقصاء قول ابن المعتز :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل وقد ظهر فيه فجأة ضوء للصبح بأشخاص غربان ذات قوادم بيضاء الريش ، ليوضح صورة جميلة للصبح فى دبيبه فى ظلمة الليل ، ثم أتم دقة التشبيه وسحره بشىء آخر هو تصويره لاستطارة الضوء فى ظلام الليل باطارة الغراب فيسرع فى النفير رهبة وفزعا

فكل ما سبق نماذج اختلفت فيها عبرة التفصيل والندرة ، وهذه موازنة قصيرة تنوعت فيها عبرة التفصيل المركب

قال الشاعر :

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال=

من غير تدقيق نظر، لظهور وجهـــه فى بادىء الرأى. وسبب ظهوره أمران :

= وقال الآخر فى وصف البرق :

وتارة تبصره كأنه أبلق مال جله حين وثب

وقال الآخر (ابن بابك) فى هذا المعنى أيضا :

للبرق فيها لهب طائش كما يعرى الفرس الأبلق

وقال الآخر فيه أيضا :

وترى البرق عارضا مستطيلا مرح البلق جان فى الأجلال

الشاعر الأول يرسم لنا صورة فرس أشهب زحزح جله وأزيل عن مكانه حتى تكشف أكثر جسده وذلك ليعطينا من ذلك صورة لليـل وقد دب فيه الصباح وتمشى فى ظلمته الضياء، ولم يقصد إلى تشبيه الصبح وحده من غير أن يفكر فى الليل، وإلا فلو أراد ذلك لما كان شيئا ولما شاكل قوله (تحت الليل باد)

أما الشاعر الثانى فالأشبه أن يكون قصده تشبيه البرق وحده ببياض الأبلق دون أن يدخل لون الجل فى التشبيه وإنما ذكر الجل لأنه أراد أن يلوح إلى أن البرق لمح بغتة ولاح فجأة فأصبح لذلك كبياض الأبلق إذا ظهر بياضـــه عند وثوبه وميل جله عنه

وما أراده الشاعر الثانى هو ما يتجلى لنا واضحا فى البيت الثالث وإن امتاز عن الثانى ببيانه أن البرق يظهر فجأة على غير انتظار وترقب وذلك فى قوله (حين وثب) فكان له بهذا الاحتياط فائدة لا تخفى. ويشاركه البيت الرابع فى مراعاته لهذا الاحتياط إذ جعل البلق تمرح وتجول فراعى شيئا كمل به تشبيهه وهو تصوير هيئة حركة البرق وكيفية لمعانه. فالأول تشبيه هيئة بهيئة والابيات الثلاثة فيها تشبيه البرق وحده بصورة تناسبه ؛ مع اختلافها تفصيلا

الأول [١] : كون الشبه أمرا جمليا ، فان الجملة أسبق أبدا الى النفس من التفصيل ، ألا ترى أن الرؤية لا تصل فى أول أمرها الى الوصف على التفصيل ، لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم ينعم النظر . وكذا سائر الحواس ، فانه يدرك من تماصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية مالم يدرك فى المرة الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشىء من بين جمله يريد تمييزه مما اختلط به ومن يروم الاجمال كمن يريد أخذ الشىء جزافا ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجمل أبدا تسبق الى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر الا بعد إعمال الروية [٢]

والثانى : كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن: إما عند حضور المشبه، لقرب المناسبة بينهما [٣] كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالاجاصة فى الشكل وفى المقدار ، والجمرة الصغيرة بالكوز

---

(١) راجع ١٣٧ و١٣٨ من الأسرار

(٢) فالمجمل يحتاج إلى ملاحظة واحدة بخلاف المفصل فهو محتاج لعدة ملاحظات ، فكلما كثرت التفاصيل كثرت الملاحظات والاعتبارات ، وتلك تزيده خصوصا ، وكلما كثر التخصيص فى الشىء قلت افراده فتقل ملابسة وجوده فيكون غريبا

(٣) إذ لا يخفى أن الشىء مع ما يناسبه أسهل حضورا لأنهما إذا تناسبا اقترنا فى الخيال فيسهل الانتقال فى التشبيه لظهور الوجه غالبا مما يحضر كثيرا مع غيره، وهذا التفاوت الذى أوجب كثرة الاجتماع فى الوجود هو الجامع الخيالى كما تقدم

كذلك ، وإما مطلقا[١] لتكرره على الحس [٢] كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ، فان قرب المناسبة والتكرر كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال [٣]

والبعيد الغريب وهو مالا ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به الا بعد فكر ؛ لخفاء وجهه فى بادىء الرأى ، وسبب خفائه أمران :

أحدهما [٤] كونه كثير التفصيل [٥] ، كما سبق من تشبيه الشمس

---

(١) أى أو لكون الوجه قليل التفصيل مصاحبا لغلبة حضور المشبه به فى الذهن غلبة مطلقة أى غير مقيدة بحضور المشبه ، و أو لمنع الخلو لا لمنع الجمع

(٢) أى أو لكونه لازما لما يتكرر على الحس ، فان المتكرر على الحس كصورة القمر غير منخسف أسهل حضورا مما لا يتكرر على الحس كصورة القمر منخسفا

(٣) أى فقلة التفصيل فى وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به لسبب قرب المناسبة فى التشبيه الأول أو التكرر على الحس فى التشبيه الثانى سبب لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة ، لأن قرب المناسبة فى الصورة الأولى - وهى غلبة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه - والتكرر على الحس فى الثانية - وهى غلبة حضور المشبه به فى الذهن مطلقا حضر المشبه ام لا - ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه الى المشبه به فيصير وجه الشبه كأنه أمر جملى لا تفصيل فيه فيصير سببا للابتذال

(٤) راجع ١٥٠ مفتاح

(٥) هذا محترز عدم التفصيل وقلة التفصيل المعارضة بالمناسبة والتكرر على الحس المعلل بهما ظهور الوجه وقوله «لكثرة التفصيل» ظاهره ولو مع الغلبة

بالمرآة فى كف الأشل [١] ، فان ما ذكرنا من الهيئة لا يقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملا ويكون فى نظره متمهلا

والثانى [٢] ندرة حضور المشبه به فى الذهن :

إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما، كما تقدم من تشبيه المنفسج بنار الكبريت

وإما مطلقا لكونه [٣] وهميا [٤] . أو مركبا خياليا، أو مركبا عقليا، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد، وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا [٥] فان كلا سبب لندرة حضور المشبه

---

(١) فوجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الحركة السريعة مع الاشراق، وفيه من التفصيل ما قد سبق، ولذا لا يقع فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب وقيدنا بذلك لأن الوجه لا يتأتى الا مع دوام الحركة

(٢) راجع ١٥٠ من المفتاح

(٣) أى المشبه به

(٤) أى أمرا وهميا يدركه الانسان بوهمه لا بأحد الحواس الظاهرة لكونه هو ومادته غير موجودين فى الخارج، وذلك كأنياب الأغوال، فى تشبيه السهام المسنونة الزرق بها

(٥) راجع ٢/٨٩ الكامل المبرد

به فى الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس [١] ، كما [٢] مر من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، فانه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل . فالغرابة فى هذا التشبيه [٣] من وجهين [٤]

والمراد [٥] بالتفصيل [٦] أن ينظر فى أكثر من وصف واحد لشىء

---

(١) أى أو لكونه - سيا لكنه قليل التكرر على الحس ، فهو عطف على قوله « لكونه أمرا وهميا » ، أى ومن باب أولى عدم تعلق الحس به كالعرش فى الكرسى

(٢) راجع ١٤٩ مفتاح ، ١٤٣ أسرار البلاغة

(٣) وهو تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل

(٤) أحدهما كثرة التفصيل فى وجه الشبه ، والثانى قلة التكرر على الحس . فان قلت كيف تكون ندرة حضور المشبه به سببا لعدم ظهور وجه الشبه مع أنهما متغايران فلا يلزم من ندرة أحدهما ندرة الآخر ؟ قلت : لأن الوجه فرع الطرفين والجامع المشترك الذى بينهما إنما يطلب بعد حضور الطرفين فاذا ندر حضورهما أو حضور المشبه به ندر التفات الذهن إلى ما يجمعهما ويصلح للتشبيه بينهما ، ولم يعللوا عدم ظهور الوجه بندور حضور المشبه كما عللوا بندور حضور المشبه به لأن المشبه به عمدة التشبيه الحاصل بين الطرفين ، فظهور الوجه وعدمه إنما يسند إليه

(٥) راجع ١٤٤ وما بعدها أسرار البلاغة

(٦) أى فى وجه الشبه الذى هو سبب فى غرابة التشبيه

واحد[١] أو أكثر[٢]؛ وذلك يقع على وجوه كثيرة، والاغلب الاعرف منها وجهان:

أحدهما ان تأخذ بعضا[٣] وتدع بعضا، كما فعل امرؤ القيس فى قوله[٤]

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

ففصل السنا عن الدخان واثبته مفردا

والثانى أن يعتبر الجميع كما فعل الآخر[٥]:

---

(١) كما فى تشبيه المفرد بالمفرد

(٢) أى أن يعتبر أكثر من وصف واحد إما من جهة وجود الكل أو من جهة عدم الكل أو من جهة وجود البعض وعدم البعض، كانت تلك الأوصاف ثابته لموصوف واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر

(٣) أى بعض الأوصاف أى تعتبر وجود بعضها وعدم بعضها

(٤) البيت فى الأسرار ص ١٤٢ وفى ٢٢٥ صناعتين، ٨٣ معجم الشعراء ويروى هذا البيت لعميرة بن جعيل من قصيدة له روبت فى المفضليات مع ابدال «لم يتصل» بـ «لم يستعن» [١٢٥ مفضليات]

ردينيا: يعنى رمحا منسوبا إلى ردينة وهى إمرأة بهجر كانت تقوم الرماح أى تحسن صنعها. السنان: الحديدة التى فى طرف الرمح فقد اعتبر فى اللهب — وهو موصوف واحد — الشكل واللون واللمعان وترك الاتصال بالدخان ونفاه. وإسقاط بعض الأوصاف هنا لا يكون إلا فيما قصده الشاعر مما يكون فيه دقة تحتاج إلى زيد تنبيه

(٥) هو أبو قيس بن الأسلت أو أحيحة بن الجلاح أو قيس بن الخطيم [١٤٥ و ٧٥ أسرار]

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

فانه اعتبر من الانجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة المخصوصة فى القرب ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود المنور من الملاحية، وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد [1] وأبلغ، كقوله تعالى [2] : إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » ، فانها عشر جمل اذا فصلت ، وهى وإن دخل بعضها فى بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة، فان ذلك لا يمنع من أن تشير اليها واحدة واحدة. ثم ان الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالمغزى من التشبيه .. ومن تمام [3] القول فى هذه الآية ونحوه أن الجملة اذا وقعت فى جانب المشبه به تكون على

---

(١) سواء كان التركيب خياليا بأن كان هيئة معدومة مفروضا اجتماعها من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس مثل « وكان محمر الشقيق » ، أو عقليا ، أو وهميا وهو المركب المعدوم هو ومادته مثل « ومسنونة زرق كأنياب أغوال » ولم يقل أو حسيا ، لأن المقسم التركيب لا المركب ، وهو لا يكون حسيا

(٢) راجع ٨٧ و ٩١ من الأسرار

(٣) راجع ٩١ من الأسرار

وجوه : أحدها أن تلى نكرة فتكون صفة لها كما فى هذه الآية ، وعليه قول النبى صلى الله عليه وسلم «الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة»[1] ، والثانى أن تلى معرفة هى إسم موصول فتكون صلة له ، كقوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » الآية . والثالث أن تلى معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافا ، كقوله عز وعلا « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » ،

ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز[2] :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح باشخاص الغربان ، ثم شرط أن يكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيها من حيث يلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل منها فى العين كشكل قوادم بيض . وتمام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه اظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها ، ثم لمراعى ذلك فى

---

(١) الحديث فى ٣١ و ٢٠٤ ج ٢ البيان ، ٥٩ ج ١ زهر الآداب

(٢) راجع البيت فى الأسرار ص ١٥٤ حيث شرحه عبد القاهر شرحا واسعا الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . القوادم : أوائل ريش الطير . الجون : بالضم جمع جون بالفتح يطلق على الأبيض والأسود والمراد الأبيض

التشبيه إبتداء راعاه آخرا ، حيث قال « نطير غرابا » ولم يقل « غراب يطير ونحوه » لأن الطائر اذا كان واقعا فى مكان فأزعج وأطير منه ، أو كان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه وأدعى له أن يستمر على الطيران ؛ حتى يصير الى حيث لا تراه العيون بخلاف ما إذا طار عن اختيار ، فانه حينئذ يجوز أن لا يسرع فى طيرانه وأن يصير الى مكان قريب من مكانه الاول . وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى [1] :

[فى هامة غلباء تهدى منسرا] كعطفة الجيم بكف [2] أعسرا

غير خاف أن الجيم خطان : أولهما الذى هو مبدؤه وهو الاعلى ، والثانى الذى يذهب الى اليسار ، وإذا لم يوصل بها فلها تعريق [3] ، والمنقار انما يشبه الخط الاعلى فقط ، فلهذا قال « كعطفة الجيم » ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر ، لان جيم الاعسر يقال انه أشبه بالمنقار من جيم الايمن ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الاعلى من الجيم ، فقال :

---

(١) وينسب لابن فارس
والبيت فى الأسرار ص ١٥٥

(٢) غلباء : قوية . المنسر : كمجلس ومنبر منقار الطير الجارح

(٣) تعريق الجيم أن يعطف بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن فى الجيم المفردة

يقول من فيها بعقل فكرا
لوزادها عينـــا إلى فاءورا
فاتصلت بالجيم صارت جعفرا

فأبان أنه لم يدخل التعريق فى التشبيه ، لان الوصل يسقطه أصلا، ولا الخط الاسفل وان كان لابد منه مع الوصل، لأنه قال "فاتصلت بالجيم" أى بالعطفة المذكورة، ولم يقتصر على قوله

لوزادها عينا الى فاءورا

ولاجل هذا التدقيق قال

يقول من فيها بعقل فكرا

فنبه على أن بالمشبه حاجة الى فضل فكر، وان يكون فكره فكر من يراجع عقله[1]

وإذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرىء القيس

---

(١) قال أبو هلال فى الصناعتين [ص ١٣] :
سمعت بعض العلماء يقول : ومن المعانى الباردة قول أبى نواس « فى هامة الخ » ، فمن يجعل أن الجيم إذا أضيف إليها العين والفاء والراء « صارت جعفرا » . وهو عندى صواب إلا أنه لو اكتفى بهذا البيت ولم يزد الزيادة التى بعدها لكان أجود وأرشق وأدخل فى مذاهب الفصحاء

فى وصف السنان اعلى طبقة من قول الآخر [١] :

يتابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

فلو انثنى عن التفصيل الذى تضمنه الاول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعا عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع فى الخاطر أول وهلة ؛ بل لا بد فيه من أن يتثبت وينظر فى حال كل من الفرع والاصل حتى يقع فى النفس ان فى الاصل شيئا يقدح فى حقيقة التشبيه ؛ وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة ، وكذا قوله [٢]

وكأن أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

أفضل من قول ذى الرمة : [٣] :

---

(١) هو عنترة [٢٠٥ نظام الغريب] . والبيت مع أبيات فى الحماسة ١٦٥ ج ١ . وراجعه فى الأسرار ص ١٤١

الضمير فى « يتابع » لورد بن حابس ، وفى « غيره » لنضلة الأسدى ، وكان لورد ثأر عنده : القبس الملتهب : النار الموقدة

(٢) هو أبو طالب الرقى . والبيت فى ١٣٧ و ١٤١ و ١٦٩ من الأسرار

(٣) راجعه فى ١٦٠ ج ١ البيـــان ، و ٤٠ ج ٢ الكامل ، و ٢٢٨ وساطه ، و ٣٦٩ صناعتين

الحور : شدة بياض العين . الدعج : شدة سواد الحدقة . النعج : اللين

قال الجاحظ : قالوا المراة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يقرب إلى الحمرة وبالعشى يضرب إلى الصفرة (١٦٠ ج ١ بيان)

وقال الاعشى :

بيضاء ضحوتها وصفـــ ـفراء العشية كالعرارة =

[حوراء فى دعج صفراء فى نعج] كأنها فضة قد مسها ذهب

لأن الاول مما يقدر وجوده دون الثانى ، فان الناس أبدا يرون فى الصياغات فضة قد موهت بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق. وكذا بيت بشار [١] أعلى طبقة من قول أبى الطيب [٢] :

يزور الاعادى فى سماء عجاجة أسنته فى جانبيها الكواكب

وكذا من قول الاخر [٣] :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البيض المباتير

لان كل واحد منهما وان راعى التفصيل فى التشبيه ؛ فانه اقتصر على أن أراك لمعان الاسنة والسيوف فى أثناء العجاجة، بخلاف بشار ، فانه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سلت من

= العرارة : شجر له نور أصفر. ولذى الرمة (١٧٠ ج ٤ العقد) :

بيضاء صفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

(١) وهو قوله « كأن مثار النقع الخ »

(٢) راجعه فى ٢٧٤ و ٢٤١ وساطه

العجاجة : الغبار . الأسنة : نصال الرماح جمع سنان

(٣) هو عمرو بن كلثوم العتابى [٢٣٩ صناعتين]

السنابك : أطراف الحافر . البيض : السيوف . المباتير : جمع مبتار صفة مبالغة من بتر بمعنى قطع

أغمادها ، وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا لأنها لا تقع فى النفس إلا بالنظر الى أكثر من جهة واحدة ، وذلك ان للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الايدى بها فى الضرب إضطرابا شديدا وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة ، والارتفاع والانخفاض ، ثم هى باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها بعضا ، ثم أشكالها مستطيلة ، فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله « تهاوى » ؛ لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ؛ ثم كان لها فى التهاوى تواقع وتداخل ، ثم استطالت أشكالها . وكذا قول الآخر [1] فى الآذريون :

مداهن من ذهب فيهـا بقايا غاليه

أعلى وأفضل من قوله [2] فيه :

[وحمل آذريونة فوق أذنه] كـكاس عقيق فى قرارتها مسك

لأن السواد الذى فى باطن الآذريونة الموضوع بأزائه الغالية

---

(١) هو ابن المعتز . راجع البيت فى ١٥٣ و ١٥٤ و ١٨٨ أسرار . وقوله « فيه » أى فى الآذريون وهو ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد له نبو وارتفاع وقد يكون أصفر . والمداهن جمع مدهن وهو حق الدهن . الغالية : أخلاط من الطيب

(٢) هو ابن المعتز أيضا . العقيق الخرز الأحمر . القرارة : القاع

والمسك فيه أمران: أحدهما أنه ليس بشامل له ، والثانى انه لم يستدر فى قعرها ، بل ارتفع منه ، حتى أخذ شيأ من سمكها من كل الجهات ، وله فى منقطعه هيئة تشبه آثار الغاليه فى جوانب المدهن اذا كانت بقية بقيت عن الاصابع ، وقوله « فى قرارتها مسك » يبين الأمر الاول ، ويومن من دخول النقص عليه ، كما كان يدخل لو قال « فيها مسك » ، ولم يشترط ان يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقايا غالية » لأن من شأن المسك والشىء اليابس اذا حصل فى شىء مستدير له قعر أن يستدير فى قعره ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الاذريونة ، بخلاف الغالية فانها رطبة ثم تؤخذ بالأصابع فلا بد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه

∴

والبليغ [1] من التشبيه ما كان من هذا النوع — أعنى البعيد — لغرابته [2] ، ولأن الشىء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى

---

(١) راجع ١١٨ من الأسرار

(٢) أى لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل

وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى . ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال [١] :

وهن ينبذن من قول يصبن به ... مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

[الفرق بين التشبيه البعيد والتعقيد]

لا يقال : عدم الظهور ضرب من التعقيد ، والتعقيد مذموم لأنا نقول [٢]

---

(١) هو القطامى (راجع ١٧٩ ج ١ الكامل ، ١٩٠ ج ١ البيان ، ٤١٣ من الدلائل) . والغلة : شدة العطش . والصادى : العطشان . ينبذن : يرمين

(٢) ١١٨ وما بعدها أسرار ، و ١٧٦ المفتاح

ملاحظة : خلاصة هذا البحث أن الفرق بين التشبيه والتعقيد من ناحيتين :

الأولى : أن التشبيه والتعقيد وان اشتركا فى الحاجة إلى بذل مجهود فكرى إلا أن هناك فرقا بين المجهودين ؛ ففى التشبيه تبذل المجهود فى سبيل الوصول إلى المعنى الممثل ، وأنت تسلك سبيلا ممهدا قد رفعت فى جوانبه أعلام الهداية لأن ذلك قد حدث فى معناه فتصل إلى الغاية وتضع عصا التسيار ، وأنت فى لذة المنتصر

وأما التعقيد بنوعيه : اللفظى والمعنوى ، فانه يحتاج الى مضاعفة المجهود الذى يبذله الفكر ويسير فيه فى طريق ملتو مظلم لاجلاء فيه ، فتلتمس الحيل ، ولكن هيهات أن تصل إلى الغاية ، ولئن عثرت على المعنى بعد ذلك فسوف تجده مشوه الصورة ناقص الحسن ، وليس ذلك الا لأن الكلام لم يرتب الترتيب الذى بمثله تحصل الدلالة على الغرض أو التوت الدلالة فيه بسوء الانتقال من المعنى اللغوى إلى المعنى المجازى أو الكنائى ؛ كما فى قول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كليب تصاهره =

التعقيد كما سبق له سببان: سوء ترتيب الالفاظ، واختلال الانتقال من المعنى الاول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ . والمراد بعدم

= يريد إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب ولا كانت كليب تصاهره فقدم وأخر حتى أبهم المعنى ، وكما فى قول العباس بن الأحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا

وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

وأما الناحية الثانية : فهى أن ما تحصل عليه بعد الغوص فى بحار التشبيه هو الدرر مما يجعلك مطمئنا إلى حسن النتيجة مهما بذلنا من جهد لأنك ستصل إلى معنى شريف يشرح صدرك ويثلج فؤادك فمهما بذلت من جهد ضعيف أو قوى فانك تحصل على معنى يوازى ما بذلت وربما كان اعجب

وطبعى إذا كان المعنى لطيفا أنه يحوجك إلى تحريك الخاطر ولطف الفكرة وإلا لو لم يكن شأنه ذلك لتساوى كلام الدهماء مع كلام الفحول ولغدت جميع الأفكار فى منزلة واحدة لا فرق بين غبيها وذكيها وضعيفها وقويها ، وما كان ذلك ولا يكون

وأما الذى تحصل عليه بعد بذل الجهد فى الكلام المعقد فهو فى الغالب معنى سخيف لا يدانى فى قيمته معشار ما بذلت فى سبيله، ولئن كان شريفا وذلك قليل نادر فقد شاه وجهه وقبحت صورته وذهب رونقه لأنه أقض مضجعك وأتعب ذهنك وتركك عليه ناقما

والمعانى الشريفة لا بد فيها من فكر وروية وربط لاحق بسابق

ولئن صح أن كثيرا من المعانى الممثلة تكون فى غاية الوضوح بحيث لا تحتاج إلى فكر ، فان ذلك إنما جاء من أن المتكلم أجهد نفسه فى تذليل صعوبتها وإنارة ظلمتها ، وأوضحها غاية الوضوح ، مما يستدعى سرور النفس وإعجاب الأديب =

الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض المعانى على بعض كما يشعر بذلك قولنا فى بادىء الرأى فان [١] المعانى الشريفة لا بد فيها فى غالب الامر من بناء ثان على أول ؛ ورد تال الى سابق ، كما فى قول البحترى [٢] :

= شروط حسن التأليف :

وليس كل تأليف بين المختلفات ، وجمع بين المتناقضات ، حسنا دائما . بل لا بد من إصابة الشبه الصحيح المعقول الذى يصح الجمع بينهما حتى يكون إئتلافهما الذى أوجبه التشبيه واضحا وضوح ما بينهما من تباين وخلاف ، بذلك تكون قد أصبت السداد ، فأما أن تفعل غير ذلك وتكره الوصف على المثول فى غير موضعه فهذا معيب . وإنما المقصود أن تظهر وجه الشبه وتبينه حيث الموضع اللائق به ، وليس المقصود أن تنتزع الجامع انتزاعا وتتحله انتحالا وتوجد مشابهة لا يقرها العقل ، وإنما المراد أن هناك وجوه شبه بين هذه الأشياء المتناكرة يدق المسلك إليها ، فاذا أمعنت النظر ووصلت إليها وأظهرتها فقد استحققت المدح على جهد بذلته ، وذلك ظاهر فى التشبيهات المحسوسة كما لمسته فى التمثيلات المعقولة

هذا ومن الكلام نوع يحاول فيه المتكلم عكس القضية المعروفة فيجعل من الإساءة إحسانا ومن البخل جودا فى صورة تحكمة الخلق ساحرة ، وإذا تصورت هذا فيجب أن تلاحظ أن هذا النوع من الكلام مما يشابه الجمع بين المتناقضات أو يداخلها فى حقيقتها المتقدمة من ظهورها فى مظهر التشبيه ، ولكن لا يتم هذا إلا بملاحظة أن يكون هذا على وجه مقبول يوحى إلى النفس سحرا فى عبارة حسنة السبك بديعة التأليف

(١) راجع ١٢٣ أسرار

(٢) ٩٨ و ١٢٣ أسرار

دان على أيدى العفاة ؛ البيتين

فانك [١] تحتاج فى تعريف معنى البيت الاول الى معرفة وجه المجاز فى كونه دانيا وشاسعا ، ثم تعود الى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر ، ثم تقابل إحدى الصورتين بالاخرى وتنظر كيف شرط فى العلو الافراط ليشاكل قوله : شاسع ؛ لان الشسوع هو الشديد من البعد ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب فقال « جد قريب » . فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة الى الفكر ، وهل شىء أحلى من الفكر اذا صادف نهجا قويما الى المراد . قال الجاحظ فى أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة [٢] ، وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السمع بلطع الدم وأكل اللحم وسرور الظفر بالاعداء ومن إنفتاح باب العلم

بعد إدمان قرعه

[التصرف فى التشبيه القريب بما يجعله بعيدا]

وقد يتصرف فى القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال الى الغرابة

وهو على وجوه :

---

(١) هذا منقول من الأسرار ص ١٢٣

(٢) راجع ص ١٢٦ أسرار

[١ —] منها أن يكون كقوله (١)

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا الا بوجه ليس فيه حياء (٢)

وقوله

فردت علينا الشمس والليل راغم

بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فان تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ؛ لكن كل واحد : من حديث الحياء فى الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى الثانى ، أخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبيه بالأول قول الآخر :

ان السحاب لتستحيي اذا نظرت

الى نداك فقاسته بما فيها (٣)

[٢ — التشبيه المشروط]

---

(١) للمتنبى فى أبى على الكاتب . وهو فى الأسرار ص ٢٩٦

(٢) التشبيه فى البيت ضمنى لان وجه الممدوح إذا كان أعظم من الشمس فى الاشراق يستلزم اشتراكهما فى أصل الاشراق فيثبت التشبيه ضمنا ، فكأنه قال: « هذا الوجه كالشمس فى أصل الحسن فقط » ، وجعل الوجه مشبها هو بالنظر لمقصود الشاعر وإلا فالمفاد من البيت بعد جعل التشبيه ضمنيا أن المشبه الشمس بسبب ذكر عدم الحياء ، فالمفاد من البيت قلب التشبيه وإن كان مقصود الشاعر تشبيه الوجه بالشمس

(٣) الندى : الكرم . قاسته بما فيها : شبهته به ، وما فيها و المطر

ومنها أن يكون كقوله :[١]

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن بالثاقبات أفول

وقوله[٢] :

مها الوحش الا أن هاتا أوانس

قنا الخط الا أن تلك ذوابل

وقوله[٣] :

يكاد يحكيك صوب الغيث مسكبا

لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والبدر لو لم يغب ، والشمس لو نطقت

والأسد لو لم تصد ، والبحر لو عزبا

وهذا يسمى التشبيه المشروط[٤]

---

(١) هو للوطواط للشاعر . الثواقب : النوافذ . الأفول : الغروب . شبه العزم بالنجم فى الثقوب والنفوذ الذى هو فى كليهما تخييلى ، وهو تشبيه مبتذل إلا أن اشتراط عدم الأفول أخرجه إلى الغرابة

(٢) هو لأبى تمام . المها واحدها مهاة وهى بقر الوحش . القنا واحده قناة وهو الرمح . الخط : اسم بلد . ذوابل من الذبول وهو الجفاف . واسم الاشارة فى « تلك » للرماح . يريد أن يفضلها بالطراوة والنضارة

(٣) هما لبديع الزمان الهمذانى . صوب الغيث من إضافة الصفة للموصوف المحيا : الوجـــه .

(٤) أى المقيد لتقييد : المشبه ، أو المشبه به ، أو كليهما مثل زيد فى علمه بالأمور إذا كان غافلا كعمرو فى علمها إذا كان يقظا؛ بشرط وجودى أو عدمى يدل عليه بصريح اللفظ أو بسياق الكلام مثل « هى بدر يسكن الأرض » اى هى كالبدر لو كان البدر يسكن

[٣ -] ومنها أن يكون كقوله [١] :

فى طلعة البدر شىء من محاسنها

وللقضيب نصيب من تثنيها

وقول ابن بابك [٢]

ألا ياريا ض الحزن من أبرق الحمى

نسيمك مسروق ووصفك منتحل

حكيت أبا سعد فنشرك نشره

ولكن له صدق الهوى ولك الملل

[٤ -] وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله [٣]

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

كما يزداد بذلك لطفاً وغرابة كقوله [٤]

---

(١) البحترى (كما فى المثل السائر ص ١٦١)

(٢) راجع ص ٢٤١ أسرار . الحزن : الأرض الغليظة وكذلك الأبرق . منتحل من انتحل كذا إذا ادعاه لنفسه وهو لغيره . النشر : الرائحة . الملل السآمة

(٣) هو للبحترى وقد سبق

(٤) هو لامرىء القيس . وراجعه فى ٢٣٨ صناعتين . ويعجب خلف جدا بهذا البيت (٢٤١ ج ٣ البيان للجاحظ)

ايطلا الظبى : خاصرتاه الأرخاء : الجرى فى سهولة . السرحان : الذئب . التنفل ولد الثعلب

له أيطلاظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

(٣ - تقسيم التشبيه باعتبار أداته) :

واما باعتبار أداته فاما مؤكد أو مرسل. والمؤكد ما حذفت أداته [١] كقوله تعالى « وهي تمر مر السحاب [٢] » وقوله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، وقول الحماسي [٣]

هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللقاء إذا تلقى بهم بهم

إلى غير ذلك كما سبق ؛ ومنه [٤] نحو قول الشاعر [٥]

---

(١) أي تركت بالكلية بحيث لا تكون مقدرة في نظم الكلام وإلا فلا يكون التشبيه مؤكدا بل مرسلا

(٢) أي مثل مر السحاب

(٣) هو زياد بن حمل (١٤٦ ج ٢ حماسة) . وراجعه في ٤٣٤ صناعتين . البهم واحده بهمة وهو الشجاع الذي لا يدري كيف يؤتى لاستبهار شأنه

(٤) أي من المؤكد

(٥) هو ابن خفاجة الأندلسي ،

والبيت من قصيدة في الأدب الأندلسي لمحمود مصطفى ص ٢٠ . يريد المصنف أن من التشبيه المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة وتقدم المشبه به على المشبه ، وتجعل الاضافة بيانية . تعبث بالغصون : أي تميلها إلى الأطراف والجوانب . الأصيل هو الوقت بعد العصر إلى المغرب ويعد من الأوقات الطيبة كالسحر ويوصف بالصفرة ، فذهب الأصيل صفرته وشعاع الشمس فيه وهو استعارة مصرحة أي صفرته التي كالذهب واللجين : الفضة ، أي على ماء كاللجين في الصفاء والبياض ؛ فهذا تشبيه مؤكد

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وقول الآخر[١] يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار :

كأنما أدهم الاظلام حين نجا من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقول الشريف الرضى :

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت حوامل المزن فى أجداثكم تضع

ولا يزال جنين النبت توضعه على قبوركم العراضة الهمع[٢]

والمرسل : ما ذكرت أداته كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) ، وقوله عز وجل (عرضها كعرض السماء والأرض)

وقول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل[٣]

وقول البحترى .

---

(١) هو ابن حمديس الصقلى [١٢٣ المثل السائر] . الأدهم : الفرس الأسود الأشهب : الأبيض . والمراد تشبيه الليل فى ذلك بالأدهم ، والصبح بالأبيض ، والقمر فى آخر الشهر بالنعل الذى يكون فى رجل الفرس لأنه على صورته

(٢) أرسى : أقام . العراضة السحاب ذو الرعد والبرق . الهمع السحاب الماطر

(٣) تعطو : تتناول . رخص : لين وصف لأصابعها . الشثن : الغليظ . الأساريع : جمع أسروع وهو دود يكون فى البقل والأماكن الندية تشبه به أنامل النساء . ظبى : اسم مكان . الأسحل شجر له غصون يستاك بها

وإذا الأسنة خالطتها خلتهـــا فيها خيال كواكب فى الماء[1]

إلى غير ذلك كما تقدم

(٤ — تقسيم التشبيه باعتبار الغرض[2]) :

وأما باعتبار الغرض فاما : مقبول، أو مردود

المقبول : الوافى بافادة الغرض كأن يكون المشبه به أعرف[3] شىء بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه ، أو بيان المقدار[4] ، ثم الطرفان فى الثانى أن تساويا فى وجه الشبه فالتشبيه كامل فى القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال ، أو كأن يكون المشبه به أتم شىء فى وجه الشبه إذا قصد الحاق الناقص[5] بالكامل ؛ أو كأن يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند المخاطب فى وجه الشبه إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .

والمردود بخلاف ذلك أى القاصر عن إفادة الغرض :

---

(١) « خالطتها » الضمير فيها يعود إلى الدروع . الأسنة : الرماح

(٢) راجع ١٥٠ المفتاح

(٣) أى يكون أعرف الطرفين

(٤) أو التزيين أو التشويه أو الاستطراف

(٥) وكذلك إذا قصد التقرير فى ذهن السامع حتى لا يتوهم كون المشبه على غير ذلك الحال

خاتمة (١)

قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان (٢) : احداها ذكر الاربعة كقولك زيد كالاسد فى الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة (٣) ، وثانيتها ترك المشبه كقولك كالأسد فى الشجاعة أى زيد وهى كالأول فى عدم القوة وثالثتها ترك كلمة التشبيه كقولك زيد أسد فى الشجاعة وفيها نوع (٤) قوة ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك أسد فى الشجاعة أى زيد وهى كالثالثة فى القوة . وخامستها ترك وجه الشبه ، كقولك زيد كالأسد ، وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر (٤) وسادستها ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك كالأسد أى زيد وهى كالخامسة . وسابعتها ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك زيد أسد ، وهى أقوى الجميع (٥) . وثامنتها إفراد المشبه به بالذكر ، كقولك أسد أى زيد ، وهى كالسابعة

---

(١) راجع ١٥١ الفتاح

(٢) الحاصل أن المشبه به لا بد من ذكره ، فالمشبه إما مذكور أو محذوف وعلى التقديرين (ذكر المشبه وحذفه) فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف ، وعلى التقارير الأربعة الحاصلة من ضرب حالتى المشبه — ذكره أو حذفه — فى حالتى الوجه — ذكره أو حذفه — ، فالأداة إما مذكورة أو محذوفة ، تصير ثمانية

(٣) لتخصيص وجه الشبه وعدم ادعاء أن المشبه عين المشبه به مبالغة

(٤) لاشتمالها على أحد موجبى القوة : عموم الوجه والادعاء

(٥) لعموم وجه الشبه ولادعاء أن المشبه عين المشبه به مبالغة

واعلم ان الشبه (١) قد ينتزع من نفس التضاد (٢) لاشتراك الضدين فيه (٣) ، ثم ينزل منزلة التناسب بوساطة تمليح (٤) أو تهكم (٥) فيقال للجبان ما أشبهه بالأسد وللبخيل هو حاتم (٦)

[انتهى التشبيه]

---

(١) أى التشابه والتماثل ، والمراد به هنا ما به التشابه من إطلاق المصدر على المفعول أعنى وجه الشبه

(٢) فيقال للجبان هو كالأسد فى الشجاعة فيكون الوجه منتزعا من التضاد ، أى من ذى التضاد ، أى من المتضادين

وذلك بتنزيل تضاد الجبن والشجاعة منزلة تناسبهما تمليحا أو تهكما فصار الجبن مناسبا للشجاعة وبمنزلتها وصار الجبان مناسبا للشجاع فاذا شبهناه به صار كأنه قام به شجاعة ، فاذا أخذ وجه الشبه منهما كان هو الشجاعة وإن كانت ادعاء فى المشبه

(٣) أى فى التضاد ليكون كل منهما مضادا للاخر

(٤) أى إتيان بما فيه ملاحة وظرافة ، من ملح الشاعر إذا أتى بشىء مليح

(٥) أى سخرية واستهزاء

(٦) وكل من المثالين صالح للتمليح والتهكم وإنما يفرق بينهما بحسب المقام فاذا كان القصد إلى ملاحة وظرافة دون استهزاء وسخرية بأحد فتمليح وإلا فتهكم

وقد سبق إلى بعض الأوهام نظرا إلى ظاهر اللفظ أن وجه الشبه فى قولنا : للجبان هو أسد ، وللبخيل هو حاتم ؛ هو التضاد المشترك بين الطرفين ، باعتبار الوصفين المتضادين وهما الجبن والشجاعة مثلا لا باعتبار حقيقتى الموصوفين. وفيه نظر لأنا إذا قلنا الجبان كالأسد فى التضاد أى فى كون كل منهما مضادا للاخر ، لا يكون هذا من التمليح والتهكم فى شىء ، كما إذا قلنا السواد كالبياض فى اللونية أو فى التقابل ؛ ومعلوم أنا إذا أردنا التصريح بوجه الشبه فى قولنا للجبان هو أسد تمليحا أو تهكما ، لم يتأت لنا إلا أن نقول فى الشجاعة مع أن الحاصل فى الجبان إنما هو ضد الشجاعة ، فنزلنا تضادهما منزلة التناسب وجعلنا الجبن بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح والهزء

ملحق للجزء الرابع

التشبيه والبحث البلاغى

للاستاذ خفاجى

التشبيه كما يقول أبو هلال م ٣٩٥ هـ : الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر[١]، وهو كما يقول ابن رشيق م ٤٥٦ هـ : وصف الشيء بما يقاربه ويشاكله[٢]، وهو عند عبد القاهر م ٤٧١ هـ : أن تثبت لهذا معنى من معانى ذاك أو حكما من أحكامه كاثباتك للرجل شجاعة الأسد والحجة حكم النور[٣]. ونقول نحن : إن التشبيه رسم صور فنية دقيقة لكل ما يدركه الحس أو يتأثر به الوجدان أو يفكر فيه العقل ، هو تصوير الأشياء بصورة الخيال الدقيق ، وإبراز صورة أدبية مطابقة كل المطابقة لما تصوره من حسيات ووجدانيات ومعنويات ، سواء كان هذا التصوير بأسلوب التشبيه أو التمثيل ، فليس التمثيل إلا تشبيها خاصا روعى فيه أن يجرى فى الهيئآت ، ويقول ابن رشيق فى العمدة : والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه

عناصر التشبيه

أهم عناصر التشبيه الأدبى هو إبراز الشبه التام بين الصور وحقائقها وأن تقوم الصورة مقام أصلها فى أداء المقصود منها ، وهى صنعة تستدعى جودة القريحة والحذق الذى يلطف ويدق وكلما كانت الصورة أبلغ فى التعبير عما ترمز إليه كان شأنها أعجب والحذق لمصورها أوجب ، ويقول المبرد فى كامله : « وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوى واختصار قريب » ويقول ابن رشيق :

« وحسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى يصير بينهما مناسبة واشتراك » ، ويقول مؤلف نقد النثر : وكلما كان المشبه فى تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذق أليق[٤] وعبد القاهر يؤمن بنظرية ابن رشيق ويفيض فى شرحها فى أسراره وإن لم يبين عمن استمدها

(١) ٢٢٦ صناعتين (٢) ٢٥٦ ج ١ العمدة (٣) ٦٨ الأسرار (٤) ٥٨ نقد النثر

التشبيه والاسلوب. وعلى أى حال فان للتشبيه مكانته الأدبية الممتازة فى أساليب البيان ، وله أثره فى التعبير والقدرة على التصوير وفى استثارة الأقناع والأعجاب ، ومسلكه فى ذلك حبيب إلى الفكر وشبيه بالسحر وموصل إلى الغاية التى ينشدها الشاعر والبليغ . وهو على أى حال أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطى (١) ، وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء الحس (٢) وهو مستوعر المذهب ومقتل من مقاتل البلاغة (٣)

وقد عنى علماء الأدب والبيان به وبدراسته ، وكتب عنه المبرد فى الجزء الثانى من كامله (٤) ، وثعلب فى كتابه قواعد الشعر (٥) ، وابن المعتز فى كتابه البديع ، ثم تلاهم قدامة فى نقد الشعر ونقد النثر ، وابو هلال فى الصناعتين ، وعبد القاهر فى الأسرار ، وابن رشيق فى العمدة ، وابن الأثير فى المثل السائر . وقد ألفت فيه كتب مستقلة: ككتاب التشبيهات تأليف الامام أبى إسحاق البغدادى وهو مختارات من الشعر والنثر فى التشبيه والاستعارة والأمثال مخطوط بدار الكتب (٦) ، وككتاب التمثيل والمحاضرة فى الحكم والمناظرة للثعالبى (٧) ، وكتاب الأمثال السائرة من شعر المتنبى للصاحب بن عباد (٨) ، وكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لعلى بن محمد الكاتب من أهل القرن الخامس وكتاب روائع التوجيهات فى بدائع التشبيهات لنصر بن يعقوب (٩) . على أن حقائق التشبيه لم يفهمها الكثير الا فى القرن الثالث وما بعده، فعبد الملك يقول للشعراء: تشبهونا بالأسد والأسد

---

(١) ٢٢٤ ج ٢ العمدة (٢) ٢٥٥ ج ١ العمدة

(٣) ١٥٢ المثل السائر (٤) ٣٥ — ١٠١ ج ٢ الكامل

(٥) طبع بليدن ومن هذا الطبعة نسخة بدار الكتب الملكية. وقد نشرته عام ١٩٤٨

(٦) بنمرة ١١ ش

(٧) مخطوط بدار الكتب الملكيه [٤٩٢ و ٦٠٠ أدب]

(٨) مخطوط بدار الكتب الملكيه [١١ و ٥٠٢٤ أدب]

(٩) ٣١٤ ج ٣ الرافعى

أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل والجبل وعر (١)، ومثل ذلك يروى عن أعرابى فى مساجلة أدبية طويلة بينه وبين الأصمعى (٢)، وكأن الجاحظ يرد على ذلك حين يقول: وقد علم الشاعر ان الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شىء تشبه به ولكنهم لو لم يفعلوا ذلك لم تظهر بلاغتهم (٣)، ويقول المبرد فى توضيح هذا الرأى: إنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقع فاذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والاحراق(٤)

التشبيه فى الشعر الجاهلى: يظهر التشبيه فى الشعر الجاهلى فى كثرة وجودة تصوير وسهولة مأخذ وقرب خيال وصدق تعبير، لم يتجاوز فى الغالب حدود الأوصاف الحسية المادية القريبة، فامرؤ القيس فى معلقته مشبه مجيد فى وصف المرأة والثريا وفى وصف الليل والفرس والبرق والمطر بما هو فيه أول باجماع، يقول فى عشيقته.

تضىء الظلام بالعشى كأنها منارة ممسى راهب متبتل

ويقول فى وصف الثريا:

إذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

مما قال المبرد فيه: «وقد أكثر الناس فى صفة الثريا، فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى، ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ(٥)»؛ ويقول أبو هلال فى ديوان المعانى: «وهذا البيت فى صفة الثريا استحسنه الناس وقدموه»، ثم رد

---

(١) ٢٦ ج ١ ديوان المعانى

(٢) راجع هذه الرواية الأدبية بتفصيل [١١٦ ج ٢ زهر الآداب]

(٣) ١٦٣ رسالة النساء للجاحظ بهامش الكامل للمبرد

(٤) ٤٧ ج ٢ الكامل للمبرد

(٥) ٣٥ ج ٢ الكامل

على من نقده[١] ؛ ويقول الجرجانى : « اعتبر الشاعر هيئة التفصيل فى الوشاح ، والشكل الذى يكون عليه الخرز المنظوم فى الوشاح ، فصار اعتبار التفصيل أعجب تفصيل فى التشبيه[٢] »

ويقول امرؤ القيس فى جواده : « قيد الأوابد هيكل » ويصور هيئته فى عدوه فيقول : « كجلمود صخر حطه السيل من عل » ؛ وهل تجد فى الشعر أبلغ من هذه الصورة الرهيبة لليل ، فى ظلمته وطوله على المهمومين :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عـــلى بأنواع الهموم ليبتلى

ويقول :[٣]

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

وهو أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء إليه ، فلم ينازعه أحد إياه ، كما يقول ابن رشيق

وقال المبرد : أحسن التشبيهات ما أتى لامرىء القيس فى بيت واحد ، من تشبيه شيئين بشيئين مختلفين ، وهو قوله :

---

(١) قالوا : هو معيب ، لأن التعرض إنما هو أن يبدى عرضه أى جانبه ، والثريا تشق وسط السماء شقا [راجـــع ٣٥ الشعر والشعراء ط ١٩٣٢ . قال ابن قتيبة : وإنما أراد الجوزاء] ، قالوا . وأحسن منه قول ذى الرمة .

وردت اعتسافا والـــثريا كأنها عـــلى قمة الرأس ابن ماء محلق

قال أبو هلال : إنما أراد امرؤ القيس الثريا حين تغيب ، لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب . وقال آخرون : الثريا تعرض أول ما تطلع كما أن أن الوشاح إذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته

(٢) ١٤٦ أسرار البلاغة

(٣) يقول ابن رشيق : وامرؤ القيس أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء إليه فلم ينازعه أحد إياه وقد تعلق بذلك ابن شهيد الأندلسى فقال ،

أدب إليه ديب الكرى وأسمو إليه سمـــو النفس

المعانى ، واتساع الخيال ، والحياة الجديدة التى مهدلهم الأسلام سبيلها ، فتجد عمر بن أبى ربيعة يقول :

دمية عند راهب ذى اجتهاد صوروها فى جانب المحراب

وتجد كثيرا من هذه الصور عند من سواه من الشعراء ،

ودخل الأخطل على معاوية (١) أو على عبد الملك (٢) فقال له : إن كنت شبهتنى بالحية والأسد والصقر فلا حاجة لى بمدحك . ولما شاعت الدقة والمبالغة فى الشعر لم يرض عن ذلك كثير ، وعابت امرأة عمران بن حطان عليه تشبيهه ممدوحه بالأسد لما فيه من المبالغة (٣). وكان ذو الرمة (٤) رئيس المشبهين الاسلامين (٥) كما كان امرؤ القيس فى الجاهليين ، كان أحسن الناس نسيبا وأجودهم تشبيها (٦) ، وقد أجمعت العرب على أنه أحسنهم تشبيهات (٧) ، وقدر من التشبيه على ما لم يقدر عليه غيره كما يقول جرير (٨) ، وكان ابن المعتز يفضله كثيرا ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه (٩) ؛ وقال ابن المعتز : كان ذو الرمة أبدع الناس استعارة

---

(١) ٧١ ج ٤ زهر (٢) ٢٧ ج ١ ديوان المعانى

(٣) ٨١ ج ١ العمدة، ٣٦٢ ج ١ و ٨٨ ج ٢ الكامل للمبرد، ويروى ذلك مع زهير ومع أوس بن حجر (٨١ ج ١ العمده)

(٤) غيلان بن عقبة (٧٧ — ١١٧ هـ) شاعر اموى مجيد فى وصف الأطلال ومن أكبر شعراء الوصف فى العصر الاسلامى وكان يذهب فى ذلك مذهب الجاهليين ويعد من فحول الطبقة الثانية فى عصره . وكان راوية راعى الأبل (٢٠٧ طبقات ابن سلام)، وكان من أظرف الناس حلو المنطق حلو الحديث حسن الصوت (٣٦٦ ج ٤ العقد) ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذى الرمة (٢٥٩ ج ٣ البيان)

(٥) ١٢٥ ج ٣ الرافعى

(٦) ٢٧ و ٢١٠ الشعر والشعراء، ١٧٢ الموشح، ٢٦ طبقات الشعراء لابن سلام

(٧) ١٤٧ ج ٢ ديوان المعانى (٨) ١٧٢ الموشح

(٩) ٢٤٥ ج ١ العمدة

وابرعهم عبارة (١) ، وليس بعده أكثر افتنانا وأكبر تصرفا فى الشعر من ابن المعتز (٢) ومن تشبيهاته قوله

ودرية مثل السماء قطعتها ... وقد صبغ الليل الحصا بسواد

أخذه منه البحترى وقصر فقال :

على باب قنسرين والليل لاطخ ... جوانبه من ظلمة بمداد

وقوله :

وتجلو بفرع من أراك كأنه ... من العنبر الهندى والمسك ينفح

وقال :

رجيعة أسفار كأن زمامها ... شجاع على يسرى الذراعين مطرق

وقال :

فما انشق ضوء الصبح حتى تبينت ... جداول أمثال السيوف القواطع

وقال :

أقامت به حتى ذوى العود والنوى ... وساق الثريا فى ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه ، كما يقول ابن رشيق (٢٠٩ ج ١ عمدة). وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء ، ومن وصفه لها قوله :

كأن يدى حربائها متمسكا ... يدا مذنب ، يستغفر الله ، تائب

ودخل جرير على الوليد ، وعدى بن الرقاع عنده ، ينشده داليته ، قال جرير . فحسدته على أبيات منها ، حتى أنشده فى صفة الظبية . « تزجى أغن كأن إبرة روقه » ، فقلت فى نفسى قد وقع ، والله ما يقدر أن يقول أو يشبه ، فلما قال عدى . « قلم أصاب من الدواة مدادها » ما قدرت حسدا له أن أقيم ، حتى انصرفت (٩٤ ج ٢ الكامل ، ١١٢ أسرار البلاغة)

---

(١) ١٢٤ ج ٤ زهر ، ١٠ رسائل ابن المعتز لمحمد عبد المنعم خفاجى

(٢) ١١٩ ج ١ زهر ، وأكثر شعره غير مصرع الأوائل وهو مذهب الكثير من الفحول وإن لم يعد منهم لقلة تصرفه [١٥٢ ج ١ العمده] ، ويرى حماد الراوية أنه أخر لحداثة سنه وأنهم حسدوه « ص ٩ ديوان ذى الرمة »

التشبيه فى شعر المحدثين

وسار المحدثون بالتشبيه فى طريق الدقة والعمق وجودة التصوير واختراع المعانى وتوليدها والاكثار من التشبيهات والتمثيلات العقلية البعيدة المنزع وكان أظهرهم فى هذا بشار وأبو نواس ثم أبو تمام والبحترى ثم ابن الرومى وابن المعتز

وفقد بشار كثيرا فى قوله :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأكف تلين

وقال : لله أبو صخر ، جعلها خيزرانة ، فو الله لو جعلها عصا رند لهجنها ، ألا قال كما قلت :

إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

ويقول بشار - كما روى عنه الأغانى (١) وابن رشيق (٢) - : لم أزل مذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد « كأن قلوب الطير » ، أعمل نفسى فى الاتيان بمثله ، حتى قلت :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقد عقد الجرجانى فى أسراره (٣) موازنة ممتعة بين فيها فضل بيت بشار على ما يشابهه من شعر المتنبى وعمرو بن كلثوم

وسئل بشار : بم فقت أهل عصرك فى تهذيب ألفاظ الشعر ، وحسن معانيه؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ما ينا جينى به طبعى ، ونظرت إلى معادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفهم جيد وغريزة قوية (٤)

وكان غير بشار من المحدثين مثل بشار ، فى جودة التشبيه ، وقوة التصوير ، والدقة فى المعنى ، والتغلغل فى أعماق الخيال

ثم اشتهر بعد ذلك باجادة التشبيه بعض الشعراء فى شتى العصور ، كما امتاز بعض الشعراء بجودة التمثيل ودقته وروعته

---

(١) ٣ ص ٤٦ (٢) ١ ص ٢٦٠ العمدة

(٣) ١٥١ و ١٥٢ الاسرار (٤) ١٥٠ ج ١ زهر الآداب

وبعد فالتشبيه قد ذكره أرسطو ورأى أن الشعراء يقبحون فى التشبيه إذا أبعدوا وفرق بينه وبين الاستعارة (الشفاء لابن سينا)

وأشار إليه الجاحظ إشارة عابرة حيث ذكر مثلا له «١» . وعقد له المبرد فى كامله بابا مستقلا «٢» ؛ وكذلك فعل ثعلب «٣» وابن المعتز «٤» ، والأصابة فى التشبيه من أسباب جودة الشعر «٥» ، وذكر ابن قتيبة التشبيه فى مواضع كثيرة من كتابه «٦» ، ورأى أن المشبه به يجب أن يكون أقوى من المشبه فى وجه الشبه «٧» ، وذكر قدامة أيضا بابا مستقلا للتشبيه «٨» وكذلك صاحب العمده وأبو هلال وسواهم من العلماء . وابن المعتز أشهر من شهر بالتشبيه ، وعده من ألوان البديع متمشيا مع فطرته وذوقه الأدبى الذى شغف بهذا الصبغ البيانى شغفا خاصا وتبعه فى ذلك كثير من الشعراء

---

(١) ٢٢٩ ج ٢ و ٢٤٣ ج ٣ البيان

(٢) ٢٥ — ١٠١ ج ٢ الكامل (٣) ١٤ — ١٨ قواعد الشعر

(٤) ١٢١ — ١٣١ البديع (٥) ٢٠ الشعر والشعراء

(٦) ٢٠ و ٢١ و ١٠٦ الشعر والشعراء

(٧) ٣١٧ المرجع «٨» ٦٥ — ٧٠ نقد الشعر

خاتمـــة

انتهى الجزء الرابع من هذا الشرح بحمد الله وتوفيقه .

ويليه الجـــزء الخامس ، وأوله الحقيقة والمجـــاز . وقد اضطررنا لحذف بعض البحوث الملحقة بآخر الجزء الثالث والرابع ، وسننشرها كلها فى آخر الجزءين الباقيين : الخامس والسادس ، إن شاء الله .

وقد استأثرت رحمة الله أثناء طبع هذا الجزء بصديق الأستاذ محمود توفيق — صاحب مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة - يوم السبت ٢٠ جماد الآخرة ١٣٦٩ هـ = ٨ إبريل ١٩٥٠ م ، رحمه الله وأجزل مثوبته كفاء خدماته للعلم والدين واللغة

وسنوالى نشر الجزءين الباقيين من هذا الشرح ، على أن ننتهى منهما قريبا ، باذن الله ومشيئته ، وبالله التوفيق ، ومنه السداد ؟

٢٠ / ٤ / ١٩٥٠ محمد عبد المنعم خفاجى

استدراك

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
٨	١٥	الاب جد	الجد أب
١٣	١٩	عشرين	عشرون
٢٢	١٨	هذان العلمان	هذين العلمين
٦٩	٦	وعلى وجود فى	وعلى
٦٩	٧	له	له وجود فى
٦٩	١٢	الحقيقة	الحقيقية
٨٠	١٦	عاودتهم	عاودتهم
٨٠	١٨	أطال	فاذا طال
٨٠	١٩	جماعتهق	جماعتهم
٨٦	٢٣	حر	حركة
٨٨	٢	فانطباق	فانطبافا
٨٨	١٢	أعضاؤها	أعضاؤه
٩٧	٥	وكأنه	كأنه
١٠٢	١٣	الهيئة	الهيئة والهيئة
١٠٥	٨	وجو	وجود
١٠٦	١٧	أى ، وصف	أى وصف من
١٠٧	٨	نتفنا	نتقنا
١١٧	١	الخبر	الخبز

فهرست

الصحيفة	الموضوع
٣	بينى وبين زعيم المجددين
٢٥	علم البيان
٣٩	التشبيه
٤٠	القول فى التشبيه
٥٦	أركان التشبيه
٥٧	١ ـ طرفا التشبيه
٦١	٢ وجه التشبيه
٦٧	الوجه اما خارج أو غير خارج
٧٠	الوجه اما واحد أو متعدد أو مركب
٨٤	التشبيه المركب الحسى الواقع فى الحركات
٩٦	التركيب فى هيئة المكون
١٠٣	٣ ـ أداة التشبيه
١٠٥	٤ ـ الغرض من التشبيه
١١٩	تقسيم التشبيه
١١٩	باعتبار طرفيه
١٣١	باعتبار الوجه
١٣١	تشبيه التمثيل
١٣٩	المجمل والمفصل
١٤٤	القريب والبعيد
١٧٥	تقسيم التشبيه باعتبار أدانه
١٧٧	تقسيم التشبيه باعتبار الغرض
١٧٨	خاتمة
١٨٠	ملحق للجزء الرابع
١٩٣	التشبيه والبحث البلاغى

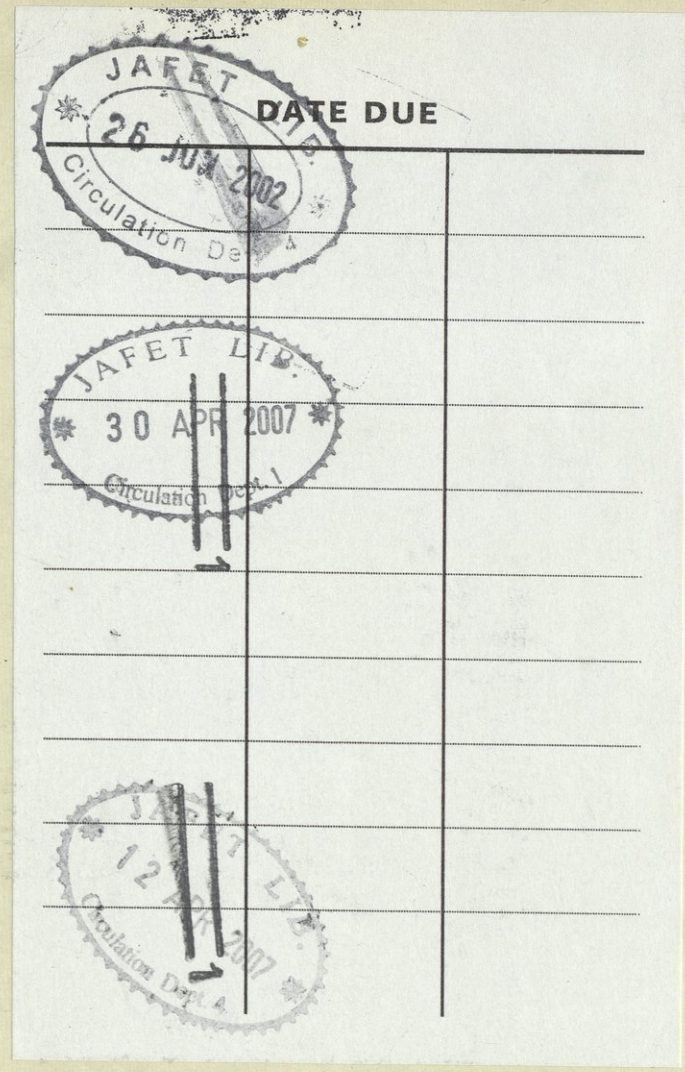
DATE DUE
JAFET LIB.
26 JUN 2002
Circulation Dept.
JAFET LIB.
30 APR 2007
Circulation Dept.
JAFET LIB.
12 APR 2007
Circulation Dept.

A.U.B. Library

[redacted]
الايضاح في علوم البلاغة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01030801

